السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

کاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعۀ:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

من هدى القرآن المجلد ۱ ----- ۲۷

اشاره ----- ۲۷

اشاره ----- ۲۸

مقدمات ----- ۴۰

الفصل الاول: ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

القرآن فى آيات الذكر ----- ۴۲

القرآن فى السنه ----- ۴۷

لماذا ندعوا الى القرآن ----- ۵۰

الفصل الثانى: ----- ۵۶

اشاره ----- ۵۶

ضروره التدبر فى القرآن ----- ۵۸

القرآن و التفسير بالرأى ----- ۶۱

القرآن بين التزكيه و التعليم ----- ۶۵

القرآن الحكيم بين الظاهر و الباطن ----- ۷۰

القرآن الحكيم ----- ۷۲

القرآن الحكيم و الأحرف السبعه ----- ۷۴

القرآن الحكيم و إثباتات معانيه ----- ۷۶

الفصل الثالث: ----- ۸۲

اشاره ----- ۸۲

التدبر و الصفات النفسيه ----- ۸۴

التدّبر و الصفات العقليه ----- ۸۷

التدبر و السياق القرآنى ----- ۸۹

اشاره ۸۹
۱-العلاقه العلمیه: ۸۹
۲-العلاقه التربویه: ۹۱
التدبر و الواقع الخارجی ۹۳
التدبر و التطبیق القرآنی ۹۵
موجز لمنهج التدبر فی القرآن ۹۷
سوره الحمد ۱۰۲
اشاره ۱۰۲
فضل السوره: ۱۰۴
[سوره الفاتحه (۱): الآیات ۱ الی ۷] ۱۰۶
اشاره ۱۰۶
الحمد مجمل معارف القرآن ۱۰۷
تفسیر البسمله: ۱۰۷
موارد الحمد ۱۰۸
سوره البقره ۱۱۴
اشاره ۱۱۴
فضل السوره: ۱۱۶
الإطار العام ۱۱۸
الاسم أولا: ۱۱۸
الإطار العام للسوره: ۱۱۹
[سوره البقره (۲): الآیات ۱ الی ۲۰] ۱۲۰
اشاره ۱۲۰
اللغه ۱۲۰
کیف یقسم القرآن البشر؟ ۱۲۵
هدی من الآیات: ۱۲۵
بینات من الآیات: ۱۲۶

القرآن هدى: ----- ۱۲۹
[سوره البقره (۲): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ----- ۱۳۹
اشاره ----- ۱۳۹
اللغه ----- ۱۳۹
أركان الايمان ----- ۱۴۱
هدى من الآيات: ----- ۱۴۱
بينات من الآيات: ----- ۱۴۱
[سوره البقره (۲): الآيات ۲۶ الى ۲۹] ----- ۱۴۵
اشاره ----- ۱۴۵
اللغه ----- ۱۴۵
الشخصيه الانسانيه ----- ۱۴۷
اشاره ----- ۱۴۷
هدى من الآيات: ----- ۱۴۷
قصه الخلق الأول: ----- ۱۴۷
اشاره ----- ۱۴۷
بينات من الآيات: ----- ۱۴۸
[سوره البقره (۲): الآيات ۳۰ الى ۳۹] ----- ۱۵۳
اشاره ----- ۱۵۳
اللغه ----- ۱۵۳
كيف خضعت الطبيعه للإنسان؟ ----- ۱۵۶
هدى من الآيات: ----- ۱۵۶
بينات من الآيات: ----- ۱۵۶
[سوره البقره (۲): الآيات ۴۰ الى ۴۸] ----- ۱۶۴
اشاره ----- ۱۶۴
اللغه ----- ۱۶۴
هل نكون من الشاكرين؟ ----- ۱۶۶

هدی من الآیات: ----- ۱۶۶
بینات من الآیات: ----- ۱۶۷
[سوره البقره (۲): الآیات ۴۹ الی ۶۲] ----- ۱۷۳
اشاره ----- ۱۷۳
اللغه ----- ۱۷۳
دور رسالات اللّه فی بناء الحضارات ----- ۱۷۸
هدی من الآیات: ----- ۱۷۸
بینات من الآیات: ----- ۱۷۹
و کلمه اخیره: ----- ۱۸۶
[سوره البقره (۲): الآیات ۶۳ الی ۶۶] ----- ۱۸۸
اشاره ----- ۱۸۸
اللغه ----- ۱۸۸
المیوعه فی تطبیق الأحکام ----- ۱۹۰
هدی من الآیات: ----- ۱۹۰
بینات من الآیات: ----- ۱۹۱
[سوره البقره (۲): الآیات ۶۷ الی ۷۳] ----- ۱۹۳
اشاره ----- ۱۹۳
اللغه ----- ۱۹۳
قصه البقره دروس و عبر ----- ۱۹۵
هدی من الآیات: ----- ۱۹۵
بینات من الآیات: ----- ۱۹۶
الخلاصه: ----- ۱۹۹
[سوره البقره (۲): الآیات ۷۴ الی ۷۹] ----- ۲۰۰
اشاره ----- ۲۰۰
اللغه ----- ۲۰۰
الیهود بین ----- ۲۰۳

اشاره ----- ۲۰۳
هدی من الآیات: ----- ۲۰۳
بینات من الآیات: ----- ۲۰۴
قسوه القلب: ----- ۲۰۴
الکتاب بین الحلم و التقلید: ----- ۲۰۷
بین الامانی و الظنون: ----- ۲۰۹
الظن: ----- ۲۱۰
[سوره البقره (۲): الآیات ۸۰ الی ۸۶] ----- ۲۱۳
اشاره ----- ۲۱۳
اللغه ----- ۲۱۳
تقدیس الذات ----- ۲۱۶
هدی من الآیات: ----- ۲۱۶
بینات من الآیات: ----- ۲۱۷
اشاره ----- ۲۱۷
میثاق الله لبنی إسرائیل: ----- ۲۱۸
[سوره البقره (۲): الآیات ۸۷ الی ۹۳] ----- ۲۲۳
اشاره ----- ۲۲۳
اللغه ----- ۲۲۳
العنصریه و الانغلاق الفکریّ ----- ۲۲۶
هدی من الآیات: ----- ۲۲۶
بینات من الآیات: ----- ۲۲۷
اشاره ----- ۲۲۷
سبب التکذیب: ----- ۲۲۸
[سوره البقره (۲): الآیات ۹۴ الی ۱۰۰] ----- ۲۳۴
اشاره ----- ۲۳۴
اللغه ----- ۲۳۴

العنصريه و الكفر بالملائكه ----- ۲۳۶
هدی من الآیات: ----- ۲۳۶
بینات من الآیات: ----- ۲۳۶
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۱ الی ۱۰۳] ----- ۲۴۱
اشاره ----- ۲۴۱
اللغه ----- ۲۴۱
السحر و الشعوذه..نهایه المطاف ----- ۲۴۳
هدی من الآیات: ----- ۲۴۳
بینات من الآیات: ----- ۲۴۴
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۴ الی ۱۱۰] ----- ۲۴۸
اشاره ----- ۲۴۸
اللغه ----- ۲۴۸
نحن و الثقافات الدخیله ----- ۲۵۱
هدی من الآیات: ----- ۲۵۱
بینات من الآیات: ----- ۲۵۲
راعنا و انظرنا: ----- ۲۵۲
رسالات اللّه و تطور الزمن: ----- ۲۵۶
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۱۱ الی ۱۲۳] ----- ۲۶۰
اشاره ----- ۲۶۰
اللغه ----- ۲۶۰
التسلیم للّه هو المیزان ----- ۲۶۴
هدی من الآیات: ----- ۲۶۴
بینات من الآیات: ----- ۲۶۵
تضخیم الاختلافات: ----- ۲۶۷
مصدر الإلهام: ----- ۲۷۰
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۲۴ الی ۱۴۰] ----- ۲۷۴

اشاره ----- ۲۷۴
اللغه ----- ۲۷۴
إبراهيم رمز الوحده ----- ۲۷۹
هدى من الآيات: ----- ۲۷۹
بينات من الآيات: ----- ۲۸۰
كيف يختار اللّه رسله: ----- ۲۸۰
الآثار الايجابيه للعمل الصالح: ----- ۲۸۴
السبيل الى فض الخلاف: ----- ۲۸۶
مله إبراهيم: ----- ۲۸۷
التوحيد جوهر الوحده: ----- ۲۹۱
[سوره البقره (۲): الآيات ۱۴۱ الى ۱۵۰] ----- ۲۹۴
اشاره ----- ۲۹۴
اللغه ----- ۲۹۴
القبله رمز وحده الأمه ----- ۲۹۸
هدى من الآيات: ----- ۲۹۸
بينات من الآيات: ----- ۳۰۰
الانفصال نقطه الانطلاق: ----- ۳۰۰
لماذا لا تتوحد القبله؟: ----- ۳۰۳
كيف نضمن الفلاح؟: ----- ۳۰۵
[سوره البقره (۲): الآيات ۱۵۱ الى ۱۵۷] ----- ۳۰۸
اشاره ----- ۳۰۸
اللغه ----- ۳۰۸
و بشّر الصابرين ----- ۳۱۰
هدى من الآيات: ----- ۳۱۰
بينات من الآيات: ----- ۳۱۱
اشاره ----- ۳۱۱

بماذا نستعين؟ ----- ۳۱۳
إذا أردت أن لا تموت: ----- ۳۱۴
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۵۸ الی ۱۶۷] ----- ۳۱۷
اشاره ----- ۳۱۷
اللغه ----- ۳۱۷
کیف أخفی ----- ۳۲۲
اشاره ----- ۳۲۲
هدی من الآیات: ----- ۳۲۲
بینات من الآیات: ----- ۳۲۳
اشاره ----- ۳۲۳
رساله العلم: ----- ۳۲۴
جزاء علماء السوء: ----- ۳۲۵
الثقافه التوحیدیه: ----- ۳۲۶
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۶۸ الی ۱۷۷] ----- ۳۳۱
اشاره ----- ۳۳۱
اللغه ----- ۳۳۱
کیف نحطم أصنام الکفر؟ ----- ۳۳۵
هدی من الآیات: ----- ۳۳۵
بینات من الآیات: ----- ۳۳۶
اشاره ----- ۳۳۶
القوانین الشیطانیه: ----- ۳۳۷
عبده الاباء: ----- ۳۳۸
جزاء کتمان الحق: ----- ۳۴۰
صفات علماء السوء ----- ۳۴۲
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۷۸ الی ۱۸۲] ----- ۳۴۵
اشاره ----- ۳۴۵

اللغه ----- ۳۴۵
فلسفه القصاص ----- ۳۴۷
هدی من الآیات: ----- ۳۴۷
بینات من الآیات: ----- ۳۴۸
اشاره ----- ۳۴۸
الوصیه و حق الأموال: ----- ۳۴۹
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۸۳ الی ۱۸۹] ----- ۳۵۲
اشاره ----- ۳۵۲
اللغه ----- ۳۵۲
الصوم فلسفته و احکامه ----- ۳۵۵
هدی من الآیات: ----- ۳۵۵
بینات من الآیات: ----- ۳۵۶
اشاره ----- ۳۵۶
لماذا رمضان؟ ----- ۳۵۸
رمضان و الدعاء: ----- ۳۶۰
من أحکام الصوم: ----- ۳۶۱
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۹۰ الی ۱۹۵] ----- ۳۶۵
اشاره ----- ۳۶۵
اللغه ----- ۳۶۵
القتال فی الإسلام ----- ۳۶۷
اشاره ----- ۳۶۷
هدی من الآیات: ----- ۳۶۷
بینات من الآیات: ----- ۳۶۸
القتال لماذا و کیف؟ ----- ۳۶۸
الهدف الحضاری للقتال: ----- ۳۶۹
متی تحفظ الحرمات؟: ----- ۳۷۰

الإنفاق ضروره قتاليه: ---------- ۳۷۱
[سوره البقره (۲): الآیات ۱۹۶ الی ۲۰۳] ---------- ۳۷۲
اشاره ---------- ۳۷۲
اللغه ---------- ۳۷۲
الحج مدرسه التقوی ---------- ۳۷۵
هدی من الآیات: ---------- ۳۷۵
بینات من الآیات: ---------- ۳۷۶
اشاره ---------- ۳۷۶
الإحرام: ---------- ۳۷۸
ماذا بعد عمره التمتع؟: ---------- ۳۷۹
الإفاضه مسیره الإیمان: ---------- ۳۸۱
کیف نربح الدنیا و الآخره؟ ---------- ۳۸۲
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۰۴ الی ۲۱۳] ---------- ۳۸۵
اشاره ---------- ۳۸۵
اللغه ---------- ۳۸۵
التقوی: ---------- ۳۸۸
اشاره ---------- ۳۸۸
هدی من الآیات: ---------- ۳۸۸
بینات من الآیات: ---------- ۳۸۹
اشاره ---------- ۳۸۹
الوحده ضروره جهادیه: ---------- ۳۹۱
مسئولیه الحفاظ علی الوحده: ---------- ۳۹۲
لماذا الاختلاف؟!: ---------- ۳۹۳
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۱۴ الی ۲۱۸] ---------- ۳۹۶
اشاره ---------- ۳۹۶
اللغه ---------- ۳۹۶

اَلْفِتْنَهُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ----- ۳۹۹
هدی من الآیات: ----- ۳۹۹
بینات من الآیات: ----- ۴۰۰
اشاره ----- ۴۰۰
الإنفاق سبیل التضحیه: ----- ۴۰۱
اَلْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ : ----- ۴۰۲
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۱۹ الی ۲۲۵] ----- ۴۰۵
اشاره ----- ۴۰۵
اللغه ----- ۴۰۵
التقوی الاجتماعیه ----- ۴۰۸
هدی من الآیات: ----- ۴۰۸
بینات من الآیات: ----- ۴۰۹
اشاره ----- ۴۰۹
التقوی و الحقوق الاجتماعیه: ----- ۴۱۰
التقوی و حقوق المرأه: ----- ۴۱۱
حکم المقاربه فی الحیض: ----- ۴۱۳
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۲۶ الی ۲۳۲] ----- ۴۱۶
اشاره ----- ۴۱۶
اللغه ----- ۴۱۶
واجبات العلاقه الزوجیه ----- ۴۲۰
هدی من الآیات: ----- ۴۲۰
بینات من الآیات: ----- ۴۲۲
التقوی فی العلاقه الزوجیه: ----- ۴۲۲
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۳۳ الی ۲۴۲] ----- ۴۳۰
اشاره ----- ۴۳۰
اللغه ----- ۴۳۰

التقوی فی إداره البیت ----- ۴۳۴
هدی من الآیات: ----- ۴۳۴
بینات من الآیات: ----- ۴۳۴
اشاره ----- ۴۳۴
حق الزوج بعد الوفاه: ----- ۴۳۶
کیف تختار زوجتک: ----- ۴۳۷
و قوموا للّه قانتین: ----- ۴۴۱
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۴۳ الی ۲۴۹] ----- ۴۴۴
اشاره ----- ۴۴۴
اللغه ----- ۴۴۴
الحاکمیه الالهیه ----- ۴۴۸
هدی من الآیات: ----- ۴۴۸
بینات من الآیات: ----- ۴۵۰
اشاره ----- ۴۵۰
أمروا بالقتال فتولّوا ----- ۴۵۱
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۵۰ الی ۲۵۴] ----- ۴۵۷
اشاره ----- ۴۵۷
اللغه ----- ۴۵۷
شروط الانتصار علی العدو ----- ۴۵۹
هدی من الآیات: ----- ۴۵۹
بینات من الآیات: ----- ۴۵۹
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۵۵ الی ۲۶۰] ----- ۴۶۴
اشاره ----- ۴۶۴
اللغه ----- ۴۶۴
أسماء اللّه الحسنی ----- ۴۶۸
هدی من الآیات: ----- ۴۶۸

بینات من الآیات: ۴۶۹
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۶۱ الی ۲۷۴] ۴۷۸
اشاره ۴۷۸
اللغه ۴۷۸
الإنفاق فی سبیل اللّه ۴۸۳
هدی من الآیات: ۴۸۳
بینات من الآیات: ۴۸۴
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۷۵ الی ۲۸۱] ۴۹۵
اشاره ۴۹۵
اللغه ۴۹۵
الربا و الفساد الاقتصادی ۴۹۷
هدی من الآیات: ۴۹۷
بینات من الآیات: ۴۹۸
آثار الربا: ۴۹۸
ما هو العلاج؟ ۵۰۰
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۸۲ الی ۲۸۳] ۵۰۲
اشاره ۵۰۲
العلاقه التکاملیه بین ۵۰۴
اشاره ۵۰۴
هدی من الآیات: ۵۰۴
بینات من الآیات: ۵۰۵
کتابه الدّین: ۵۰۵
[سوره البقره (۲): الآیات ۲۸۴ الی ۲۸۶] ۵۱۰
اشاره ۵۱۰
اللغه ۵۱۰
المسؤولیه ۵۱۲

اشاره ----- ۵۱۲
هدی من الآیات: ----- ۵۱۲
بینات من الآیات: ----- ۵۱۳
اشاره ----- ۵۱۳
إطار المسؤولیات: ----- ۵۱۵
سوره آل عمران ----- ۵۲۰
اشاره ----- ۵۲۰
فضل السوره: ----- ۵۲۲
الإطار العام للسوره ----- ۵۲۴
لما ذا الاسم؟ ----- ۵۲۴
ما هو الإطار العام؟ ----- ۵۲۵
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱ الی ۶] ----- ۵۲۸
اشاره ----- ۵۲۸
اللغه ----- ۵۲۸
رسالات اللّه ----- ۵۲۹
اشاره ----- ۵۲۹
هدی من الآیات: ----- ۵۲۹
بینات من الآیات: ----- ۵۲۹
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۷ الی ۱۳] ----- ۵۳۴
اشاره ----- ۵۳۴
اللغه ----- ۵۳۴
حقائق القرآن ----- ۵۳۶
اشاره ----- ۵۳۶
هدی من الآیات: ----- ۵۳۶
بینات من الآیات: ----- ۵۳۷
کیف تکون الرساله عامه؟ ----- ۵۳۷

بین المحکم و المتشابه: ----- ۵۳۸
لماذا الاختلاف فی الدین؟ ----- ۵۳۸
ما هو الزیغ؟: ----- ۵۳۹
التأویل: ----- ۵۴۰
الفتنه: ----- ۵۴۰
من یعلم التأویل؟ ----- ۵۴۱
الایمان قبل المعرفه ----- ۵۴۱
الایمان بالیوم الآخر..حجر الزاویه فی المعرفه: ----- ۵۴۳
الاعتماد علی اللّه فقط ----- ۵۴۴
سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۴ الی ۲۰ ----- ۵۴۷
اشاره ----- ۵۴۷
اللغه ----- ۵۴۷
الحیاه ----- ۵۴۹
اشاره ----- ۵۴۹
هدی من الآیات: ----- ۵۴۹
النفس البشریه بین العقل و الشهوه: ----- ۵۴۹
معنی التقوی ----- ۵۵۲
بین الوحده و التوحید: ----- ۵۵۴
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ----- ۵۵۸
اشاره ----- ۵۵۸
نتائج ضعف الروح الدینیه ----- ۵۵۹
هدی من الآیات: ----- ۵۵۹
بینات من الآیات: ----- ۵۶۰
کیف یتسافل الإنسان؟ ----- ۵۶۰
تفسیر الدین علی الهوی: ----- ۵۶۱
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ----- ۵۶۴

اشاره ----- ۵۶۴
اللغه ----- ۵۶۴
القیاده الصحیحه ----- ۵۶۶
اشاره ----- ۵۶۶
هدی من الآیات: ----- ۵۶۶
بینات من الآیات: ----- ۵۶۶
لمن الملک؟للّه ----- ۵۶۶
شمولیه القدره الإلهیه: ----- ۵۶۷
بین مفهومی القدره و القیاده: ----- ۵۶۷
الجهاد وجه التوحید البارز: ----- ۵۶۹
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۳۱ الی ۴۱] ----- ۵۷۱
اشاره ----- ۵۷۱
اللغه ----- ۵۷۱
الجماهیر تقدیس الذوات ----- ۵۷۴
اشاره ----- ۵۷۴
هدی من الآیات: ----- ۵۷۴
بینات من الآیات: ----- ۵۷۶
کیف نحب اللّه؟: ----- ۵۷۶
فی رحاب الاختیار: ----- ۵۷۸
آثار التربیه علی نمو الطفل: ----- ۵۷۹
کیف یختار اللّه الرسل؟: ----- ۵۸۰
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۴۲ الی ۵۱] ----- ۵۸۴
اشاره ----- ۵۸۴
اللغه ----- ۵۸۴
رساله عیسی من میزات ----- ۵۸۶
اشاره ----- ۵۸۶

هدی من الآیات: ۵۸۶
بینات من الآیات: ۵۸۷
اشاره ۵۸۷
أسماء عیسی و خصائصه: ۵۸۸
وحده الرسالات فی المبدأ و الهدف: ۵۹۱
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۵۲ الی ۵۹] ۵۹۳
اشاره ۵۹۳
بشریه الرسول ۵۹۵
اشاره ۵۹۵
هدی من الآیات ۵۹۵
بینات من الآیات: ۵۹۶
اشاره ۵۹۶
میزان العاملین ۵۹۶
النهایه المعجزه ۵۹۷
فلتعتبروا یا أولی الألباب ۵۹۹
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۶۰ الی ۶۸] ۶۰۱
اشاره ۶۰۱
اللغه ۶۰۱
الحق مقیاس الصواب ۶۰۳
اشاره ۶۰۳
هدی من الآیات: ۶۰۳
بینات من الآیات: ۶۰۴
اشاره ۶۰۴
دلائل صدق الرساله ۶۰۴
المباهله وسیله لکشف الحق: ۶۰۵
تطبیق المبادئ وسیله الخلاص ۶۰۷

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۶۹ الی ۷۶] ---- ۶۱۱
اشاره ---- ۶۱۱
اللغه ---- ۶۱۱
مواقف أهل الکتاب ---- ۶۱۳
اشاره ---- ۶۱۳
هدی من الآیات: ---- ۶۱۳
بینات من الآیات: ---- ۶۱۴
نتائج التعصب: ---- ۶۱۴
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۷۷ الی ۸۵] ---- ۶۱۹
اشاره ---- ۶۱۹
اللغه ---- ۶۱۹
العلماء بین ---- ۶۲۲
اشاره ---- ۶۲۲
هدی من الآیات: ---- ۶۲۲
بینات من الآیات: ---- ۶۲۳
الرساله مسئولیات و واجبات: ---- ۶۲۳
نتائج التحریف: ---- ۶۲۴
الالتزام بالمسؤولیه ضمان الاستقامه: ---- ۶۲۸
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۸۶ الی ۹۲] ---- ۶۳۲
اشاره ---- ۶۳۲
اللغه ---- ۶۳۲
الارتداد أقسامه و جزاؤه ---- ۶۳۴
هدی من الآیات: ---- ۶۳۴
بینات من الآیات: ---- ۶۳۵
اشاره ---- ۶۳۵
جزاء الارتداد: ---- ۶۳۶

بين الرحمه و التوبه: ---------- ۶۳۸
سوره آل عمران (۳): الآیات ۹۳ الی ۱۰۰ ---------- ۶۴۰
اشاره ---------- ۶۴۰
اللغه ---------- ۶۴۰
العصبيه عقبه الوحده ---------- ۶۴۲
اشاره ---------- ۶۴۲
هدى من الآيات: ---------- ۶۴۲
بينات من الآيات: ---------- ۶۴۳
تقديس الأشخاص يعرقل سبيل الوحده: ---------- ۶۴۳
من معانى الكفر: ---------- ۶۴۶
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۰۱ الی ۱۰۸] ---------- ۶۴۹
اشاره ---------- ۶۴۹
اللغه ---------- ۶۴۹
الوحده هاجس الامه الحضارى ---------- ۶۵۱
هدى من الآيات: ---------- ۶۵۱
بينات من الآيات: ---------- ۶۵۲
الوحده بالاعتصام باللّه: ---------- ۶۵۲
لا وحده الا بالعقيده: ---------- ۶۵۴
كيف نحافظ على الوحده: ---------- ۶۵۵
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۰۹ الی ۱۱۷] ---------- ۶۵۷
اشاره ---------- ۶۵۷
اللغه ---------- ۶۵۷
التزام القيم ضمانه الاستقامه ---------- ۶۵۹
هدى من الآيات: ---------- ۶۵۹
بينات من الآيات: ---------- ۶۶۰
بين الفسق و الإيمان: ---------- ۶۶۱

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۱۸ الی ۱۲۹] ----- ۶۶۷
اشاره ----- ۶۶۷
اللغه ----- ۶۶۷
الموقف المبدئی من الکفار ----- ۶۷۰
هدی من الآيات: ----- ۶۷۰
بینات من الآيات: ----- ۶۷۱
مبدئیه الوحده الإسلامیه: ----- ۶۷۱
دروس من معرکه بدر: ----- ۶۷۴
[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۰ الی ۱۳۶] ----- ۶۷۹
اشاره ----- ۶۷۹
اللغه ----- ۶۷۹
السلوک الإیمانی حصن الأمه ----- ۶۸۱
هدی من الآيات: ----- ۶۸۱
بینات من الآيات: ----- ۶۸۲
خطر الربا: ----- ۶۸۲
کیف نفوز الجنه؟ ----- ۶۸۴
[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۷ الی ۱۴۸] ----- ۶۸۷
اشاره ----- ۶۸۷
اللغه ----- ۶۸۷
لنعد الی..سنن التاریخ ----- ۶۹۰
هدی من الآيات: ----- ۶۹۰
بینات من الآيات: ----- ۶۹۱
اشاره ----- ۶۹۱
منافع الناس فی التضحیه: ----- ۶۹۳
الجهاد و الأمانی الکاذبه: ----- ۶۹۵
کیف قاتل الرّبیّون: ----- ۶۹۸

الدعاء سلاح المؤمن: ----- ۶۹۹
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۴۹ الی ۱۵۸] ----- ۷۰۰
اشاره ----- ۷۰۰
اللغه ----- ۷۰۰
التضحیه ----- ۷۰۳
اشاره ----- ۷۰۳
هدی من الآیات: ----- ۷۰۳
بینات من الآیات: ----- ۷۰۴
التضحیه حصن المکاسب: ----- ۷۰۴
عبر من الهزیمه: ----- ۷۰۷
دور الذنوب فی الهزیمه: ----- ۷۱۰
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۵۹ الی ۱۶۴] ----- ۷۱۳
اشاره ----- ۷۱۳
اللغه ----- ۷۱۳
ظروف الهزیمه،و مسئولیات القیاده ----- ۷۱۵
هدی من الآیات: ----- ۷۱۵
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۶۵ الی ۱۷۵] ----- ۷۲۱
اشاره ----- ۷۲۱
اللغه ----- ۷۲۱
لماذا نخسر؟و کیف ننتصر؟ ----- ۷۲۳
هدی من الآیات: ----- ۷۲۳
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۷۶ الی ۱۸۰] ----- ۷۳۱
اشاره ----- ۷۳۱
اللغه ----- ۷۳۱
الرساله الإلهیه ----- ۷۳۳
اشاره ----- ۷۳۳

هدی من الآیات: ----- ۷۳۳
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۸۱ الی ۱۸۹] ----- ۷۳۸
اشاره ----- ۷۳۸
اللغه ----- ۷۳۸
صفات عبده العجل ----- ۷۴۰
هدی من الآیات: ----- ۷۴۰
بینات من الآیات: ----- ۷۴۱
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۹۰ الی ۱۹۵] ----- ۷۴۷
اشاره ----- ۷۴۷
اللغه ----- ۷۴۷
الرسالی بین التأمل الهادف ----- ۷۴۹
اشاره ----- ۷۴۹
هدی من الآیات: ----- ۷۴۹
[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۹۶ الی ۲۰۰] ----- ۷۵۴
اشاره ----- ۷۵۴
اللغه ----- ۷۵۴
اصبروا و صابروا و رابطوا ----- ۷۵۶
هدی من الآیات: ----- ۷۵۶
بینات من الآیات: ----- ۷۵۷
تعریف مرکز ----- ۷۵۹

من هدى القرآن المجلد ۱

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پديدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسين، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-x۱۵-۱۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۳۱۶-۲۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱۷-۲۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۷۱۱-۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۵۱۲-۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۳۱۳-۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱۴-۱۸-۶۶-۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۴۷-۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۸-۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۹۱۰-۸۲-۰۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۶۳-۰۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۴۴-۰۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۵-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۳-۰۳-۵۶۴۸-۹۶۴۰۰۰۰-۱۱۸-۰۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-x۱-۰۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸ ؛ ۱۸--۱۱۷-۲۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۳۱۳-۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱۴-۱۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-x۱۵-۱۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۳۱۶-۲۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۹۱۰-۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۷۱۱-۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۵۱۲-۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۵-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۶۶-۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۴۷-۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۸-۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-x۱-۰۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۸۲-۰۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۶۳-۰۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۴۴-۰۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۳-۰۳-۵۶۴۸-۹۶۴۰۰۰۰-۱۱۸-۰۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸

وضعيت فهرست نويسی:فهرستنويسی قبلی

يادداشت:عربی

يادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرين مختلف منتشر شده است

يادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسير شيعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی ديويی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

مقدمات

الفصل الاول:

اشاره

ما هو القرآن و لماذا ندعوا اليه -القرآن فی آيات الذكر -القرآن فی السنه -لما ذا ندعوا الی القرآن

ص:١٣

القرآن فى آيات الذكر

قبل ان نبدأ تفسير القرآن الحكيم،لا بد من بحوث تمهيديه،نتناول عبرها كيفيه التدبر فى آيات القرآن الحكيم،و التى تعتبر أيضا المنهج الذى اتبعته فى تفسير القرآن.

و قبل كل شـيء نتساءل ما هو القرآن؟و لماذا يعجز فهم البشر عن الاحاطه بأبعاد القرآن الحكيم؟ ان القرآن لم ينزل لجيل واحد أو لقرن،بل هو كلام اللّه العظيم الـذى يمتـد مع الزمن من يوم انشأه اللّه الى يوم يرث الأرض و من عليها.و يمتـد مع البشـريه من يوم نزل من السماء مكمّلا لرسالات اللّه و حتى يوم البعث.لذلك فانه كتاب يسع الجميع و لا يسعه أحد.

و لأـن البشـر يتكامـل فلاـ بـد ان يبقى القرآن امـامه دون ان يبلغه انى تقـدم حضاريا أو توغل فى أفاق المعرفه،و إذا عجز العقل البشرى المحدود عن الاحاطه بأسرار القرآن

ص:١۵

جميعـا،أ فلاـ تعجز لغته عن صـفه القرآن؟بلى.ان القرآن حين يصف نفسه يفتـح أمامنـا آفاقـا من المعرفه.إذا أوغلنـا فيهـا فسوف نستطيع ان نعرف المزيد من خصائص القرآن و من صفاته المثلى.

و لا يعنى ذلك عجزنا عن معرفه اى شـىء من القرآن،كلّا،بل يعنى ضـروره السـير قـدما فى آفاق المعرفه القرآنيه،دون ان نقف عند حد أو ان يصيبنا كلل.

ان القرآن هو الكتاب الوحيـد الـذى لا يتعب منه قارئه.و كلّما ازداد تلاوه له كلما ازداد اليه شوقا،لماذا؟ لأنه مع كل قراءه يجـده طريـا جديـدا،و يجـد فيه علمـا طارفـا،و أفقـا حـديثا،بلى، قـد يتعب الإنسان فى استيعاب المزيـد من معارف القرآن،دون ان يمل القرآن عن العطاء،و العطاء بغزاره.كما السحب الخيره المعطاءه،تفيض الأرض ببركاتها المستمره دون ان تتوقف هى عن العطاء.

اذن علينا ان نبحر فى محيط القرآن الواسع،الذى تتلاشى الشواطئ أمام أمواجه.

و نتساءل بماذا نستعين اذن فى فهم كتاب اللّه المجيد؟ و الجواب:بالقرآن ذاته،لأنه لم يترك بعدا فى المعارف الا و أوسعه هدى و بينات و من أبرزها.البعد المختص بمعرفه القرآن ذاته.

فمـا هو القرآن و كيف وصف القرآن نفسه؟ أكـثر من مـائه آيه تـبين خصـائص القرآن.و إذا أضـفنا إليهـا عشـرات الآيـات التى تحدثنا عن الشؤون المختلفه للقرآن الحكيم،فانه سيكون ذخيره علميه غنيه نحصل

بالتدّبر فيها على معرفه واسعه بالقرآن.و بما اننا قد فسرنا هذه الآيات ضمن تفسيرنا الشامل للقرآن، فانّ علينا و نحن فی بحوث تمهيديه للتفسير،ان علينا مجرّد ذكر مجموعه من هذه الآيات لنذكر بعدئذ بعض الأحاديث الشريفه،التی تعتبر بحق شرحا للآيات القرآنيه،لأنها تستلهم منها النور و البصائر.اذن كيف وصف القرآن نفسه؟ القرآن نور،القرآن كتاب مبين،القرآن سلام،القرآن صراط مستقيم.هذه هی الصفات التی جاءت فی الآيه التاليه:

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِی بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (۱۵-۶المائده) و فی القرآن بصائر تعطی المؤمن قدره علی رؤيه الحقائق مباشره،و من دون حجاب.

و فی القرآن هدی يبين الاتجاه السليم فی الحياه.

و فی القرآن رحمه و فلاح لمن آمن به و اتّبع هداه.

هكذا جاء فی الآيه التاليه:

«هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (۲۰۳/الأعراف) و لا بد أن يتفكر الناس،لكی يحصلوا علی المعرفه من خلال أمثال القرآن،هكذا يقول القرآن:

«لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وَ تِلْكَ

الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (۲۱/الحشر) و لقد عجزت كل الأقاويل التى حاولت تفسير ظاهره القرآن،الّا انه وحى من اللّه فلا هو بقول شاعر يسبح فى غمرات احلامه،و لا هو بقول كاهن يتخرص فيقول كلاما مجملا لا يعنى من ورائه شيئا.هكذا يقول القرآن:

«فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَ ما لا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ» (۳۸-/۴۲الحاقه) و جاء القرآن ليتدبر فيه الناس،شريطه أن يفكوا عن قلوبهم أقفالها ليروا الحقيقه مباشره.

«أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها» (۲۴/محمد) و من يتدبر فى القرآن يعرف انه من اللّه،لأنه لا اختلاف فيه:

«أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً» (۸۲/النساء) و القرآن موعظه يهز اعماق الضمير،و القرآن شفاء يطهر الصدور من الحقد و الحسد و العقد:

«يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (۵۷/يونس) و القرآن كتاب اللّه الذى أعجز الخلق عن ان يأتوا بمثله:

«قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» (۸۸/الإسراء)

و فی القرآن من کل مثل عبره،و من کل سبیل منار،و من کل علم درس،و لکل خیر قدوه،و لکل معروف وسیله.یعطی لکل حادثه مثلا سابقا،و لکل ظاهره قانونا عاما،و لکل مشکله طارفه حلا واقعیا تلیدا:

« وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنّاسِ فِی هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ فَأَبیٰ أَکْثَرُ النّاسِ إِلاّ کُفُوراً» (۸۹/الإسراء) و القرآن آیات مبینات،القرآن مثل من واقع التاریخ الغابر للحاضر« وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ آیاتٍ مُبَیِّناتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِینَ» (۳۴/النور) و لو ان القرآن انزل علی الجبال لخشعت، لأن القرآن یذکر الإنسان باللّه الذی یخشاه کل شیء« لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلیٰ جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَهِ اللّهِ»

القرآن فی السنه

لقد تحدثنا فی الدرس الذی مضی عن وصف القرآن لنفسه فی آیات الذکر الحکیم.و ها نحن نتحدث لکم عن وصف الحدیث للقرآن.و لا ریب ان الحدیث یعتبر شرحا وافیا أو مقتضبا لآیات الذکر الحکیم.

جاء فی حدیث مأثور عن عکرمه،ان ابن عباس کان یقول :«ان للّه عز و جل حرمات ثلاث لیس مثلهن شیء:کتابه و هو نوره و حکمته،و بیته الذی جعله للناس قبله لا یقبل اللّه من أحد وجها الی غیره،و عتره نبیکم».

و جاء فی حدیث مسند و مروی عن النبی،قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : «کأنی قد دعیت فأجبت،و انی تارک فیکم الثقلین أحدهما أکبر من الاخر کتاب اللّه تبارک و تعالی حبل ممدود من السماء الی الأرض،و عترتی أهل بیتی،فانظروا کیف تخلفونی فیهما. »

فی حدیث مسند آخر عن النبی صلی الله علیه و آله ،قال رسول اللّه: «یا ایها الناس انکم فی زمان هدنه و أنتم علی ظهر سفر و السیر بکم سریع فقد رأیتم اللیل و النهار و الشمس

ص:۲۰

و القمر یبلیان کل جدید و یقربان کل بعید،و یأتیان بکل موعود،فأعدوا الجهاز لبعد المجاز».

فقام المقداد،فقال:یا رسول اللّه ما دار الهدنه فقال:«دار بلاء و انقطاع»،ثم أضاف النبی صلی الله علیه و آله قائلا:«فاذا التبست علیکم الفتن کقطع اللیل المظلم فعلیکم بالقرآن فانه شافع مشفع و ما حل مصدق».

«الماحل الذی یخبر السلطان عن رعیته سعایه(وشایه)فاذا أخبر القرآن ربنا المتعال عن عمل سیء قام به أحد العباد فان الرب سبحانه یصدقه».

ثم أضاف النبی صلی الله علیه و آله :«من جعله امامه قاده الی الجنه،و من جعله خلفه ساقه الی النار.و هو الدلیل یدل علی خیر سبیل،و هو کتاب تفصیل و بیان تحصیل، و هو الفصل لیس بالهزل،له ظهر و بطن،فظاهره حکمه و باطنه علم،ظاهره أنیق،و باطنه عمیق،له تخوم علی تخومه تخوم،لا تحصی عجائبه،و لا تبلی غرائبه.

فیه مصباح الهدی و منازل الحکمه و دلیل علی المعروف لمن عرفه. »

و یأتی رجل الی الامام الصادق علیه السلام و یسأل:ما بال القرآن لا یزداد علی النشر و الدرس الا غضاضه؟فیجیبه الامام ابو عبد اللّه علیه السلام قائلا:«لان اللّه تبارک و تعالی لم یجعله لزمان دون زمان،و لا للناس دون ناس،فهو فی کل زمان جدید،و عند کل قوم غض الی یوم القیامه. »

قال الرسول صلی الله علیه و آله : «فضل القرآن علی سائر الکلام کفضل اللّه علی خلقه»،و قال:«القرآن غنی لا غنی دونه»و قال:«القرآن مؤدبه اللّه فتعلموا مؤدبته ما استطعتم. »

و قال الرسول صلی الله علیه و آله : «ان أردتم عیش السعداء و موت الشهداء و النجاه یوم الحسره،و الظل یوم الحرور،و الهدی یوم الضلاله،فادرسوا القرآن فانه کلام

الرحمن و حرز من الشيطان و رجحان فی المیزان. »

و وصف الامام علی علیه السلام القرآن مره فقال:«علیکم بکتاب اللّه فانه الحبل المتین،و النور المبین،و الشفاء النافع،و الرأی الناقع،و العصمه للمتمسک،و النجاه للمتعلق،لا یعوج فیقوم،و لا یزیغ فیستعتب،و لا تخلقه کثره الرد،و ولوج السمع.

من قال به صدق و من عمل به سبق. »

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام : «کتاب اللّه تبصرون به،و تسمعون به،و ینطق بعضه ببعض،و یشهد بعضه علی بعض. »

و الحارث الأعور من أصحاب الامام علی علیه السلام یقول: دخلت علیه فقلت:یا أمیر المؤمنین إنّا إذا کنا عندک سمعنا الذی نسر به،و إذا خرجنا من عندک سمعنا أشیاء مختلفه،مغموسه،لا ندری ما هی فقال:أو قد فعلوها،قلت:نعم،قال «سمعت رسول اللّه یقول:أتانی جبرئیل فقال:یا محمد سیکون فی أمتک فتنه.

قلت:فما المخرج منها؟قال:کتاب اللّه فیه بیان ما قبلکم من خبر،و خبر ما بعدکم،و حکم ما بینکم،و هو الفصل لیس بالهزل، من ولیه جبار فعمل بغیره قصمه اللّه،و من التمس الهدی فی غیره أضله اللّه،و هو حبل اللّه المتین،و هو الذکر الحکیم،و هو الصراط المستقیم،لا تزیغه الأهواء،و لا تلبسه الا لسنه،و لا یخلق عن الرد،و لا تنقضی عجائبه. » هکذا تصف الأحادیث الشریفه المرویه عن الرسول صلی الله علیه و آله ،و عن الائمه الهداه تصف القرآن الحکیم.

نرجو من اللّه ان یوفقنا لاستیعاب هذه النصوص الکریمه و التفاعل مع القرآن انه ولی التوفیق و صلی اللّه علی محمد و اله الطاهرین.

لماذا ندعوا الى القرآن

فی سیاق حدیثنا عن البحوث التمهیدیه لتفسیر القرآن الحکیم،نطرح السؤال التالی:لما ذا ندعوا الی القرآن؟ أول سؤال یطرح علینا هو السؤال عن السبب الذی ندعوا من اجله للقرآن الحکیم،و الواقع ان هناک عده أسباب تفرض علینا العوده الی القرآن و التدبر فیه، و نحن إذ نذکر بعضها بصوره مقتضبه لا نملک سوی الاعتراف بعجزنا عن الاحاطه بها جمیعا.

اولا:لکل منا رغباته المشروعه التی یتمنی ان یجد سبیلا مستقیما إلیها، و القرآن الحکیم هو ذلک السبیل المستقیم المؤدی الی مصالح کل شخص و رغباته المشروعه.

و لیست اهمیه القرآن و عظمته منحصره فی انه یحقق للناس رغباتهم و مصالحهم المشروعه و یهدیهم إلی سبل السلام المؤدیه الی مصالحهم،بل و أهم من ذلک،لأنه

ص:۲۳

یرسی قواعد للشخصیه المتکامله التی تستطیع بلوغ مآربها المشروعه بسهوله بالغه.

ثانیا:و مصالح الإنسان بدورها لیست سوی بعض تطلعاته الکبیره،و اما البعض الاخر فیمکن الحصول علیه فی بحث الإنسان الدائم عن الحق و الخیر و سعیه المستمر لتحقیقهما.

ان الإنسان یبتغی إقرار دعائم الحق کما یرید الوصول الی المصالح.

و أهم ما یصبوا الیه الإنسان هو التوفیق بین هدفیه هذین و هو تحقیق الحق، و وصول المصلحه.

و القرآن هو ذلک الحق الذی یبتغیه البشر و یسعی من أجل معرفته و تنفیذه،و هو اضافه الی ذلک یهدی الإنسان الی التوفیق بینه و بین المصالح الخاصه.

و نعود و نتساءل،من منا لا یرید ان یکون إنسانا طیبا یبتعد عن الجریمه و الفحشاء،و یلتزم الطرق المستقیمه و یتحلی بالسلوک الممتازه،و لکن کم واحد منا یستطیع ان یفعل ذلک؟طبعا القلیل فقط یستطیع ذلک لماذا؟ لان ضرورات العیش لا تدع فرصه للفرد للتفکیر فی الخیر و الحق،و لکن القرآن یوفر هذه الفرصه،إذ انه یهدی البشر الی السبل القویمه للمصالح و التی لا تتنافی مع الخیر و الحق،بل یتکامل معهما.

ثالثا:نصطدم فی حیاتنا بعده مشاکل فمن صدیق ینقلب علینا و من قریب یشاکسنا،و من خساره تفاجئنا و قد تصل بنا المشاکل الی حد الخروج عن محور الضبط.

و بالتالی الانهیار فی هاویه الیأس و الضیاع.

ص:۲۴

و لكن القرآن الحكيم يضع الحلول الحاسمه للمشاكل جميعا بل و أكثر من ذلك يصنع الإنسان الذى هو قادر على وضع الحلول المناسبه فى الوقت المناسب.

و هذا حول الاجابه عن السؤال التالى:

لما ذا نحن أساسا ندعوا الى القرآن الحكيم؟ و لكن الدعوه الى القرآن شىء.و الاستفاده منه شىء أخر،نحن بالاضافه الى دعوتنا الى القرآن،ندعوا الى التدبر فيه لماذا؟لان التدبر فى القرآن هو الطريق المستقيم الى العمل به،و لا يعمل بالقرآن غير ذلك الذى يتدبر فى اياته الكريمه فيفهم محتواه.

ان التدبر فى القرآن يعطى للإنسان فرصه لفهم محتوى القرآن الحكيم،لان اللّه سبحانه و تعالى أودع فى كتابه الكريم نورا يهدى البشر الى ربه العظيم فيؤمن به، و بعد الايمان يطبق شرائعه.

من هنا ليس على الإنسان سوى امر واحد هو الانفتاح على القرآن و استعداد التفهم له و هذا يكون بالتدبر فيه.

يقول اللّه سبحانه و تعالى:

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

ان القرآن ذاته نور و ليس علينا امام النور،الا ان نفتح أعيننا،و ان نستقبل أمواج النور،و ان نرى بالنور كل الأشياء.

ان الكفار و الفاسقين،اختاروا لأنفسهم العمى فلم يفتحوا أعينهم على النور

المبين،و عملوا المستحيل فی سبيل حجب النور الباهر عن التسرب الی قلوبهم خوفا من امكانيه تأثرهم به و تنورهم بشعاعه الكبير.

لقد كان الكفار يتواصون بهذه المقوله التی نقلها القرآن الحكيم عنهم:

« وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ» .

انهم كانوا يحذرون من النور و يتهربون منه و لقد جاء أحدهم الی الرسول يسأله عن قرآنه،فلما تلی النبی بعض آيات الكتاب ضعف الرجل و شد علی فم الرسول صلی الله عليه و آله بيده قائلا:انا أناشدك اللّه و الرحم الا تسكت.

ثم تولی الی قومه قائلا انه سحر يؤثر.

انه لم يستطع الصبر علی تيار النور الذی كاد يلف قلبه لذلك اسكت النبی و تولی هاربا.

ان المطلوب من الإنسان هو الانفتاح علی القرآن و استماع آياته بتدبر و تجرد.

اذن سوف يجد المرء كيف تحدث المعجزه.

لقد حاول رجل مجرم ان يتسلق جدارا لينهب المال و يغتصب النساء فسمع صوتا ينبعث من داخل البيت و يتلو هذه الآيه الكريمه:

« أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ» .

فاستمع الی الآيه بضع ثوان ثم انفجر باكيا و قال:بلی آن الوقت الذی يخشع قلبی القاسی لذكر اللّه.و ما نزل من الحق،بلی آن فهبط من الجدار و تولی بوجهه شطر المسجد و اعتكف فيه الی الأبد،ان تدبر هذا الرجل فی آيه واحده حوله من مجرم

متمرس بـالجريمه الى معتكف فى محراب العبـاده،فكيف إذا تـدبر الإنسـان فى كـل القرآن أ فلا يتحول من رجل الى ملك؟بل والى من هو فوق درجات الملك.

نرجو من اللّه ان يجعلنا من الذين يتدبرون فى القرآن،و فى آياته الكريمه و يحصلون منها على النور المبين انه ولى التوفيق.

ص:٢٧

الفصل الثانی:

اشاره

مسائل قرآنیه -ضروره التدبر فی القرآن -القرآن و التفسیر بالرأی -القرآن بین التزکیه و التعلیم -القرآن الحکیم بین الظاهر و الباطن -القرآن الحکیم بین المحکم و المتشابه -القرآن الحکیم و الأحرف السبعه -القرآن الحکیم و إثبات معانیه

ص:۲۹

ضروره التدبر فی القرآن

هـذه هی فوائـد القرآن.و هی بالـذات الأسباب التی تدعونا إلی التدبر فیه.لأن القرآن لا یفید إلا من عمل به..و لا یعمل به سوی الذی یتدبر فیه فیفهم.

بـل ان التـدبر فی القرآن هی الوسـیله الوحیـده للعمـل بـه.إذ أن اللّه تعـالی أودع کتـابه الکریـم-نـورا یهـدی البشـر إلی ربه العظیم.فیؤمن به-و بعد الایمان یطبق شرائعه،من هنا لیس علی الإنسان سوی أمر واحد هو الانفتاح علی القرآن.

و استعداد التفهم له.و هذا یکون بالتدبر فیه.

یقول اللّه سبحانه:

« ..قَدْ جٰاءَکُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَ کِتٰابٌ مُبِینٌ* یَهْدِی بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوٰانَهُ سُبُلَ السَّلاٰمِ وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ یَهْدِیهِمْ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ» (۵۶).

ان القرآن ذاته نور،و لیس علینا امام النور إلا أن نفتح أبصارنا لنراه،و نری به

الأشياء جميعا.

و التدبر فى القرآن.لا يعنى تحميل آياته الكريمه،آراء و أفكارا اضافيه كلاّ. بل التسليم لعلوم القرآن،و التأمل فى معانى آياته و تبصر الحياه عبرها،و السعى نحو فهم حقائق الطبيعه،و آفاق النفس بها.

و هنا يمكن الفرق بين تفسير القرآن بالرأى الذى نهى عنه الدين أشد النهى.

و بين التدبر فى القرآن الذى أكّد عليه الدين أشد تأكيد.

و قد اختلط على البعض هذان الأمران.فحجب عن نفسه نور الفرقان زاعما أنه فوق مستواه.

بلى إن البشر لا يرقى الى مستوى القرآن،و لكن شعاعه كما الشمس لا تزال تشرق على العيون البصيره.فمن احتجب عنه باتباع هوى.أو تفسير برأى،فقد ضلّ عنه و من سلم له،و فرّغ قلبه من كل فكره سابقه حين يقرأه،فان اللّه يهديه سواء السبيل.

يقول العلامه الطبرسى و هو يشرح الفرق بين التفسير بالرأى و التدبر فى الذكر.

و اعلم ان الخبر قد صح

عن النبى صلى الله عليه و آله و عن الأئمه القائمين مقامه عليه السلام ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالأثر الصحيح، و النص الصريح،و

روت العامه أيضا عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ ،قالوا و كره جماعه من التابعين القول فى القرآن بالرأى كسعيد بن المسيّب و عبيده السلمانى و نافع و سالم بن عبد اللّه و غيرهم و القول فى ذلك ان اللّه سبحانه ندب الى الاستنباط و أوضح السبيل اليه و مدح أقواما عليه فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم و ذم آخرين على ترك تدبره و الإضراب عن التفكر فيه فقال أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا و ذكر ان القرآن منزل بلسان العرب فقال إِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ،و

قال

النبی صلی الله علیه و آله إذا جاءکم عنی حدیث فاعرضوه علی کتاب اللّه فما وافقه فاقبلوه و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبین أن الکتاب حجه و معروض علیه و کیف یمکن العرض علیه و هو غیر مفهوم المعنی فهذا و أمثاله یدل علی ان الخبر متروک الظاهر فیکون معناه ان صحّ أن من حمل القرآن علی رأیه و لم یعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدلیل و

قد روی عن النبی صلی الله علیه و آله انه قال القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه علی أحسن الوجوه و روی عن عبد اللّه بن عباس انه قسم وجوه التفسیر علی أربعه أقسام تفسیر لا یعذر أحد بجهالته و تفسیر تعرفه العرب بکلامها و تفسیر یعلمه العلماء و تفسیر لا یعرفه إلا اللّه عز و جل،فأما الذی لا یعذر أحد بجهالته فهو ما یلزم الکافه من الشرائع التی فی القرآن و جمل دلائل التوحید،و أما الذی تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغه و موضوع کلامهم،و أما الذی یعلمه العلماء فهو تأویل المتشابه و فروع الأحکام،و أما الذی لا یعلمه إلا اللّه فهو ما یجری مجری الغیوب و قیام الساعه. (۱)

۱- ۱) مجمع البیان فی تفسیر القرآن ج ۱ ص ۱۳.

القرآن و التفسير بالرأی

یزعم فریق من المسلمین أن التدبر فی القرآن،غیر مسموح به إلاّ للذی أوتی نصیبا کبیرا من العلم و یستندون-فی زعمهم هذا-الی بعض الروایات المأثوره التی نهت الناس عن تفسیر القرآن بالرأی.

و لکن هذا الزعم غیر منطقی أبدا.إذ أن اللّه کان أعلم بکتابه،و بخلقه حیث أمرهم بالتدبر فی آیات القرآن.بل حیث خاطب بالقرآن کل إنسان و فی کل أرض و فی کل عصر.

یقول اللّه سبحانه فی کتابه:

« هٰذٰا بَیٰانٌ لِلنّٰاسِ*وَ هُدیً وَ مَوْعِظَهٌ لِلْمُتَّقِینَ» (۳۳۸).

و هل یمکن أن یبعث اللّه بیانا للناس جمیعا،ثم ینهاهم عن التفهم له،أو التدبر فیه،إذا فما فائده البیان؟

ص:۳۴

ان خطابات القرآن-تهتف بالناس كافه و تقول يا أيها الناس-أو بالمؤمنين جميعا.و تقول يا أيها الـذين آمنوا،و هـذا يعنى أن اللّه يريدهم أن يسمعوا كلامه.

و يتفهموه.فهـل نسـتطيع أن نزعم أنه لاـ يجوز التـدبر فيه؟ و لاـ يمكن أن نقول ان الروايات تنهى عن التـدبر الـذى أمر به اللّه.بل الأـكثر منطقيه القول بـأن الروايـات نهت عن شـىء،و الآـيه أمرت بشـىء آخر،أو أن الروايـات بينت حـدود التـدبر التى لا يجوز التجاوز عنها.

فأى شيء نهت عنه الروايات؟ الواقع أن على الإنسان أن يتبع الحق الذى يعرفه و يدع الذى لا يعرفه،إن اللّه سبحانه يقول:

« وَ لاٰ تَقْفُ مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ*إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤٰادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً» (۱۷/۳۶).

و كذلك لا يجوز على الإنسان-فى شريعه الإسلام-ان يقول شيئا لا يعلم به.

قال اللّه سبحانه:

« وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ» (۲۶۹).

و قد اعتبر القرآن القول بغير علم كبيره يعظمها اللّه و يستحقرها العباد،فقال تعالى:

« وَ تَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِكُمْ مٰا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيمٌ» (۲۴۵).

و من هنا لا يجوز أن ننسب فكره أو عملا لأحد،ما لم نتأكد يقينا انتسابهما

ص:۳۵

إليه.كذلك لا يجوز تفسير كلام أى فرد إلا بعد التأكد من إرادته فعلا لما نفسره، و إلا اعتبر ذلك نوعا من التحريف فى كلامه و ضربا من التهمه.

و تشتد خطوره الأمر بالنسبه الى اللّه العظيم،فأى قول ينسب إليه يجب أن نتأكد بالعلم اليقين أنه قاله و الا كنا قد افترينا على اللّه كذبا، « إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاٰ يُفْلِحُونَ» (١۶١۶).

و كذلك اى تفسير لكلام اللّه المجيد لا نعلم يقينا مطابقته للواقع يعد نوعا من الافتراء على اللّه.لأنه يعتبر ضربا من نسبه القول إليه دون التأكد من ذلك.

و كان فى الأمه الاسلاميه-و لم يزل-فريق يريدون أن يستغلوا الدين لمصالحهم الشخصيه-أو يستخدموه لاثبات أهوائهم المضله-و هكذا يبدءون بتفسير الآيات القرآنيه حسب آرائهم الخاصه.إن هؤلاء-يريدون أن يجعلوا كتاب اللّه- تابعا لأفكارهم فيحملونها ما لا تحتمل.

و قد أراد الإسلام-تطويق هذا الفريق،فجاء فى الكتاب:

« هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ مِنْهُ آيٰاتٌ مُحْكَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَهِ-وَ ابْتِغٰاءَ تَأْوِيلِهِ.وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ.يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ» (٣/٧) (١).

هكذا وضح القرآن نوايا هذا الفريق الفاسده و نهى-بشكل قاطع-عن تأويل القرآن للوصول الى الأغراض الفاسده.

ص:٣۶

١- ١) سنتحدث-بإذن اللّه-عن المحكم و المتشابه فى بعض الصفحات القادمه.

و جاءت الروايات تنهى عما نهت عنه الآيه أيضا.و لكن بتعبير آخر و هو (التفسير بالرأی)و الذی یعنی القول حسب الهوی الشخصی.و هو یقابل التفسیر وفق الحق و الواقع.بالرغم من ان القول بالرأی-بصفه عامه أو تفسیر أی کلام منسوب الی أحد حسب الرأی-هو الآخر محرم-فان کل ذلک بالنسبه الی کلام اللّه- الحکیم یعتبر أشد حرمه،لذلک خصت الروایات هذا الأمر بالذکر-و هو غیر خارج عن القواعد العامه.

و إلیک بعض تلک الروایات.

عن الامام الصادق علیه السلام : «من فسر القرآن برأیه إن أصاب لم یؤجر،و أن اخطأ فهوی-أبعد من السماء » (۱).

و روی عن النبی صلی الله علیه و آله : «من فسّر القرآن برأیه فأصاب الحق فقد اخطأ » (۲).

و روی عنه أیضا أنه قال: «من فسّر القرآن برأیه بوّء مقعده من النار. » إذا فهناک حقیقه لا ریب فیها هی أن القول بالرأی-خصوصا فی تفسیر القرآن الحکیم-حرام أشد ما تکون الحرمه.

و لکن لا یرتبط ذلک بالتدبر فی القرآن إذ التدبر-هو التفکیر المرکز فی الآیه لمعرفه الحقیقه التی تذکر بها معرفه تعیینیه.

فالتدبر-إنما هو لتحصیل العلم بالقرآن،حتی لا یقول الإنسان برأیه فی تفسیر القرآن و إنما بالعلم.

۱- ۲) تفسیر الصافی-الجزء الاول ص ۲۱

۲- ۳) المصدر

القرآن بين التزكيه و التعليم

للقرآن الحكيم هدفان اساسيان لو عرفناهما عرفنا بعض الجوانب الغامضه منه، و هما تزكيه الناس و تعليمهم.لقد أشار الكتاب إلى هدفيه هذين-فى قوله سبحانه:

« هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلاَلٍ مُبِينٍ» (الجمعه۲/).

فالآيات القرآنيه التى تتلى على الأميين تهدف-تزكيتهم-ثم تعليمهم الكتاب و الحكمه.

فما هو الفرق بين«التزكيه»و«التعليم»و كيف أن القرآن يجمع بينهما مره واحده؟ ۱-التزكيه-هى تنظيف النفس البشريه من رواسبها الجاهليه سواء كانت من نوع الأفكار الباطله،أو المعتقدات الفاسده،أو الأخلاق السيئه.

التزكيه هى تربيه الإنسان المتكامل الذى يفجّر طاقاته العقليه و الجسديه جميعا

باتجاه الخير و الحق.

و كلمه التزكيه مشتقه من الزكاه و هى الطهاره.و أساس التزكيه تقويه الاراده البشريه،و تحكيم حس التحرر من الأهواء و الشهوات.تحكيمه فى سلوكه.

و لا تهدف التزكيه أكثر من تطهير البشر و تنظيفه.

بينما التعليم يهدف-إضافه«المعارف»الجديده للإنسان-لدفع عجله البشر إلى الامام.و هو يعتمد على طاقه العقل الكامنه فيه.

فالعلاقه بين التزكيه و التعليم تشبه إلى حد بعيد العلاقه بين تنظيف ماكنه السياره و بين وضع الوقود فيها.إذ التنظيف يغسل المواد الضاره و الوقود يضيف مواد جديده.

فوقود الانسانيه فى مسيرتها الحضاريه العلم.و لكن هذا الوقود لا ينفع بدون تنظيف ماكنه الإنسان من الأخلاق الفاسده و الأفكار الباطله.

من هنا تكمّل عمليه التزكيه-عمليه التعليم و تأتى الواحده تتمه للأخرى.

۲-أما كيف يجمع القرآن بين التزكيه و التعليم؟فهذا يجب ان نبحث فيه عبر عده نقاط:

(أ):أن القرآن الحكيم يوجه الناس إلى الحق،بالحق ذاته،فلا يجعل الباطل وسيله لدعوه الناس إلى الحق شأن سائر الكتب التربويه التى قليلا ما تنظر إلى الوسيله التى تحقق الهدف التربوى،من هنا يبيّن القرآن الحكيم السنن الكونيه و القوانين الفطريه التى تحكم الحياه و توجه الناس إلى معرفتها لكى يزكوا أنفسهم بمعرفتها.

و توجیه القرآن نحو هذه السنن و القوانین یهدف أمرین:

الأول:هدایه الناس إلی طریق صلاحهم و الذی لا یعدو أن یکون التوفیق بین حیاتهم و بین متطلبات السنن العامه.

الثانی:تعلیم الناس لتلک السنن.و من الطبیعی أن یختفی الهدف الثانی من ظاهر القرآن،إذ أن سیاق الکتاب-یسیر باتجاه التزکیه-مما ینبئ عن انها الهدف الوحید الذی ینشده القرآن و لکن بالرغم من ذلک فان نظره فاحصه تهدینا إلی البیانات العلمیه التی تنطوی علیها الآیات.فمثلا فی سوره الرعد نجد الآیه الکریمه:

« إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُغَیِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی یُغَیِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ» (۱۳۱).

انها حقیقه تربویه یتعرض إلیها الکتاب لتثبیت المسؤولیه الشخصیه فی نفوس الأمّه.

و قبل هذه الآیه و بعدها-تذکرات-بهذه الحقیقه.

و لکن النظره الفاحصه تهدینا إلی وجود ما هو اشمل-و أوسع دلاله-فی هذه الآیه.انه القانون الاجتماعی الذی یربط بین الحضاره و بین تطویر الصفات النفسیه.و یقول کلما کثر بناء قوم علی هدمهم.کلما تقدمت بهم الحضاره-و لا یکثر البناء علی الهدم علی صعید الواقع إلا بعد وجود قابلیه نفسیه مناسبه علی صعید الذات.

لقد جعل هذا القانون العلمی فی هذه الآیه وسیله،لتزکیه الإنسان و تحمیله مسئولیته الکامله تجاه التطورات الخارجیه.

ص:۴۰

و نلاحظ وجود منعطف صارخ فى سياق بعض الآيات-الهدف منه-بيان حقيقه علميه ترتبط بواقع التزكيه التى يهدفها ظاهر السياق.

فمثلا يقول اللّه سبحانه:

« وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ*وَ الْكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ* وَ لَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ*وَ لكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ وَ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» (الشورى۲۶/-۲۸).

نرى فى السياق منعطفا صارخا عند قوله سبحانه:

« وَ لَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ» .

حيث لا يرتبط ظاهرا بما قبله من قوله تعالى:

« وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ» .

و بما بعده من قوله سبحانه:

« وَ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا» .

و وضع هذا المنعطف إنما هو لبيان سنّه فطريه تجرى فى العباد هى فقدهم للتوازن إذا ثقلت عليهم النعم-باعتبار ان النعمه بحاجه الى قدر من التحمل و الضبط،ربما بقدر أو أكثر مما تحتاج النقمه إليها.

ان إبداع هذا المنعطف فى سياق الآيه الذى يبدو مستقيما بدونه-إنما هو لهدف بيان الحقيقه العلميه،فى ثنايا التوجيه النفسى ليس فقط من أجل توظيفها فى خدمه

ص:۴۱

التزكيه،بل و أيضا من أجل بيانها للناس.

(ب):و الأسلوب التربوی الذی يتبعه القرآن الحكيم-فی تزكيه النفس- أسلوب علمی بذاته.إنه أسلوب مرحلی يتابع مراحل التزكيه،بما يتناسب معها من الأثاره العاطفيه،و التوجيه الفكری و الزخم الايمانی إنه أسلوب يربط-بحكمه بالغه-بين الفكره الموظفه و الهدف المنشود.

و بكلمه إن البشريه تسعی منذ قرون فی سبيل وضع مناهج علميه للتربيه.

و القرآن سبق البشريه جميعا فی استخدام كل هذه المناهج و غيرها مما يطول بيانها تفصيلا.

و هذا يهدينا الی حقيقتين:

۱-ان يوسعنا معرفه المناهج العلميه الأصوب عن طريق تتبع المناهج القرآنيه آيه بآيه،و موضوعا بموضوع.

۲-ان بوسعنا الانطلاق من نقطه واحده فی دراسه هذه المناهج إلی قاعده شامله عند ملاحظتنا للقرآن الحكيم تماما،مثل انطلاق المهندس القدير من النظر إلی عماره واحده إلی معرفه القاعده الهندسيه التی قامت وفقها هذه العماره.و مثل تفهم الطبيب الحاذق من وصفه طبيه القاعده العلميه التی استند إليها ذلك الذی كتبها -و هكذا..

فمعرفه المناهج قد تهدينا الی السنن الفطريه التی روعيت عند وضع هذه المناهج و بالتالی نستطيع فهم السنن هذه.

القرآن الحكيم بين الظاهر و الباطن

بعد ان تعرفنا على خطى القرآن المتشابكين خط التزكيه و خط التعليم،و عرفنا ان الهدف الأهم الذى يبدو من سياق آيات القرآن هى التزكيه،بعد ذلك نستطيع أن نهتدى إلى الظاهر و الباطن.

فالظاهر هى التزكيه،بينما الباطن هو التعليم.

و قد جاء فى حديث مأثور: «ان ظاهر القرآن حكم و باطنه علم »و الحكم هى الشريعه مع موجبات تنفيذها من ترغيب و ترهيب و قصص و أمثال.بينما العلم- هى السنن الفطريه التى بيّنها القرآن المجيد.و القوانين العلميه التى أشار إليها.

و جاء فى حديث آخر: «ظهر القرآن الذى نزل فيهم و بطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم » (۱).

ص:۴۳

۱- ۱) تفسير الصافى الجزء الاول ص ۱۷

و من المعروف ان قصه الـذين نزل فيهم القرآن تعتـبر الجـانب الـتربوى منه،و لكنه حينمـا ينتزع القرآن من القصـص سـننا عـامه تشمل الذين نزل فيهم و تسع الذين عملوا بمثل أعمالهم. تعتبر-آنئذ-تلك السنن علما بالتاريخ أو الاجتماع أو ما أشبه.

و جاء فى حديث آخر: ان رجلا قال:سألت الامام عما يعنى بقوله:للقرآن ظهر و بطن؟قال:«ظهره تنزيله و بطنه تأويله،منه ما مضى و منه ما لم يكن بعد يجرى كما يجرى الشـمس و القمر،كلما جاء منه شـىء وقع. » و هذا الحديث يؤكد معنى الحديث الأول-و يتظافران على ان تنزيل القرآن هو الظاهر الـذى يـدل على اللفظ بينما التأويل و هو أيضا بطن القرآن-إنما هو الواقع العلمى الذى يهدى إليه الظاهر و ينطبق على كل من يشارك مع أولئك فى أعمالهم.

و قـد عبرت بعض الأحـاديث عن علوم القرآن ب(البطن)لأنهـا تخفى على النـاس، ثم تظهر بالتـدبر،و حسب اختلاف الناس-من النـواحى العقليه و العلميه تختلـف درجـات الخفـاء-حـتى يعتـبر الواقع الواحـد،ظهرا بالنسـبه إلى فريـق،و بطنـا بالنسـبه إلى فريق آخر.لذلك تعددت البطون و الأظهر بقدر تعدد درجات الناس فى العقل و العلم.

و جاء فى حديث: ان رجلا قال:سألت أبا جعفر عليه السـلام ،عن شـىء من تفسير القرآن،فأجابنى.ثم سألته ثانيه فأجابنى بجوانب آخر فقلت:جعلت فـداك،كنت أجبت فى هـذه المسأله بجواب آخر غير هـذا قبل اليوم.فقال لى:«يا جابر،ان للقرآن بطنا و للبطن بطنا و ظهرا و للظهر ظهرا. » و هكـذا فسّـر الامام عليه السـلام آيه واحـده عـده تفاسـير حسب درجات السائل-إذ أنه حينما عرف تفسيرا يشرح ظاهر القرآن استعد علميا،لمعرفه تفسير يشرح بطنه.

بهـذا نعرف معنى عـده أحـاديث مـأثوره تقـول ان للقرآن سـبعه ابطن أو سـبعون بطنـا. و بهـذا أيضـا نعرف قيمه التـدبر باعتبـاره الكاشف لبطون القرآن كلما تدبرت كلما ازددت علما.

بين المحكم و المتشابه

لأن القرآن المجيد خطاب مباشر من اللّه خالق كل إنسان و إلى كل إنسان فلا بد أن يكون مفهوما لهم جميعا.بقدر ما يكون مهيمنا عليهم يكون مفهوما،لأنه خطاب و يكون مهيمنا لأنه من اللّه.

و لأن الناس درجات فى العلم و الايمان،فلا بد ان تكون آيات القرآن درجات فتنشأ المشكله،حيث تكون الدرجه العاليه غير مفهومه لمن هم فى الدرجات الدنيا.

و هنا يتدخل القرآن ذاته لحل هذه المشكله بأن يوقف هؤلاء الناس عند حدّهم و يأمرهم بترك الآيه غير المفهومه لهم.تركها لمن يفهمونها ممن تتناسب درجاتهم معها بينما يكون عليهم ان يستوحوا من تلك الآيات التى تنالها افكارهم و تتفق مع مستوى نضجهم،و القرآن الحكيم.يسمى الآيه المفهومه ب(المحكم)بينما يدعوا الآيه التى هى أعلى من مستوى فهم القارئ ب(المتشابه)و يأمر الناس باتباع المحكم و ترك المتشابه.

ص:۴۵

و من هنا نعرف أن ليس الناس سواء فی المحکم و المتشابه.إذ ان المحکم الـذی یبـدو واضـحا عند فرد-لأنه فی مسـتوی فهمه-یکون متشابها عند فرد آخر،لأنه أعلی من مستواه.

من هنا

جاء فی الحدیث فی تفسیر المتشابه بأنه:«ما أشبه علی جاهه »و علیه یجب علی من لم یؤت فهم آیه علیه أمران:

۱-أن یقف عند الآیه.و لا یصیبه الغرور فیزعم انه قادر علی فهم الآیه، فیفسّرها برأیه فیضل و یضل الآخرین.

۲-ان یلتمس من هو أعلی درجه منه لعله یتعلم منه معنی الآیه.و لو لم یفهم -حتی مع التعلیم-فعلیه ان یدع علمه إلی أهله.

هذه الحقائق هی التی تذکر بها الآیه الکریمه التی تقول:

« هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتٰابَ مِنْهُ آیٰاتٌ مُحْکَمٰاتٌ-هُنَّ أُمُّ الْکِتٰابِ-وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ-فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغٰاءَ تَأْوِیلِهِ» (۳/۷).

و جـاء فی الحـدیث:عن الامـام الصادق علیه السـلام : «أن القرآن فیه محکم و متشابه، فأما المحکم فنؤمن به و نعمل به و نـدین به،و أما المتشابه فنؤمن به و لا نعمل به » (۱).

ص:۴۶

۱- ۱) تفسیر الصافی ج ۲ ص ۱۸

القرآن الحكيم و الأحرف السبعه

جاء فی حدیث شریف: «نزل القرآن علی سبعه أحرف أمر،و زجر،و ترغیب، و ترهیب،و جدل،و قصص،و مثل » (۱).

و جاء فی حدیث آخر: «ان اللّه تبارک و تعالی انزل القرآن علی سبعه أقسام کل قسم منها کاف شاف و هی:أمر،و زجر،و ترغیب،و ترهیب،و جدل،و مثل، و قصص » (۲)..

و قد تظافرت الأحادیث،التی تقول ان القرآن نزل علی سبعه أحرف.و ذهب فریق من المسلمین إلی تفاسیر بعیده لهذه الکلمه فقد قال بعضهم:ان اللّه اوحی سبع مرات،سبع کتب کلها قرآن.

بید ان الجانب التربوی الذی یهدفه سیاق ظاهر القرآن بحاجه إلی هذه

۱- ۱) تفسیر الصافی ج ۱ ص ۳۹

۲- ۲) نفس المصدر

الأـحرف-السبعه-فقسم منه امر بالخير و قسم نهى عن شر.و قسمان منه ترغيب لمن عمل بالخير و وعد له بالجنه-و الفلاح-و ترهيب لمن اقترف الشر و وعيد له بالنار و الشقاء.كل ذلك ليكون قوّه تنفيذيه-نابعه من ذات الآيه.

يبقى الجدل،و هو ضرورى فى كتاب يحمل سمه العقيده لأن هناك شبهات راسخه فى قلوب البسطاء يجب تصفيتها قبل البدء بتزكيه النفس-و طريقه التصفيه الجدل-و المناقشه الهادفه.

و للقرآن سمه هامه تطبع جميع مناحيها.و هى سمه الحيويه التى تجعل من الفكره-واقعا يتحرك أمام أعين الناس و تتحقق هذه السمه بواحده من اثنتين:إما القصص التاريخيه التى لها حقيقه مضت،و إما الأمثال التى لا حقيقه خارجيه لها.

و هذا التقسيم فى القرآن الحكيم-سيعطينا فرصه لفهم كتاب اللّه إذ أن مجرد تقسيم نص-اى نص كان يعطى الفرد قدره هائله على اكتشاف خفاياه!

ص:۴۸

ما هی الاثباتات اللغويه التی يمکننا الاعتماد عليها فی فهم القرآن الحکيم؟ نری ثلاثه إثباتات رئيسيه لمعنی القرآن:اللغه،و السياق،و التفسير المضمون.

(أ)اللغه:

بالرغم من أن اللغه العربيه،أشمل و أدق و أجمل اللغات فی انها تعطی لکل حقيقه لفظا قريبا يتناسب معها تماما،و بالرغم من أن العرب اختاروا لکل تطور ينشأ فی شیء-لفظا يخصه-و يوحی إلی تلک الحقيقه متلبسه بذلک التطور.

بالرغم من هذا و ذاک فان الکلمات العربيه اکتنفها الغموض،مما أفقد إيحاء اللفظ و ظلاله.فلم نعد-نحن العرب-نملک رهافه الحس التی کانت تکشف الفرق ما بين لفظتی«قرب-اقترب»أو«فکر-افتکر»حتی لم نعد نعرف الفرق بين کلمتی سار و سارب و«دلک و أولج»و ما أشبه.

و يعود ذلک الی:

ص:۴۹

-أولا:كثره استعمال الألفاظ فى غير معانيها الأدبيه،فحينما يستعمل العربى كلمه قرب فى المجال المحدد ل«اقترب»أو حتى كلمه سار فى موضع كلمه سارب،يختلط ظلال الكلمتين مع بعضهما-و تضيع الإيحاءات الخاصه.

-ثانيا:تعلقت أذهاننا بمعانى جامده و محدده لألفاظ عربيه،و فقدنا الشعور بمحور شعاع الكلمه،نحن حينما نستعمل كلمه«جن»يتبادر الى أذهاننا المخلوق الغريب،دون ان نفكر و لا ـ لحظه حول ارتباط كلمه«ج ن ن»مع هذا المخلوق و نستعمل كلمه جنين دون أن نعرف أن هناك علاقه تناسب مع معنى الولد فى بطن أمه-(جنين)و معنى المخلوق الغريب(جن)و هى أن كليهما مستور عن أعين الناس.

و كذلك نطلق لفظه الخمر للدلاله على السائل المسكر،و نطلق لفظه الخمار -للدلاله على الساتر لوجه المرأه،و لا نلاحظ ان علاقه اللفظين ببعضهما إنما هى من ناحيه الستر،فهذا يستر الوجه،و تلك تستر العقل.

و هكذا تتداخل ايحاءات اللفظ العربى ببعضها و نفقد بذلك فهم أهم سمه من سمات اللغه العربيه التى لو فهمناها يسهل علينا فهم القرآن كثيرا.

من هنا يتوجب علينا الخروج من الفهم التقليدى للألفاظ العربيه-نحو أفق اسمى،يستشم المعنى الايحائى العام منها.

و هذا الخروج ضرورى لفهم القرآن الحكيم إذ أنه فى قمه البلاغه التى تتلخص فى رعايه التناسب الشامل بين الموضوع-و اللفظ و بين الواقع و التعبير.فيكون كشف المنحنيات التعبيريه و الإيحاءات اللفظيه ذات أهميه خاصه فى القرآن أكثر من أى كتاب آخر لأنها معنيه فيه بشكل لا يوصف.

ص:٥٠

يبقى السؤال عن كيفيه الخروج؟ و الجواب:على الفرد:

١-أن يتجرد أولا عن موحيات المناخ الفكرى الذى يصور له-معنى جامدا للفظ.

٢-ثم الرجوع الى الماده الأساسيه التى تجمع كل التصريفات للكلمه، و التفكير فى المعنى المناسب لربط هذه المجموعه باللفظ،فمثلا:يجمع معانى يعرشون،عرشا،معروشات و نعود الى تصريفات اللفظ الاخرى،عريش،و عرش و ما أشبه لنستنبط منها جميعا معنى البناء الفوقى لأنه يجمع معانى سرير الملك و البناء، و المرفوع،و سيباط الكرم،و الخيمه من الخشب هذه المعانى التى ذكرتها العرب لهذه الألفاظ.

٣-قياس موارد استعمال اللفظ ببعضها-ليعرف المعنى المشترك-الذى يمكن أن يتصور معنى جامعا بين هذه الموارد.و من الطبيعى أن يعتبر فى الاستعمال ان يكون على لسان أهل اللغه المعتنين بالبلاغه.

و الأدباء اليوم يكتشفون ظلال الكلمات و إيحاءاتها من موارد الاستعمال فى منطق البلغاء أكثر مما يكتشفونها فى بطون الكتب اللغويه.

و ذلك لأن ما فى كتب اللغه لا يعدو ان يكون تسجيلا ميتا لموارد الاستعمال،أو استنباطا لمعنى مشترك منها قد قام به مؤلفوا الكتب،و من هنا يكون تعرف الشخص ذاتيا بهذه الموارد و استنباطه بنفسه المعنى الجامع بينها،أفضل من تقليد كتب اللغه.

و بكثره النظر فى موارد الاستعمال يؤتى الفرد حسا أدبيا مرهفا يجعله يميز بين كلمتين مترادفتين بشكل دقيق،بالرغم من أنه قد لا يستطيع الإفصاح عما يعرفه

بـدقه و تحديد.و إذا كان قياس موارد الاستعمال ببعضـها أفضل السـبل لمعرفه المعنى الحقيقى للفظ ما،فان أفضل قياس من هذا النوع هو قيـاس موارد اسـتعمال الكلمه فى القرآن ذاته،إذ أنه-و لاـ ريب-ذروه البلاغه العربيه،التى عجز عن تحـديه أبلغ فصـحاء العرب.

من هنا يجـدر بالـذى يريد التدبر فى القرآن ذاته،أن يبحث عن المعنى المحدد للكلمه فى آيات القرآن ذاته،ليجد-بقياس بعض المواقع المستعمله فيها الكلمه ببعضها-ليجد بذلك المعنى الدقيق الذى يقصده القرآن.

(ب)السياق:

لو بحثنـا عن أول يوم تعلمنـا فيه اللغه لعرفنا أن السـياق كان أول سبيل لهـذا التعليم.فالوالـد اسـتعمل لفظ العصـى عنـد ما ما كان يتكلم عن الضرب فعرفنا أنه وسيله الضرب و الوالده أطلقت لفظه الولاعه حينما تكلمت عن الطبخ فعرفنا أنها وسيله النار.و..و.

و لا ريب أن وجود اللفظ فى اطاره المتناسب يوحى بمعناه ربما أكثر من تفسير اللفظ بدون سياق يحده.

و القرآن الحكيم،ذلك الكتاب البليغ الذى يناسب بين المفردات فى اطار السـياق بحيث يصـعب عليك تبديل لفظه بأخرى دون ان تضر بتناسب الكلمات.

لذلك يهدينا السايق ذاته الى المعانى الدقيقه للكلمات لأنها وضعت فى موقع متناسب جدا مع تلك المعانى،فاذا أردنا أن نعرف بالـدقه معنى اللفـظ كـان علينـا مراجعه مـا قبلهـا و مـا بعـدها،لمعرفه مـا يتنـاسب معهمـا من معنى لهـذه الكلمه،فمثلا لو أردنا،أن نكتشف معنى«قصد»فى هذه الآيه.

ص:۵۲

« وَ عَلَى اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْهٰا جٰائِرٌ وَ لَوْ شٰاءَ لَهَدٰاكُمْ أَجْمَعِينَ» (۹/النحل) لو أردنا ذلك قارنا بين القصد،و الجائر،و الهدايه،نعرف معنى القصد.لأنه جاء فى مقابل الجائر الذى يعنى المائل،فالقصد هو المستقيم،و الجائر هو الظالم فالقصد هو العادل.

أو إذا أردنا التعرف على معنى«نفش»فى هذه الآيه:

« وَ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ إِذْ يَحْكُمٰانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ،وَ كُنّٰا لِحُكْمِهِمْ شٰاهِدِينَ» (۷۸/الأنبياء) لو أردنا ذلك لم يكن علينا الا قياس كلمه نفشت بالحرث و الغنم و الحكم.مما نعرف انه إتلاف الحرث،و هكذا.

و قد جاء رجل الى صحابى فسأله عن معنى«الأبّ»الذى جاء فى الآيه الكريمه،و فاكهه و أبا،فلم يعرفه.و جاء على عليه السلام و قال:ما مفاده إن معنى اللفظ موجود فى الآيه ذاتها لأن الله سبحانه يقول:

« وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا مَتٰاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ» (۳۱-۳۲/۸۰) فالفاكهه لكم و الأب لأنعامكم.

(ج)التفسير:

معرفه الإطار التاريخى الذى شاهد نزول الوحى و معرفه المورد الخاص الذى نزلت فيه و الموقف الاجتماعى الذى وجهته الآيه.ذو أثر كبير فى تفهم المعنى الدقيق.

للآيه.

و معرفه تفاسير أئمه الوحى عليه السلام للآيه قاطعه فى معانيها.بيد أن تفاسير الأئمه عليه السلام

قـد تختلف بينها أو تبين تطبيقا واحـدا للآيه.و هنا لا بـد أن نتخذ منها سبيلا لفهم المعنى العام الذى يحل مشـكله الاختلاف-من جهه-و يعطى الآـيه تطبيقـات أشـمل من جهه ثانيه.و لـذلك يجب أن لا نجمـد فى النصوص الوارده فى تفسـير الآيات على انها المعانى الوحيـده التى تحملها بل نتخـذ منها وسيله لفهم المعنى الأشـمل للآيه.و نـدرس كيف و لماذا انطبقت الآيه على المورد الـذى يعينه التفسـير لنعرف انه هـل يمكن تطبيق الآـيه أيضا على مورد متشابه أم لا؟ فمثلا جاء فى بعض النصوص التفسـيريه أن الآيه الكريمه:

« إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ» (۶۶ / ۱۰۶) نزلت فى حق عمار بن ياسر حسنا فهل من الممكن تجميد الآيه فى عمار؟كلا.

بـل يجب أن نفكر كيف جـاءت الآيه تطبيقا على حاله عمار أ ليس لأنه كان قـد أكره على الشـرك فأعطاهم بلسانه ما أحبوه أو ليس ذات الموقف لو تكرر لرجل اليوم و صنع مثل ما صنعه عمار تنطبق عليه.

إن هذا الأسلوب من التفكير يجعل القرآن حيا فى أذهاننا أبدا.و قد أمر به الدين -

فجاء فى الحديث: «لو أن القرآن كان يذهب بموت من نزل فيهم لذهب القرآن كله،و إنما مثله كمثل الشمس كل يوم جديد. » بهذا نعرف ضروره الاستفاده من التفسير الصحيح بالفهم الواعى لحدود تطبيق التفسير لعموم الآيه.

الفصل الثالث:

اشاره

منهج التدبر فی القرآن -التدبر و الصفات النفسیه -التدبر و الصفات العقلیه -التدبر و السیاق القرآنی -التدبر و الواقع الخارجی -التدبر و التطبیق القرآنی -موجز لمنهج التدبر فی القرآن

ص:۵۵

التدبر و الصفات النفسيه

عده صـفات نفسـيه ينبغى ان يتحلى بها المتدبر فى القرآن ليستطيع فهم آياته المجيده حتى يتسنى له بعد تطبيق طرق التدبر على نفسه-معرفه الحقائق التى تنطوى عليها الآيات،و إليك بعض هذه الصفات:

١-الايمان بالقرآن على أنه كتاب أوحى به الله رب السموات ليكون لعباده مبشرا و نذيرا،و هاديا الى الحق باذنه و سراجا منيرا.

لا بد أن نقرأ القرآن بوصفه خطابا موجها إلينا من اللّه العظيم،

فقد جاء فى الحديث: «أن فى القرآن المناجاه مع الرب بلا واسطه فانظر كيف تقرأ كتاب ربك و منشور ولايتك،و كيف تجيب أوامره و نواهيه و كيف تمثل حدوده » (١)إنه وثيقه ارتباطنا بالمبدإ المعيد،باللّه.

١- ١) تفسير الصافى ج ١ ص ٤٧

إنه المنقذ من كل ضلال و شقاء.

جاء فی الحدیث: «القرآن عهد اللّه الی خلقه فقد ینبغی للمرء المسلم ان ینظر إلی عهده. » إن القرآن قد یخاطب رسوله فی نصوصه و لکنه لا یعنیه فقط:بل و یعنی معه کل شخص تال له-

جاء فی حدیث مأثور عن الامام الصادق علیه السلام ان القرآن نزل علی لغه:«إیاک أعنی و اسمعی یا جاره »أی إنه خطاب موجه الی الرسول صلی الله علیه و آله و سلم و لکنه شامل أیضا لک ولی و لکل التابعین له.

حینما یقول القرآن:

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ» (۴۷ / ۱۹) یجب أن أبادر بالاستغفار لأنه خاطبنی شخصیا بذلک.

و حینما یقول اللّه:

« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا» یجب أن استعد لتلبیه أمره.و أقول:لبیک-اللهم-لبیک ماذا تأمرنی؟.

و حینما یقول:

« یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ» أقول نعم.ماذا نعمل؟و هکذا.

لقد کان أولیاء اللّه العارفین یتلون القرآن بهذه الصفه-فکانت جلودهم تقشعر و قلوبهم ترتجف حین یقرءون ایه،بل کانوا یصعقون لعظمه وقع الآیه فی نفوسهم.

ص:۵۸

لقد تلى الامام الصادق علیه السلام آیه فی صلاته و ردّدها مرات.فصعق صعقه و وقع مغشیا علیه.فلما أفاق سئل عن ذلک منه قال:«لقد رددتها حتی کأنی سمعتها من المتکلم بها فلم یثبت جسمی لمعاینه قدرته » (۱).

۲-و تنشأ من صفه الایمان بالقرآن-صفه کریمه أخری هی الاستعداد لتطبیق آیاته.ان هذه الصفه شرط هام فی فهم آیات اللّه إذ أن التسلیم المسبق لنتائج البحث عن الحق یساعد النفس علی البحث المجرد،کما ان الاستکبار و التردد فی قبول نتائج البحث العلمی یقلل من قیمه هذا البحث عند الإنسان و بالتالی یصرفه عنه.

من هنا کان علی الإنسان ان یجعل القرآن أمامه و یسلم إلیه زمام أمره.قبل أن یبدأ بتلاوه آیاته حسبما

یصف الامام علی علیه السلام المؤمن الصادق فیقول: «قد أمکن الکتاب من زمامه فهو قائده و إمامه یحل حیث حل ثقله و ینزل حیث کان منزله. » و ان فریقا من الناس یتلون القرآن فیؤولون آیاته حسب أهوائهم ابتعادا عن العمل بها إن هؤلاء لا یؤتون فهم القرآن أبدا.بل ان تلاوه القرآن ستزیدهم وزرا و وبالا.

إنما یؤتی علم القرآن من تواضع للحق و سلم للّه و فتش عن الواقع.و استعد سلفا لاتباع الحقیقه لو انکشفت له.

۱- ۱) الصافی ج ۱ ص ۴۷

التدّبر و الصفات العقليه

و ان أهم الصفات العقليه الضروريه للتدبر هی التركیز و الشجاعه.

۱-ان تركیز شعاع الشمس عبر زجاجه مقعره هو الذی یسبب فی تحویل هذا الشعاع الی طاقه جباره.كذلك تركیز شعاع الفكر عبر نقطه واحده سوف یضاعف من فاعلیه الفكر و یكشف الحقائق بوضوح.

و بمدی أهمیه التركیز یكون مدی صعوبته إذ أن النفس تقاوم التفكر فی أمر واحد و لكن علی الذی یرید الفهم أن یروض نفسه علی صفه التركیز فیظل یوجه اهتمامه الی شیء واحد عده لحظات حتی یعرفه.

و لهذا جاء فی الأحادیث الأمر بترتیل القرآن لأنه أقرب إلی التركیز من التهامه.

فجاء فی حدیث:قال أمیر المؤمنین علیه السلام ،فی تفسیر قول الله تعالی:

« وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلاً»

ص:۶۰

قال:«بيّنه تبيينا و لا تهذه هذ الشعر و لا تنثره نثر الرمل،و لكن فزّعوا قلوبكم القاسيه و لا يكن هم أحدكم آخر السوره » (۱).

و عن الامام الصادق عليه السلام فى تفسير هذ الآيه:

« وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» «قال قف عند وعده و وعيده و تفكر فى أمثاله و مواعظه » (۲).

۲-و الشجاعه هى الصفه العقليه الثانيه التى لا بد أن يتحلى بها من شاء العلم،ذلك ان عدم الثقه بالنفس يتسبب فى تردد الشخص فى نتائج بحوثه-و هنا تبرز أهميه الشجاعه النفسيه فى قبول النتائج.

إن الحق يظهر لكثير من الناس.إلا أن قليلا منهم يراه لماذا؟لان أكثرهم يخشى من رؤيته،يخاف أن يتعارض مع مسبقاته الفكريه و رواسبه التقليديه،يخاف أن يتناقض مع أفكار مجتمعه و بيئته،لذلك لا يقترب منه،بل يغمض عينه إذا اقترب الحق منه،هكذا يجب أن نتحلى بشجاعه الفهم،إذا أردنا ان نخوض حقل التدبر،يجب ان نجعل الحق فوق كل شىء.فليكن معارضا لأفكارنا السابقه أو ليكن متناقضا مع أفكار الناس،لا بد ان نقول اننا سوف نتبعه إذ إننا بهذه الروح الشجاعه نستطيع كشف الحقائق.

إن آراء المفسرين حول الآيه يجب أن لا تعيقنا عن التدبر من جديد فى معناها بالرغم من احترامنا لها،إذ ربما يكونون جاهلين بمعناها،أو ببعض معانيها و أوفق أنالها.

۱- ۱) الهذ:سرعه القراءه.و النثر:التباطئ فيها بحيث لا ترتبط كلماتها.الصافى ج ۱ ص ۴۵

۲- ۲) المصدر ج ۱ ص ۴۷

التدبر و السياق القرآنی

اشاره

و للسیاق دور کبیر فی بیان الواقع العلمی للقرآن و السبب أن القرآن،یلاحظ ارتباط آیه بأخری ملاحظه دقیقه.و لا تتلاحق الآیات و لا الکلمات داخل آیه واحده إلا بإحدی علاقتین:علاقه علمیه أو تربویه.

١-العلاقه العلمیه:

القرآن یعکس واقع ارتباط حقیقه بأخری فیذکرهما مع بعض فمثلا:یقول اللّه سبحانه:

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ» ان علاقه الاستغفار من الذنب بتوحید الله علاقه واقعیه تفرضها حقیقه الربانیه من جهه و العبودیه من جهه ثانیه.إذ أن العقیده بأحدیه اللّه توجب العقیده بعبودیه الفرد.و واضح أن العبد یجب ان یخضع للّه.

ص:۶۲

و تماما مثل هذه العلاقه موجوده فى قوله تعالى:

« وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ» (۲۱ / ۲۵) فعلاقه عباده اللّه بتوحيده،أمر واقعى من جهه أن على العبد مسئوليه العباده للّه الواحد.

و كذلك علاقه آيتين ببعضهما فى مثل قوله سبحانه:

« وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا*وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ* وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ* وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسادَ» (۲/۲۰۵) فعلاقه الآيه الأولى بالثانيه ناشئه من وجود ارتباط بين صفات المنافقين.فهم من جهه ينمقون كلامهم و هم من جهه ثانيه يفسدون فى الأرض.

ان القرآن يتحدث إلينا عن نموذج من الناس.لذلك يذكر كل صفاتهم و لا تنمو صفه فيهم دون وجود اخرى.

ان هذه العلاقه نجدها فى أواخر الآيات التى تنتهى فى كثير من الأحيان بذكر صفه أو صفتين للّه سبحانه.ترتبط بنوع المضمون المذكور فى الآيه،فمثلا نجد فى هذه الآيات الكريمه مدى ارتباط آخر الآيه بمضمونها:(ارتباطا واقعيا)يقول اللّه سبحانه:

« وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» (/۲۸الشورى) فالولى الذى يحب عباده ينزل عليهم الغيث،و الحميد ينشر عليهم رحمته،فهناك

علاقه وثيقه بين الولايه و نزول الغيث و الحمد و نشر الرحمه.

و كانت العرب ترى وجود هذه العلاقه و تستنبط منها أشياء و أشياء.

فمره سمع اعرابى رجلا يتلو آيه هكذا:

« وَ السّارِقُ وَ السّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللّهِ و الله غفور رحيم» فقال له:أخطأت!قال:و كيف؟قال:ان المغفره و الرحمه لا تناسبان قطع يد السارق!فتذكر الرجل الآيه و قال:

« وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» فقال الأعرابى:نعم،بعزته أخذها و بحكمته قطعها.

انه عرف كيف يجب أن تكون نهايه الآيه متناسبه مع بدايتها،من ناحيه العلاقه الواقعيه.

٢-العلاقه التربويه:

بما أن القرآن كتاب تربيه،و بما أن صفات النفس ترتبط ببعضها فان القرآن المجيد يلاحق النفس البشريه بما يصلحها من التوجيهات إن طغت-افراطا-صفه عليها عالجها بحكمه.فان طغت-تفريطا-عالجها بحكمه اخرى و لا يزال يعد لها حتى تتحول الى نفس سويه.

و نستفيد من دراسه علاقه الآيات التربويه ببعضها نستفيد علما بخبيئه النفوس و معرفه بالقوانين التربويه التى تتحكم فيها.

ص:٦۴

و کمثل لهذه العلاقه نذکر قوله سبحانه:

« وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ» (۱۹۵البقره) ان جمل هذه الآیه ثلاثه:الأولی فی الإنفاق.و الثانیه فی النهی عن إلقاء النفس فی التهلکه.و الثالثه فی الإحسان.فما هی علاقتها ببعضها؟ أول ما أمر اللّه بالإنفاق توجهت النفوس الیه و کانت مخافه التقصیر فی الإنفاق.

فجاءت الجمله الثانیه تنهی عن التهلکه التی تتم إذا ترک الإنفاق و حیث أن النفوس مفطوره علی البخل کان من الضروری ترجیح کفه الإنفاق،لمقابله الشح الطبیعی عند البشر فجاءت الجمله الثالثه،و أَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ .

و ربما نستنبط من سیاق الآیه المبارکه:ان هناک درجتین فی الإنفاق،الإنفاق الذی لولاه یهلک الإنسان و یکون بمثابه الإنفاق علی الدواء،و قد أمر به الجزء الاول من الآیه،و الإنفاق الإضافی الذی یقوم به المحسنون،و قد امر به الجزء الثانی من الآیه.

التدبّر و الواقع الخارجی

ان من یهدف تفهم القرآن،یجب ان یجعله حیّا نابضا بالحرکه.و ذلک عن طریق تطبیق آیاته الکریمه علی الواقع الخارجی.

إن لآیات القرآن،أهلا تطبق علیهم فی کل عصر،فآیه المتقین لها تطبیق حیّ کما لآیه الفاسقین،فلا بد ان یبحث الفرد عن هؤلاء کلما تدبر فی القرآن.و هنا یتحوّل الکتاب المبین الی منهاج عمل لیس هذا فحسب بل و یهدی الإنسان الی حقائق کثیره،لأنه یساعد الفرد علی فهم الاحداث المعروفه،و یکون مثله آنئذ مثل المرشد فی متحف للآثار.کیف لا تفید رؤیه المتحف بدونه کما لا یغنی إرشاده دون رؤیه الآثار.

و هذا هو السبب فی أن المعاصرین لنزول الوحی کانوا یفقهونه حتی کادوا یکونون أنبیاء من سعه العلم و نضوج الفقه،ذلک لأنهم کانوا یتلقون الوحی فی حمی الاحداث الیومیه،لان القرآن نزل مع الأحداث الرسالیه یوما بیوم،و قد علل القرآن ذاته نزوله التدریجی بتثبیت آیاته فقال:

« وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا» (۲۵/۳۲) فإذا شئنا تفهم الكتاب فلا بد ان نعرض عليه الاحداث اليوميه،ليكشف لنا حقائقها الكامنه.

جاء فی الحدیث عن الامام علی علیه السلام قال:سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقول: أتانی جبرئیل فقال:«یا محمد ستکون فی أمتک فتنه،قلت:

فما المخرج منها،فقال:کتاب اللّه فیه بیان ما قبلکم من خبر،و خبر ما بعدکم و حکم ما بینکم و هو الفصل و لیس بالهزل » (۱)فی هذا الحدیث:أمر اللّه بعرض الفتنه علی القرآن لمعرفه حکم اللّه فیها،و هو نوع من تطبیق القرآن علی الحیاه الواقعیه.

و فی حدیث آخر قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : «فاذا التبست علیکم الفتن کقطع اللیل المظلم فعلیکم بالقرآن فانه شافع مشفع و ما حل مصدق » (۲)

۱- ۱) المصدر ۹

۲- ۲) ما حل:ای مهلک لمن تولی عنه

أكبر فائده يغتنمها المتدبر فی كتاب اللّه هی تزكيه نفسه و بناء شخصيته.حقا أننا لا نكون ذوی شخصيه مثاليه من الولاده،و حقا أن تربيتنا كانت منطويه على الكثير من السلبيات،فمن يا ترى مسئول عنا بعد أن كبرنا؟و من ذا يخسر إن بقينا هكذا؟من المؤكد أننا بحاجه الى تربيه،و لكن من الذی يربينا؟القرآن أفضل وسيله لتربيه نفوسنا؟لذلك وجب أن يعرض كل شخص نفسه على القرآن،ليعرف انحرافاته.

و العقبه التی تعترض طريق التربيه الذاتيه،قد تكون عدم اقتناع الفرد بأنه المعنی بالتوجيه،بل يزعم كل شخص أن غيره فقط هو المقصود،أما هو فيجعل نفسه مقدسا عن شمول التعاليم له،هنا لا بد أن يتجاوز الفرد هذه العقبه بالايحاء الذاتی بأنه معنی مباشره بهذه التعاليم،و ان كل قصه يجد مثالها فی نفسه إذا عمل ما عمله بطل القصه،و ان كل مثل يجد تطبيقه فی ذاته إذا جسد مغزاه.و ان كل ثواب سوف يناله هو،إن عمل الخير.و ان كل عقوبه ستحيط به إن اقترف خطيئته و هكذا يجعل

نفسه تدور علیه آیات الکتاب لیتمکن من تربیه ذاته و تزکیتها.

من هنا

جاء فی الحدیث،عن الامام الصادق علیه السلام کان أصحاب محمد صلی الله علیه و آله و سلم.«یقرأ أحدهم القرآن فی شهر واحد أو أقل إن القرآن لا یقرأ هذرمه و لکن یرتل ترتیلا و إذا مررت بآیه فیها ذکر الجنه فقف عندها و اسأل الله تعالی الجنه،و إذا مررت بآیه فیها ذکر النار فقف عندها و تعوذ باللّه من النار » (۱)هذا عن الثواب و العقاب،أما عن القصص التاریخیه فکیف یمکن تزکیه النفس فی ضوئها.

یقول الامام الصادق علیه السلام :

«علیکم بالقرآن فما وجدتم ایه نجا بها من کان قبلکم فخذوه و ما وجدتموه مما هلک بها من کان قبلکم فاجتنبوه » (۲)بهذه الکیفیه نستطیع کشف الانحرافات التی تنطوی علیها نفوسنا،لکی نستعد لتقویمها بالقرآن.کما نقدر علی فهم الآیات بصوره أشمل و أعمق إذ أن ازدواج القانون(الموجود فی القرآن)بتطبیقه علی النفس(باعتبارها الموضوع الخارجی للقانون)انه أفضل وسیله لفهمهما معا.

ص:۶۹

۱- ۱) المصدر ص ۴۴

۲- ۲) المصدر ص ۱۰

موجز لمنهج التدبر فى القرآن

قبل أن نستعرض المنهج لا بد أن نذكر أمرين:

أ-أن المنهج تلخيص لما سبق فى الصفحات الماضيه انما لخصناها لتبقى عالقه بالأذهان.

ب-كما أن للقرآن جانبى التزكيه و التعليم،كذلك لمنهج التدبر و نحن ندمجهما ببعضهما لصنع البرنامج المتكامل:

أما المنهج الموجز للتدبر فهو التالى:

١-الهدف من التدبر انما هو تكوين شخصيه القارئ و الوصول الى اهدافها المشروعه،و معرفه الحق و القوه الكافيه لتنفيذه.

٢-و يعنى التدبر التفكر المنطقى فى المعنى الحقيقى للآيه.بينما يعنى التفسير بالرأى الاستغناء عن هذا التفكر باختلاق معنى الآيه،و التدبر واجب و التفسير

ص:٧٠

بالرأی حرام.

۳-و محور التدبر البحث عن القوانین العلمیه التی انطوت علیها آیات القرآن أو المناهج التربویه التی صیغت بها هذه الآیات و بکلمه واحده معرفه ظاهر التربیه و باطن العلم من القرآن.

۴-و یقتصر محور التدبر فی الحقائق التی یصل الی فهمها فکر المتدبر(و یسمی بالمحکم)أما مالا یفقهه المتدبر فیدعه الی حین یفقهه(و یسمی بالمتشابه).

۵-لمعرفه ظاهر لفظ القرآن یجب الرجوع الی اللغه بشرطین:الاول:تصفیتها من رواسب المناخ الضیقه،و الترکیز علی معناها العربی الصافی الثانی:التفکر فی الماده الأساسیه التی ینبثق منها سائر المعانی الخاصه،و هکذا یمکن جمع موارد استعمال اللفظ لنبحث عن معنی واحد مشترک بینها فنتمسک به.

۶-اجمع موارد استعمال اللفظ فی القرآن و قارن بینها لتعرف ما هو المعنی الجامع المشترک بینها حسب ما یهدی إلیها سیاق کل واحد منها.

۷-اطرح علی نفسک هذا السؤال،کلما تدبرت فی آیه،لماذا استخدم القرآن هذه الکلمه ما هی میزتها عن کلمات مترادفه معها؟و ابحث عن الجواب فی إطار الماده الخامسه و السادسه.

۸-ابحث فی التفسیر الصحیح و احذر من تحدید عموم القرآن بخصوص مورد نزوله-أو بتطبیق تاریخی واحد کلا اهتد بالمورد و التطبیق الی أمثالهما.و تعرف من خلالهما علی الصفات التی أوجبت نزول الآیه أو تطبیقها علیهما.

۹-قسّم ظاهر القرآن إلی سبعه أقسام:إلی أمر و ترغیب و زجر و ترهیب و قصص تاریخیه و مثل بیانیه،و جدل مع الأعداء،فکّر هذه الآیه تنطوی علی کم

قسم منها؟ ۱۰-و تدبر فی باطن الآیه عن علاقه جمله بأخری و آیه بثانیه،و مجموعه آیات بأخری.فتش عن نوعین من العلاقه بینهما:

(أ)علاقه علمیه بحیث یعتبر الواحد سببا للثانی أو مسببین لسبب ثالث.

(ب)علاقه تربویه بحیث یکون الواحد مستوجبا للثانی،حتی یکون المجموع منهجا متکاملا لتربیه الفرد و تزکیه نفسه.

۱۱-علیک أن تتحلی بصفات نفسیه و عقلیه حتی تتمکن من اکتشاف حقائق القرآن.و هی:

(أ)الایمان بالوحی،و انه وثیقه بینک و بین ربک و خطاب مباشر إلیک من خالقک.

(ب)و الاستعداد لتطبیق تعالیمه،و التسلیم لافکاره حتی و لو خالفت مصالحک أو تناقضت مع تقالیدک السابقه و أفکار مجتمعک.

(ج)الترکیز فی بؤره واحده بحثا عن الحقیقه،و یدعی بالتروّی.و هو-أی الترکیز-عمق التدبر البعید و بغیره تصبح المواد الاخری فی هذا المنهج قشورا بغیر لب.

(د)الشجاعه فی التمسک بالحق و الثقه بعقلک أو بما یهدی إلیه من الواقع.

۱۲-ابحث عن تطبیق خارجی حیّ لمواضیع القرآن الحکیم،ابحث عن أشخاص یصفهم القرآن،و ابحث عن أوضاع یبینها القرآن،و ابحث عن نتائج یقول

ص:۷۲

عنها القرآن.

۱۳-طبق آیات القرآن علی نفسک،لتجد فیها کل ما شرحه الکتاب، و لتخشی مما قد یصیبک مما بینه.

ص:۷۳

سوره الحمد

اشاره

ص:۷۵

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره:

فی کتاب محمد بن مسعود العیاشی بأسناده عن النبی محمد صلی الله علیه و آله قال لجابر بن عبد.اللّه الأنصاری:

«یا جابر أ لا ـ أعلمّـ ک أفضل سوره أنزلها اللّه فی کتابه.قال فقال له جابر:بلی بأبی أنت و أمی یا رسول اللّه.علمنیها.قال فعلمه الحمد أمّ الکتاب.ثم قال:یا جابر أ لا أخبرک عنها،قال بلی بأبی أنت و أمی،فأخبرنی،فقال:هی شفاء من کل داء الا السام و السام الموت. » *

و عن سلمه بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق علیه السلام قال:

«من لم یبرئه الحمد لم یبرئه شیء. » *

و عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال:قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله :

ص:۷۷

«ان اللّه تعالى قال لى:يا محمد و لَقَدْ آتَيْنٰاکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثٰانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِیمَ ، فأفرد الامتنان علیّ بفاتحه الکتاب و جعلها بإزاء القرآن.و أن فاتحه الکتاب أشرف ما فی کنوز العرش،و ان اللّه خصّ محمد و شرّفه بها و لم یشرک فیها أحدا من أنبیائه ما خلا سلیمان،فأنه أعطاه منها بسم اللّه الرحمن الرحیم.الا ـ تراه یحکی عن بلقیس حین قالت: « إِنِّی أُلْقِیَ إِلَیَّ کِتٰابٌ کَرِیمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَیْمٰانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ» .الا فمن قرأها معتقدا لموالاه محمد و آله،منقادا لأمرها،مؤمنا بظاهرها و باطنها،أعطاه اللّه بکل حرف منها حسنه،کل واحده منها أفضل له من الدنیا بما فیها من أصناف أموالها و خیراتها.و من استمع الی قارئ یقرؤها، کان له قدر ثلث ما للقاریء.فلیستکثر أحدکم من هذا الخیر المعرّض له فإنه غنیمه لا یذهبن،أو انه فتبقی فی قلوبکم حسره».

(مجمع البیان ج ۱-ص ۱۷-۱۸)

[سوره الفاتحه (۱): الآیات ۱ الی ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ (۱) اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۲) اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ (۳) مٰالِكِ يَوْمِ اَلدِّينِ (۴) إِيّٰاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّٰاكَ نَسْتَعِينُ
(۵) اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ (۶) صِرٰاطَ اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ اَلضّٰالِّينَ (۷)

ص:۷۹

تفسیر البسمله:

[۱] بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ بماذا نفکر و نصمم و نعمل؟أ لیس بقوی و طاقات؟من یملک تلک القوی و من یمدنا بتلک الطاقات أو لیس هو الله؟إذا فکل قوه نفکر أو نصمم أو نعمل بها،هی آیه من آیات الله و اسم من أسمائه الحسنی،یجب علینا ان نقول:باسم الله قبل کل موجه تفکیر و ومضه اراده و حرکه عمل.انه الله الذی خلقنا و هدانا،فباسمه نبتدئ کل شیء لان کل شیء هو فی الواقع اسم من أسمائه و آیه من آیاته الکبیره.

و أسماء الله کلها مظاهر رحمته،و رحمته واسعه و مستمره.و نعبّر عن الرحمه الشامله التی وسعت کل شیء بالرحمن کما نعبر عن الرحمه الدائمه،التی لم تزل و لا تزال و لن تزول فی المستقبل ب(الرحیم).

و سوف تتجسد رحمه الله الدائمه فی الیوم الآخر بجنات واسعه یختص بها

ص:۸۰

المؤمنون. اما فی الـدنیا فهو یرحم الجمیع،المؤمنین و الکافرین.و لا بـد ان نخلص له العباده و نتوجه الیه وحده فی کل صـغیره و کبیره و نستعین به.

موارد الحمد

[۲]حین نحمـد الله و نذکره بالصـفات الحسـنی التی فیه و التی تتجسد عملیا فی نعمه الکبیره و الکثیره علینا و أبرزها نعمه العنایه الجسـدیه و الروحیه،التی جعل الله بها الإنسان أکرم و أفضل من کثیر ممن خلق،و لکن هذه التربیه لا تخص الإنسان وحده،إذ أن کل الأحیاء ینعمون بتربیه الله و رعایته لهم،منـذ نشوئهم و حتی الممات..فالنبات یتلقی نعمه العنایه من قبل الله.متجسده فی اشـعه الشمس التی لا تنقطع عنه،و ماء السماء الذی یصب علیه صبا،و املاح الأرض،و الریاح اللواقح..و..

و البر و البحر و الجبال و الکواکب و النجوم و المجرات و.و.کلها تنعم بعنایه الله و رعایته الدائمه.

إذا لنقف خاشعین امام الله،الذی شملنا بعنایته نحن و العالم الذی من حولنا، و نقول:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ [۳]و الصفه الثانیه التی نحمد الله علیها و نذکره بها هی الرحمه الواسعه و الدائمه فهو.

اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ [۴]بید أن نعم الله لیست عبثا و بلا حکمه.انها تهدف تربیه الإنسان

و اختباره.و من ثم جزاءه على الحسنى أو السوء.فهو بالاضافه الى رحمته الواسعه و الدائمه،حكيم سريع الحساب شديد العقاب لا بد ان نخشاه و نتقى عذابه و نعمل بجد من أجل الحصول على مرضاته،لأنه.

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ يوم الجزاء الأكبر.و حين يملك الله يوم الدين،يملك الجنه و النار و الميزان و الحكم بالجنه أو النار.و هذا التعبير يبدو أفضل من التعبير ب(ملك يوم الدين)،ذلك لان الملك قد لا يملك فى دولته الا شيئا واحدا فقط هو الحكم و السلطه.بينما الله يملك السلطه و يملك كل الأشياء حتى الأشخاص الذين يحكم عليهم.

[۵]و إذا كان الله رب العالمين،و الرحمن الرحيم،و مالك يوم الدين.فلا بد ان نخلص له العباده و نتوجه اليه فى كل صغيره و كبيره و تستعين به..

إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ اى نعبدك وحدك و نستعين بك وحدك.و هذه الفكره ذات اتجاهين(إيجابا و سلبا).

الاول:اننا نتوسل بالله و نوثق معه علاقاتنا و من أبرزها الاهتداء الى تنفيذ أوامره و تنفيذها،مما يساعدنا على تجاوز كل محنه و تحقيق التطلعات.

الثانى:اننا لا نتوسل بغير الله،حتى لا نصبح اتكاليين و ذيولا لآخرين تفرض علينا وصايتهم،و بالتالى يستعبدوننا.

و عند ما نتعمق قليلا فى معنى هذه الآيه نجدها تلخص فلسفه الحريه الانسانيه بصوره متينه.

ما دام للّه الأسماء الحسنى و التى منها ضمان حريه الإنسان دعنا نترک إذا الأصنام التى تعبد من دون اللّه لأنها لا تتصف بشیء من تلک الصفات،فلا هی رب و لا رحمن و لا تملک جزاء.

[۶]و حين نترک الأصنام الصامته(كالحجاره)أو الناطقه(كالذين يعبدون من دون الله)آنئذ نكون على الصراط المستقيم.

و لكن ليس بهذه السهوله نستطيع ان نحقق الاستقامه،لان التخلص من الأصنام مهمه صعبه للغايه.و على الإنسان ان يضع امامه هدفا صعبا ليحققه فی الحياه هو(الاستقامه)و يسعى من أجل تحقيقه بجد و مثابره،و ذلک عبر ثلاثه مراحل:

المرحله الاولى:التصميم على الاستقامه.و لن يكون التصميم على الاستقامه جادا الا إذا عرف الإنسان ان فی الحياه طرقا شتى لا تؤدی به الى اهدافه المنشوده.

و ان هناک طريقا واحدا فقط هو الذی يوصله إليها.و عرف ان التعرف على هذا الطريق و السير فيه هو من واجباته التى عليه أن يسعى لتأديتها،و ليست من نعم الله الطبيعيه عليه،ليست مثلا كنعمه البصر،حيث يولد الطفل بصيرا.و لهذا فاننا ندعوا الله ان يمنحنا الاستقامه و نقول:

اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ و هذا الدعاء دليل على ان الله لا يمنح الاستقامه الا لمن يطلبها منه.

[۷]و قد لا تكون الاستقامه ابديه،إذ أن عواصف الشهوات و أمواج الضغوط الاجتماعيه و الحواجز النفسيه،و وساوس الشيطان،تلعب بقلب الإنسان كما تلعب الأعاصير بريشه طائره.من هنا على الإنسان ان ينتظر نعمه اللّه حتى تظل الاستقامه

دائمه و من هنا قال اللّه:

صِرٰاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ اى بنعمه الهدايه التى تؤدى طبيعيا الى الانتفاع بسائر نعم اللّه.

و ما دامت الاستقامه نعمه توهب و قد لا- توهب للإنسان،فعليه ان يظل يقظا، كلما أبعدته عوامل الانحراف عن الخط،عاد اليه بفضل وعيه و ثقته بالله، و بتصميمه على الاستقامه فى الحياه حتى يأتيه اليقين.

و علينا ان نعرف أن اللّه يجسد الصراط المستقيم فى أشخاص،إذا ان الايمان لا بد ان يكون له رصيد واقعى لئلا يتحول الى أفكار مجرده،ربما لا تكون قابله للتطبيق.

«صِرٰاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا.

اما المرحله الثانيه فهى تحديد دواعى الانحراف التى تضغط على الإنسان باتجاه الانحراف أو تضغط عليه لكى يختار بوعى و عمد طريق الانحراف.

مثل حب الشهوات من النساء و البنين و الكماليات و التفاخر و حب السلطه.

ان أكثر الناس ينحرفون عن الاستقامه بشهواتهم لأنهم يستسلمون لضغوط الشهوات.هؤلاء يغضب الله عليهم،و يسلب منهم نور الفطره و وهج العقل، فاذا بهم فى ظلمات لا يبصرون،لذلك يدعو المؤمنون ان تدوم لهم نعمه الهدايه فيكونوا مستقيمين.

«غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»

ممن تعمدوا الانحراف فسلب اللّه منهم نعمه الهدايه فظلوا منحرفين الى الأبد.

المرحله الثالثه:التخلص من عوامل الانحراف الجبريه التى تدفع الإنسان الى الانحراف من دون وعى و لا تصميم،و ذلك مثل الجهل و الغفله و النسيان،حيث انها من عوامل الضلاله التى يجب التخلص منها هى الاخرى حتى تتم الاستقامه.

و كثير من الناس ينحرفون لجهلهم بالدين و بما فيه من سعاده و خير.مثل أكثر الشبيبه الذين ابتعدوا عن قيم الله،يمينا أو يسارا،و ضحّوا من أجل مبادئ فاسده تضحيه صادقه،هؤلاء هم الجهلاء لأنهم لو عرفوا الدين الصحيح لما توانوا عن التضحيه من أجل المبادئ.كذلك المؤمنون الذين يقعون فى الذنوب فى ظروف معينه ثم يتوبون من قريب.هؤلاء تقودهم الغفله و النسيان.لذلك يدعو المؤمنون الصادقون ان يهديهم الله الى الصراط المستقيم و لا يجعلهم من(الضالين).

«وَ لاَ الضّالِّينَ» ان التخلص من الضلاله اللاواعيه لا يكون الا بعد التخلص من الانحراف الواعى،إذ أن نور الله لا يدخل قلبا متكبرا معاندا مصمما على الانحراف،لذلك نجد القرآن يأمر بالتخلص من غضب الله أولا،ثم يأمر بالتخلص من الضلاله.

و كلمه اخيره..ان سوره الحمد بآياتها السبعه،هى خلاصه لرؤى الإسلام و بصائره فى الحياه.و اما التفصيل فنجده فى القرآن كله.

ص:٨٥

سوره البقره

اشاره

ص:۸۷

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

فضل السوره:

قال الله الی رسوله صلی الله علیه و آله :

«أعطیت لک و لامتک کنزا من کنوز عرشی فاتحه الکتاب و خاتمه سوره البقره» (بح ۸۹ ص ۲۶۳)

و قال الصادق علیه السلام :

«من قرأ البقره و آل عمران جاءتا یوم القیامه تظلانه علی رأسه،مثل الغمامتین،أو مثل العباءتین» (بح ج ۸۹ ص ۲۶۵)

ص:۸۹

الإطار العام

الاسم أولا:

ألف:ما ذا تعنى كلمه السور؟انها تعنى الإطار المحدّد للشيء،و السوره تعنى واحده من الإطارات التى تحدد مجموعه أفكار معينه،و تعطينا فى المجموع شخصيه متفاعله،و ربما نستطيع أن نعبّر عنها ب(وحده فكريه)قياسا على تعبيرنا بوحده حراريه،وحده ضوئيه،أو أيه وحده كميه أخرى.

و هذا اللفظ أفضل من التعبير ب(الفصل..القسم..البحث الأول و..و..) لأن لفظ السوره لا يدل على فصل القرآن بعضه عن بعض و تقسيمه أقساما مختلفه مما قد توحى بأفكار بعيده عن حقيقه القرآن بل يدل على مدى التفاعل بين أفكار مجموعه آيات قرآنيه تشكلها السوره الواحده،حتى إننا نستطيع أن نحددها باطار و نعتبرها كوحده فكريه مستقله.

باء:البقره..ذكرت فى هذه السوره ضمن قصه طريفه ذات عبره أساسيه (الآيات ۶۷-۷۴)من الطاعه و الثقه بالقياده فى حل المشاكل.و هى تنسجم مع

الخط العام لهذه السوره.

الإطار العام للسوره:

عمّ تتحدث سوره البقره؟ قد تواجهنا صعوبه فی الإجابه علی هذا السؤال،و لكن يمكن أن نقول بما ان مطلع السوره يقسّم الناس ثلاثه:المسلم،و الكافر،و المنافق،و تتحدث السوره بعدئذ عن هذه الأنواع بإسهاب،ثم مع التركيز علی صفات المؤمن،نستطيع القول بأن الخط العام للسوره هو إرساء قواعد الشخصيه الإيمانيه،سواء فی مستوی الفرد المؤمن أو الأمه المؤمنه.

و من هذا المنطلق تتحدث السوره عن بنی إسرائيل،و عن قصه البقره،و عن الانحرافات التی وقعت فی هذه الأمه المؤمنه.حيث جاء القرآن يحذّر المؤمنين منها.

و من هذا المنطلق أيضا تتحدث السوره بعدئذ عن واجبات المؤمن(الفرد،الأمه) مبتدء إياها بالقبله(رمز الوحده و صبغه الشخصيه المؤمنه)ثم الحجّ(رمز الوحده و العباده)ثم القصاص،ثم الصيام و..و..

و ذكرت فی هذه السوره كلمه تستطيع أن تعبّر بوضوح عن الخط العام لهذه السّوره هی كلمه(صبغه)فی قوله سبحانه و تعالی:« صِبْغَةَ اللّٰهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً» لقوم يؤمنون فهذه السّوره تحدّد الصّبغه الإيمانيّه فی كافّه أنشطه المؤمن.

و بالرغم من انّ سور القرآن الأخری تتحدّث عن صبغه اللّه أيضا،و لكن تلك السّور تركّز فی الحديث عن جوانب من هذه الصّبغه،بينما تتحدّث هذه السّوره عنها بوجه عام و بشكل يترابط فيه ظلال هذه الصّبغه لتكوّن صوره متكامله أمامنا.

ص:٩٢

[سوره البقره (٢): الآيات ١ الى ٢٠]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . الم (١) ذٰلِكَ اَلْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢) اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰةَ وَ مِمّٰا
رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (۴) أُولٰئِكَ عَلىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ
أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۵) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۶) خَتَمَ اَللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ
سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (٧) وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ بِالْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ مٰا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)
يُخٰادِعُونَ اَللّٰهَ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ مٰا يَخْدَعُونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَهُمُ اَللّٰهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ بِمٰا
كٰانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ لاٰ تُفْسِدُوا فِي اَلْأَرْضِ قٰالُوا إِنَّمٰا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ اَلْمُفْسِدُونَ وَ لٰكِنْ لاٰ يَشْعُرُونَ
(١٢) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمٰا آمَنَ اَلنّٰاسُ قٰالُوا أَ نُؤْمِنُ كَمٰا آمَنَ اَلسُّفَهٰاءُ أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ اَلسُّفَهٰاءُ وَ لٰكِنْ لاٰ يَعْلَمُونَ (١٣) وَ إِذٰا لَقُوا
اَلَّذِينَ آمَنُوا قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلَوْا إِلىٰ شَيٰاطِينِهِمْ قٰالُوا إِنّٰا مَعَكُمْ إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (١۴) اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ
يَعْمَهُونَ (١۵) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ اِشْتَرَوُا اَلضَّلاٰلَةَ بِالْهُدىٰ فَمٰا رَبِحَتْ تِجٰارَتُهُمْ وَ مٰا كٰانُوا مُهْتَدِينَ (١۶) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ اَلَّذِي اِسْتَوْقَدَ نٰاراً
فَلَمّٰا أَضٰاءَتْ مٰا حَوْلَهُ ذَهَبَ اَللّٰهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٰاتٍ لاٰ يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ
مِنَ اَلسَّمٰاءِ فِيهِ ظُلُمٰاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصٰابِعَهُمْ فِي آذٰانِهِمْ مِنَ اَلصَّوٰاعِقِ حَذَرَ اَلْمَوْتِ وَ اَللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكٰافِرِينَ (١٩) يَكٰادُ
اَلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصٰارَهُمْ كُلَّمٰا أَضٰاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذٰا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قٰامُوا وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصٰارِهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

اللغه

٢[ذلك]لفظه يشاربها الى ما بعد.

[ريب]الشك و قيل هو أسوأ الشك.

[هدى]دلاله.

[المتقين]من الوقايه و هى مأخوذه من الاتقاء و هو الحجز بين الشيئين.

٣[يؤمنون]يصدقون و الايمان يعنى الثقه و التصديق.

[الغيب]كلما غاب عنك و لم تشهده [يقيمون]يؤدون،و أقام الصلاه أدّاها بحدودها،و أقام السوق لم يعطلها،و يقيمون الصلاه تأتى بمعنى يديمون أداء فرائضها.

[الصلاه]الدعاء.

[هما]حرف موصول بمعنى الذى.

[الرزق]العطاء الجارى.

[الإنفاق]إخراج المال.

۴[يوقنون]يعلمون و سمى العلم يقينا لحصول القطع عليه و سكون النفس اليه فكل يقين علم و ليس كل علم يقين و ذلك كأنه علم يحصل بعد الاستدلال و النظر لغموض المعلوم أو لاشكال ذلك على الناظر.

۵[أولئك]اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشاره و هو جمع ذلك فى المعنى.

[المفلحون]و الفلاح النجاح و يأتى الفلاح بمعنى البقاء و الظفر.

ص:۹۴

۶[الکفر]فالکفر ستر النعمه و اخفاؤها و الشکر نشرها و إظهارها، و کل ما ستر شیئا فقد کفره.

[سواء]مصدر أقیم مقام الفاعل بمعنی مستو،و الاستواء الاعتدال، و السواء العدل.

[الإنذار]إعلام معه تخویف فکل منذر معلم و لیس کل معلم منذرا.

۷[ختم]أی طبع،فیقال ختم علیه أو طبع علیه.

[غشاوه]غطاء.

[العذاب]استمرار الألم.

۸[الیوم الآخر]یوم القیامه و إنما سمی آخرا لأنه یوم لا یوم بعده.

۹[یخدعون]أصل الخدع الإخفاء و الإبهام.

۱۰[المرض]العله فی البدن و نقیضه الصحه.[ألیم]الموجع.

ص:۹۵

۱۴[اللقاء]الاجتماع مع الشیء علی طریق المقارنه.

[الخلاء]نقیض الملأو یقال خلوت الیه و خلوت به و یقال خلوت معه علی ضربین أحدهما بمعنی خلوت معه،و الآخر بمعنی سخرت منه.

۱۵[المدّ]أصله الزیاده فی الشیء کما تأتی بمعنی الجذب لأنه سبب الزیاده فی الطول [الطغیان]تجاوز الحد.[عمه]:یعمه أی تحیّر.و العمه التحیّر.

۱۶[اشتری]الاشتراء الاستبدال،و العرب تقول لمن تمسک بشیء

ص:۹۶

و ترک غیره قد اشتراه و لیس ثم شراء و لا بیع.

[ربح]الربح الزیاده علی رأس المال.

[التجاره]التعرض للربح فی البیع و أضاف العرب الربح الی التجاره لأن الربح یکون فیها.

۱۷[المثل]کالشبه و هو ما جعل کالعلم علی معنی سائر یشبه فیه الثانی بالأول.

[استوقد]أوقد،أی طلب الوقود و الوقود الحطب.[ترک]الترک للشیء مثل الإمساک عنه.[ظلمات]جمع ظلمه و أصلها انتقاص الحق.

[أبصر]من الأبصار و هو ادراک الشیء بحاسه البصر یقال أبصر عینه و الأبصار بالقلب مثله.

ص:۹۷

کیف یقسم القرآن البشر؟

هدی من الآیات:

تتحدث هذه الآیات عن ثلاثه نماذج بشریه،و تعطی رؤیه واضحه عنها، لیختار القارئ واحدا من النماذج عن بصیره نافذه و علم.

و هذا التقسیم طبیعی للإسلام باعتباره فکره جدیده لا تعترف بالتقسیمات الموجوده بین الناس(الإقلیم و اللون و اللغه و العشیره و العنصر)التی أتت بها المبادئ الوضعیه.

إن الدین الجدید یطرح تقسیمات جدیده لیتخذ الناس مواقفهم حسب هذه التقسیمات.

و لا تزال الأمه بحاجه الی الإیمان بهذه التقسیمات و تجاوز سائر التقسیمات الخاطئه،حتی تستطیع أن تکون أکثر قدره علی تطبیق مبادئ الدین الحنیف.

ص:۹۸

بينات من الآيات:

[۱][الم] ما هى هذه الأحرف التى نراها فى أوائل كثير من السور القرآنيه؟و هل هى مفهومه لدينا،أم انها كالمتشابه فى القرآن،لا يعلمه إلّا الراسخون فى العلم.أم ان سرها مكنون عند اللّه و من يطلعه على غيبه من رسول.

لقد اختلفوا فى ذلك اختلافا كبيرا.ففى الوقت الذى زعم المتحكمون؟انه قبيح عند العقل أن ينزّل اللّه سبحانه و تعالى آيه لا نعرف معناها.و احتجوا على ذلك بان القرآن هدى،و لسانه عربى مبين و قد أمر بالتدبر فى آياته.

فى ذات الوقت نراهم يختلفون فى معانى هذه الأحرف على أحد و عشرين رأيا.

فهل الاختلاف دليل العلم؟ و يبدو لى ان حال هذه الأحرف حال المتشابه،وارى أنّ المتشابه من آيات اللّه مفهوم للراسخين فى العلم،و ان درجات الناس فى العلم مختلفه و درجات فهمهم كذلك للآيات متباينه،و كل من حوى علما بدرجه،كان فيها راسخا و فى الأعلى منها غير راسخ و عليه أن يراجع الراسخين.

و عليه فإن الإحاطه علما بكلّ معانى الكتاب و بكلّ أبعاد علم آيه قرآنيه،غير ممكن.و علينا أن نسلم لما نعلم و فيما لا نعلم نسلم لمن يعلم.

و فى هذه الأحرف لا يمكننا أن ندّعى أننا سنعلم كلّ أسرارها،كما لا يسعنا أن ننكر معرفه بعض الحقائق منها.

و نتساءل:إذا ما هی تلک الحقائق؟ قبل الإجابه نذکّر بأن للقرآن ظهرا و بطنا،و أنّ لتفسیر آیاته أوجها لا یری الواحد منا إلاّ بعضها فیزعم ان الآخرین علی خطأ،و قد یکون الجمیع علی صواب نسبی.

و هکذا قد تکون الکثیر من الأقوال هنا صحیحه،دون أن یعنی أن غیرها باطل.

قالوا:الأحرف هذه أسماء للسوره التی فیها.

قالوا:انها أداه تنبه تشجع المستمعین لمتابعه الانتباه،و التفکیر فیها و فیما بعدها.

و قالوا:انها تدل علی انقطاع معنی ما و استئناف کلام جدید.

و قالوا:ان اللّه اثنی علی نفسه بها،و انها اشاره الی أسمائه الحسنی،حتی روی فی الأدعیه مناجاه الرب بها حیث جاء(یا کهیعص) (یا حم عسق).

و قالوا:انها احتجاج علی العرب حیث ان القرآن تحداهم بکتاب الف من هذه الأحرف فلم یستطیعوا أن یأتوا بمثله.

و قالوا:انها قسم لأنها مبانی کتبه،و وسائل النطق بین العباد،أو لم یقل ربنا:« ن وَ الْقَلَمِ وَ مٰا یَسْطُرُونَ» .

و قالوا:انها معجزه البلاغه حیث لم یقصد العرب الاستفاده من هذه الأحرف هکذا من قبل و قالوا غیر ذلک مما یرجع جزئیا الی بعض ما ذکرت.

و نقول بلی و لکن لا یعنی إثبات رأی و نفی ما عداه.

کذلک لا بأس أن تکون الأحرف أسماء للسور،و فی ذات الوقت تشعر بانتهاء فصل قرآنی و بدایه فصل آخر،و تکون أیضا تذکره و تنبّها تحرّض الفکر و تثیر دفینه العقل و سبات الضمیر.و تکون إشارات لأسماء اللّه،إذ ان أظهر شیء فی السماوات و الأرض هی أسماء اللّه،و الأحرف تشیر إلیها قبل غیرها.فإشاره الالف الی لفظ الجلاله(اللّه)أوضح من إشارته الی الأسد مثلا.و إذا کانت إشاره الی أسماء اللّه الحسنی فان القسم بها مناسب جدا.و مع ذلک فانها اعجاز قرآنی، بدأ العرب بشیء جدید لم یعهدوا مثله.

و فوق ذلک إنّ فیها أسرارا سوف یکتشف الإنسان بعضها مع تقدم المعرفه.

و هکذا تکون هذه الأحرف إشارات بین الربّ و بین من ارتضاه لغیبه.

و جاء فی الأثر:

۱-فی تفسیر الامام ان معنی الم:«ان هذا الکتاب الذی أنزلته هو الحروف المقطعه التی منها الف لام میم،و هو بلغتکم و حروف هجائکم فاتوا بمثله إن کنتم صادقین. » (۱)۲-

القمی عن الباقر علیه السلام : «هو حرف من اسم اللّه الأعظم المقطوع یؤلفه الرسول و الإمام علیهما السلام فیکون الاسم الأعظم الذی إذا دعی اللّه به أجاب. » (۲)

۱- ۱) تفسیر الصافی،المولی محسن الفیض الکاشانی ج ۱ ص ۹۱

۲- ۲) المصدر ج ۴ ص ۳۶۶

و روی عن الامام علی علیه السلام أنه قال: «ان لکلّ کتاب صفوه و صفوه هذا الکتاب حروف التهجی. » (۱)-۴

و فی حدیث شریف عن الإمام أبی جعفر الباقر علیه السلام أنّه قال: «یا أبا لبید أن لیّ فی حروف القرآن المقطعه لعلما جما. » (۲)

القرآن هدی:

[۲]یلخص القرآن تعریفه لذاته فی ثلاث کلمات هی:

أ:کتاب-ثابت و متفاعل-و لیس مجرد توجیهات غیر مترابطه أو غیر متکامله.

ب:لا ریب فیه،و لا یرقی الیه شک.حقیقی لأنه غیر متناقض فی ذاته و لا مع الإنسان و لا بالنسبه الی هدی العقل.

ج:هدی للمتقین.یهدی من یحب الهدایه و یعمل من أجلها،فالتقوی حذر بالقلب و عمل فی الواقع،و من دون الحذر(العامل النفسی الذی یبعث نحو إراده الهدایه)و من دون العمل من أجل الهدایه،لن تکون هدایه.

ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ ثم یتحدث القرآن عن ثلاثه مواقف للناس اتجاه الکتاب الجدید.(التقوی، الکفر،النفاق).

۱- ۱) مجمع البیان ج ۱ ص ۳۲

۲- ۲) الصافی ج ۱ ص ۹۰

[۳]من هم المتقون؟و ما هى صفاتهم البارزه؟ أهم تلك الصفات هى الإيمان بالغيب و الذى يعنى تجاوز الحقائق التى يشهدها الإنسان مباشره،للوصول الى تلك التى لاـ يشهدها مباشره.هذه المقدره التى تجعلنا -نحن البشر-نحصل على ميزه العلم بالمستقبل(الغيب)عن طريق معرفه الحاضر(الشهود)و العلم بالماضى(الغيب)عن طريق مشاهده آثاره على الحقائق الحاضره(الشهود).

هذه الصفه تتعمق فى المتقين الى درجه الإيمان فهم يؤمنون بالمستقبل و ليس يعرفونه فقط،و يؤمنون بالماضى و ليس يعلمون به فحسب،و فرق كبير بين الإيمان و العلم.الإيمان هو التسليم النفسى و العقلى للعلم،و تطبيقه على الحياه فعلا.

و أعظم الغيب و أظهره هو الإيمان باللّه الذى انتشرت آياته الظاهره على كلّ أفق و فى كلّ شىء،و الإيمان به أصل الإيمان؟.

و الإيمان بالغيب يتعمق بالصلاه التى تفتح خطا روحيا مباشرا بين الإنسان و بين اللّه، و تصبح جسرا بين الحضور و بين الغيب.و تتجسد هذه الصله فى العطاء الشامل.فلا إيمان و لا صله من دون تصديق ذلك بالعطاء و الإنفاق.

و لكن من أىّ شىء يتم العطاء.هل من أنفسنا نعطى شيئا للّه؟كلّا انما نقتطع جزء صغيرا مما أنعم اللّه علينا فننفق منه.و لكل شىء عطاء مناسب له فالمال بصرفه،و الجاه ببذله،و العلم بنشره و هكذا.

من هنا كان:

اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ

ص:۱۰۳

[۴]و الإيمان الـذى يتحلى به المتقون هو ايمان كامل لا يقتصـر على بعض الحقائق فقط،و ينحسـر عمّا يخالف الأهواء،انما هؤلاء يؤمنون بما انزل الى الرسول من كتاب و بما انزل على الرسل من قبل رسول اللّه محمد صلى الله عليه و آله لا يفرقون بينهم.

و ايمـانهم بالآـخره إيمـان راسـخ يصـل الى مسـتوى اليقين،فـاذا بهم مطهرون من أىّ شك فى يوم الجزاء.بـذلك تتكامل عقائد المتقين،الإيمان باللّه(الغيب)و ما يدعم هذا الإيمان من الصلاه و الزكاه ثم الإيمان بالرسالات ثم الإيمان بيوم القيامه.

و بالطبع الإيمان بالرسالات يدعونا الى الايمان بخلفاء الرسل و بامتداداتهم.

كما ان الإيمان بيوم الميعاد يأتى نتيجه للإيمان بعداله اللّه.و هذه هى أصول الدين الأساسيه التى تشكل جوهر شخصيه المؤمن.

وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ [۵]و النتيجه التى يحصل عليها المتقون هى الهـدايه و الفلاح.الهدايه بما فيها من استقامه فى العقل و الروح.و الفلاح بما يشمل من سعاده فى الدنيا و الآخره.

أُولٰئِكَ عَلىٰ هُـدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [۶]من هم الكفار؟ الفئه الثانيه من تقسيمات القرآن هم الذين يستحيل أن يعودوا الى الحق، لأنهم عاندوا الحق و سدّوا آذانهم و أعينهم عن سماع الدعوه اليه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ [۷]الكفر-كالإيمان-يبدأ من الاختيار الحرّ للإنسان و لكنه ينتهى

باللّه.فهو الذى يمد لهذا أو ذاك.فالمؤمن يزيده إيمانا و الكافر يزيده ضلاله و يسلب منه نور الإيمان،فاذا به يصبح و قد.

خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ لماذا؟لأنهم لم يستثمروا قلوبهم و عقولهم و لا سمعهم المؤدى الى القلب،فلا فكّروا هم بأنفسهم و لا هم سمعوا كلام المفكرين.فتبلدت عقولهم و لم تعد تعمل و تركهم الدعاه فلم يعودوا ينصحوهم.

وَ عَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ يستحيل منها رؤيه الآيات و التوصل عن طريقها الى الحقائق. لأن القلب لا يعمل،فتتحول العيون الى كامرات تصور الأشياء دون أن تفهم منها شيئا.

ماذا ينتظر هؤلاء من اللّه؟ماذا ينتظر من غمضّ عينيه و أخذ يمشى فى الظلمات؟هل ينتظر منه الوصول الى بيته سالما؟أم الى المقبره أو المستشفى؟ كذلك من سدّ منافذ عقله و عاند اللّه و الحق.

وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ [٨]من هم المنافقون؟ ان لهم صفات شتى أبرزها انهم يقولون آمنا و ما هم بمؤمنين.

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مٰا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ [٩]و لأن المنافقين يضمرون الكفر تحت غطاء الإيمان،يحاولون جهدهم أن يبالغوا فى العبادات(كثره الصلاه رياء)هم يريدون خداع اللّه و المؤمنين بينما

الحقيقه انهم يخادعون أنفسهم لأنهم يبدءوا بتصور أنهم استطاعوا أن يضمنوا الدين الحقيقى مع عدم خسرانهم للدنيا و لشهواتها و ذلك لأنهم يبدءون بزعم ان أعمالهم (القشريه)هى الدين،فيفرغون الدين من معانيه و يكوّنون له معنى جديدا فيمنعون عن أنفسهم الفوائد الكبيره التى يعطيها الدين الحقيقى لو انهم التزموا به.لهذا يقول اللّه:

يُخٰادِعُونَ اللّٰهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مٰا يَخْدَعُونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَشْعُرُونَ ثم يفصّل اللّه القول فى الخداع الذاتى الذى يمارسه المنافقون بلا وعى منهم و يقول:

[١٠]أولا:انهم يكرسون-بعمليه النفاق-مرض الجبن و الهزيمه،و اللاإراده فى أنفسهم.كل ابن آدم مبتلى فى قلبه بهذه الأمراض،و لكن المنافق يكرسها حتى يبنى حياته كلها على هذه الشاكله.فهو يعيش شخصيتين داخله و ظاهره،و بينهما تضيع إرادته و قدرته على التحقق و المبادره فكيف إذا صبغت حياته كلها بالكذب.

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ من الجبن و الاستسلام و..

فَزٰادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضاً من تكريس تلك الأمراض،ثم ان هؤلاء لا يمكنهم أن يعيشوا مطمئنين لأنهم يعيشون الخوف و القلق و خشيه الافتضاح،و هذا يسبب لهم عذابا أليما،يأتيهم بسبب الكذب الذى صبغت به حياتهم كلها.

ان الواحد منا قد يكذب كذبه واحده فيعيش فى القلق الدائم خوف اكتشاف

كذبته،و يفكر أبدا فى طرق الإخفاء على الكذب.

وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ بِمٰا كٰانُوا يَكْذِبُونَ [١١]ثانيا:تختلط عندهم مقاييسهم العقليه(بسبب مضايقتهم لهدى اللّه، و بسبب توتر شخصيتهم)و لذلك يتوغلون فى الفساد،و يزعمون أنه الصلاح بذاته.

و لأنهم يعيشون بعيدين نفسيا عن المجتمع من حولهم فهم لا يستطيعون أن يستفيدوا من نصائح الآخرين،أو تتكامل أفكارهم عن طريق التفاعل مع أفكار الآخرين.لذلك قال ربنا سبحانه:

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ لاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قٰالُوا إِنَّمٰا نَحْنُ مُصْلِحُونَ [١٢]بينما الحقيقه غير ذلك.ان هؤلاء أصبحوا أعضاء فاسده فى المجتمع، و لكنهم فقدوا المقياس الذى عن طريقه يستطيع المرء اكتشاف الفساد عن غيره فهم لا يشعرون.

أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لٰكِنْ لاٰ يَشْعُرُونَ و عبّر القرآن ب(الشعور)و لم يعبّر ب(العقل)فلم يقل(و لكن لا يعقلون)لكى يشكف لنا بأن القضايا البسيطه التى لا تحتاج الى التفكير و التعقّل.(كالتمييز بين الفساد و الصلاح)لم يعد يفهمها المنافق،فكيف بالقضايا المعقده.

ان الشرط الأول للعلم بأيه حقيقه هو الثقه بالذات و بالمقاييس العقليه التى يملكها الإنسان.و النفاق يفقد صاحبه هذه الثقه فلا يعرف شيئا.

[١٣]ثالثا:انهم يتمحورون حول أعمالهم فيحسبونها هى الحق و غيرها

الضلال و الباطل.و بذلك يتهمون الناس بالسفه،و يضيّعون على أنفسهم فرصه الانتفاع بآراء الناس و تجاربهم.

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمٰا آمَنَ النّٰاسُ قٰالُوا أَ نُؤْمِنُ كَمٰا آمَنَ السُّفَهٰاءُ و لكن من هذا السفيه الحقيقى؟أ ليس ذلك الذى يضيّع على نفسه فرصه الإيمان و فرصه الانتفاع بتجارب الآخرين؟ أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهٰاءُ وَ لٰكِنْ لاٰ يَعْلَمُونَ [۱۴]و بسبب الانعزال النفسى عن المجتمع و عن خبراته و عقله،يستهزءون بأعمال المجتمع و يتصورونها تصورا معكوسا،و بذلك يعزلون أنفسهم عمليا عن المجتمع،إذ لا يساهمون فى نشاطاته التى لا تعود بالنفع على المجتمع فقط بل عليهم أيضا لو عملوا بها.

وَ إِذٰا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلَوْا إِلىٰ شَيٰاطِينِهِمْ قٰالُوا إِنّٰا مَعَكُمْ إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ [۱۵]و هذه النفسيه المعقده تسبب لهم ضياع فرص الهدايه لهم الى الأبد،إذ كلما سمعوا كلاما فسروه تفسيرا سلبيا و استهزؤا به فبأى شىء يهتدون؟من هنا قال اللّه تعالى:

اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ أىّ يعمون عن الحقيقه فلا يرونها و كأنهم لا يملكون البصر أبدا(العمه:فقدان البصر منذ الولاده).

و یسمی القرآن النفاق هنا طغیانا لأنه لا ینشأ إلاّ بسبب فقدان العبودیه لله و الاستسلام لشهوات الذات،و ضغوط المجتمع.إذن هناک أربع أزمات یواجهها المنافق بسبب خداعه الذاتی:

أولا:ازدیاد مرضه النفسی و المؤدی به نحو العذاب الألیم.

ثانیا:توغله فی الفساد.

ثالثا:انفصاله عن خبرات المجتمع و انعزاله فی قوقعه ذاته.

رابعا:ضیاع فرصه الهدایه الی الأبد،و العمی النفسی.

[۱۶]و یضرب اللّه لنا الأمثال حتی نفهم حقیقه النفاق، و نتحذر منه فیقول:

مثل النفاق مثل من یشتری شیئا و یدفع الثمن،فلا یعطیه البائع البضاعه،فیخسر ماله و لا یحصل علی بضاعه.هکذا یشتری المنافق الدنیا بالآخره یعطی الحق و الهدایه لیأخذ السعاده فی الدنیا فلا یحصل علی هذه و یخسر تلک.

أُولٰئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلاٰلَهَ بِالْهُدیٰ فَمٰا رَبِحَتْ تِجٰارَتُهُمْ وَ مٰا کٰانُوا مُهْتَدِینَ [۱۷]و مثال آخر یضربه القرآن لیکشف لنا جانبا آخر من النفاق:

مَثَلُهُمْ کَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ نٰاراً فَلَمّٰا أَضٰاءَتْ مٰا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُورِهِمْ انطفأت و لم یبق أمامه إلاّ الدخان و الرماد.

وَ تَرَکَهُمْ فِی ظُلُمٰاتٍ لاٰ یُبْصِرُونَ ان الهدایه نور أضاءه اللّه للإنسان،و المنافق کان قریبا من النور،و ظاهریا

آمن به،و ربما آمن به إيمانا صادقا فی لحظه طيبه من لحظات عمره،و لكنه كفر به بعدئذ استجابه لضغط الشهوات و استسلاما لإراده طواغيت المجتمع الفاسد فذهب اللّه بنور الهدايه فما ذا بقی غير الظلمات و العمی.

[۱۸] صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ انهم يفقدون كلّ مشاعرهم و قدراتهم.فهم يفقدون القدره على السماع، و القدره على الكلام،و القدره على النظر،و بالتالی القدره على العيش فی الحياه.

لأنهم فقدوا مشاعرهم و قدراتهم.فكيف يعيشون؟انهم يتيهون فی صحراء الفراغ الى الأبد.

[۱۹]و مثل ثالث يضربه اللّه عن واقع المنافق فلنتصور الآن اننا فی العراء حيث الليل و السحاب المتراكم.الظلام يلفنا،و الرعد يهزنا خوفا و هلعا..اننا نلتمس نورا نمشی به.ماذا نفعل ننتظر بارقه فی السماء تضیء لنا الأرض فنمشی فی ضوئها،و لكنها تبقی لحظات و تنتهی.بعضنا يتمسک بهدی البرق حين يضیء.

فيحاول اكتشاف الطريق.فاذا انطفأ استمر فی المشی،و لكن البعض ليس هكذا، انه يمشی كلما أضاء البرق و يقف بعدئذ.ذلک مثل المؤمن و المنافق.المؤمن ينتفع بهدی الوحی الذی يشبه برق السماء فيتمسک به،و لكن المنافق لا يتفاعل معه فيتيه فی الظلمات.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمٰاءِ فِيهِ ظُلُمٰاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصٰابِعَهُمْ فِی آذٰانِهِمْ مِنَ الصَّوٰاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكٰافِرِينَ
[۲۰] يَكٰادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصٰارَهُمْ كُلَّمٰا أَضٰاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذٰا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قٰامُوا وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ

وَ أَبْصٰارِهِمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الحياه صحراء و شهواتها هى تلك السحابه الكثيفه التى فيها ظلمات و رعد و برق، و نحن فيها بحاجه الى نور السماء يهبط علينا كما يهبط الماء من السماء، و لكن علينا أن نتمسک بهذا النور حتى لا يضيع فى زحمه الحياه فنترک فى الظلمات.

و قد يغضب علينا ربنا فيسترد منا السمع و الأبصار،و لا نستطيع أن نتحرک فى أمور حياتنا قيد أنمله لأنّه محيط بنا،و قادر علينا.و لا يجوز أن نغتر بما فى الحياه من مظاهر القوه،فنحسب أنفسنا أقوياء من دون اللّه سبحانه لأنه محيط بنا،و قادر على أخذنا بقوته أخذا شديدا.

ص:١١١

[سوره البقره (٢): الآيات ٢١ الى ٢۵]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلنّاسُ اُعْبُدُوا رَبَّكُمُ اَلَّذِى خَلَقَكُمْ وَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ فِراشاً وَ اَلسَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ
مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ اَلثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ اُدْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا اَلنّارَ اَلَّتِى وَقُودُهَا
اَلنّاسُ وَ اَلْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (٢۴) وَ بَشِّرِ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا
مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا اَلَّذِى رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢۵)

اللغه

٢١[خلقكم]الخلق هو الفعل على تقدير،و خلق السموات فعلها على تقدير ما تدعوا اليه الحكمه من غير زياده و نقصان،و الخلق الطبع و الخليقه الطبيعه و الخلاق النصيب.

٢٢[السماء بناء]سمى السماء سماء لعلوها على الأرض و كل شىء كان فوق شىء فهو لما تحته سماء،و كل ما علا الأرض فهو بناء.

[أندادا]الند المثل و العدل و قيل الند الضد.

٢٣[ان]جاءت هنا لغير شك لان الله تعالى علم أنهم مرتابون و لكن هذا على عاده العرب فى خطابهم كقولهم ان كنت إنسانا فافعل كذا.

ص:١١٢

[عبدنا]العبد المملوك من جنس ما يعقل و نقيضه الحر،من التعبيد و هو التذليل لان العبد يذل لمولاه.

[سوره]مأخوذه من سور البناء و كل منزله رفيعه فهى سوره:فكل سوره من القرآن فهى بمنزله درجه رفيعه و منزل عال رفيع يرتفع القارئ منها الى منزله اخرى الى أن يستكمل القرآن و قيل السوره هى القطعه من القرآن انفصلت عما سواها و أبقيت.

۲۵[بشر]البشاره هى الاخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقا لكل خبر سواه.

أركان الايمان

هدى من الآيات:

بعد ان قسّم القرآن الناس الى ثلاث فئات،عاد ليتحدث لنا بالتفصيل عن صفات المؤمنين،و يميزها تفصيليا عن صفات المنافقين،و لكن قبل ذلك فانه لا بد من التذكير بأركان الايمان و هى الايمان باللّه و بالرسالات و باليوم الآخر،و هو ما نجده فى هذه المجموعه من الآيات.

بينات من الآيات:

[۲۱]الايمان باللّه يتجسد فى عبادته،و عباده اللّه تنتهى بالإنسان الى درجه المتقين(الذين استهل القرآن هذه السوره بذكرهم)و لكن لماذا نعبد اللّه،و لا نعبد آباءنا؟ الجواب:لأنه خلقنا و خلقهم فهو ربنا جميعا.فلما ذا نجعل الاباء واسطه بيننا و بين ربنا،ما دامت علاقتنا نحن به هى ذاتها علاقه آبائنا به سبحانه.إذا لا

خضوع للآباء.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِی خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

[۲۲]و سؤال أخر لماذا نعبد اللّه و نخضع لأوامره،و لا نعبد الحياه و هی التی تتصل بنا مباشره.فهی تعطينا الرزق و الروعه و القوه؟ الجواب:لأنه هو اَلَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ هو أولا خلق الحياه بشكل استطعنا ان نستفيد منها.فلو كانت الأرض كلها من الحديد كيف كنا نعيش عليها،و كيف نبنی و نزرع و نفتح الطرق..و..و..

و لو كانت السماء متهاويه تسقط علينا من هذه النيازك الكثيره التی تجول فی أرجائها.هل كنا نعيش؟! ثم جعل السماء تنزل علينا الماء،و جعل الأرض تنبت ألوانا من الزرع رزقا لنا، ثم بعد كل ذلك نذهب و نعبد غير اللّه؟!حاشا! فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

[۲۳]كيف نعبد اللّه؟ باتباع رسله،و هذا الرسول بالذات لأنه جاء بمعجزه القرآن.و يسألنا:هل تستطيعون ان تأتو بمثله إذا يجب اتباعه لان اتباعه تجسيد لعباده اللّه.

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

و بالطبع سوف يشهد الجميع حتى أولئك الشهداء البعيدون عن الله،سوف يشهدون على أن القرآن أفضل مما أوتى به من قبله.و آنئذ دعوا الشك جانبا و اخضعوا للرسول.

و هذه هى الرساله ثانيه العقائد الإسلاميه و الحلقه المتصله بالتوحيد العقيده الإسلاميه الأولى.

[۲۴] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجَارَهُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هناك الجزاء الاول حيث يعاقب الكافرون بهذه النار العظيمه التى تلهب الناس و الحجاره.

[۲۵]اما المؤمنون باللّه و برسالاته فإنهم فى جنات فيها كل نعم الحياه و زياده.

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

فهى منطقه مزروعه فيها روعه الأشجار و جمال الأنهار و فيها نعم الحياه.

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً قَالُوا هٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً .

فهى من جهه-رزق رزقوا به فى الدنيا-و هى من جهه ثانيه تشبه الى حد بعيد ما رزقوا به هناك فى الاخره لأنها كلها عظيمه اللذه فهم لا يكادون يكتشفوا الفرق بين رزق و رزق.

ص:۱۱۶

و هم هناك منعمون نفسيا.

وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فلا يخشون الفناء و يتمتعون بلـذه حب البقاء و هـذه هى العقيـده الثالثه بعـد الايمان باللّه و رسوله.

[سوره البقره (٢): الآيات ٢۶ الی ٢٩]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مٰا بَعُوضَةً فَمٰا فَوْقَهٰا فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ مٰا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ اَلْفٰاسِقِينَ (٢۶) اَلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اَللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثٰاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي اَلْأَرْضِ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوٰاتاً فَأَحْيٰاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ اَلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مٰا فِي اَلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اِسْتَوىٰ إِلَى اَلسَّمٰاءِ فَسَوّٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

اللغه

٢۶[يستحی]الاستحياء من الحياء و نقيضه القحه.

[يضرب]الضرب يقع على جميع الأعمال الا قليلا يقال،و ضرب فی الأرض و ضرب فی سبيل اللّه،و ضرب فلان على يد فلان إذا أفسد عليه أمرا أخذ فيه،و ضرب الأمثال إنما جعلها لتسير فی البلاد.يقال ضربت القول مثلا و أرسلته مثلا.

[البعوض]:القرقس و هو صغار البق الواحده بعوضه.

[الفاسقين]الفسق و الفسوق الترک لأمر اللّه و قيل الخروج عن الطاعه تقول العرب فسقت الرطبه عن قشرها إذا خرجت.

٢٧[ينقضون]:النقض عكس الإبرام.

[عهد]العهد العقد،و عهد اللّه وصيته و أمره.

[ميثاقه]الميثاق ما وقع التوثيق به.

[يقطعون]القطع الفصل بين الشيئين،و أصل ذلك من الأجسام و يستعمل ذلك أيضا فى الأغراض تشبها به يقال قطع الحبل و قطع الكلام.

[يوصل]الوصل نقيض الفصل و هو الجمع بين الشيئين من غير حاجز.

[الخاسرون]الخسران النقصان و الخسار الهلاك و الخاسرون الهالكون و أصل الخسران ذهاب رأس المال.

۲۹[خلق]أصل الخلق التقدير.

[جميعا]الجمع الضم و نقيضه الفرق و سميت الجهه جهه لاجتماع الناس.

[استوى]الاستواء الاعتدال و الاستقامه و نقيضه الاعوجاج.

الشخصيه الانسانيه

اشاره

كيف يجب أن تكون؟

هدى من الآيات:

حدثنا القرآن الحكيم عن فئات الناس.ثم ذكرنا بالايمان و أركانه الثلاثه.

و الآن دخل صلب الموضوع و هو تحليل شخصيه الإنسان و ما ينبغى ان تكون عليه شخصيه الإنسان الفرد و الإنسان الجماعه(الأمه).

قصه الخلق الأول:

اشاره

يبدأ القرآن بالحديث عن الإنسان الفرد فى هذه المجموعه من الآيات و لكنه لا يتحدث عنه بصوره مرتبطه بالمفاهيم العامه،بل بصوره رمزيه مستوحاه من قصه حقيقيه مرتبطه بالواقع الحى.انها قصه الخلق الاول التى يفصلها اللّه فى ثلاث مراحل.

أولا:يتحدث عن منهج التفكير الايمانى و عن الأسباب الواقعيه التى تدعوا الى الكفر باللّه.(الآيات ۲۶-۲۷)

ص:۱۲۰

ثانیا:عن خلق اللّه للحیاه و للعالم.و خلق اللّه للإنسان تزویده بالعلم و تحمیله مسئولیه الاختیار بعد ان زوده بالإراده أیضا.ثم قصه الخطیئه الاولی حیث یوجزها القرآن هنا و العوامل المؤدیه إلیها..

ثالثا:عن ان الإنسان الیوم مزود أیضا بالعلم و الاراده و علیه ان یتحمل مسئولیه اعماله..

و هذه بالطبع عبره القصه السابقه.و خلال عرض القرآن هذه المراحل،یکشف لنا عن حقائق کبیره اخری.

بینات من الآیات:

[۲۶]اخطر شیء یهدد قدره الإنسان علی التفکیر السلیم هو الاستیاء و هو حاله نفسیه.تسجن العقل فی زنزانه الذات و تصور له ان الفکر الصحیح و الرأی السلیم هو ما یصنعه خیال الإنسان نفسه،و ان الحیاه لا عبره فیها و لا معرفه.و هناک یستکبر الإنسان علی تعلم التجارب الجدیده و علی الاستفاده من تجارب الآخرین أو الانفتاح علی معارفهم و علومهم.و لکی یصور لنا هذه الحاله و أثرها السلبی فی قدره الإنسان علی التفکر السلیم،یحدثنا عن قصه البعوضه انها صغیره و متواضعه و لکنها قد تعلمنا أشیاء کثیره.

فاذا استکبرنا و قلنا ما قیمه البعوضه حتی نتعلم منها،فإننا سوف لا نفهم شیئا الی الأبد و إذا طرحنا المسأله بشکل آخر و قلنا نحن جهلاء و العلم ینفعنا و ما یضرنا لو أخذنا العلم من هذه البعوضه.

و لکن کیف و لماذا یستکبر البعض فیضلون و ینحرفون؟ الجواب..ان سبب الضلال،هو الفسق،فالفاسق الذی لا یراعی حقوق

الآخرين بل يحاول عباده ذاته،و التطواف حول مصالحه يدور معها أينما دارت،هذا الفاسق هو الوحيد الذى يستكبر،لأنه لا يستطيع ان يرى الآخرين.لا يرى الاّ نفسه فقط و كأنها الوحيده فى العالم.فكيف يقدر على الانتفاع بتجارب الآخرين و هو لا يؤمن أساسا بوجودهم.

من هنا يربط منهج القرآن فى العلم بين طائفه من الأخلاق و بين العلم- حسبما نشرحها فى الآيه التاليه.

اما هذه الايه فتقول:

إِنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مّا بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فما دام اللّه يحترم البعوضه و لا يستحى ان يضرب مثلا بها،لأنها تمثل جانبا من الحق،و اللّه لا يستحى من الحق.فما دام اللّه ربنا لا يستحى،فلما ذا نستكبر -نحن البشر-على الاستفاده من البعوضه فما فوقها.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ لأنهم آمنوا،و لأنهم يقدّسون الحق انّى وجدوه حتى لو وجدوه فى البعوضه الصغيره.

وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً و كأنّهم يستهزءون بالبعوضه و يستصغرون شأنها،يقول اللّه:كلا ان هذه البعوضه يمكن ان تكون موضع ابتلاء فتشكل خطا فاصلا بين طائفتين كبيرتين من الناس:

يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً

ص:١٢٢

الذین یؤمنون یستفیدون من البعوضه لأنهم یقدرون الحق و یقدسونه.و امّا الکافرون فیستکبرون فیتوغلون فی الکفر.

وَ مٰا یُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفٰاسِقِینَ من هم الفاسقون؟فی الآیه التالیه شرح لذلک.

[۲۷]للفاسقین صفه نفسیه واحده.هی عباده الذات.و لها مظاهر عملیه کثیره أبرزها ثلاثه:

الف:نقض العهد:

اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ فهم لا یحترمون عهد اللّه و یضعون أنفسهم فوق العهد المقدس.

باء: وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ فلا یؤدون حقوق الناس من القربی و الیتامی و المساکین و غیرهم،و لا یحترمون حرمات الناس التی یجب ان تراعی،بل یدوسون علیها سعیا وراء مصالح ذواتهم و شهوات أنفسهم.

جیم: وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ فلا یحترمون الحیاه أبدا.فقد یحرق حقلا کاملا لکی یتمتع لحظه واحده بمنظر النار تلتهم رزق الملایین.ان هذه الفئه لا تحترم اللّه و لا الإنسان و لا الطبیعه.لأنها لا تری قدرا یغیر ذاتها.و هؤلاء هم الذین یضلهم اللّه،لأنهم وضعوا أنفسهم فی معتقل أنفسهم فلم یبصروا الاّ مصالحها.فکیف یمکن ان یفهموا الحیاه،هل

يستطيعون ان يخدموا أنفسهم بهذه الطريقه كلا.بل:

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ سرعان ما يلعنهم اللّه و الناس و تلفظهم الطبيعه لفظا.

[۲۸]عباده الذات خطأ.لأنها تؤدى ببساطه الى الجهل و الخسران،بينما كان يجب ان ينطلق الإنسان فى تقييمه للحياه،و فى عمله فيها من نقطه اخرى هى الايمان باللّه.لان اللّه فى الواقع هو الذى خلق الذات،و خلق الحياه،و هو ربهما الأعلى.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ متى و كيف و بماذا أحيانا اللّه لا يهمنا ذلك انما الذى يهمنا الآن اننا كنا فى التراب الميت.فى الماء و فى الهواء فأصبحنا الآن احياء.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ عند البعث الأكبر.

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للحساب.

[۲۹]و لم يتركنا بعد الحياه عبثا انما شملت رحمته كافه جوانب حياتنا.

هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً خلقها و خلقنا بشكل نستطيع ان نسخرها فى خدمتنا.أوجد المعادن فى الجبال، و أعطانا القدره على تحويلها الى أدوات فى سبيل راحتنا.و خلق ينابيع الماء،و منابع

النفط،و مناجم الفحم،و معادن الذهب و النحاس فى باطن الأرض،و أعطانا القدره على استخدامها.. فكيف نعبد أنفسنا و لا نعبد اللّه.دعنا نخرج من ذواتنا،و نعيش مع ما خلق لنا اللّه فى الأرض.

ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ و توجه إليها بقدراته الواسعه.

فَسَوّٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ سماوات عديده لا نعرف عنها الاّ قليلا..

وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فانه قدير و عليم و نحن ضعفاء و جهلاء،دعنا إذا نعبده لنكتسب القدره و العلم.

هذه القدره و العلم هما الميزتان الرئيسيتان للإنسان.

كيف كان ذلك؟ فى الآيات التاليه قصه ذلك.

ص:١٢٥

[سوره البقره (۲): الآیات ۳۰ الی ۳۹]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَ رَبُّکَ لِلْمَلاٰئِکَهِ إِنِّی جٰاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِیفَهً قٰالُوا أَ تَجْعَلُ فِیهٰا مَنْ یُفْسِدُ فِیهٰا وَ یَسْفِکُ اَلدِّمٰاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ
نُقَدِّسُ لَکَ قٰالَ إِنِّی أَعْلَمُ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۳۰) وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ کُلَّهٰا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی اَلْمَلاٰئِکَهِ فَقٰالَ أَنْبِئُونِی بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ
کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۳۱) قٰالُوا سُبْحٰانَکَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا إِنَّکَ أَنْتَ اَلْعَلِیمُ اَلْحَکِیمُ (۳۲) قٰالَ یٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ
بِأَسْمٰائِهِمْ قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ (۳۳) وَ إِذْ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِکَهِ
اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّٰ إِبْلِیسَ أَبیٰ وَ اِسْتَکْبَرَ وَ کٰانَ مِنَ اَلْکٰافِرِینَ (۳۴) وَ قُلْنٰا یٰا آدَمُ اُسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ اَلْجَنَّهَ وَ کُلاٰ مِنْهٰا
رَغَداً حَیْثُ شِئْتُمٰا وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ اَلشَّجَرَهَ فَتَکُونٰا مِنَ اَلظّٰالِمِینَ (۳۵) فَأَزَلَّهُمَا اَلشَّیْطٰانُ عَنْهٰا فَأَخْرَجَهُمٰا مِمّٰا کٰانٰا فِیهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی اَلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتٰاعٌ إِلیٰ حِینٍ (۳۶) فَتَلَقّٰی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِمٰاتٍ فَتٰابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِیمُ
(۳۷) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهٰا جَمِیعاً فَإِمّٰا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنْ تَبِعَ هُدٰایَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۳۸) وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ
کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (۳۹)

اللغه

۳۰[الملائکه]جمع الملک و اختلف فی اشتقاقه فذهب أکثر العلماء الی انه من الآلوکه و هی الرساله و قال الخلیل الآلوک الرساله و هی المألکه و المألکه علی مفعله و قال غیره انما سمیت الرساله الوکا لأنها تمضغ فی الفم.

[جاعل]الجعل و الخلق و الفعل و الاحداث نظائر و حقیقه الجعل تغییر الشیء عما کان علیه و حقیقه الفعل و الاحداث الإیجاد.

[الخلیفه]الخلیفه و الامام واحد فی الاستعمال الا أن بینهما فرقا فالخلیفه من استخلف فی الأمر مکان من کان قبله و الامام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فیما یقتضی وجوب الاقتداء به و فرض طاعته.

[السفک]حب الدم.

[نسبح]التسبیح التنزیه للّه تعالی عما لا یلیق به.

[نقدس]التقدیس التطهیر و نقیضه التنجیس.

ص:۱۲۶

۳۶[أزلهما]الزله و الخطيئه و المعصيه و السيئه بمعنى واحد و ضد الخطيئه الاصابه يقال زلت قدمه زلا و زلّ فى مقالته زله و المزله المكان الدحض و الأصل فى ذلك الزوال و الزله زوال عن الحق و أزله الشيطان أزاله عن الحق.

ص:۱۲۷

[اهبطوا]الهبوط و النزول و الوقوع نظائر و هو التحرك من علو الى أسفل و قد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول فى المكان و النزول به قال تعالى« اِهْبِطُوا مِصْراً» .

[مستقر]القرار الثبات و المستقر يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار و يحتمل أن يكون بمعنى المكان الذى يستقر فيه.

[متاع]المتاع و التمتع و المتعه و التلذذ متقاربه المعنى و كل شيء تمتعت به فهو متاع.

ص:۱۲۸

كيف خضعت الطبيعه للإنسان؟

هدى من الآيات:

فى حوار جرى بين اللّه و بين ملائكته،نجد ان الملائكه اعترضوا على اللّه و تساءلوا لماذا يخلق الإنسان،و قالوا انه سوف يقوم بالخطيئه فعرّفهم اللّه الحقيقه و كيف يحمّل الإنسان العلم و القدره،و هما ميزتان كافيتان حكمه و هدفا لخلق الإنسان.

بينات من الآيات:

[۳۰]لنستمع الى ذلك الحوار الملهم:

وَ إِذْ قٰالَ رَبُّكَ لِلْمَلاٰئِكَهِ إِنِّى جٰاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً قٰالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهٰا مَنْ يُفْسِدُ فِيهٰا وَ يَسْفِكُ الدِّمٰاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ .

ما ذا تعنى كلمه الخليفه؟يبدو أن الأرض كانت مسكونه فابيد سكانها فأراد اللّه ان يجعل فيها من يسكنها من خلفهم،اى من بعدهم و كذلك فان الكلمه لا

ص:۱۲۹

تعنى ان الإنسان خليفه اللّه اى نائب اللّه و وكيله فى الأرض،إذ ان اللّه لم يمت حتى يخلفه أحد.

و لكن كيف عرف الملائكه:ان الإنسان سيفسد فى الأرض، هل عرفوا ذلك بالقياس الى سكان الأرض من قبل الإنسان؟أم لأنهم اكتشفوا ذلك بعد ان عرفوا طبيعه الإنسان المزوده بالعقل و الشهوات،لا ندرى المهم انهم اعترضوا على اللّه، لأنهم زعموا ان اللّه لا يخلق الخلق الا لكى يقدسوه و يسبحوا بحمده.فقال لهم اللّه:

كلا.

قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ .

[۳۱] وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَهِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هٰؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [۳۲] قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [۳۳] قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ خلق اللّه آدم و حمّله علما،فعرف الملائكه ان حكمه الخلق ليست هنا الطاعه وحدها،بل الطاعه بعلم و وعى فسحبوا اعتراضهم.

و لكن ما هى الأسماء التى علّمها اللّه لآدم؟هل هى أسماء مجموعه من الناس،أم مجموعه من الأشياء؟ربما تكون الأسماء فى التعبير القرآنى هى العلوم، لان العلم لا يصل الى حقيقه الأشياء بل يكشف خصائصها و علائمها(أسمائها) فقط لذلك عبر القرآن عن العلوم بالأسماء.و لكن لماذا قال اللّه أسماء هؤلاء و لم يقل أسمائها أو أسماء هذه،اشاره الى أشياء الطبيعه؟فى بعض النصوص:ان كلمه

هؤلاء اشاره إلى النبى محمد و آله،عليه و عليهم صلوات اللّه و سلامه،باعتبار ان الرسول و خلفاءه هم الصفوه المختاره من أبناء آدم عليه السلام و بالتالى موضع تجلى حكمه اللّه من الخلق.أو ليس رسولنا الأكرم آيه عظمه اللّه و هكذا خلفاؤه المعصومون و هناك رأى آخر هو ان الآيه تشير الى الملائكه أنفسهم-و الملائكه بدورها مهيمنه على قوى الطبيعه-و معرفه أسماء الملائكه تعنى العلم بخصائص الأشياء و علامات قوى الطبيعه.

و حين قال الملائكه سبحانک،عبّروا عن مدى تقديسهم للّه و انه وحده الكامل اما هم فضعفاء و لا علم لهم.

و لعل فى الآيه الاخيره دلاله على ان الملائكه كانوا قد أضمروا شيئا أخر وراء اعتراضهم.ربما أضمروا نوعا من الحسد-تجسد بعدئذ فى إبليس حين استكبر عن السجود-و لذلك قال اللّه سبحانه:

وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ و فى القصه كلها رمز أخر لا بد ان نفصل القول فيه:

ان الملائكه هى المخلوقات الموكله بالحياه.فهناك ملائكه الرحمه و هناك ملائكه الغضب و ملائكه المطر و البحر و السحاب.و سجودهم لآدم(عليه السلام)هو رمز تسخير الطبيعه له.

و هناك أحاديث تدل على وجود ملائكه موكلين بالطبيعه نذكر فيما يلى طائفه منها:

-١

فى المناقب و تفسير القمى يروى صاحب تفسير الصافى عنهما (فى تفسير هذه الآيه« لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ» فيقول:من أن

يقع فى ركّى(ركّى:البئر و جمعه ركايا)أو يقع عليه حائط،أو يصيبه شىء حتى إذا جاء القدر خلّوا بينه و بينه يدفعونه الى المقادير،و هما ملكان يحفظانه بالليل و ملكان بالنهار يتعقبانه (۱).

۲-فى قوله:« وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» (۱۳الرعد)

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه سئل عن الرعد،فقال:«ملك موكل بالسحاب» (۲).

-۳

القمى عن الصادق عليه السلام : «ان أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن:الذاريات ذروا،قال:الريح،و عن الحاملات وقرا،قال:السحاب،و عن الجاريات يسرا، قال:هى السفن،و عن المقسمات أمرا،قال:الملائكه » (۳).

-۴

عن الرضا عليه السلام فى قوله فالمقسمات أمرا،قال: «الملائكه تقسم أرزاق العباد بين بنى آدم،ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس،فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه » (۴).

-۵

عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث طويل يصف الملائكه و يعدد الحجب قال:

«كل حجاب منها سبعون الف ملك،قوه كل ملك قوّه الثقلين،منها ظلمه، و منها نور،و منها نار و منها دخان،و منها سحاب،و منها برق،و منها مطر،و منها رعد،و منها ضوء،و منها رمل،و منها جبل،و منها عجاج،و منها ماء،و منها أنهار.. » (۵).

و هناك أحاديث كثيره تتحدث عن الحفظه،ملائكه الليل و النهار،ملك الموت،

۱- ۱) تفسير الصافى ج ۳ ص ۶۱

۲- ۲) نفس المصدر ج ۵ ص ۶۷

۳- ۳) المصدر ج ۵ ص ۶۷

۴- ۴) المصدر-

۵- ۵) المصدر

الرسل الـذين يرسـلون لنصـره المؤمنين،و إنزال السـكينه عليهم.و هى تـدل على ان الطبيعه و كلّ بها الملائكه.و هكذا سـخر اللّه الطبيعه للبشـر بعد ان زوّده بالعلم و اسجد الملائكه لآدم عليه السلام بسببه [۳۴] وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ السجود هنا رمز الخضوع كما كانت الملائكه موكله بالقوى الطبيعيه فى الحياه.

و امر الطبيعه ان تسخّر للإنسان فاستجابت كلها،و لكن بعضها لم يستجب فما هو ذلك البعض يقول اللّه سبحانه:

فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ من هو إبليس،و لماذا لم يسـجد،و لماذا اسـتكبر؟فى الآيات التاليه اجابه لهـذه الأسـئله و لكننـا نسـتبق السـياق لنقول:ان لكـل جانب من قوى الطبيعه ملكا موكلا به،و الملائكه كلهم سـجدوا لآدم،و من خلالـهم سـخّرت قوى الطبيعه كلهـا للإنسـان (بـالعلم)،و لكن هنالـك ما و كل بقوه طبيعيه لم يسـجد للإنسان،و على الإنسان ان يخضعه و ليضمن سجوده فمن هو؟و ماذا يمثل من الطبيعه؟ انه إبليس،الموكل بطبيعه الإنسان ذاته(النفس الاماره بالسوء).

فاذا اخضع الإنسان طبيعته التى و كلّ بها إبليس،و جعلها تسجد له انئذ استطاع ان يسخر الحياه كلها.

بيـد ان أكـثر النـاس يغفلون عن هـذه الحقيقه فتصـرعهم طبيعتهم،و منهم بـالطبع أبونـا آدم فى قصه الخطيئه الاـولى فلننظر كيف صرعته طبيعته،و خدعه ابليسه؟ [۳۵] وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما

وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَكُونٰا مِنَ الظّالِمِينَ [۳۶] فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰانُ عَنْهٰا فَأَخْرَجَهُمٰا مِمّٰا كٰانٰا فِيهِ ان إبليس أزل أبانا آدم و زوجه،و لكن بماذا،بتلك الطبيعه الموجوده عندهما، فاخرجا من الجنه و ابعدا عن الطبيعه المسخره لهما.و هكذا سوف يزل إبليس أبناء آدم،و يبعدهم عن الجنه فى الآخره،و عمّا سخر اللّه للإنسان فى الحياه من النعم.إذا أطاعوه.

ما هى هذه الشجره التى نهى اللّه آدم عن الاقتراب إليها،هل كانت شجره التفاح،أم العنب،أم كانت الحنطه،أم ماذا؟ليس المهم ان نفهم ذلك بل المهم ان نعرف العبره من وراء القصه،و هى:ان فى الطبيعه أشياء تضر الإنسان و قد نهى اللّه عنها،و على الإنسان ان يبتعد عنها حتى يتمكن من الاستمرار فى تسخير الحياه.

و لكن إبليس يثير النفس الاماره بالسوء،و لا يدع الإنسان حتى يدفعه الى تلك الأشياء المنهى عنها الضاره.و هنا يطرح هذا السؤال:

كيف يخرج الإنسان من جنه النعم حين يرتكب الخطيئه و يتبع الشيطان و النفس الاماره بالسوء؟ الجواب هناك طرق شتى:و لكن أبرزها هبوط الإنسان الى مستنقع الخلافات البشريه حيث يبدأ الناس بظلم بعضهم البعض.

وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتٰاعٌ إِلىٰ حِينٍ [۳۷]و فى مواجهه الصراع بين البشر بعضه مع البعض،و فى مواجهه الطبيعه الشريره المدعومه بإبليس فى داخل النفس البشريه،يصاب الإنسان بالضعف

و الجهل.و هنا تسعفه رسالات اللّه بالهدى،فمن تمسّک بهذا الهدى نجّى،و من لم يتمسک ضل ضلالا مبينا.

اما أبونا آدم-عليه السلام-فقد تمسّک به جيّدا مما يبشّر بأن المطاف سينتهى بانتصار الإنسان على طبيعته الشريره بفضل هدى الرب سبحانه.

فَتَلَقّٰى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمٰاتٍ فَتٰابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ ماذا كانت تلک الكلمات لعلّها كانت رساله اللّه الى آدم حسب حاجاته و حاجات مجتمعه الناشئ،و فى النصوص المأثوره:انها كانت أسماء النبى محمد صلى الله عليه و آله و آله حيث دعا بهم آدم ربه فاستجاب له دعاءه.

[٣٨]و أصبحت تلک سنه اللّه تعالى انه يبعث رسالته الى الناس لينقذهم من طبيعتهم الشريره و من صراعهم مع بعضهم..

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهٰا جَمِيعاً فَإِمّٰا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فعلى الجميع اتباع ذلک الهدى.

فَمَنْ تَبِعَ هُدٰاىَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من المستقبل.

وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ للماضى.

[٣٩] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ

ص:١٣٥

و هـذه هى عبره القصه كلهـا..ان اللّه سـخّر للإنسان ما فى الأرض بالعلم،ثم سـلّط عليه إبليس،و المنقـذ من إبليس هو هـدى،اللّه فمن تبعه نجّى،و من كفر و كذب به فان مصيره الى النار خالدا فيها.إلاّ ان يتوب الى اللّه قبل فوات الآوان.

ص:۱۳۶

[سوره البقره (۲): الآيات ۴۰ الى ۴۸]

اشاره

يا بَنِى إِسْرائِيلَ اُذْكُرُوا نِعْمَتِيَ اَلَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيّاىَ فَارْهَبُونِ (۴۰) وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً
لِما مَعَكُمْ وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَ إِيّاىَ فَاتَّقُونِ (۴۱) وَ لا تَلْبِسُوا اَلْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا اَلْحَقَّ وَ
أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴۲) وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاةَ وَ آتُوا اَلزَّكاهَ وَ اِرْكَعُوا مَعَ اَلرّاكِعِينَ (۴۳) أَ تَأْمُرُونَ اَلنّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ
اَلْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۴۴) وَ اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاهِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَهٌ إِلاّ عَلَى اَلْخاشِعِينَ (۴۵) اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ (۴۶) يا بَنِى إِسْرائِيلَ اُذْكُرُوا نِعْمَتِيَ اَلَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى اَلْعالَمِينَ (۴۷) وَ اِتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى
نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (۴۸)

اللغه

۴۴[البر]البر فى اللغه و الإحسان و الصله نظائر يقال فلان بار وصول محسن و ضد البر العقوق.

[تنسون]النسيان و السهو و الغفله نظائر و ضد النسيان الذكر و حقيقته غروب الشىء عن النفس بعد حضوره و قد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله تعالى« نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ» أى تركوا ذكر اللّه فخذلهم.

[تعقلون]العقل و الفهم و اللب و المعرفه نظائر و ضد العقل الحمق

ص:۱۳۷

و العقـال الربـاط يقـال عقلت البعير أعقله عقلا- إذا شـددت يـده بالعقـال و العقـل مجموع علوم لأجلهـا يمتنع الحر من كـثير من المقبحات و يفعل كثيرا من الواجبات.

۴۵[الصـبر]منـع النفس عـن محابهـا و كفهـا عـن هواهـا و منه الصـبر على المصـيبه لكـف الصـابر نفسه عن الجزع و منه جـاء فى الحديث و هو شهر الصبر لشهر رمضان لان الصائم يصير نفسه و يكفها عما يفسد الصيام.

[الخاشعين]الخشوع و الخضوع و الإخبات و التذلل نظائر و ضد الخشوع الاستكبار.إلا أن الخضوع فى البدن و الإقرار بالاستخدام و الخشوع فى الصدق و البعد.

ص:۱۳۸

هل نكون من الشاكرين؟

هدى من الآيات:

كـان بنـو إسـرائيل امـه مـؤمنه تشـبه الى حـد بعيـد الامه الاسـلاميه و كـان مـن الطـبيعى ان يطرح القرآن الحكيم قضـيتهم امـام المسـلمين،ليعتبروا بكل صـغيره و كبيره منها.و على لغه:إياك اعنى و اسـمعى يا جاره ضـمّن القرآن نصائـح قيّمه للمسـلمين من خلال حديثه عن بنى إسرائيل،و قد يصرّح بتلك النصائح تصريحا.

و تبـدأ هـذه القصه،التى تروى حياه بنى إسـرائيل،بالتذكير باهميه نعمه الهدايه، ذلك لأنّ الله سـخّر ما فى الأرض للبشـر،و اعطى الإنسـان الأدوات الكافيه لاسـتغلالها،و لكنّ المشـكله التى تكمن فى الإنسان هى(الضـلاله)الفكريه التى لا تـدعه يسـتثمر طاقاته ليسـخر الحياه بها،و لذلك يعتبر إنقاذ الإنسان من ضـلالته مفتاحا لاسـتخدام الحياه و تسخير طاقاتها فى خدمته.لقد عاش الإنسان على الأرض دهرا طويلا و لكنه لم يتقـدم عمليا نحو تسـخير الحياه كما تقدم اليوم لماذا؟لأنه لم يسـتثمر من قبل عقله و إرادته و قدرته.

ص:۱۳۹

و لکن یبقی السؤال لما ذا لم یفعل ذلک؟و الجواب لأنّه(ضل)و انشغل بالتوافه و الجدلیات الفارغه.

بینات من الآیات:

[۴۰]إذا کان لا بد من إنقاذ الإنسان من ضلاله قبل توجیه طاقاته الی الحیاه، و هذا الانقاذ هو أکبر نعمه لله علیه.من هنا قال الله لبنی إسرائیل:

یٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ انها نعمه الهدی التی تؤدی بالطبع الی سائر نعم الحیاه،و لکن نعمه الهدی و من ثم سائر النعم لا تبقی الا بعد التمسک بها،و الوفاء بالتزاماتها.من هنا قال ربنا لبنی إسرائیل:

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ ای تمسکوا بالهدی،أعطیکم سائر النعم.

و لکن الإنسان قد یتنازل عن نعمه الهدی تحت طائله الخوف من الطبیعه، الخوف من الطواغیت.الخشیه من ضیاع الشهوات و هکذا..

و لکنه لا یعلم ان ابتعاده عن الهدی سوف یجره الی مصاعب أکبر مما یخشی منه، و لذلک یذکّرهم القرآن بالقول:

وَ إِیّٰایَ فَارْهَبُونِ لا- تخشوا الطبیعه أو الناس أو الشهوات بل اخشون وحدی،و إذا زالت الخشیه من الناس و تحرر الإنسان من الخوف،زالت العقبه الاساسیه التی تعترض طریق

الایمان،و لکن تبقی عقبه العاده التی لا بدّ من تجاوزها.

[۴۱]أصعب ما یتعرض له المؤمنون من امتحان هو مقاومه العاده.المؤمن متعود علی طریقه معینه من السلوک،استنادا الی نصوص دینیه جاءت فی مرحله معینه من مراحل الحیاه،و لکن تتبـدل تلک المرحله و تتبـدل النصوص وفقا لـذلک،و لکن الفرد قد یظل أسیر عاداته السابقه،فعلیه ان یبذل المزید من الجهد حتی یقاوم عاداته السابقه و یلتزم بطاعه الله.

من هنا أخذ اللّه عهدا قاطعا من جمیع الأنبیاء،ان یصدقوا النبی الذی یأتیهم لاحقا و یتبعوه،و لا تأخذهم فی اتباعه أنفه أو عاده أو عزه بالإثم.حاشاهم.

و فی هذه الآیه یذکر اللّه بنی إسرائیل بذلک و یقول:

وَ آمِنُوا بِمٰا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَکُمْ إذ ما دامت الرساله واحده و الهدف لیس تحقیق مصالح ذاتیه،بل طموحات انسانیه عامه،فلا بـد ان یسـارع المؤمنون بالرسالات السابقه،الی الایمان بالرساله الجدیـده،و الا فسوف یـدفعهم التنافس الی ان یکونوا أول کافر بهذه الرساله،سعیا وراء کسب شارع المتدینین، و خوفا من فقدان قاعدتهم الایمانیه.کذا حذّر الله بنی إسرائیل قائلا:

وَ لاٰ تَکُونُوا أَوَّلَ کٰافِرٍ بِهِ و بین ان سبب الکفر المبکّر بالرساله قد یکون المصالح الذاتیه فقال:

وَ لاٰ تَشْتَرُوا بِآیٰاتِی ثَمَناً قَلِیلاً و قد یکون السبب الخوف من بعض أصحابهم من ذوی العقول المتحجره لذلک

قال الله لهم:

وَ إِيّٰايَ فَاتَّقُونِ ای اجعلوا تقواكم و خوفكم فقط منى و من عذابى و بطشى.

[۴۲]و بعد الكفر تبدأ سلسله من عمليات التزوير و التحريف،أولها خلط الحق بالباطل،و كتمان جانب من الحق و إظهار جانب آخر،بحيث يثبت حجه أهل الباطل.

ان صاحب الرساله يجب الا يخدع الناس فيظهر لهم الجوانب التى تبرر سلوكياته.و يخفى عنهم الجوانب التى تدين تصرفاته.و هذا ما سوف يقع فيه من لا يسارع الى إتباع الحق،حيث حذر القرآن قائلا:

وَ لاٰ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبٰاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [۴۳]و لكى لا يفعل صاحب الرساله هذه الجرائم،عليه ان يتوكل على الله، و يستعين به عن طريق الصلاه و الإنفاق.ذلك لان التنازل عن المصالح الشخصيه و الاستسلام المطلق للحق المتمثل فى الرساله الجديده ليس سهلا أبدا،بل هى بحاجه الى ما يدعمها من الصلاه و الزكاه.من هنا قال اللّه سبحانه:

وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرّٰاكِعِينَ و إذا كانت الصلاه لله فلما ذا تختلف صلاه عن صلاه،و معبد عن معبد، ليجتمع الكل فى صف واحد.ليركعوا لله الواحد الأحد،و ليمنعوا عن رساله الله كل مظاهر الماديه المقيته.

[۴۴]إذا لم يسارع المؤمن بالرسالات السابقه الى الايمان برساله الله الجديده،

فـانه يضـطر الى ممارسه الرياء و النفاق،و التظاهر بالتـدين و التنسک و العمل بالأهواء، ذلک لان الکفر بالرساله الجديـده،يجعله بلا دين حقيقى فيتظاهر بالتمسک ببعض القشور و ترک حقائق الدين.من هنا حذّر الله بنى إسرائيل و قال:

أَ تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ بينما كان المفروض على هؤلاء أصحاب الرساله ان يكونوا أكثر التزاما بالرساله من غيرهم لأنهم يعرفون الرساله.

وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتٰابَ و هـل يكفى قراءه الکتاب..بـالطبع لا،انمـا يجب التفکر فيه للاسـتفاده من جوهره،و ذلک هو العقل الـذى ينبغى الوصول اليه.

أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ [۴۵]كيف نحـارب النفـاق و التلوّن؟و كيف نقول بما نعمل و نعمل بما نقول و نتجاوز بالتالى المسافه بين الادعاء و الواقع؟الجواب:بالإرـاده القويه،و لكن كيف نقوى الاراده؟ان الاراده بحاجه الى تـدريب حتى تقوى،فهى كایّ شـىء فى الإنسان تنمو كلما استثمرها الإنسان أكثر فأكثر،العضلات تشتد بالرياضه و الاعصاب تقوى بمواجهه المشاكل،و الفكر ينمو باستخدامه،و هكذا الاراده تنمو كلما اسـتفاد الإنسان منها،جرب ذلک و صـمّم على القيام بعمل صـعب،انک سوف تجد صـعوبه فى ممارسته أول مره،و لكن كلّما قمت به أو قمت بأمثاله قلت صعوبته.

و الصّـلاه أفضـل اسـتثمار للاـراده و بالتالى أفضل وسـيله لتنميتها انک حين تصـلى لله،تقاوم الـذاتيه فى نفسک و تحارب طبيعه التقوقع داخل زنزانه المصالح و بتعبير أوجز تحارب الشيطان بكل جنوده.

و حين الصلاه تهجم عليك وساوس الشيطان لتبعدك عن الاتصال بالله فتراك تركز نظرك فى الله و الشيطان يصرفك الى اى شىء أخر غير الله.الى الدراسه الى التجاره الى مشاكل البيت و..و..و لا تزال فى حاله حرب حتى تنتهى الصلاه و هكذا سمى محل اقامه الصلاه(محرابا)لأنه فعلا موقع حرب.

و هكذا تكون الصلاه تجربه للاراده و ممارسه لها،بالاضافه الى انها تقربك الى الله رب كل شىء مما يشيع فى نفسك الثقه لمقاومه أسباب الضعف من الخوف و الرغبه.

و الصبر و من مظاهره العمليه الصيام و هو الآخر-تجربه للاراده-فهو يدع الإنسان يتطلع للمستقبل و لا يفكر فى حاضره فقط و الصبر بما يمثل من تطلع الى المستقبل بما فيها من ثقه بالله،قوتان هائلتان يجب الاستعانه بهما.

وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰةِ لمقاومه ضعفنا الداخلى، و لكنّ الاستعانه بالصبر و الصلاه،صعبه هى الاخرى فكيف نصبر و كيف نصلى؟الجواب:علينا ان نخشع و نذلل غرور أنفسنا و كبريائها الكاذب،بالتفكر الدائم فى الآخره حيث نتصور أنفسنا وقوفا امام الله فى المحكمه الكبرى،حيث« لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ».ان الخشوع يدفعنا الى الصبر و الصلاه،لذلك قال الله:

وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلاّٰ عَلَى الْخٰاشِعِينَ [۴۶]و الخشوع بدوره ياتى من(تصور)المعاد:

اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ

ص:۱۴۴

[۴۷]لـذلك يذكر الله بنى إسـرائيل بذلك اليوم الرهيب و بما أنعم عليهم من الهدى،و الذى تسـبب فى ان يصـبحوا أفضل الناس أجمعين فيقول:

يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [۴۸] وَ اتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لاَ هُمْ يُنْصَرُونَ فاذا كانت الحياه الدنيا هى هدف الإنسان،فعليه ان يتذكر انه لن ينالها إلّا بالتمسك بهدى الرساله.و إذا كانت الحياه الآخره هى الهدف الأسـمى، فلا بد ان نتقى يوما توضع فيه الموازين العادله،ليأخذ كل إنسان جزاءه،و لا يغنى عنه أحد شيئا،و لا يشفع له(الا بإذن الله)و لا يقبل عنه بديل،و لا يمكن ان ينصر الكافرون.

ص:۱۴۵

[سوره البقره (۲): الآيات ۴۹ الى ۶۲]

اشاره

وَ إِذْ نَجَّيْنٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ اَلْعَذٰابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۴۹)
وَ إِذْ فَرَقْنٰا بِكُمُ اَلْبَحْرَ فَأَنْجَيْنٰاكُمْ وَ أَغْرَقْنٰا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۰) وَ إِذْ وٰاعَدْنٰا مُوسىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اِتَّخَذْتُمُ اَلْعِجْلَ مِنْ
بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ (۵۱) ثُمَّ عَفَوْنٰا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۲) وَ إِذْ آتَيْنٰا مُوسَى اَلْكِتٰابَ وَ اَلْفُرْقٰانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
(۵۳) وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخٰاذِكُمُ اَلْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلىٰ بٰارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ
بٰارِئِكُمْ فَتٰابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِيمُ (۵۴) وَ إِذْ قُلْتُمْ يٰا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اَللّٰهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ اَلصّٰاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ (۵۵) ثُمَّ بَعَثْنٰاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۶) وَ ظَلَّلْنٰا عَلَيْكُمُ اَلْغَمٰامَ وَ أَنْزَلْنٰا عَلَيْكُمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْوىٰ كُلُوا مِنْ
طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ وَ مٰا ظَلَمُونٰا وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۵۷) وَ إِذْ قُلْنَا اُدْخُلُوا هٰذِهِ اَلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهٰا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ
اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطٰايٰاكُمْ وَ سَنَزِيدُ اَلْمُحْسِنِينَ (۵۸) فَبَدَّلَ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ اَلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنٰا
عَلَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ اَلسَّمٰاءِ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ (۵۹) وَ إِذِ اِسْتَسْقىٰ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اِضْرِبْ بِعَصٰاكَ اَلْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اِثْنَتٰا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنٰاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اِشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اَللّٰهِ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِي اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۶۰) وَ إِذْ قُلْتُمْ يٰا مُوسىٰ لَنْ
نَصْبِرَ عَلىٰ طَعٰامٍ وٰاحِدٍ فَادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنٰا مِمّٰا تُنْبِتُ اَلْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهٰا وَ قِثّٰائِهٰا وَ فُومِهٰا وَ عَدَسِهٰا وَ بَصَلِهٰا قٰالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ اَلَّذِي
هُوَ أَدْنىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مٰا سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اَلذِّلَّةُ وَ اَلْمَسْكَنَةُ وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اَللّٰهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كٰانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اَللّٰهِ وَ يَقْتُلُونَ اَلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ اَلْحَقِّ ذٰلِكَ بِمٰا عَصَوْا وَ كٰانُوا يَعْتَدُونَ (۶۱) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ هٰادُوا وَ اَلنَّصٰارىٰ وَ
اَلصّٰابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲)

اللغه

۴۹[فرعون]اسم لملک العمالقه کما يقال لملک الروم قيصر و لملک الفرس کسرى و لملک الترک خاقان و لملک اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفه.

[يسومونکم]السوم أصله الذهاب في ابتغاء الشيء،و هو إرسال الإبل في المرعى و بمناسبته للمعنى المحدد و للعلم هنا ان فرعون کان يرسلهم الى حيث العذاب السيء کما لو أرسل الإبل للمرعى..

و سوء العذاب هو أليمه و شديده.

[يستحيون]أي يستبقون.

[البلاء]الامتحان و الاختبار.

۵۰[فرقنا]الفرق هو الفصل بين شيئين إذا کانت بينهما فرجه و الفرق الطائفه.

ص:۱۴۶

۵۵[لن نؤمن لک]أی لن نصدقک.

[جهره]الجهر و العلامه و المعاینه نظائر یقال جهر بکلامه و بقراءته جهرا إذا أعلن و حقیقه الجهر ظهور الشیء معاینه.

[الصاعقه]علی ثلاثه أوجه«أحدها»نار تسقط عن السماء کقوله وَ یُرْسِلُ الصَّوٰاعِقَ فَیُصِیبُ بِهٰا مَنْ یَشٰاءُ ،و«الثانی»الموت فی قوله« فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ »و قوله فَأَخَذَتْکُمُ الصّٰاعِقَةُ و«الثالث»العذاب من قوله« أَنْذَرْتُکُمْ صٰاعِقَةً مِثْلَ صٰاعِقَةِ عٰادٍ وَ ثَمُودَ. » ۵۶[بعثناکم]البعث إثاره الشیء من محله و منه یقال بعث فلان

ص:۱۴۷

راحلته إذا أثارها من مبركها للسير،و منه يقال ليوم القيامه يوم البعث لأنه يثأر الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب.و أصل البعث الإرسال.

۵۷[ظلنا]الظله و الستره و الغمامه نظائر يقال ظللت تظليلا و الظل ضد الضيح و نقيضه.و ظل الشجره سترها و يقال لسواد الليل ظل لأنه يستر الأشياء.

[الغمام]السحاب و القطعه منها غمامه و انما سمى غماما لأنه يغم السماء أى يسترها و كل ما يستر شیء يسمى غمه.

ص:۱۴۸

۶۱[أدعوا]الدعاء أصله النداء.و كل من يدعو ربه فهو يناديه.

[تنبت]الإنبات إخراج النبات و أصله من الظهور فكأنه ظهر إذا أنبت.

[بقلها]البقل كل نبات ليس له ساق.و هو ما ينبته الربيع.

[فومها]الفوم الحنطه و قيل هو الثوم بابدال الثاء مكان الفاء.

[أدنى]أى أقرب و أدون كما تقول هذا شىء مقارب أو دون و يجوز أن يكون أدنى من الدناءه و هى الخسه.

[ضربت]أى فرضت و وضعت عليهم و الزموها،من قولهم ضرب الامام الجزيه على أهل الذمه.

[الذله]المشقه و الهوان.

[المسكنه]مصدر المسكين و المسكنه هنا مسكنه الفاقه و الحاجه و هى خشوعها و ذلها.

[باءوا]أى انصرفوا و رجعوا و لا يقال باء الا موصولا!إما بخير و إما بشر و أكثر ما يستعمل فى الشر،و يقال باء بذنبه يبوء به.

ص:١٥٠

هدی من الآیات:

لاـ تزال الآیات تتحدث عن ذات الفکره التی بدأها القرآن،حین ذکّر بانّ الذین یتمسکون بالرساله لاـ خوف علیهم و لا هم یحزنون،و یقص علینا من حیاه بنی إسرائیل قصصا،تدل علی ان رسالات اللّه کیف تقوم بدور المنقذ للإنسان المعذب و المحروم،کبنی إسرائیل فی عهد فرعون،ثم کیف یقود الأنبیاء هذا الإنسان الی بر الامان.

و من ثم کیف تربّی الرساله،الإنسان،ثقافیا،و اجتماعیا،و علمیا،و عمرانیا، لیتخلص من رواسب جاهلیته،ثم تنیر امامه صراط المدنیه،و تزوّده بوسائل الکلاء و الماء..

ثم کیف تهدد المدینه و الرخاء المجتمع الرسالی،فتحوّله الی مجتمع ضعیف متهاوی.

ص:۱۵۱

ابرز القرآن هنا دور الرساله الإلهيه فی تکوین الحضاره البشریه و من خلالها، و قد ذکّرنا ببعض العوامل الاخری التی نشیر إلیها إنشاء اللّه فیما یلی.

بینات من الآیات:

[۴۹]این کان بنوا إسرائیل؟ أبوهم الکبیر إبراهیم(علیه السلام)کان فی العراق ثم هاجر الی فلسطین.و لکن حفید إبراهیم یعقوب انتقل هو و أبناؤه الاثنی عشر الی مصر فی قصه یوسف.و دارت الأیام و تحولوا من شعب جاء مصر ملکا،الی طوائف محرومه،مستضعفه،و مستثمره من قبل فراعنه مصر.و کانوا بحاجه الی قائد و رساله،فأرسل اللّه موسی نبیا،و انزل معه التوراه رساله،فجّرت فیهم طاقاتهم،و قادهم عبر البحر الی جزیره سیناء،و من ثم الی فلسطین.هکذا استطاع الإنسان ان ینتصر علی المستغلین و الطواغیت بفضل الرساله الإلهیه.

و یذکّر القرآن بنی إسرائیل بهذه القصه،لیقول لهم:إنّهم لو ترکوا رساله اللّه، لعادوا مره اخری،امه مستضعفه محرومه.و هکذا یذکّر الامه الاسلامیه بهذه الحقیقه أیضا،و هی:ان التمسک بالهدی الذی أنزله اللّه،و التمحور حوله،هو الکفیل بضمان استقلالهم و حریتهم...یقول اللّه سبحانه:

وَ إِذْ نَجَّیْنٰاکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَکُمْ سُوءَ الْعَذٰابِ ای یذیقونکم عذابا ألیما یتمثل فیما یلی یُذَبِّحُونَ أَبْنٰاءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِسٰاءَکُمْ انهم کانوا یقتلون أبناء النساء الخادمات لکی لا تنشغل النساء عن خدمتهم.

أو کانوا یفعلون ما هو أعظم و أشد ضررا علی کرامه الإنسان.

ص:۱۵۲

وَ فِی ذٰلِکُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَظِیمٌ انه شر عظیم،و لکنه-بالرغم من ذلک-اختبار(بلاء)یمکن ان یتمخض عن اراده قویه فی التحدی و الصمود،و بالتالی فی التحرر الحقیقی.

[۵۰]و لکن لم یستطع بنوا إسرائیل الخلاص من کل تلک المأساه الا بفضل الرساله الإلهیه،إذ جاءت،و وحدتهم،و أنقذتهم من ویلات الطغاه.

وَ إِذْ فَرَقْنٰا بِکُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَیْنٰاکُمْ وَ أَغْرَقْنٰا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .

و کم هی رائعه ان ینظر المحروم الی جلاّده:تتقاذفه أمواج البحر،جزاء علی جرائمه.

[۵۱]الطاغوت انتهی و لکن آثار سیطرته لم تزل کامنه فی النفوس،و بارزه فی التصرفات،متمثله فی حاله الاستسلام و الهزیمه النفسیه و التعّود علی الخضوع.من هنا ترکهم قائدهم و منقذهم عده أیام،فلمّا عاد إلیهم فاذا بهم یسجدون للعجل.لأنهم لا یزالون عبیدا فی نفوسهم بالرغم،من تحررهم الظاهر.هؤلاء کانوا بحاجه الی ثوره ثقافیه قویه تحرر نفوسهم من الذل و الخنوع.کما کانوا بحاجه الی ثوره اجتماعیه تخلصهم من عبودیه الرأسمالیه العفنه التی کانت مرتبطه بنظام فرعون الطاغوتی.

و کانوا أیضا بحاجه الی ثوره علمیه ترفعهم عن حضیض المادیات،الی عالم التوحید الخالص.ثم انهم یحتاجون الی ثوره عمرانیه تهدیهم الی بناء المدن و زراعه الأرض.

و فیما یلی نجد کیف ان رساله اللّه فجرّت هذه الثورات فی واقع بنی إسرائیل حتی استطاعوا بناء امه مجیده.

الف:ذهب موسی الی طور سیناء،لیتلقی الوحی فلما عاد وجد قومه فی نکسه جاهلیه.

ص:۱۵۳

وَ إِذْ وٰاعَدْنٰا مُوسىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ هذه كانت مشكله عقائديه(إيديولوجيه)حلها موسى عليه السلام بإذن اللّه و قال اللّه تعالى:

[۵۲] ثُمَّ عَفَوْنٰا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [۵۳] وَ إِذْ آتَيْنٰا مُوسَى الْكِتٰابَ وَ الْفُرْقٰانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ماذا فعل موسى عليه السلام عفا عنهم بأمر اللّه ثم تلا-عليهم الكتاب(و فيه الرؤى العقائديه العامه)و الفرقان(و فيه التعاليم التفصيليه للحياه)فصحح بذلك رؤاهم و علمهم كيف يقتلعون من أنفسهم جذور الاستعباد حتى لا يعودوا الى عباده المال (العجل)مره اخرى هذه كانت ثوره ثقافيه.

[۵۴]باء:و لكن انتهاء عباده المال،من قبل أكثر الامه،لم تدل على انتهاء دور الثروه فى تهديد تحرر الامه اجتماعيا.إذ كانت هناك طبقه قد أشربت قلوبهم بحبّ العجل.و كانت الامه بحاجه الى عمليه تطهير،لتصفيه العناصر الخبيثه منها.

وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخٰاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلىٰ بٰارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بٰارِئِكُمْ فَتٰابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ [۵۵]جيم:و بقيت المشكله الثالثه هى التى نسميها بالمشكله الايدلوجيه، حيث كان لا بد من ثوره علميه توحيديه،تخلص الامه من رواسب الجاهليه الماديه، المتمثله فى تصور اللّه فى شىء مادى،و بالتالى تقديس الأشياء،انطلاقا من الباسها ثوب الالوهيه.و الامه لا تصبح متحرره بالكامل،الا إذا تحررت من تقديس اى شىء أو شخص من دون اللّه سبحانه.إذ لو لا ذلك لكانت الامه معرضه للاستعباد.

فالامه التی تقدّس الأصنام،لا بد ان تستعبدها الأصنام أو کهنه الأصنام.و الامه التی تؤله عیسی علیه السلام لا بد ان یستعبدها کهنه الکنیسه.و الامه التی تقدس الأولیاء علی أنهم قد دخلتهم روح من اللّه،لا بد ان یستعبدها المنتسبون الی أولئک الأولیاء.

من هنا حرصت الرساله الإلهیه علی إنقاذ البشریه من جاهلیه الشرک،لتصبح حره کریمه لا تقدس الا اللّه سبحانه.و لا تطیع الا من امر اللّه بطاعته.

وَ إِذْ قُلْتُمْ یا مُوسیٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّٰی نَرَی اللّٰهَ جَهْرَهً فَأَخَذَتْکُمُ الصّٰاعِقَهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .

اختار موسی من قومه سبعین رجلا-لیرافقوه الی الطور،و لکنهم سرعان ما استبدت بهم جاهلیتهم الاولی و قالوا:أرنا اللّه و الا سوف نعود کفارا.فاذا بصاعقه من السماء تحرقهم جزاء کفرهم الصریح.

[۵۶] ثُمَّ بَعَثْنٰاکُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ .

و کانت هذه الهزه کافیه لتصفیه نفوس هؤلاء من رواسب الشرک و تسبیح اللّه وحده.

[۵۷]دال:و بعد ان أنقذ اللّه بنی إسرائیل برسالته الکریمه عن مشاکلهم (استعباد فرعون،عبودیه العجل،طبقه أصحاب العجل،رواسب الشرک)أسبغ علیهم مختلف النعم المادیه و قال سبحانه:

وَ ظَلَّلْنٰا عَلَیْکُمُ الْغَمٰامَ وَ أَنْزَلْنٰا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْویٰ فهناک نعمه السکن و نعمه الغذاء.و المن هو الحلوی.و السلوی هو طیر معروف.

کُلُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاکُمْ

ص:۱۵۵

و لكنهم كفروا بأنعم اللّه..مثلما يحدثنا القرآن بعدئذ.

وَ مٰا ظَلَمُونٰا وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ انهم أرادوا الدخول فى المدينه،و كانت تلك نكسه لهم.إذ الاستقرار كان سيفقدهم الكثير من مزاياهم،و منها بالطبع حريتهم و قدرتهم على مواجهه أعدائهم.

و لكنهم تعبوا من حياه البدو،و أسلموا أنفسهم للخفض و الدعه.فقال لهم اللّه:

اهبطوا مصرا.

[۵۸] وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهٰا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً .

و لكى يضمن لكم الاستقرار فى المدينه فعليكم التزام الطاعه للّه،و التضرع و حسن السلوك.

وَ ادْخُلُوا الْبٰابَ سُجَّداً للّه وَ قُولُوا حِطَّةٌ اى توبه الى اللّه.

نَغْفِرْ لَكُمْ خَطٰايٰاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ .

[۵۹]و لكن،يبدو انهم لم يطبقوا تعاليم اللّه،فأخذوا يتكبرون و يسرفون و يقولون حنطه خير لنا من حطه..

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنٰا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمٰاءِ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ

ص:۱۵۶

متمثلا-فی نقص فی الثمرات،و خلاف عریض بینهم علی مغانم المدینه.حسبما یذکره القرآن فی آیه آتیه.و السبب فی ذلک الرجز هو فسقهم،و ابتعادهم عن تعالیم اللّه.

[۶۰]تلک کانت نعمه الاستقرار التی أسبغها اللّه علیهم،و لکنهم کفروا بها.

و هذه نعمه الماء الأشد ضروره للعمران یسبغها علیهم ربنا و یقول:

وَ إِذِ اسْتَسْقیٰ مُوسیٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصٰاکَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتٰا عَشْرَهَ عَیْناً قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُنٰاسٍ مَشْرَبَهُمْ لأنهم کانوا اثنتی عشره قبیله مختلفین.و کان من المفروض الا تتدخل حیاتهم مع بعضهم لوجود الحساسیات القدیمه بینهم.

کُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ و لکن مع توافر النعم تنمو عند الإنسان حاله الطغیان و یقوم بالاعتداء علی الآخرین،أو الإسراف فی استهلاک المواد.من هنا حذّرهم اللّه فقال:

وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ [۶۱]کان بنوا إسرائیل امه بدویه ثم تحضرت.و لکنها لم تستطع ان تقاوم سلبیات التحضر فاستعبدها فرعون فی مصر،و تجذرت بذلک حاله العبودیه فی نفوسهم.فأصبحوا ضعفاء جبناء مختلفین لا یثق بعضهم ببعض.ثم قادهم النبی موسی(علیه السلام)الی سیناء.و تربّی فی الصحراء جیل منهم استعادوا بعضا من خصائصهم الاولی التی تمیزوا بها حین کانوا بدوا.و لکن کثیرا من اثار مرحله العبودیه لم تزل فی نفوسهم.و حین طلبوا من نبیهم ان یأذن لهم بالعوده الی فلسطین و الاستقرار فی المدن،لم یکن فی صالحهم ذلک إذ ان اثار العبودیه و التی منها

الاختلافات المتجذره فی نفوسهم،کانت تهددهم بالانحراف مره اخری و تحطیم حضارتهم.

بید انهم أصروا علی ذلک فلما(هبطوا مصرا)عادت إلیهم سلبیات الحضاره کما یحدثنا عنها القرآن.

وَ إِذْ قُلْتُمْ یٰا مُوسیٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلیٰ طَعٰامٍ وٰاحِدٍ فَادْعُ لَنٰا رَبَّکَ یُخْرِجْ لَنٰا مِمّٰا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهٰا وَ قِثّٰائِهٰا وَ فُومِهٰا وَ عَدَسِهٰا وَ بَصَلِهٰا قٰالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِی هُوَ أَدْنیٰ بِالَّذِی هُوَ خَیْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَکُمْ مٰا سَأَلْتُمْ فهبطوا مصرا و شاعت فی أنفسهم صفات الجبن و اللاثقه و الفردیه،و فقدوا الروح العسکریه التی اکتسبوها فی الصحراء و کانت النتیجه..

وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّهُ و مع العبودیه السیاسیه تأتی العبودیه الاقتصادیه.إذ لا یستعبد الطغاه الناس الا لکی یستثمروا طاقاتهم،و یستفیدوا من خیراتهم.فضربت علیهم المسکنه أیضا.

وَ الْمَسْکَنَهُ وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ حتی کادوا یفقدوا قوتهم الیومی.و لکن لماذا؟لأنهم کفروا بمنهج اللّه فی الحیاه و ترکوا الالتفاف حول رسالتهم،و الانتماء إلیها،دون الانتماء الی العنصریات المقیته.و ترکوا الاهتمام بتعالیم الدین فی العمل الصالح و التعاون علیه،و الجهاد من أجل الدین.

و زادوا ضعفا و استسلاما حین حوّلوا عنفهم الی الداخل،فأخذوا یصفّون العناصر الخیره فیهم،و یقتلون الأنبیاء لأنهم یأمرونهم بالعوده الی رسالتهم.

ص:۱۵۸

و لم يكونوا يكفرون بآيات اللّه،و يقتلون النبيين لو لم يعصوا اللّه سبحانه منذ البدء،فى تنفيذ تعاليمه.إذ ان العصيان لا بد ان ينتهى بالكفر،كما ان الاعتداءات البسيطه ضد بعضهم تعاظمت حتى اعتدوا على المصلحين الكبار فى مجتمعهم و هم الأنبياء عليهم السلام.يقول اللّه سبحانه:

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كٰانُوا يَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمٰا عَصَوْا وَ كٰانُوا يَعْتَدُونَ ان كل امه تنتهى بانتشار روح العصيان و الاعتداء فيها،إذ تنمو هذه الروح الخبيثه حتى تقضى على قيم الامه و على الصفوه الصالحه فيها.و ماذا تبقى من الامه لو انتهت قيمها و رجالها الصالحون؟

و كلمه اخيره:

ان تعبير القرآن فى هذه الآيات يوحى إلينا بان اللّه هو مصدر كل نعمه ظاهره و باطنه،و هو كذلك مصدر الوحى.و علينا ان نقبل بهما معا(النعم و الوحى)و لا يمكن ان نقبل بواحده دون اخرى.

[۶۲]كيف اعتدى هؤلاء على بعضهم؟و عصوا ربهم فى ظلم بعضهم، و بالتالى فى الكفر باللّه و قتل أنبياء اللّه؟انهم حتى الأمس القريب كانوا امه صالحه؟ الجواب:

ان الاعتداء يبدأ فرديا،و ينشأ من نوازع ذاتيه شيطانيه(كاعتداء قابيل على هابيل)و لكن مع تطور الظروف،يتحول الاعتداء الى حاله اجتماعيه،و ذلك عن طريق تقولب الاعتداء فى إيديولوجيه عنصريه مقيته،توحى الى كل طائفه انها هى

شعب اللّه المختار،و ان اللّه أعطاها صلاحيه استعباد الآخرين.

و قد انتشرت هذه الأيدلوجيه الفاسده،فى بنى إسرائيل(كما يحدثنا القرآن الكريم فى أكثر من مناسبه)و اتخذت دعما لها من القشريه الدينيه، بالاعتماد على بعض النصوص المجمله و تفسيرها بما يتناسب مع العنصريه.

و جاء القرآن لينسف أسس العنصريه،و بالتالى:أسس الاعتداء المنظم على الآخرين فقال:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارىٰ وَ الصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ ان اللّه يريد الايمان و العمل الصالح و لا شىء وراءه،إذا دعنا نتنافس على هاتين القيمتين دون غيرهما.و يوم القيامه سيحكم اللّه بحكمه العادل.

ص:۱۶۰

[سوره البقره (۲): الآیات ۶۳ الی ۶۶]

اشاره

وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَکُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَکُمُ اَلطُّورَ خُذُوا ما آتَیْناکُمْ بِقُوَّهٍ وَ اُذْکُرُوا ما فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ (۶۳) ثُمَّ تَوَلَّیْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ فَلَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَکُنْتُمْ مِنَ اَلْخاسِرِینَ (۶۴) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ اَلَّذِینَ اِعْتَدَوْا مِنْکُمْ فِی اَلسَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَهً خاسِئِینَ (۶۵) فَجَعَلْناها نَکالاً لِما بَیْنَ یَدَیْها وَ ما خَلْفَها وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِینَ (۶۶)

اللغه

۶۳[میثاقکم]المیثاق هو مفعال من الوثیقه أما بیمین و أما بعهد أو غیر ذلک من الوثائق.

[الطور]الجبل و قیل هو اسم جبل بعینه ناجی اللّه علیه موسی بن عمران علیه السلام .

[بقوه]القوه القدره و هی عرض یصیر به الحی قادرا.

۶۴[تولیتم]أعرضتم و ولاه فلان دبره إذا استدبر عنه و جعله خلف ظهره ثم یستعمل ذلک فی کل تارک طاعه أمر و معرض بوجهه عنه و منه قوله« فَلَمّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا» .

۶۵[علمتم]أی عرفتم و منه قوله« لاٰ تَعْلَمُونَهُمُ اللّٰهُ یَعْلَمُهُمْ» أی لا تعرفونهم و اللّه یعرفهم.

[اعتدوا]أى ظلموا و جاوزوا ما حدّ لهم.

[السبت]يوم من أيام الأسبوع و قيل سمى سبتا لأنه يوم السبت خلق فيه كل شىء أى قطع و فرغ و قيل سمى بذلك لان اليهود يسبتون فيه أى يقطعون فيه أعمالهم و قيل هو مأخوذ من الراحه و منه قوله و جعلنا نومكم سباتا.و يقال للنائم مسبوت.

[خاسئين]الخاسئ المبعد المطرود.

۶۶[نكالا]النكال الإرهاب للغير و أصله المنع لأنه مأخوذ من النكل و هو القيد و سميت العقوبه نكالا لأنها تمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه من نزلت به.

[موعظه]الوعظ و أصله التخويف.

ص:۱۶۲

الميوعه فی تطبيق الأحكام

هدی من الآيات:

يحدثنا القرآن الكريم عن حاله الضعف التی تنتشر فی الامه،و أساليب معالجتها.و تتمثل هذه الحاله فی عده مظاهر:

أولها:العنصريه التی تحدثت عنها الآيتان السابقتان.

و الثانی:اللامبالاه و عدم الجديه فی التمسک بهدی الله.

و الثالث:قسوه القلب و عدم التأثر بنصيحه الصالحين.

و سوف يحدثنا القرآن الحكيم طويلا عن مرض الميوعه و قله الالتزام بالقيم و يضرب عده امثله من قصص بنی إسرائيل:

أولا:قصه الطور ثم قصه انتهاك حرمه السبت،ثم قصه البقره التی توانوا فی ذبحها.ثم يربط بين الميوعه و بين قسوه القلب فی أخر هذه المجموعه من الآيات.

ص:١٦٣

بينات من الآيات:

و الامه الاسلاميه اليوم تشبه الى حد بعيد بنى إسرائيل فى مرحلتهم تلك حين انتشرت فيهم المظاهر السلبيه من الميوعه و اللامبالاه و انتهاك حرمات الدين و علينا ان نعتبر بقصص بنى إسرائيل حتى لا ندفع الثمن مضاعفا.

[۶۳]فى ضحى نهار،وجد بنوا إسرائيل قطعه هائله من الجبل فوق رؤوسهم، تكاد تسقط عليهم،فهرعوا الى نبيهم،فقال لهم نبيهم:انه العذاب نازل عليكم هل تؤمنون بالله و تتمسكون بتعاليمه بجد.قالوا:بلى،فرفع عنهم العذاب،و لكنهم عادوا الى إهمالهم الاول فى تنفيذ التعاليم.

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ و لا تكونوا مائعين فى تلقى التعاليم أو فى تطبيقها.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [۶۴]و لكن بنى إسرائيل كانوا كأكثر الأمم حين يهبط عليهم العذاب من ربهم،يجأرون الى الله و يعودون الى قيمهم و تعاليم دينهم.و ما ان يرفع عنهم العذاب حتى يعودوا الى سابق عاداتهم.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخٰاسِرِينَ و لكن الله لا يهمل الإنسان الى الأبد فقد يأخذه بشده و هو غافل.

[۶۵]و من قصص بنى إسرائيل فى اللامبالاه و الميوعه فى تنفيذ القرارات..قصه

انتهاكهم حرمه السبت،حيث حرّم عليهم الصيد فيه و لكنهم اعتدوا فيه بغيا على أنفسهم،فاخذهم الله أخذا شديدا و قال:

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَهً خاسِئِينَ أذلاء.

[۶۶]انها سنه الله فى الحياه انه يمهل البشر مره بعد اخرى،فان لم يتب يأخذه ليصبح عبره لغيره.

فَجَعَلْناها نَكالاً لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها حيث انها أصبحت عذابا لمن سبق و عذابا لمن لحق بهم.

ان اى عذاب الهى سيكون قويا بالنسبه الى من ينزل عليهم مباشره و ستبقى آثاره فى المستقبل.و العذاب الالهى تعبير صادق عن عمل الإنسان نفسه و ترجمه لواقعه الفاسد لا أكثر.

و كل عمل يقوم به الإنسان سيخلّف آثاره السلبيه على مجتمعه الحاضر و على مستقبل الأجيال و لذلك على الإنسان ان يفكر مرتين قبل ان يقدم على اى عمل حتى لا يؤثر عمله فى الآخرين سلبيا.كما ان على الناس ان يعرفوا ان اى عمل يقوم به فريق منهم سوف تنعكس آثاره عليهم جميعا..فيأخذوا على أيديهم بشده و جديه.

اما المتقون فإنهم المستفيدون الوحيدون من عذاب هذا الفريق لأنهم يعتبرون به و يحولونه الى جزء صالح فى سلوكهم و تفكيرهم لا أن يكرروه مره اخرى.

وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِينَ

ص:۱۶۵

[سوره البقره (۲): الآيات ۶۷ الی ۷۳]

اشاره

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اَللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ اَلْجاهِلِينَ (۶۷) قالُوا اُدْعُ لَنا
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (۶۸) قالُوا اُدْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا
ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ اَلنّاظِرِينَ (۶۹) قالُوا اُدْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ اَلْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنّا إِنْ
شاءَ اَللّهُ لَمُهْتَدُونَ (۷۰) قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ اَلْأَرْضَ وَ لا تَسْقِي اَلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قالُوا اَلْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ
فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ (۷۱) وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها وَ اَللّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (۷۲) فَقُلْنا اِضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ
يُحْيِ اَللّهُ اَلْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۷۳)

اللغه

۶۷[هزوا]الهزء اللعب و السخريه.

[أعوذ باللّه]الجأ الی اللّه و حقيقته استدفاع ما يخاف من شره.

۶۹[فاقع]أی شديده الصفره.يقال أصفر فاقع و أحمر ناصع.

۷۱[ذلول]يقال للدابه قد ذللها الركوب و العمل دابه ذلول.

[تثير]الاثاره إظهار الشیء انکشف و أثار الأرض حرثها.

[الحرث]کل أرض ذللته للزرع،و الحرث قذف البذر فی الأرض للازدراع.

[مسلمه]مبرأه من العیوب.

[لا شیه]اللون فی الشیء یخالف عاده لونه و لا شیه فیها.أی لا وضح منها یخالف لونها.

۷۲[ادارأتم]اختلفتم و أصله تدارأتم و أصل الدرأ الدفع و منه الحدیث ادرأوا الحدود بالشبهات و منه قوله« وَ یَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذٰابَ ».

ص:۱۶۷

هدی من الآیات:

عند ما تنتشر فی الامه روح التکاسل،تبدأ بالالتفاف علی الأحکام الشرعیه، لتنفلت منها أنّی استطاعت.فتراها تتشبث بطائفه من القشریات و تجعلها بدیله عن الحقائق الواقعیه.و قصه بنی إسرائیل مع البقره تمثل هذه الحاله فیهم.

و قصه البقره تدل علی ان بنی إسرائیل لم یصبحوا آنئذ کفارا بالرساله جمله واحده،بل بالعکس کانوا یریدون تطبیق تعالیم اللّه.بید ان التردد و الضعف واضح فی تصرفاتهم مما یجعلهم یؤخرون تنفیذ الواجبات،تحت غطاء التشبث بقشور التعالیم. فهم کانوا یتساءلون عن لون البقره،و طبیعتها،و مقدار عمرها،و سائر خصائصها..بینما ترکوا الجوهر-و هو ذبح البقره-کذلک الامه الاسلامیه فی بعض مراحلها المتأخره من تاریخها،کانت تتوغل فی التفاصیل و تترک روح التعالیم و الاهداف المتوخاه من ورائها.

بينات من الآيات:

[۶۷] وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً فى البدايه استغربوا من الطلب و زعموا انها هزو لمجرد انهم لم يعرفوا فلسفه الحكم.

قٰالُوا أَ تَتَّخِذُنٰا هُزُواً بالرغم من ان موسى عليه السلام كان جديا مع قومه و صارما،و لكن بنى إسرائيل كانوا قد أصيبوا بضعف فى الايمان.الايمان الذى يريد من صاحبه التنفيذ من دون سؤال و دون البحث عن العلل و الاهداف،لذلك قال لهم موسى:

قٰالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجٰاهِلِينَ [۶۸]و هنا بدأت سلسله التساؤلات التى استهدفت معرفه خلفيات الحكم و اهدافه البعيد المختلفه.

قٰالُوا ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنٰا مٰا هِيَ هل هى بقره كسائر الابقار؟أم هى بقره معينه؟و هنا شدد الله عليهم و قال لهم موسى:

إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهٰا بَقَرَةٌ لاٰ فٰارِضٌ قد أكلتها السنون و أنهكتها الحياه.

وَ لاٰ بِكْرٌ

صغیره السن.إنما هی بین البکر و الفارض مما عبّر عنه القرآن ب.

عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ ثم شدد علیهم بتطبیق الأمر بحزم و قال:

فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ [۶۹]و لکنهم عادوا یتساءلون انطلاقا من تشبثهم بالقشور.

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها شدیده الصفار ثم زاد علیهم شرطا آخر و قال:

تَسُرُّ النّاظِرِینَ بسبب اکتمالها و سلامه بنیتها.

[۷۰]عادوا مره ثانیه یسألون عن ذات البقره.

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَیْنا و هنا انتبهوا الی ان اسئلتهم قد تعنی عند موسی علیه السلام انهم لا یریدون تنفیذ الأمر و کان هذا هو الواقع بالرغم من ادعائهم غیر ذلک فقالوا:

وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّهُ لَمُهْتَدُونَ [۷۱]قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِیرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِی الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ

ص:۱۷۰

فى لون واحد.

لاٰ شِيَةَ فِيهاٰ لا يكون فيها لون غير لونها الاصلى.

فَذَبَحُوهاٰ وَ مٰا كٰادُوا يَفْعَلُونَ لأنهم تحولوا من مجتمع الايمان الـذى ينطلق من واقع الثقه بالقياده و تنفيذ أوامرها فورا،الى مجتمع الجدل و محاوله فهم علل الأحكام و أسبابها و طريقه تنفيذها.

[۷۲]و بعد ان ذبحوها بيّن لهم الله سر الأمر،و ان تساؤلاتهم لم تكن صحيحه أبدا،و ان القضيه كانت ترتبط بقصه القتيل الذى لم يعرف قاتله و الذى يقول عنه ربنا:

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّٰارَأْتُمْ فِيهاٰ وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ لقـد أصبح مجتمعهم فاسدا،و قد برعوا فى تنفيذ الجرائم حتى انهم لا يخلفون أثرا يدل على فاعلها،و قد ابتعدوا عن مسئوليه المحافظه على الأمن،فأخذوا يكتمون عن السلطات الشرعيه اخبار البلد بيد ان الله يقول لهم و بصراحه:

وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [۷۳] فَقُلْنٰا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهٰا كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتىٰ وَ يُرِيكُمْ آيٰاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فلما ضربوا عضوا من أعضاء القتيل ببعض لحم البقره الذبيحه،أحيى الله القتيل،و بين من قتله و انتهت المشكله.

ص:۱۷۱

الخلاصه:

ان قصه البقره تبین لنا جانبا من جوانب الضعف الایمانی الذی أصاب بنی إسرائیل و لکن هذا الضعف لا یزال هینا بالنسبه الی ما ینتظرهم فی المستقبل حیث یکادون یفقدوا الایمان رأسا.

و القرآن یحذرنا-بذلک-من ان الضعف الایمانی المتمثل فی التوانی عن تطبیق الأوامر قد ینتهی بصاحبه الی مرحله اخطر هی الابتعاد کلیا عن الایمان،و ذلک فی المجموعه التالیه من الآیات.

ص:۱۷۲

[سوره البقره (۲): الآیات ۷۴ الی ۷۹]

اشاره

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ فَهِیَ کَالْحِجٰارَهِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً وَ إِنَّ مِنَ اَلْحِجٰارَهِ لَمٰا یَتَفَجَّرُ مِنْهُ اَلْأَنْهٰارُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا یَشَّقَّقُ فَیَخْرُجُ
مِنْهُ اَلْمٰاءُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا یَهْبِطُ مِنْ خَشْیَهِ اَللّٰهِ وَ مَا اَللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۷۴) أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ یُؤْمِنُوا لَکُمْ وَ قَدْ کٰانَ فَرِیقٌ مِنْهُمْ
یَسْمَعُونَ کَلاٰمَ اَللّٰهِ ثُمَّ یُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مٰا عَقَلُوهُ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ (۷۵) وَ إِذٰا لَقُوا اَلَّذِینَ آمَنُوا قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلاٰ بَعْضُهُمْ إِلیٰ بَعْضٍ
قٰالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِمٰا فَتَحَ اَللّٰهُ عَلَیْکُمْ لِیُحَاجُّوکُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّکُمْ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۷۶) أَ وَ لاٰ یَعْلَمُونَ أَنَّ اَللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا یُسِرُّونَ وَ مٰا یُعْلِنُونَ
(۷۷) وَ مِنْهُمْ أُمِّیُّونَ لاٰ یَعْلَمُونَ اَلْکِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِیَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ یَظُنُّونَ (۷۸) فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ یَکْتُبُونَ اَلْکِتٰابَ بِأَیْدِیهِمْ ثُمَّ یَقُولُونَ هٰذٰا
مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ لِیَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِیلاً فَوَیْلٌ لَهُمْ مِمّٰا کَتَبَتْ أَیْدِیهِمْ وَ وَیْلٌ لَهُمْ مِمّٰا یَکْسِبُونَ (۷۹)

اللغه

۷۴[قست]القسوه ذهاب اللین و الرحمه من القلب و القسوه الصلابه فی کل شیء و نقیضه الرقه.

[غافل]الغفله السهو عن الشیء و هو ذهاب المعنی عن النفس بعد حضوره.

۷۵[أ فتطمعون]الطمع تعلیق النفس بما نظنه من النفع و نظیره الأمل و الرجاء و نقیضه الیأس.

[فریق]جمع کالطائفه.

ص:۱۷۳

۷۶[أ تحدثونهم]الحديث و الخبر و النبأ نظائر مشتق من الحدوث و كأنه إخبار عن حوادث الزمان.

[فتح]الفتح فى الأصل فتح المغلق و قد يستعمل فى مواضع كثيره فمنها الحكم يقال:اللهم أفتح بيننا و بين فلان أى أحكم.و منها القضاء يقولون متى هذا الفتح؟و منها النصره يقال استفتحه أى اطلب منه النصر و يستعمل فى فتح البلدان.

[يحاجوكم]المحاجه و المجادله و المناظر نظائر فالمحاجه أن يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه.

۷۸[أميون]الامى الذى لا يحسن الكتابه.و انما سمى أميا لأحد وجوه«أحدهما»أن الامه الخلقه فسمى أميا لأنه باق على خلقته و«ثانيها»أنه مأخوذ من الامه التى هى الجماعه أى هو على أصل ما عليه الامه فى عدم الكتابه.و«ثالثهما»أنه مأخوذ من الام أى هو على ما ولدته أمه من أنه لا يكتب.

[أمانی]التمنی تقدیر سیء فی النفس و تصویره قبل ذلک یکون عن تخمین و ظن و أکثر التمنی تصور ما لا حقیقه له و الامنیه الصوره الحاصله فی النفس من تمنی الشیء..فهم یتمنون علی اللّه ما لیس لهم مثل قولهم« لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ إِلاّ أَیّاماً مَعْدُودَهً ».

[یظنون]الظن هو ترجیح أحد الجانبین علی الآخر لاماره صحیحه و فی الناس من قال هو إعتقاد أو تصور.

۷۹[فویل]الویل فی اللغه کلمه یستعملها کل واقع فی هلکه و أصله العذاب و الهلاک و قیل هو التقبیح و منه و لَکُمُ الْوَیْلُ مِمّا تَصِفُونَ .و قیل معناه الحزن، و قیل الهوان و الخزی.

[یکسبون]الکسب العمل الذی یجلب به نفعا أو یدفع به ضررا.

ص:۱۷۵

اليهود بين

اشاره

تضليل الأحبار و أمانىّ الجهله

هدى من الآيات:

تجاوزت بنو إسرائيل مرحلتين حتى الآن،مرحله الثورات الأربع،ثم مرحله الضعف الايمانى.و ها هم يدخلون فى المرحله الثالثه و الاـخيره و هى مرحله قسوه القلب التى تـأتى نتيجه لضـعف الايمان و هى متصـله بالعنصـريه التى سوف يتحـدث عنها القرآن فى المجموعه التاليه من الآيات.

ان قسوه القلب تنشـأ من عبـاده الـذات،و قـد يكون قسـاه القلب علماء بالـدين، الا ان العلم وحـده لا يكفى،بل من الضـرورى ان يـدعم العلم ايمان صادق و احساس عميق بالمسؤوليه.بل من الممكن ان يكون العلم واحـدا من الأسـباب التى تساعد على قسوه القلب،إذا توجه بصاحبه الى الاسـتكبار و الترفع عن سـماع النصـيحه.العلم جيـد إذا كان له بعـدان،بعد فى الداخل هدفه إصـلاح الذات.و بعد فى الخارج هدفه إصلاح المجتمع.و العلم ذو البعد الواحد يذهب بصاحبه بعيدا عن الله بعيدا عن الالتزام بمسئوليته.

ص:۱۷۶

من هنا يركز القرآن الحكيم فى هـذه المجموعه من الآيات على ان مشكله بنى إسرائيل فى هذه المرحله لم تكن متمثله فى قله علمهم بالدين،بل فى استثمار هذا العلم فى سبيل مصالحهم الذاتيه و توجيهه حسب أهوائهم.

صحيح ان بعضهم أيضا أميون،و لكن البعض الآخر كان يتعمد تحريف الكتاب بكل صلافه.و القرآن يركز الضوء على هؤلاء لأنهم هم السبب المباشر لتضليل الأميين.

بينات من الآيات:

قسوه القلب:

[۷۴]ان قسوه القلب جاءت بعد مرحله الاستخفاف بتعاليم الدين، و الالتفاف حولها،و التشبث بقشورها.و لذلك قال الله سبحانه:

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجٰارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً كيف أصبحت قلوبهم أشد قسوه من الحجاره؟ لان الحجاره قد تفيض بالعطاء كثيرا أم قليلا و تؤدى بذلك دورا فى الحياه اما الإنسان الذى يقسو قلبه فأنّه(و العياذ بالله)لا يعترف لنفسه بأى دور ايجابى فى الحياه و لا يلتزم بايه مسئوليه فيها.

وَ إِنَّ مِنَ الْحِجٰارَةِ لَمٰا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهٰارُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمٰاءُ كما ان الحجاره قد تخشع لله و لسننه فى الحياه.

وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ

بيد ان القلب القاسى لا يخشع لله أبدا.ثم يهدد الله أصحاب هذه القلوب القاسيه و يقول:

وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ [۷۵]ثم يحدثنا القرآن عن ان مشكله هؤلاء ليست فى انهم لا يعلمون،بل فى انهم لا يؤمنون و يقول:

أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ان كل شروط العلم متوفره فى هؤلاء.السماع للعلم المتمثل فى الوحى،ثم التعقل ثم العلم و لكنهم مع كل ذلك يحرفون كلام الله بغيه الحصول على بعض المكاسب الماديه.

[۷۶]و اخطر من ذلك نفاقهم الذى يبدو من تصرفهم الماكر مع المؤمنين الصادقين،حيث انهم يرفضون الايمان فى الواقع،اما فى الظاهر فيدّعون انهم مؤمنون.

وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا و ذلك كسبا لبعض المغانم من هؤلاء المؤمنين الذين غالبا ما يكونون من البسطاء من اتباع موسى عليه السلام،الذين يفرض عليهم الأحبار و الرهبان إتاوات باسم الدين.

و الغريب فى تصرف هؤلاء انهم عند ما يختلون الى بعضهم ينفتحون على بعضهم و يعترفون على أنفسهم بأنهم يحرفون كلام الله عمدا،مع العلم المسبق بأنه كلام الله

و ان تحريفه يضربهم،و لكنهم يحاولون منع ايه حقيقه عن الناس حتى لا تصبح ماده احتجاج عليهم فى الواقع،و لكى لا تكتشف فضائحهم.و لكن القرآن يفضحهم و يقول:

وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ من العلم.

لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ [٧٧] أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ و انه سوف يفضحهم عاجلا أم آجلا.

ان هذه هى حاله الطائفه الذين من المفروض ان يكونوا الموجّه الدينى لبنى إسرائيل،أنها تتردى الى الحضيض السافل،حيث تتفق كلمتهم على تجهيل الناس للسيطره عليهم و ابتزازهم و استغلال سذاجتهم.و هذه اخطر ما يمكن ان يهبط اليه مستوى امه رساليه كبنى إسرائيل،حيث تتحول مراكز توجيههم و هدايتهم الى بؤر لنشر الجهل و الضلاله.

و يبدو من الآيه الكريمه.و آيات قرآنيه أخرى:أن تحريف الكتاب قد تم عند اليهود بصوره منظمه و واعيه،و بتخطيط شامل.و هكذا يحدثنا التاريخ أن علماءهم حين لم يجدوا-من جهه-إقبال الناس على دينهم.و ازداد-من جهه ثانيه- ضغط السلطات عليهم،حرّفوا الدين بما يتناسب و الخرافات المنتشره بين الناس.

و حذفوا منه البنود التى تعارض السلطات،و أضافوا اليه افكارا استسلاميه مثل ما للّه للّه.و ما لقيصر لقيصر.و انما أرادوا-بذلك- تكثير عدد الأنصار حولهم،و رفع غائله الظلم عن أنفسهم.

و نرى علماء اليهود و النصارى يحرفّون حتى اليوم دينهم،ليكيفوه مع ثقافات العصر و اتجاهات السياسه.حتى أن التقارير الأخيره ذكرت انّ الكنيسه الكاثوليكيه دعت بعثاتها التبشيريه فى افريقيا الى خلط الدين المسيحى بثقافات الوثنيه الافريقيه،لضمان إقبال الشعوب الافريقيه على الدخول فى كنائسهم.

[۷۸]اما بقيه الناس فهم أميون،تحول الكتاب فى واقعهم الى أمانى و تقليد الأحبار و الرهبان ترى ما هى الأمانى.و ما هو الظن

الكتاب بين الحلم و التقليد:

بناء على ما سبق فان الكتاب عند هؤلاء مجرد أمانى و أحلام،و ربما ظنون و تقاليد.أنه حسب تعبير القرآن الدقيق،مجرد امانى يتسلى بها الضعفاء،و يتغنى بحروفه المكروبون و المحرومون.بدل ان يكون صاعقا يفجر طاقاتهم،و حافزا يثير عقولهم و نظاما لتوجيه حياتهم و علاقاتهم.

انظر الى السياق كيف يعبر عن حاله هذه الطبقه السحيقه.

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاٰ يَعْلَمُونَ الْكِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِيَّ يعنى ان الكتاب فى نظرهم أصبح مجرد أحلام يمنون أنفسهم بها دون القيام باى نشاط حقيقى من أجل تحقيق اهداف الكتاب.

وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَظُنُّونَ و هؤلاء لا يستثيرون عقولهم ليفكروا أو ليبدعوا،انما يستثيرون بالكتاب خيالهم ليتصوروا و ليحلموا به.و يحتمل ان يكون المعنى من الظن هذا التقليد.

ص:۱۸۰

[۷۹]ان هؤلاء الأميين مقصرون لا ريب فی ذلک.الا ان وزرهم الأکبر یقع علی عاتق أولئک الذین ضللوهم و حرفوا معانی الکتاب حتی حولوه الی ماده تخدیر، من بعد ان کان ماده تفجیر.و حولوه الی مثیر أحلام،من بعد ان کان مستثیرا للعقل و منهجا للفکر. لذلک یحدثنا القرآن عن هؤلاء فور ما ینهی حدیثه عن الأمیین و یقول:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً و هؤلاء هم أولئک المحرفون الذین سبق الحدیث عنهم،انما یکرره القرآن لیلقی علیهم بمسؤولیه ضلاله الأمیین و لیقول ان الهدف من التحریف انما هو الحصول علی المکاسب المادیه التافهه.تلک المکاسب التی لا تهنأ لهم و تلک الحرفه التی سرعان ما تتحول الی نقمه.

فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ أی کسب مبارک تلک الحرفه التی تؤدی بانحراف الملایین من الناس،و تجعلهم عرضه للاستغلال و الاستعباد؟! ان الطغاه یریدون أبدا ان یتحکموا فی مصیر الضعفاء.و الطریق الوحید لحمایه الضعفاء من الطغاه،هو تسلیحهم بفکره ثوریه تعلمهم کیف یجب ان یحافظوا علی کرامتهم،و یستردوا حریتهم.و الدین هو تلک الفکره الثوریه،و العلماء هم أمناء الله علی هذه الفکره.فاذا خان هؤلاء مسئولیتهم،فای جریمه کبری یقترفون،حیث یجردون ملایین الضعفاء من سلاحهم الوحید،و یترکون الطغاه یستغلونهم.بل انهم یساهمون فی هذا الاستغلال مباشره عبر تفسیرهم التحریفی للدین.

بین الامانی و الظنون:

قالوا عن الامانی:إنّها ما یتخیله الإنسان فیقرر فی نفسه وقوعه و یحدثها بکونه، و من هذا قولهم:فلان یعد فلانا و یمنّیه.و منه قوله تعالی:« یَعِدُهُمْ وَ یُمَنِّیهِمْ،وَ مٰا یَعِدُهُمُ الشَّیْطٰانُ إِلاّٰ غُرُوراً» و حکی عن الاعرابی انه قال لمن حدثه:أ هذا شیء رویته أم تمنیته أم اختلقته.

و فی الکشاف (۱)فی تفسیر الآیه:

ذکر العلماء الذین عاندوا بالتحریف مع العلم ای قوله« لاٰ یَعْلَمُونَ الْکِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِیَّ »ثم العوام الذین قلدوهم و بنی علی ذلک انهم فی الضلال سواء.

و فی تفسیر غریب القرآن ای لا یعلمون الکتاب الا ان یحدثهم کبراؤهم بشیء فیقبلون،و یظنون انه الحق و هو کذب و قد قال أحدهم:ما تفنّیت و لا تمنّیت، ای ما اختلقت الباطل.

و لکن یبدو ان الآیه تتحدث أساسا عن الأمیین و کیف انهم یعیشون علی الامانی و الظن و علی هذا یحتمل ان تکون الامنیه من أنفسهم و الظن بسبب التقلید أو أن تکون الامانی بمعنی التلاوه علیهم،کما نقل انه أحد معانی هذه الکلمه و انشدوا.

تمنی کتاب الله أول لیله و اخره لاقی حمام المقادر

۱- ۲) فی الکشاف ج ۱ ص ۱۵۷

و لان القرآن يفسر بعضه بعضا،فان السياق القرآنى القادم أوضح بيان لهذه الكلمه.حيث يقول ربنا سبحانه و تعالى: وَ قٰالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّٰارُ إِلاّٰ أَيّٰاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ ان تفسير الكتاب وفق ما يتمنونه،أو بتعبير أخر:حمل آيات الكتاب على آرائهم الموافقه لاهوائهم،و بالذات فيما يرتبط بتبرير فسادهم و خداع أنفسهم بان العذاب لا يشملهم،لأنهم أبناء الله و احباؤه،أو لأنهم من أولاد الأنبياء الكرام أو ما أشبه.

و الواقع يعتبر هذا أوضح معانى الامنيه.

و من هنا نعرف بلاغه التعبير القرآنى،حيث يقول ربنا سبحانه و تعالى: «لاٰ يَعْلَمُونَ الْكِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِيَّ» و كأنهم يعلمون فقط امانى الكتاب،أو هكذا يفسرونه حسب أمانيهم.و فى معنى هذا،آيات اخرى:قال الله سبحانه:

« وَ قٰالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاّٰ مَنْ كٰانَ هُوداً أَوْ نَصٰارىٰ تِلْكَ أَمٰانِيُّهُمْ» (١١البقره) « لَيْسَ بِأَمٰانِيِّكُمْ وَ لاٰ أَمٰانِيِّ أَهْلِ الْكِتٰابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» (٢٣النساء) و الامانى التى يخدع بها هؤلاء أنفسهم هى التى يفضحها السياق القرآنى فى الآيات الآتيه.

الظن:

اما الظن الذى يقول عنه ربنا سبحانه و تعالى: «وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَظُنُّونَ» فلعله درجه أعلى من الامانى.حيث ان الفرد يحلم بشىء و يحلم،حتى يخيّل اليه صدق هذا الشىء بل يكاد يقنع نفسه به،و يبدو ان نسبه الثقه بالفكره ليست بذات اهميه، فقد تكون أكثر أو أقل من خمسين بالمائه.انما المهم جذر الفكره و كيفيه بروزها فى النفس.

فاذا کان منشأها المصلحه و حب الذات و هوی النفس الذی یتحول الی امانی و یفسر الکتاب علیها ثم یتحول الی خیال و تصور و ظن،فان درجه الثقه بها حتی و لو بلغت حد القطع فانها لا تسوی شیئا لأنها لیست ناشئه من العلم،و المنهج الصائب للمعرفه،انما هی ناشئه من التمنیات و الأحلام و التخیلات و الظنون.

یبقی ان نتساءل عن العلاقه بین الظن و التقلید حیث جاء فی حدیث شریف ان المراد من الظن هو التقلید.

و الجواب:ان الحدیث انما هو عن الأمیین الذین هم العوام الذین یقلدون کبراءهم و لعله لهذه المناسبه فسرّ الظن هنا بالتقلید،کما ان السیاق القرآنی یحدثنا فی ایات اخری عن أولئک الذین یکتبون الکتاب بأیدیهم ثم یقولون هو من عند الله.

و قد قوبل الظن بالعلم فی القرآن قال سبحانه و تعالی:« قُلْ هَلْ عِنْدَکُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنٰا،إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَخْرُصُونَ» (۱۴۸الأنعام) کما أکّد القرآن: إِنَّ الظَّنَّ لاٰ یُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَیْئاً فقال سبحانه و تعالی:« وَ مٰا یَتَّبِعُ أَکْثَرُهُمْ إِلاّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاٰ یُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَیْئاً إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ بِمٰا یَفْعَلُونَ» (۳۶/یونس) بینما یمتدحه فی سیاق الحدیث عن الآخره.فیقول ربنا سبحانه و تعالی:

« اَلَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَیْهِ رٰاجِعُونَ» (۵۶البقره) فیکف یمدح الظن حینا و یذمه أحیانا؟

جاء فی حدیث شریف:

«الظن ظنان،ظن شک و ظن یقین،فما کان من امر المعاد فهو ظن یقین،و ما

کـان امر الـدنیا فهو علی الشک. » و لعل تفسـیر هـذه الروایه..ان الظن بمعنی التصور فإذا کان التصور و التخیل قائما علی أساس التمنیات و الأهواء،فهو ظن شک.حتی و لو بلغت نسـبه الثقه معه الی درجه کبیره و إذا کان التصور علی أساس التفکیر المنهجی کمن أیقن بالجنه،ثم أخذ یتصور نعیمها،و أیقن بالنار و طفق یتخیل عذابها،فانه تصور یقین لأنه قائم علی أساس.

و أهـل اللغه یقولون:الظن هو الاحتمـال الراجـح و إذا کان قریب الوهم فانه یسـتخدم مع أن المخففه.مثل قوله سـبحانه و تعالی:« فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» .و إذا کـان قریب العلم فـانه یـذکر مـع ان المشـدده،مثـل قـوله سـبحانه و تعـالی:« وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مٰانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ» .

[سوره البقره (۲): الآيات ۸۰ الى ۸۶]

اشاره

وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا اَلنّارُ إِلاّ أَيّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اَللّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اَللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اَللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۸۰) بَلى
مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۸۱) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ أُولئِكَ
أَصْحابُ اَلْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۸۲) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اَللّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِي اَلْقُرْبى وَ اَلْيَتامى
وَ اَلْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاةَ وَ آتُوا اَلزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (۸۳) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ
لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۸۴) ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ
تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ
فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ اَلْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِي اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا وَ يَوْمَ اَلْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ
اَلْعَذابِ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (۸۵) أُولئِكَ اَلَّذِينَ اشْتَرَوُا اَلْحَياةَ اَلدُّنْيا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ
(۸۶)

اللغه

۸۰[تمسّنا]المس نظير اللمس و الفرق بينها أن مع اللمس إحساس و أصله اللصوق وحده الجمع بين الشّيئين على نهايه القرب.

[يخلف]الأخلاف نقض ما تقدم من العهد بالفعل.

۸۳[المسكين]هو المتخشّع المتذلّل من الحاجه مأخوذ من السكون كأنّه قد أسكنه الفقر.

ص:۱۸۶

۸۴[تسفکون]السفک الصب سفکت الدّم أسفکه سفکا.

[أنفسکم]النّفس مأخوذه من النّفاسه و هی الجلاله فنفس الإنسان أنفس ما فیه.

[أقررتم]الإقرار الاعتراف.

[تشهدون]الشهاده أخذ من المشاهده و هو الاخبار عن الشیء مما یقوم مقام المشاهده فی المعرفه.

۸۵[تظاهرون]تعاونون و الظهیر المعین.

[الإثم]الفعل القبیح.و قیل هو ما تنفر منه النفس و لم یطمئن الیه القلب.

[العدوان]الإفراط فی الظلم.

ص:۱۸۷

[أساری]الأسر الأخذ بالقهر و أصله الشد و الحبس إذا أسره و شده.

و قیل أن الأساری الذین هم فی الوثاق و الأسری الذین هم فی الید.

۸۶[یخفق]الخفه نقیض الثقل و التخفیف التسهیل و التهوین.

ص:۱۸۸

تقديس الذات

هدى من الآيات:

تابعنا فی الـدروس السابقه مراحل هبوط نجم بنی إسـرائيل،و تركناهم فی آخر مرحله فی مسـتنقع الجهل و الضـلاله،حيث تحول قادتهم الروحيون الی سـراق الفكره الرساليه،و مجرمی حرب يساعدون الطغاه علی اسـتغلال الضعفاء،بينما تحول الكتاب فی نظر جماهيرهم العريضه الی أحلام حلوه يمنون أنفسهم بها ليبرروا واقعهم الفاسد.

اما الآن فنحن امام مرحله تاليه اخطر من تلك و هی تحولهم الی امه عنصريه، تقدس كيانها المادی،و تحارب الناس و القيم علی أساس ذلك الكيان.

ان تحول الامه الی تجمع عنصری،يعتبر تغييرا شاملا فی قيمها حيث تموت فيها كل جذور الصلاح و لا يرجی لها الخير أبدا.و قد تصبح-بمرور الزمان-تجمع يسعی نحو الفساد فی المجتمعات و الاعتداء علی الناس و لا ينتهی ذلك الا بالقضاء

ص:١٨٩

الجسدى عليها جميعا.

و يشرح لنا القرآن كيف تتحول الامه الرساليه الى تجمع عنصرى،و ذلك بابعاد فكره المسؤوليه عن واقعهم، حيث يتصورون انهم بعيدون عن الجزاء،لأنهم أفضل من غيرهم،ثم يبدءون بتقييم الحياه وفق هذا التصور الخاطئ.و يكّذب القرآن هذه الفكره و يضرب امثله حيه على ذلك.ثم يبين زيف الفكره العنصريه،و ذلك حين يحيلهم الى فطرتهم.انهم يحمّلون بعضهم مسئوليه جرائمهم فيما يخصهم و يتصل بحياتهم مباشره،فكيف لا يحملونه مسئوليه ذات الجريمه حين تقع على غيرهم هل هناك جريمه و جريمه أو بشر و بشر.

بينات من الآيات:

اشاره

[۸۰]قبل كل شىء يجعل العنصرى ذاته فوق المسؤوليه ليبرر بعدئذ كل تصرفاته الشاذه،و هذه العمليه خطيره لسببين:

الاول:انها تميت ضمير العنصرى،و تطفئ شعله إحساسه كإنسان،فلا يعدو يشعر بالإثم تجاه ما يرتكبه من موبقات و جرائم.

الثانى:انها تبرر تصرفاته امام الآخرين و هنا نرى القرآن الحكيم يعالج هذه المشكله فى بنى إسرائيل و من ثم فى كل الأمم التى قد تبتلى بها،كالنازيه و البيض فى جنوب افريقيا فيقول:

وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ إِلاّ أَيّاماً مَعْدُودَهً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ و بالطبع لم يكن هناك ميثاق من الله يتعهد لهم بالاّ يأخذهم على تصرفاتهم، انما هم تصوروا ذلك انطلاقا من حبهم لذاتهم،و تقديسهم لها.

ص:۱۹۰

[۸۱]ثم يؤكد القرآن الحكيم،ان كل إنسان مسئول امام الله عن تصرفاته السيئه،شاء أم ابى.و هذا وحده عهد الله و ميثاقه،و سنته التى لا تتبدل.حيث يقول:

بَلىٰ اى ان هناك عهدا و لكن من نوع آخر هو.

مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحٰاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ ربما التعبير ب(و أحاطت به خطيئته)يوحى بان الإنسان قد يذنب ذنبا،ثم يستغفر الله،فيتوب عليه ربه.و لكن إذا أكثر من الذنوب و لم يغسلها بالتوبه،فان خطاياه تحيط به من كل جانب،و انئذ لا تدع له مجالا للعوده الى الله.و هذه الآيه تصدق على الكفار و من بحكمهم،حيث تحيط بهم خطاياهم و هذا الكلام يدل على ان العنصريين سوف يتوغلون فى الذنوب انطلاقا من تصورهم انهم بعيدون عن مسئولياتهم،و هناك تأخذهم الذنوب،و ترمى بهم الى النار خالدين فيها.

[۸۲]و كما ان المسؤوليه لا تعرف الفرق بين عنصر و عنصر،كذلك الجزاء الصالح لا يختلف فيه قوم عن قوم.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَنَّهِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ

ميثاق الله لبنى إسرائيل:

[۸۳]هذا ميثاق الله مع الناس جميعا،و هناك ميثاق من قبل الله مع بنى إسرائيل بالذات،و لكن نصوصه تختلف كليه عن ميثاق العنصريه المزعوم الذى

يزعم بإعطائهم صک الامان.

انما هو ميثاق مسئوليه كامله لو طبقوها لا صبحوا خير الناس،و الا فهم شر الناس جميعا.اما نصوص الميثاق فهى أولا:

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِی إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ و لا تعتبرون قيمه العنصر أو القرابه أو اللغه أو ما أشبه،مقدسه عندكم الا بمقدار ما تتفق مع سنن الله و تعاليمه.

ثانيا:

وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِی الْقُرْبى‏ وَ الْيَتامى‏ وَ الْمَساكِينِ هؤلاء هم بشر و ليسوا بآلهه لـذلك لا يجوز عبادتهم..بل يجب الإحسان إليهم فقط.و فرق كبير بين الإحسان و العباده إذ ان الإحسان هو العطاء من يد عاليه، و العباده هى الخضوع لمن هو أعلى.

ثالثا:

وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً و حرام ان تعتدوا على الناس كلاميا فكيف بالاعتداء العملى.

رابعا:

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ و لا يجوز ترک الفرائض اعتمادا على انهم من عنصر بنى إسرائيل، أو ان آباءهم

كانوا أنبياء أو كانوا مقربين الى الله.

هـذه هى نصوص الميثاق،و لو كان بنو إسرائيل طبقوها،إذا لكانوا مفضـلين على الناس،و لكنهم لم يطبقوها لذلك لم يستحقوا من الله جزاء و لا كرامه.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ [۸۴]خامسا:المحافظه الكامله على حرمه الدم،و حريه الإنسان.

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ هـذه بعض نصوص الميثاق الذى شددّ عليها ربنا و أخذ منهم إقرارا بها.

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ اى أقررتم إقرارا واعيا،بعد علم و تصميم.

[۸۵]بيد انكم لم تطبقوا نصوص الميثاق،بل عكستم الحال تماما،فليس لكم اى حق على الله ان يوفى من جانبه بعهده تجاهكم،و يفضلكم على الناس تفضيلا.

ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ و ليس غيركم و لا أحد سواكم أنتم بالذات تخالفون نصوص الميثاق.

تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ يتعاون بعضهم مع البعض الآخر ضدهم.

بِالْإِثْمِ و هو العمل السيء الخاص بالشخص نفسه.

وَ الْعُدْوٰانِ و هو العمل الذی یضر الآخرین.ای ان أعمالکم تضرکم أنفسکم و تضر الآخرین.

و لکنّ هـذه الاعتـداءات لا تقع علی هؤلاء عن جـداره،بل عن تعصب قبلی،أو خلافات داخلیه باطله،و ذلک بـدلیل انهم یهبّون لنجـده هؤلاء بالذات،لو تعرضوا لعدوان خارجی.فلو کانوا مجرمین فعلا فلما ذا یدافعون عنهم؟ ان القرآن یدین الفکر العنصری الذی یقول:انا و اخی ضد ابن عمی،و انا و اخی و ابن عمی ضد عدوی.و یقول:

وَ إِنْ یَأْتُوکُمْ أُسٰاریٰ تُفٰادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَیْکُمْ إِخْرٰاجُهُمْ ثم یبین ان هذا النوع من التفکیر لا یعتمد علی قیم،بل علی أهواء.

أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتٰابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ ثم یحـدثنا بالنتائـج الطبیعیه لهـذا النوع من التفکیر العنصری الانتقائی الذی یأخذ من الدین ما یوافق الهوی فقط و یقول:

فَمٰا جَزٰاءُ مَنْ یَفْعَلُ ذٰلِکَ مِنْکُمْ إِلاّٰ خِزْیٌ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ یُرَدُّونَ إِلیٰ أَشَدِّ الْعَذٰابِ وَ مَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ [۸۶]اما عـذاب الـدنیا فیتمثل فی ابتعادهم عن هـدی الله،و ما یوفره هـذا الهـدی من التقـدم و الفلاح،حسب ما یذکره القرآن فی الآیات التالیه.

اما عذاب الآخره فیذکره القرآن هنا لأنه الأشد و الابقی،و یبین لنا قبلئذ ان

هذا التبعيض و الانتقاء فی اتخاذ احکام الدین،انما هو نتیجه تعویض الآخره بالدنیا و یقول:

أُولٰئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا بِالْآخِرَهِ فَلاٰ یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ فلا یرحمهم من فی السماء و لا ینفعهم أهل الأرض.

ص:۱۹۵

[سوره البقره (۲): الآیات ۸۷ الی ۹۳]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسَى اَلْكِتٰابَ وَ قَفَّيْنٰا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنٰا عِيسَى اِبْنَ مَرْيَمَ اَلْبَيِّنٰاتِ وَ أَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ أَ فَكُلَّمٰا جٰاءَكُمْ رَسُولٌ بِمٰا لاٰ تَهْوىٰ أَنْفُسُكُمُ اِسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ (۸۷) وَ قٰالُوا قُلُوبُنٰا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اَللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مٰا يُؤْمِنُونَ (۸۸) وَ لَمّٰا جٰاءَهُمْ كِتٰابٌ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ وَ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مٰا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اَللّٰهِ عَلَى اَلْكٰافِرِينَ (۸۹) بِئْسَمَا اِشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ فَبٰاؤُ بِغَضَبٍ عَلىٰ غَضَبٍ وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ مُهِينٌ (۹۰) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ قٰالُوا نُؤْمِنُ بِمٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا وَ يَكْفُرُونَ بِمٰا وَرٰاءَهُ وَ هُوَ اَلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيٰاءَ اَللّٰهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۹۱) وَ لَقَدْ جٰاءَكُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ ثُمَّ اِتَّخَذْتُمُ اَلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ (۹۲) وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِيثٰاقَكُمْ وَ رَفَعْنٰا فَوْقَكُمُ اَلطُّورَ خُذُوا مٰا آتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اِسْمَعُوا قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ عَصَيْنٰا وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ اَلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمٰا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمٰانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۹۳)

اللغه

۸۷[قفینا]أردفنا و اتبعنا بعضهم خلف بعض و أصله من القفا.

[القدس]الطهر و التقدیس التطهیر.و نقول فی صفه اللّه تعالی القدوس أی الطاهر.

۸۸[غلف]جمع غلاف أی أن قلوبنا أوعیه و غلف أی ممنوعه من القبول.

[لعنهم]اللعن هو الإقصاء و الابعاد.

ص:۱۹۶

۹۰[بغیا]البغی أصله الفساد مأخوذ من قولهم بغی الجرح إذا فسد و قیل أصله الطلب لان الباغی یطلب التطاول.

[مهین]الاهانه و الاذلال.

۹۱[ما وراءه]أی ما بعده.و قیل تأتی وراء بمعنی سوی.

ص:۱۹۷

۹۳[و اسمعوا]أی أقبلوا و منه

قوله «سمع اللّه لمن حمده» أی قبل اللّه حمد من حمده.

[أشربوا]أصله من الشرب یقال شرّب و أشرب غیره إذا حمله علی الشرب و أشرب قلبه حب کذا.

ص:۱۹۸

العنصريه و الانغلاق الفكرىّ

هدى من الآيات:

لقد أدت العنصريه ببنى إسرائيل الى نتائج سلبيه شتى،أولها العنف الداخلى الذى تمثل فى قتل أو إخراج جماعه منهم بالإثم و العدوان.و ثانيها -و هى الأخطر و التى يتناولها القرآن من جميع جوانبها-فهى الانغلاق.حيث وضعت العنصريه بنى إسرائيل فى زنزانه ضيقه،منعت ان يتسرب إليهم أى نور و هدى.و تمثل ذلك فى رفضهم الدائم اتباع أى نبى أو أى أفكار رساليه جديده.

فى هذه المجموعه من الآيات يذكرنا القرآن بموقف بنى إسرائيل من عيسى بن مريم،الذى لم يكن ناشئا من تفكير منطقى بل من أهواء ضاله و مصالح خاصه.

ثم موقفهم من رساله النبى التى كانوا يستعدون سلفا لتقبلها،و لكنهم سرعان ما انقلبوا ضدها حين اكتشفوا أنها نزلت فى غيرهم.و يبين لنا القرآن ان

عدم ايمانهم بهذه الرساله،نابع من عنصريتهم الضيقه.ثم يكشف القرآن عن جذر العنصريه و يقول ان جذرها هو عباده العجل(رمز المال و الجاه).

بينات من الآيات:

اشاره

[۸۷]كما انزل الله الكتاب على موسى أنزله على سائر النبيين من بعده، و على عيسى بن مريم،فلما ذا تجمد بنو إسرائيل على موسى عليه السلام،هل لأنه كان من بنى إسرائيل فعيسى عليه السلام كان أيضا منهم.أم انه وحده انزل عليه الكتاب..أو لم ينزل أيضا على عيسى؟ العله ليست هذه أو تلك انما هى:ان العنصريه تؤدى بصاحبها الى الانغلاق الفكرى،و من ثم الى الرجعيه و الجمود.ان بنى إسرائيل أخذوا يقدسون آباءهم، و يقدسون أفكار أولئك و عاداتهم،انطلاقا من عنصريتهم الضيقه.فلم يستطيعوا ان يطوروا أنفسهم وفق رساله عيسى الجديده،لذلك أنكروها..يقول الله سبحانه:

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ التى دلت على رسالته بالقطع و اليقين،و قطعت الطرق على كل مرتاب فى رسالته.

وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الذى أيد به سابقا النبى موسى عليه السلام.و لكنكم،يا بنى إسرائيل،لم تؤمنوا بعيسى لمّا جاءكم.

أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ

و تعـاليتم عليه،لأنكم فى رأيكم الشعب المختار لله،و الله قد منّ عليكم بقيم و أفكار و عادات لا يوجد مثيل لها فى العالم،و بالتالى ليس فى الرساله الجديده أى شىء جديد يمكن ان يضاف الى رسالتكم..انكم تعديتم الحد فى تعاملكم مع رسل الله.

فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ و سواء كذبتم أو قتلتم فان الخاسر الوحيد هو أنتم.

سبب التكذيب:

[۸۸]لما ذا كذبتم بالرسل؟ لأنكم انغلقتم على عنصريتكم الضيقه،و لكن أ ليس بامكانكم فك حصار العنصريه و التحرر من رجعيتها و جمودها؟..بلى،فأنتم إذا المسؤولون عن كفركم مباشره،و لا يجديكم أبدا:التبرير بأنكم منغلقون نفسيا فى التملص من مسئوليه كفركم بالرساله الجديده.

وَ قٰالُوا قُلُوبُنٰا غُلْفٌ لا تدخلها نصائح جديده أو تعاليم.كلا،ان الله لم يخلق بعض القلوب منغلقه و بعضها منفتحه،انما الناس بكفرهم أو ايمانهم ينفتحون أو ينغلقون امام التوجيهات الجديده.

بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فكفرهم هو الذى سبب انغلاق قلوبهم.

فَقَلِيلاً مٰا يُؤْمِنُونَ

إذا أصبح الایمان بالنسبه إلیهم مهمه صعبه،قلما یقوم بها الناس العنصریون الذین اختاروا الکفر علی الایمان.

[۸۹]ثم یضرب الله مثلا آخر من واقعهم العنصری،انهم انغلقوا عن نور الرساله الجدیده التی هبطت مع النبی محمد صلی الله علیه و آله بالرغم من انهم کانوا ینتظرونها،و ذلک لأنهم وجدوا انها نزلت فی غیرهم.

وَ لَمّٰا جٰاءَهُمْ کِتٰابٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ وَ کٰانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا بهذا الکتاب الجدید،و ینتظرون مقدمه حتی یحاربوا به کفار الجزیره العربیه.

فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مٰا عَرَفُوا انه من الله،و أنّه رساله جدیده یحتاج إلیها العالم و بالذات محیطهم المتخلف من الشعب الجاهلی.

کَفَرُوا بِهِ و ماذا ینتظر من یکفر بهذه الرساله التی یحتاج إلیها الناس جمیعا،و یعترف هو بحاجه الناس إلیها،أو لیس الابتعاد عن السعاده و الفلاح؟ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَی الْکٰافِرِینَ [۹۰]لماذا و کیف تنشأ العنصریه؟ تنشأ العنصریه أساسا من حب الدنیا و العمل من أجل المصالح المشترکه

لمجموعه بشريه،و تتضخم هذه المصالح فى نفوسهم حتى تتحول الى عنصريه، و السؤال الآن:ماذا لو أصبحت العنصريه شرا على أصحابها،هل عليهم التشبث بها الى الأبد؟ القرآن الحكيم يذّكّر هؤلاء العنصريين بمدى الخساره التى تلحقهم فى الدنيا بسبب هذا التفكير الارعن و يقول لهم بلغه فطريه مبسطه.

بِئْسَـمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَـهُمْ أى بئست الذاتيه و العنصريه التى تعنى ان يبيع الإنسان كل شىء فى الحياه،و يشترى فى مقابلها نفسه،و بتعبير أخر:بئست العمليه هذه التى يضحى الإنسان بكل شىء فى سبيل مصالحه الذاتيه،إذ أن ذلك سوف يسبب لهم الدمار لأنه سوف يؤدى الى.

أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ بَغْياً بما أنزل من الكتاب و الحكمه و النور و الهدى و كل خير،لماذا؟بسبب التفكير العنصرى و ذلك بالاحتجاج ب..

أَنْ يُنَزِّلَ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فبما أنّ اللّه اختار لرسالته مهبطا أخر غير بنى إسرائيل كفروا بالرساله،فمن هو الخاسر غيرهم.هل صحيح مثلا ان يمتنع أحد المواطنين من أخذ ارض تقسّمها الدوله لمجرد ان الموظف ليس ابن عمه،و ماذا يضره ما دام أنه يأخذ الأرض و يحقق هدفه بها،لذلك فان هؤلاء خسروا أنفسهم.

فَبَاؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ

ص:٢٠٣

إذ كـانوا فی تخلف،فأصـبحوا أشـد تخلفـا بسـبب تقـدم غیرهم علیهم،حین آمن النـاس بالرسـاله و كفروا هم بهـا.و كـانوا كفارا فازدادوا كفرا.

وَ لِلْكافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ و انهم سوف لا یحققون هـدفهم من الاسـتكبار عن الایمان بالرساله.إذ ان هـدفهم العزه و التعالی،بینما كفرهم بالرساله سوف یسبب لهم التخلف و الجمود و ألوان المشاكل و بالتالی یسبب لهم الذل و العذاب المهین.

[۹۱]ثم یكشف القرآن جانبا آخر من العنصـریه،و هو ان العنصـریه ذاتها نتیجه و لیست سـببا،و سـبب العنصـریه هو حب المال،و رمزه المتمثل فی عباده العجل.

و هؤلاء یحبون المال حبا أعمی،و یزعمون انه سوف یحقق كل طموحاتهم، و یعطیهم العزه و السعاده.لذلك تجدهم لا یؤمنون بالرسالات الجدیـده خشیه ان یفقـدهم الایمـان بهـا بعضـا من امتیازاتهم و مكاسـبهم الخاصه،و لكنهم لا یصـرحون بـذلك،بل یقولون اننا نكتفی بما عندنا من كتاب و حكمه.

وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَیْنا وَ یَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ و لكنهم یكذبون فی ذلك،و یدل علی كذبهم ان هذا الكتاب لا یختلف عن كتاب الله الذی انزل علیهم.

وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ انما یكفرون بهذه الرساله حتی لا یفقدوا زعامتهم و مكاسبهم،و الدلیل علی

ذلك انهم كانوا يقتلون الأنبياء الذين أرسلوا إليهم لذات السبب.

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيٰاءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [۹۲]حتى موسى الذى تدعون انكم تتبعونه كفرتم به مع انه جاءكم بالبينات الواضحه.

وَ لَقَدْ جٰاءَكُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ ثم كفرتم به،إذا فالتبرير بأن رساله محمد صلى الله عليه و آله نزلت على غيرنا و لذلك لا نؤمن بها تبرير خاطئ،و أنّ السبب الحقيقى هو المحافظه على المصالح الذاتيه التى تعيش فى لا وعيكم أو حتى فى وعيكم.

اما قصه عباده العجل فى اللاوعى،حيث لم تزل جذور عباده المال متأصله فى نفوسكم،فكانت مع موسى أول مره حيث انكم آمنتم به ظاهرا.

ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ حيث خدعكم السامرى بعد ان ذهب موسى لميقات ربه،و دفعكم شعوركم السابق بقداسه العجل الى اتباعه.

[۹۳]اما قصه عبادتكم العجل بشكل ظاهر فكانت بعد ان أخذ الله ميثاقكم.

وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِيثٰاقَكُمْ وَ رَفَعْنٰا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مٰا آتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ عَصَيْنٰا لماذا العصيان بعد السماع؟لأنهم فى الواقع لا يزالون يعبدون المال و رمزه

ص:۲۰۵

العجل.

وَ أُشْرِبُوا فِی قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ حتی أصبح حب العجل فی قلوبهم کالماء حین تشربه الأرض الیابسه، یمتزج مع کل ذره من تراب الأرض،فکیف یمکن فصل الماء عن الأرض.انه یشبه المستحیل و لکنه لیس مستحیلا لان الایمان یمکنه ان یطهّر القلب من مزیج الکفر لو وجد هناک ایمان صادق،و هؤلاء لم یشرّب قلوبهم حب العجل الا.

بِکُفْرِهِمْ الحقیقی،و ایمانهم الکاذب،إذ لیس هنالک ایمان یتعایش مع الکفر،و یأمر بالکفر کلا.

قُلْ بِئْسَمٰا یَأْمُرُکُمْ بِهِ إِیمٰانُکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ الایمان الصادق یأمر صاحبه بالتضحیه و تصدیق الحق أنّی کان و بالتسلیم لأمر اللّه.و ما عندکم لیس ایمانا بالمره..انما هو کفر ملبس بظاهر من الایمان.

ص:۲۰۶

[سوره البقره (۲): الآيات ۹۴ الی ۱۰۰]

اشاره

قُلْ إِنْ كٰانَتْ لَكُمُ اَلدّٰارُ اَلْآخِرَهُ عِنْدَ اَللّٰهِ خٰالِصَهً مِنْ دُونِ اَلنّٰاسِ فَتَمَنَّوُا اَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ (۹۴) وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ (۹۵) وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ اَلنّٰاسِ عَلىٰ حَيٰاهٍ وَ مِنَ اَلَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَهٍ وَ مٰا
هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ اَلْعَذٰابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اَللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ (۹۶) قُلْ مَنْ كٰانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اَللّٰهِ مُصَدِّقاً
لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (۹۷) مَنْ كٰانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَ مَلاٰئِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكٰالَ فَإِنَّ اَللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكٰافِرِينَ (۹۸)
وَ لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ وَ مٰا يَكْفُرُ بِهٰا إِلاَّ اَلْفٰاسِقُونَ (۹۹) أَ وَ كُلَّمٰا عٰاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ
(۱۰۰)

اللغه

۹۴[خالصه]الخالصه الصافيه يقال خلص لی هذا الأمر أی صار لی وحدی وصفا لی.

۹۶[أحرص]الحرص شده الطلب.

[يود]الموده المحبه.

[يعمّر]التعمير طول العمر و أصله من العماره الذی هو ضد الخراب.

[بمزحزحه]الزحزحه التنحيه.

ص:۲۰۷

۹۹[آیات]الآیه العلامه التی فیها عبره و قیل العلامه التی فیها الحجه.

[بینات]البینه الدلاله الفاصله الواضحه بین القضیه الصادقه و الکاذبه مأخوذه من إبانه أحد الشیئین من الآخر لیزول التباسه به.

۱۰۰[نبذه]النبذ طرحک الشیء عن یدک أمامک أو خلفک و قیل معنی نبذه ترکه و قیل ألقاه.

ص:۲۰۸

العنصريه و الكفر بالملائكه

هدى من الآيات:

فى هذه المجموعه من الآيات،لا يزال القرآن يحدثنا عن العنصريه،و مدى ارتباطها بحب الذات و الانانيه،و انها ليست فى الواقع الا إطارا لممارسه الكفر، بالرغم من ظاهر الايمان فيها.و الدليل على ذلك،تشبث العنصريين بالحياه و عداؤهم لجبرائيل و ميكائيل و من ثم عداؤهم لله و الرسل،هذا العداء الذى يسبب الدمار عليهم.

بينات من الآيات:

[۹۴]العنصريون فى التاريخ و فى عالمنا اليوم،يغلفون انانيتهم المقيته بغطاء من القيم الزائفه،ليخدعوا الناس و البسطاء من أصحابهم.فالاسرائيليون قديما كانوا يدعون انهم حمله الرساله،و للمحافظه على هذه الرساله لا بد ان يدافعوا عن ذاتهم و يعملوا فى سبيل دعم الذات بأيه وسيله ممكنه.و هم اليوم يدّعون انهم حمله الحضاره للعرب،(الحريه+التقدم)و عليهم ان يؤدبوا العرب الوحوش بأيه وسيله ممكنه حتى

ص:۲۰۹

و لو كانت هذه الوسيله أكثر وحشيه من شرائع الغاب. و النازيه كانت تدعى حمايتها للكنيسه،و تقوم بأعمالها تحت غطاء اسم الله،و البيض فى افريقيا يقولون انهم طلائع الحضاره الغربيه،و الاستعمار قبلئذ كان يدعى انه يحمل العماره و الحضاره الى العالم.

و لكن هـذا الخداع الذاتى سوف يذوب فى وهج الحقيقه التى يذكرنا بها القرآن هنا،حين يأمر هؤلاء بالموت فى سبيل اهدافهم هذه..فهل هم مستعدون لذلك؟ كلا.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ و انكم تدافعون عن قيم الله فى الأرض إذا.

فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٩٥]و لكن هل يفعلون ذلك؟كلا.

وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً لأنهم يعرفون مدى الجرائم التى اقترفوها فى حياتهم و انه ينتظرهم هنالك جزاؤهم العادل.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [٩٦]و هؤلاء ليس فقط لا يتمنون الموت بل بالعكس يتشبثون بالحياه بعنف.

وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ انهم احرص على حياه،ايه حياه كانت،بذل أم بعز،بفقر أم بغنى،بقيم أو

ص:٢١٠

بدون قيم،بل انهم احرص من الكفار الذين لا يملكون ايه قيم.

وَ مِنَ اَلَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ و لكن لو افترضنا انه عمّر الف سنه فهل يتخلص من العذاب..كلا.

وَ مٰا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ اَلْعَذٰابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اَللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ من الجرائم و سوف يعاقبهم عليها عاجلا أم آجلا.

[۹۷]ان عـداء هؤلاء مع الرساله الجديده ناشـئ فى الواقع من عدائهم للحق، فهم يعيشون حاله التناقض بين الحق و بين مصالحهم الذاتيه،و الحق يمثله جبريل ملك الوحى،ملك القضاء.

قُلْ مَنْ كٰانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فليعرف ان جبريل هو ملك الوحى و انه يهبط بالكتاب من السماء.

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلىٰ قَلْبِكَ و لكن جبريل بـدوره ليس الا مأمورا من قبل الله،فهو لم ينزل الكتاب على النبى محمـد صـلى الله عليه و آله من قبل نفسه،بل.

بِإِذْنِ اَللّٰهِ و الدليل على انه من قبل الله كونه.

مصدقا لما بين يديه

ص:۲۱۱

من الکتب السابقه ثم انه هدی و بشری لمن آمن به.

وَ هُدیً وَ بُشْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ [۹۸]إذا فالعداء للحق یصعد الی العداء لجبریل،و من ثم لله،و هل یستطیع ان یعادی البشر ربه.

مَنْ کٰانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَ مَلاٰئِکَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ مِیکٰالَ فَإِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْکٰافِرِینَ و سوف یعاقبهم الله إذ لا یمکن التفریق بین الله و بین ملائکته أو رسله،و لا بین رسله بعضهم عن بعض.

[۹۹]و القضاء و القدر(السنن الثابته و المتطوره فی الحیاه) متمثله الآن فی رساله محمد صلی الله علیه و آله .

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ آیٰاتٍ بَیِّنٰاتٍ و الذین یخالفونها و یکفرون بالرساله،لا یستطیعون ان یؤمنوا بشیء.

وَ مٰا یَکْفُرُ بِهٰا إِلاَّ الْفٰاسِقُونَ الذین یخالفون عهد الله.

[۱۰۰]و لکن الی متی یخالف الإنسان عهده مع الله.

أَ وَ کُلَّمٰا عٰاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِیقٌ مِنْهُمْ هو ذلک الفریق الذی یخالف العهد مصالحه،مما یدل علی انهم لا یتبعون الدین

و لا يلتزمون بالعهود،بل يتبعون-فى الواقع-أهواءهم.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بالحق انما بما تمليه مصالحهم الذاتيه و شهواتهم و اهواؤهم.

ص:۲۱۳

[سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۱ الی ۱۰۳]

اشاره

وَ لَمّٰا جٰاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ كِتٰابَ اَللّٰهِ وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ
(۱۰۱) وَ اِتَّبَعُوا مٰا تَتْلُوا اَلشَّيٰاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰانَ وَ مٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ وَ لٰكِنَّ اَلشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ اَلنّٰاسَ اَلسِّحْرَ وَ مٰا أُنْزِلَ عَلَى
اَلْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَ مٰارُوتَ وَ مٰا يُعَلِّمٰانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّٰى يَقُولاٰ إِنَّمٰا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاٰ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمٰا مٰا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَ
زَوْجِهِ وَ مٰا هُمْ بِضٰارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مٰا يَضُرُّهُمْ وَ لاٰ يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اِشْتَرٰاهُ مٰا لَهُ فِي اَلْآخِرَةِ مِنْ
خَلاٰقٍ وَ لَبِئْسَ مٰا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (۱۰۲) وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اِتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (۱۰۳)

اللغه

۱۰۲[اتبعوا]اتبع اقتدی به.

[تتلوا]تتبع و التالی تابع و قیل معناه تقرأ من تلوت الکتاب أی قرأته.

[السحر]عمل خفی لخفاء سببه یصور الشیء بخلاف صورته و یقلبه عن جنسه فی الظاهر و لا یقلبه عن جنسه فی الحقیقه.

[فتنه]الفتنه الامتحان و الاختبار یقال فتنته فتنه.

ص:۲۱۴

[خلاق]نصيب من الخير.

۱۰۳[مثوبه]الثواب و الأجر و الأصل فی الثواب ما رجع إلیک من شیء.

السحر و الشعوذه..نهايه المطاف

هدى من الآيات:

بعـد مرحله القوه جاءت مرحله الضـعف فی امه بنی إسـرائيل،و بعـدها كانت العنصـريه،و من ثم تأتی مرحله الخرافه المتمثله فی السحر و الشعوذه.

حيث ان الامه العنصـريه تنغلق على ذاتها..« وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ» و تبتعـد عن توجيهات الله،و عن سـنن التاريـخ،و تجارب الناس،و تستكبر على الحق و ليس امامها بعدئذ الا الهبوط الى حضيض السحر و الشعوذه.

فيتنـاول القرآن الحكيـم هـذه المرحله بايجـاز فيبـدأ بالحـديث عن ترک بنی إسـرائيل للكتـاب ليـبين الله أنه السـبب فی تشـبثهم بالسحر.لان من لا يمتلک تفسيرا صحيحا للحياه و رؤيه علميه الى اهدافها،يضطر الى البحث عن تفسيرات غيبيه و رؤى باطله.

و حيث يتحدث عن السـحر ينفی القرآن قصه مختلقه من بنی إسـرائيل تزعم ان السحر من الله،و ينهی الحديث ببيان ان التمسک بالكتاب أفضل لهم من التشبث بالسحر.

ص:٢١۶

بينات من الآيات:

[١٠١] وَ لَمّٰا جٰاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ كِتٰابَ اللّٰهِ وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ [١٠٢]و بسبب هذا النبذ وجد فراغ ثقافى فى حياتهم فالتفتوا الى السحر و الشعوذه و الأفكار الغيبيه الباطله فلم يجدوها الا عند الشياطين.

وَ اتَّبَعُوا مٰا تَتْلُوا الشَّيٰاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰانَ من السحر،ذلك ان سليمان كان نبيا من بنى إسرائيل و ملكا،و كانت الشياطين تخدمه،و قد خلفت وراءها مجموعه من الأفكار الباطله.

هؤلاء تركوا الكتاب المنزل من الله الذى كان هو الحق مصدقا لما بين أيديهم و ما خلفهم ثم ذهبوا و اتبعوا أفكار الشياطين.هذه نهايه العنصريّه أنها لا تفرق بين أفكار شياطين الملك،ان كانت من نفس العنصر و بين الأفكار الصحيحه التى يأتى بها نبى مرسل من الله.

و المشكله انهم قالوا:ما دامت هذه الأفكار من بنات فكر الشياطين الذين كانوا حول سليمان،و ما دام سليمان نبى الله،فاذا هذه الأفكار هى من الله سبحانه،و لكن الله نفى بشده هذه المعادله الباطله.

و قال:

وَ مٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ وَ لٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّٰاسَ السِّحْرَ و السحر هو الكفر لأنه يربط الحياه بقوى غيبيه غير الله سبحانه.

وَ مٰا أُنْزِلَ

ص:٢١٧

السحر أبدا كما تدعى هذه الطائفه العنصريه.

عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ فهاروت و ماروت ما كانا ملكين،و لذلك لا يمكن ان تنزل عليهما رساله إلهيه.

وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَهٌ و هل من المعقول ان يبعث الله نبيين يخدعان الناس؟! فَلا تَكْفُرْ إذ ان نسبه السحر الى الله هو كفر بذاته.

و السحر لا يمكن ان يكون من قبل الله لأنه يخالف مسيره رسالاته و يتناقض معها تناقضا كليا،إذ ان رسالات الله دعوه الى الترابط و الانتفاع فى الحياه،بينما هؤلاء يتعلمون من السحر التدابر و الضرر.

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ و لكن هذه التفرقه ليست حتميه إذ ان السحر لا يؤثر تأثيرا أكيدا فى الحياه بل الله و سننه،و اراده الإنسان هى التى تؤثر فى الحياه.

وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ اى انهم لا يضرون اى أحد بالسحر الا عبر قوانين الله،فالله و رسالاته أجدر بالاتباع و عموما:السحر يضر و لا ينفع.بينما رسالات الله تنفع و لا تضر.

وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ

و رسالات السماء تنفع الإنسان فى الآخره بينما السحر لا ينفع هنالك شيئا.

وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرٰاهُ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاٰقٍ اى ان اى نصيب لا يملكه الساحر فى الآخره لطبيعه اعماله المنافيه للدين فى الدنيا.

وَ لَبِئْسَ مٰا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ أنه تفرقه و ضرر فى الدنيا،و خساره فى الآخره.

[۱۰۳] وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا برسالات الله.

وَ اتَّقَوْا بتطبيقها على أنفسهم تطبيقا سليما كان أفضل لهم.إذ.

لَمَثُوبَةٌ و جزاء حسن.

مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ بيد ان العنصريين لا يفقدون هدى الرساله وحدها بل يفقدون العلم أيضا، و العلم بعيد عن السحر بعد الأرض عن السماء.

هذه نهايه المطاف لبنى إسرائيل،و فى مراحل حياتهم عبر كثيره لنا،و للأمم.

و خلاصه الدرس..

ان مخالفه رساله السماء و من ثم ضعف تطبيق أوامر الله سيؤدى الى العنصريه، ثم الى فقدان كل شىء،و آخر ما يفقده الإنسان بسبب العنصريه هو العلم.

ص:۲۲۰

[سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۴ الی ۱۱۰]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَقُولُوا رٰاعِنٰا وَ قُولُوا اُنْظُرْنٰا وَ اِسْمَعُوا وَ لِلْکٰافِرِینَ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۱۰۴) مٰا یَوَدُّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ وَ لاَ اَلْمُشْرِکِینَ أَنْ یُنَزَّلَ عَلَیْکُمْ مِنْ خَیْرٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ اَللّٰهُ یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِیمِ (۱۰۵) مٰا نَنْسَخْ مِنْ آیَهٍ أَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْهٰا أَوْ مِثْلِهٰا أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۰۶) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّٰهَ لَهُ مُلْکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ (۱۰۷) أَمْ تُرِیدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَکُمْ کَمٰا سُئِلَ مُوسیٰ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ یَتَبَدَّلِ اَلْکُفْرَ بِالْإِیمٰانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ اَلسَّبِیلِ (۱۰۸) وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمٰانِکُمْ کُفّٰاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَیَّنَ لَهُمُ اَلْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اِصْفَحُوا حَتّٰی یَأْتِیَ اَللّٰهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۰۹) وَ أَقِیمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا اَلزَّکٰاةَ وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ مِنْ خَیْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۱۱۰)

اللغه

۱۰۴[راعنا]المراعاه التفقد للشیء فی نفسه أو أحواله و نقیض المراعاه الاغفال و رعی اللّه فلانا أی حفظه.و کان الیهود یقصدون بکلمه راعنا معنا آخر و هو الرعونه.

[انظرنا]النظر تقلیب البصر و البصیره لادراک الشیء و رؤیته،و قد یراد به التأمل و الفحص و قد تأتی بمعنی انتظرنا نفهم و نتبین ما علمنا.

[أسمعوا]یحتمل أحد أمرین:(أحدهما)أن معناه أقبلوا ما یأمرکم به و(الثانی)أن معناه استمعوا ما یأتیکم به الرسول.

ص:۲۲۱

۱۰۶[ننسخ]النسخ فی اللغه إبطال الشیء و اقامه آخر مقامه یقال نسخت الشمس الظل أی أذهبته و حلت محله و أصل الباب الإبدال من الشیء غیره.

۱۰۹[حسدا]الحسد إراده زوال نعمه المحسود الیه أو کراهه النعمه التی هو فیها و إراده أن تصیر تلک النعمه کلها له.و أشد الحسد التعرض للاغتمام بکون الخیر لأحد.

[اصفحوا]الصفح بمعنی العفو و التجاوز عن الذنب.

ص:۲۲۲

نحن و الثقافات الدخيله

هدى من الآيات:

لا زلنا فی اطار الحديث عن بنی إسرائيل،فبعد ان رافقناهم فی مراحل تطورهم.

نقف الآن برهه نعتبر دروسا من حياتهم،و أهم ما يبين لنا القرآن فی هذه الآيات ان يحذرنا من التأثر بالأفكار الغريبه و الدخيله.

و يعطينا القرآن أول درس من حياتهم من خلال النهی عن تكرار مقالتهم (راعنا)بتبديلها بأخری أفضل منها و هی(انظرنا).

ثم يؤكد للامه الاسلاميه شخصيتها المتميزه عن الأمم الاخری يقول لهم ان أولئك يحسدونكم علی فضل اللّه لكم و يقول:انكم تملكون أفضل مما يملكون أو لا أقل مثل ما يملكون من الهدی.

كما ينهی الامه الاسلاميه ان تتورط فی مشكله تجسيم اللّه كما فعل بنو إسرائيل،و يؤكد لنا ضروره الحذر من التأثر بثقافتهم،و يأمرنا بالصلاه و الزكاه

ص:۲۲۴

كقوه اساسيه للأمه،و يحذرنا من استيراد انظمه الآخرين،و الاعتماد على ثقافتهم.

بينات من الآيات:

راعنا و انظرنا:

أولا:دعنا نستمع الى المفسّرين يذكرون لنا معنى راعنا و انظرنا، يقول الشيخ الطبرسى(ره):المراعاه،و المحافظه،و المراقبه،نظائر.و عكس المراعاه:الإغفال، و رعى اللّه فلانا أيّ حفظه و رعيت له حقه و عهده فيمن خلف،و أرعيته سمعى إذا أصغيت اليه،و راعيته يعنى إذا لاحظته،و جمع الراعى رعاء،و رعاه، و رعيان.و كلّ من ولى قوما فهو راعيهم و هم رعيته،و المرعى من الناس المسوس، و الراعى السائس و استرعاه اللّه استخلفه،أى ولاه أمرهم يرعاهم،و الإرعاء الإبقاء على أخيك و الاسم الرعوى و الرعيا،و راعنى سمعك أيّ استمع. (1)

أقول:و يبدو من استخدامات الكلمه انها أشد من الحفظ اهتماما،و ألين من الرقابه جانبا،فالراعى للغنم،ليس يحفظه فقط بل و يهتم بشؤونه،و هكذا السائس لبلده يهتم بشؤون رعيته أيّما اهتمام.و بينما(الحفظ)هو منع الخطر عن الشيء أو الشخص المحفوظ،فان الرعايه تنطوى على معنى جلب المنفعه أيضا،بل توحى لفظه المراعاه و الرعايه إذا استخدمت فى العلاقه بين الأمير و المأمور،و الحاكم و المحكوم،تخفيف القانون و تيسيره.أما كلمه انظرنا:فقال الشيخ الطبرسى عنها:و نظرت الرجل أنظره نظره بمعنى انتظرته و ارتقبته. (2)

و قال الفخر الرازى:و أما قول و انظرنا ففيه وجوه،أحدها:انه من نظره

ص:225

1- 1) مجمع البيان ج 1 ص 178

2- 2) مجمع البيان المصدر

أی انتظره.قال تعالی:« أُنْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» فأوهم تعالی بان یسألوه الإمهال ینقلوا عنه فلا- یحتاجون الی الاستفاده«و أضاف»و ثانیها:انظرنا معناه انظر إلینا،إلاّ-انه حذف حرف الی،ثم قال:و ثالثها:قرأ أبی بن کعب «انظرنا»(أیّ بهمزه القطع)من النظره أیّ أمهلنا. (۱)

ثانیا:آراء المفسرین فی معنی هذه الآیه اختلفت اختلافا کبیرا،و اذکر فیما یلی:

۱-ان هذه الکلمه کانت تستخدم عند الیهود،فنهی المسلمون عن استخدامها.و سواء کانت تعتبر سبا عندهم إذ انهم کانوا یقصدون بها الرعونه أو راعی الأغنام أو لمجرد شیاعها لدیهم.إذ ان هذه الکلمه هی الشائعه سواء هذا أو ذاک فان نهی القرآن عن استخدامها کان بسبب الیهود و

قد جاء فی حدیث مأثور عن الامام الباقر علیه السلام ان هذه الکلمه سبّ بالعبرانیه. (۲)

و

روی ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال: یا أعداء اللّه علیکم لعنه اللّه، و الذی نفسی بیده لان سمعتها من رجل منکم یقولها لرسول اللّه لأضربنّ عنقه.

فقالوا:أو لستم تقولونها؟فنزلت هذه الآیه. (۳)

و جاء فی حدیث مأثور عن الإمام موسی بن جعفر علیهما السلام و أنزل:

(« یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا »فانها لفظه یتوصل بها أعداؤکم من الیهود الی سب رسول اللّه و شنئکم« وَ قُولُوا انْظُرْنا »أیّ قولوا بهذه اللفظه لا بلفظه

۱- ۱) الفخر الرازی ج ۲ ص ۲۲۴

۲- ۲) مجمع البیان ج ۱ ص ۱۷۸

۳- ۳) الفخر الرازی ج ۲ ص ۲۲۴

«راعنا»فانه لیس فیها ما فی قولکم راعنا و لا یمکنهم ان یتوصلوا بها الی الشتم کما یمکنهم بقولهم راعنا و اسمعوا إذا قال لکم رسول اللّه قولا و أطیعوا «و للکافرین»یعنی الیهود الشاتمین لرسول اللّه «عَذٰابٌ أَلِیمٌ» إن عادوا لشتمهم، و فی الآخره بالخلود فی النار) (۱)و انطلاقا من هذا التفسیر فان النهی عن استخدام کلمات متشابهه،ربما یهدف الاستقلال الثقافی عنهم،و کما یهدف عدم إعطاء ذریعه لهم للنیل من شخصیّه الرسول صلّی اللّه علیه و آله.

۲-ان هذه الکلمه کانت تستخدم عند قریش فی الاستهزاء أو لا أقل عند تساوی المتخاطبین،فجاء النهی عند استخدام مثل هذه الکلمات فی حضره الرسول کما یقول القرآن« لاٰ تَجْعَلُوا دُعٰاءَ الرَّسُولِ بَیْنَکُمْ کَدُعٰاءِ بَعْضِکُمْ بَعْضاً» .

۳-بالرغم من ان هذه التفاسیر تبدو قریبه و ربما کانت بعض أبعاد الآیه إلا ان هناک احتمالا آخرا هو أن یکون معنی المراعاه تخفیف الأحکام،بینما یکون معنی«انظرنا»الإمهال.

و بناء علی ذلک فإن المنهی عنه هو البحث عن تخفیف الأحکام الشرعیه المأثوریه-بدلا من ذلک-طلب المهله و فرق کبیر بینهما لما یلی:

لأنّه تختلف..

[۱۰۴]تختلف المجتمعات القویه عن الضعیفه فی انّ الاولی طموحه،یتطلع أبناؤها لتحقیق المزید من الانجازات،و لان طاقاتها محدوده فهی تبرمج اهدافها

۱- ۱) البرهان ج ۱ ص ۱۳۹

لتحقيقها شيئا فشيئا،بينما المجتمعات الضعيفه تحاول تحقيق واجباتها قدر الإمكان و دون برمجه لأنها تفقد تطلعاتها البعيده.

و يبــدو ان بنى إسـرائيل كــانوا فى أخريــات حيـاتهم كـامه،يطـالبون بتخفيـف واجبـاتهم،و يكررون هــذه الكلمـه(راعنـا)فهم يقولون:راعنا فى الصـلاه..فى الزكاه..فى الجهاد..و فى كل شىء يأمرهم به انبياؤهم و قادتهم و هذه الكلمه تشبه كلمه اعفنى من هذا.

و لعلّ اللّه أرادنـا الاـ نكون ضـعيفى الاـراده،فأمرنـا بـأن نتطلب التـدرج فى تحقيق الواجبـات لاـ إلغاءهـا رأسـا،و اختار لنا كلمه انظرنا(اى أمهلنا)بدل كلمه راعنا حتى نطبق الواجب و قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انْظُرْنَا ثم أمرنا بأن نسمع و نؤمن لان اللّه أعد للكافرين عذابا أليما.

وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [١٠٥]الامه الاسـلاميه متصـله باللّه مباشـره،و عليها ان تستقى قيمها و ثقافتها من رساله اللّه التى أوحيت الى محمـد صـلى الله عليه و آله ،و المشـركون و أهـل الكتاب ليسوا بأفضل من الامه الاسـلاميه ثقافه،و ليس هـذا سـبب ابتعادهم عن الثقافه الاسـلاميه..بل السـبب الوحيد هو انهم عنصريون و جهلاء ابتعدوا عن الإسلام لأنه نزل على غيرهم، و لو نزل فى بيوتهم-فرضا-إذا لاحتضنوه.

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ

و هم يعتبرون الرساله خيرا.فضلّ غيرهم به،لذلك يتميّزون غضبا و قال اللّه لهم ببساطه: اَللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ .

وَ اللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشٰاءُ و الرساله كأيه رحمه اخرى ينزّلها اللّه حسب ما يشاء لا حسبما يشاء الناس.

وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ يمكنه ان يعم الناس كلهم بفضله لو لم يتحاسدوا،و إذا أخلصوا للّه عملهم فبامكان المشرك أو اليهودى ان يصبح مسلما صادقا يتقدم على كثير من المؤمنين السابقين ذلك ان المجال مفتوح امام الجميع،و رحمه اللّه واسعه تشمل الجميع.

رسالات اللّه و تطور الزمن:

[١٠۶]ليست الثقافه الاسلاميه أردى(حاشا للّه)من ثقافه الآخرين،و إذا كان للآخرين كتاب فللمسلمين كتاب كريم أيضا.لان ينبوع فضل اللّه الذى انزل ذلك الكتاب انزل كتابا أفضل من ذلك الكتاب لأنه كتاب جديد فيه ما ينفع الحياه الحاضره و المستقبل.

مٰا نَنْسَخْ مِنْ آيَهٍ أَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهٰا أَوْ مِثْلِهٰا أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ النسخ هو:تطوير أسلوب الحكم بما يتناسب مع تطور الحياه بالرغم من وجود ذات الحكم،مثل حكم الصلاه،كانت الى المسجد الأقصى فى الشرائع السابقه، فتحولت القبله الى الكعبه.فالصلاه هى الصلاه و لكن تغيّرت قبلتها.و قد يكون النسخ:هو:بإلغاء الحكم رأسا مثل المحرمات التى كانت على بنى إسرائيل فى

الأكل فألغيت فی الشريعه الاسلاميه.

و اللّه حين ينسخ شريعه ينسخ قياده تلك الشريعه،أو ذلک الشخص الذی يجسد تلک الشريعه أيضا.فموسی و عيسی(عليهما السلام)نسخت شرائعهما و انتهت فتره قيادتهما للناس،و الآيه بهذا المعنی تشمل الإنسان القائد الذی يجسد آيات اللّه عمليا.إذا كلام اللّه يدل علی ان لكل عصر قادته الذين يستمدون من الدين الأحكام المتصله بظروفهم،و اللّه قادر علی إبداع آيات جديده.و بعث قاده جدد.و قد جاء فی النصوص تفسير هذه الآيه بوفاه امام عادل و قيام إمام أخر مقامه.

[۱۰۷]و يجب ان لا يخشی الإنسان من سلطه من يمثلون الأفكار السابقه المنسوخه بفعل تطور الحياه،بل يخشی اللّه سبحانه لأنه هو المالک للسماوات و الأرض،و هو الولی النصير،و ولی العالمين وحده.

أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ و هذه الآيات و التی سبقت،تأمر الامه بالتفكير جديا فی التقدم المستمر، و عدم الخوف من الجديد لمجرد ان الفكر الجديد قد لا يكون أفضل من السابق،و عدم الخشيه من الناس المرتبطين بالأشياء القديمه،بل الخشيه من اللّه وحده.

و لقد وقعت هاتان الآيتان فی محيط الجزيره العربيه المحافظه و الراكده وقع الصواعق.حيث استطاع الرسول ان يزلزل الأوضاع القديمه من الأساس،و يبنی مكانها كيانا جديدا بل صنع مجتمعا تقدميا يبحث عن الإبداع و التطوير،حتی احتاج هذا المجتمع الی ضوابط كابحه كالتی قالها الرسول(كل بدعه ضلاله).

[۱۰۸]و يأتی القرآن بمثل علی طبيعه الثقافه القديمه،كيف كانت ثقافه

مشوبه بالشرك،و يقول:ان اتباعكم أو حتى استماعكم الى هذه الثقافات سوف يبعدكم عن الحق.

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمٰا سُئِلَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ إذ قالوا له(أرنا اللّه جهره)،هل تريدون ان تصبحوا كفارا بعد الايمان، و مشركين بعد ان أصبحتم حنفاء.

وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمٰانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِيلِ [١٠٩]و اهتمام الكفار بكم ليس بهدف توجيهكم الى ما هو أفضل لكم،بل لاستلاب ما تملكون من هدى و خير،و بالتالى من أجل تضعيفكم،و خلخله كيانكم ذلك لأنهم أعداء لكم يحسدونكم على ايمانكم،و يعرفون ان قوتكم كامنه فى دينكم الجديد،فيريدون القضاء على هذا الدين بكل وسيله.

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمٰانِكُمْ كُفّٰاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ تلك الأنفس التى لا تحب الخير للآخرين أبدا.

مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ و عرفوا انه بجانبكم،و هنا أمامكم موقف واحد هو تجاوز حسد هؤلاء،و عدم الاعتناء به،و عدم التفكير فيه لأنه جدل.

فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا لأن الجدل الفكرى مع هذا الطراز من الناس لا يجديكم نفعا،فابتعدوا عن

الجدل معهم.

حَتّٰى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ و يظهركم عليهم و ينصركم.

إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [۱۱۰]و خلال الفتره من الآن و حتی يوم الانتصار،يجب عليكم الاستعانه بنظامكم الصائب لأنه خير ضمانه للمستقبل.

وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ و اعملوا الخير الكثير..

وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ و هذا الدرس-يجب ان نضعه امام أعيننا فی تعاملنا مع الثقافات الشرقيه و الغربيه اليوم،و محاولات انصارهما من أجل اضلالنا عن ديننا بدافع حسدهم من قوتنا لو تمسكنا بديننا.

ص:۲۳۲

[سوره البقره (۲): الآیات ۱۱۱ الی ۱۲۳]

اشاره

وَ قٰالُوا لَنْ یَدْخُلَ اَلْجَنَّهَ إِلاّٰ مَنْ کٰانَ هُوداً أَوْ نَصٰاریٰ تِلْکَ أَمٰانِیُّهُمْ قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۱۱۱) بَلیٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۱۱۲) وَ قٰالَتِ اَلْیَهُودُ لَیْسَتِ اَلنَّصٰاریٰ عَلیٰ شَیْءٍ وَ قٰالَتِ اَلنَّصٰاریٰ لَیْسَتِ اَلْیَهُودُ عَلیٰ شَیْءٍ وَ هُمْ یَتْلُونَ اَلْکِتٰابَ کَذٰلِکَ قٰالَ اَلَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۱۱۳) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسٰاجِدَ اَللّٰهِ أَنْ یُذْکَرَ فِیهَا اِسْمُهُ وَ سَعیٰ فِی خَرٰابِهٰا أُولٰئِکَ مٰا کٰانَ لَهُمْ أَنْ یَدْخُلُوهٰا إِلاّٰ خٰائِفِینَ لَهُمْ فِی اَلدُّنْیٰا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۱۱۴) وَ لِلّٰهِ اَلْمَشْرِقُ وَ اَلْمَغْرِبُ فَأَیْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ (۱۱۵) وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ کُلٌّ لَهُ قٰانِتُونَ (۱۱۶) بَدِیعُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِذٰا قَضیٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۱۱۷) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ لَوْ لاٰ یُکَلِّمُنَا اَللّٰهُ أَوْ تَأْتِینٰا آیَهٌ کَذٰلِکَ قٰالَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشٰابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَیَّنَّا اَلْآیٰاتِ لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ (۱۱۸) إِنّٰا أَرْسَلْنٰاکَ بِالْحَقِّ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لاٰ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحٰابِ اَلْجَحِیمِ (۱۱۹) وَ لَنْ تَرْضیٰ عَنْکَ اَلْیَهُودُ وَ لاَ اَلنَّصٰاریٰ حَتّٰی تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَی اَللّٰهِ هُوَ اَلْهُدیٰ وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ بَعْدَ اَلَّذِی جٰاءَکَ مِنَ اَلْعِلْمِ مٰا لَکَ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ (۱۲۰) اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ اَلْکِتٰابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاٰوَتِهِ أُولٰئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۱۲۱) یٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ اُذْکُرُوا نِعْمَتِیَ اَلَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی اَلْعٰالَمِینَ (۱۲۲) وَ اِتَّقُوا یَوْماً لاٰ تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَ لاٰ یُقْبَلُ مِنْهٰا عَدْلٌ وَ لاٰ تَنْفَعُهٰا شَفٰاعَهٌ وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ (۱۲۳)

اللغه

۱۱۱[هودا]هو جمع هائد کعائد و الهائد التائب الراجع الی الحق.

[برهانکم]البرهان و البیان و الحجه بمعنی واحد و هو ما أمکن الاستدلال به علی ما هو دلاله علیه مع قصد فاعله الی ذلک.

۱۱۲[أسلم]یستعمل فی شیئین(أحدهما)أسلمه کذا أی صرفه الیه تقول أسلمت الثوب الیه و(الثانی)أسلم له بمعنی أخلص له و منه قوله و رجلا سلما لرجل أی خالصا.

[وجهه]الوجه مستقبل کل شیء و وجه الإنسان محیاه.

۱۱۳[القیامه]مصـدر إلا أنه صار کالعلم علی وقت بعینه و هو الوقت الذی یبعث اللّه عز و جل فیه الخلق فیقومون من قبورهم الی محشرهم.

۱۱۴[منع]صد.

[خرابها]الخراب الهدم و النقض.

۱۱۵[المشرق]و الشرق اسمان لمطلع الشمس و القمر.

[المغرب]و المغیب بمعنی و هو موضع الغروب یقال غربت الشمس تغرب إذا غابت.

[واسع]الواسع الغنی سمی به لسعه مقدوراته و قیل هو الکثیر الرحمه.

ص:۲۳۴

۱۱۷[قانتون]الأصل فی القنوت الدوام و تأتی بمعنی الطاعه کما تأتی بمعنی الدعاء و منه القنوت فی الصلاه.

۱۱۸[یوقنون]یعلمون.

۱۱۹[الجحیم]النار بعینها إذا شب وقودها و صار کالعلم علی جهنم.

۱۲۰[ملتهم]المله و النحله و الدیانه نظائر و مله رسول اللّه صلی الله علیه و آله الأمر الذی أوضحه.

ص:۲۳۵

التسليم للّه هو الميزان

هدى من الآيات:

ما هو موقف الامه الاسلاميه من ثقافه اليهود و النصارى؟ بيّن القرآن جانبا من هذا الموقف و فى هذه الآيات يبين البقيه:

لكى يدعم ايمان الامه بشخصيتها المتميزه يكرر القرآن القول بان المقياس عند اللّه ليس اسم اليهود أو النصارى بل المقياس هو التسليم المطلق للّه و تنفيذ أوامره.

و توضيحات لهذه الفكره يبين القرآن مدى التناقض الموجود و القائم بين اليهود و النصارى،و كيف انهم اتخذوا دينهم وسيله لتكريس تناقضاتهم،حتى انهم أخذوا يوجهون عداءهم للدين ذاته و يحاربون مساجد اللّه.فهل هم مسلمون؟ ثم انهم يتخذون للّه ولدا فهل هم مؤمنون باللّه أم مشركون؟ و هم يجادلون اللّه فى رسالاته فهل لهم الحق فى ذلك؟

ص:۲۳۷

اليهود و النصارى يريـدون و بصـراحه تصـفيه الرساله الجديـده و على الامه ان تعرف انها تملك العلم و الهدى و عليها ان تدافع عنهما بقوه.

لان المؤمن الحقيقى هو الذى لا يحرف كتابه بل يتلوه حق تلاوته اما أولئك الذين يقرءون كتبهم ليحرفوها فهم الخاسرون.

و أخر الـدرس يعيـد القرآن ذات الآـيتين اللتين بـدأ بهمـا الحـديث عن بنى إسـرائيل و فيهما ترغيب و ترهيب و خلاصه لحكمه تفضيل بنى إسرائيل على العالمين فى العصور السابقه.

بينات من الآيات:

[۱۱۱]هـل ينخـدع ربنـا بالألفـاظ؟و هل كل من قال انا مسـلم،أو انا يهودى، أو نصـرانى يتقبله فورا و يـدخله الجنه؟كلا انه يريد العمل الصالح.

و لكن لمـاذا يتصور بعض النـاس ان الإسـلام وحـده كاف لربط أحـد الناس باللّه؟ الجواب:لان هؤلاء يتخـذون الـدين مجموعه امانى و أحلام،و يفسرون كلماته و احكامه بحيث تتمشى مع أحلامهم الجميله،و أمانيهم الطيبه،إنهم اتخذوا الدين ماده تخديريه تنسـيهم لوقت مـا مشـاكلهم المعقـده،و تؤملهم فى حياه أفضل،تأتيهم بلا عمل،بلا تضـحيه و بلا عطاء..اما الواقع فان هـذا الـدين موجود فقط فى أذهانهم.

اما عند اللّه فان الدين يتمثل فى غير ذلك..بل فيما يتناقض معه كليا لنستمع الى اللّه:

وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّهَ إِلّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ التى يخدعون أنفسـهم بها،و ليس هذا دينا من عند اللّه إذ فور ما تتعرض هذه

الامانى الطفوليه لوهج العقل تذوب.

قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ .

[١١٢]هل تريدون ان تعرفوا الدين الصادق؟ بَلىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ .

فلم يعبد فى قلبه و لا فى عمله غير اللّه،هذا الشرط الاول،و الشرط الثانى ان يعمل عملا صالحا.

وَ هُوَ مُحْسِنٌ .

هذا الإنسان قد تمسك بالدين الصحيح.

فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ .

اما من تمسك بالامانى فعله أن يخاف من المستقبل و سوف يحزن على أيّامه التى قضاها فى الدنيا عاطلا عن العمل معتمدا على هذه الامانى الباطله.

[١١٣]و مثل هؤلاء مثل اليهود و النصارى الذين اتخذوا الدين امانى،و طبقوه على أحلامهم،و كرسوا به تناقضاتهم التى ركبوها على دينهم الباطل.

وَ قٰالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصٰارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وَ قٰالَتِ النَّصٰارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ .

بينما تجد ان كلا منهما يقرأ نفس الكتاب و يطبق ذات التعاليم.

وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتٰابَ .

فلا بدّ أن يوحدهم هذا الكتاب،و هل من كتاب للّه يفرق بين الناس أم انّهم حرفوا معانى الكتاب و فسروه حسب أهوائهم؟و هذا يعنى انهم لم يستفيدوا من كتابهم شيئا حيث ان الذين لا كتاب لهم أيضا يختلفون بعضهم على بعض.

كَذٰلِكَ قٰالَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

[۱۱۴]لان هؤلاء يختلفون مع بعضهم فى الدين فإنهم يمنعون رفاقهم من دخول معابد أعدائهم،و يشنون حربا دعائيه ضدها،و لكن السؤال الموجه لهم:أنتم تخالفون بعضكم فى قضايا ماديه،فلما ذا تمدون هذا الخلاف الى الدين و الى عباده اللّه؟! وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسٰاجِدَ اللّٰهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعىٰ فِى خَرٰابِهٰا .

و بهذه الطريقه يشيعون حول المساجد جوا من الخوف و الريبه،إذ يتهم كل فريق معبد الفريق الاخر مما يجعلون المساجد موضع التهم و الخلاف و لذلك:

أُولٰئِكَ مٰا كٰانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهٰا إِلاّٰ خٰائِفِينَ لَهُمْ فِى الدُّنْيٰا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَهِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ .

الخزى فى الدنيا لطغيانهم على بعضهم،و العذاب فى الاخره لتغييرهم الدين، و تحريفهم مبادئ الوحده و التضحيه فيه.

تضخيم الاختلافات:

[۱۱۵]الخلافات القائمه بين الأديان ليست كبيره،و انما ضخّمها أصحاب المصالح الماديه من أجل الاكتساب منها.مثلا اختلاف القبله.فاللّه هو الا له فى

السماء و الأرض و فى المشرق و المغرب.

وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ .

واسع،تشمل قدرته كل الجهات،و عليم بمن يعبده انّى اتجه شرقا أو غربا.المهم عند اللّه هو التسليم،و مخالفه الشهوات العاجله من اجله،و ليست الجهه التى يعبد الناس ربهم إليها.كل هذه من القضايا غير الاساسيه التى يضخمها أصحاب الاختلافات ابتغاء الوصول الى مكاسب ماديه من وراء الاختلاف.

[١١٦]و من السلبيات التى وقع فيها بنو إسرائيل،و علينا تجنبها:هو الشرك باللّه.

وَ قالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً .

انطلاقا من تفكيرهم الضيق حيث لم يستطيعوا ان يفرقوا بين النبوه و البنوه، و زعموا ان سمو درجه النبى و قيامه ببعض المعاجز يجعله ابنا للّه.

سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ .

و ليس هناك شىء أقرب الى اللّه من شىء فى الخلق.

كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ .

فليس هناك شىء أو شخص يمكن ان يتعالى على اللّه باعتباره ولدا له بل كل شىء خاضع له لأنه خلقه و يرزقه و اليه مصير كل شىء.

[١١٧]و اللّه حين خلق الأشياء لم يخلقها بشكل تنفصل منه الأشياء كما ينفصل المولود عن والدته بل وهب لها الخلق و ابدعها ابداعا،فهو.

ص:٢٤١

بَدِيعُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

فهو إذا لم يتخذ ولدا لا بعد أن خلق الأشياء و لا حين خلقها.

[۱۱۸]و قال الكفار إذا لم يكن عيسى ابنا للّه،و إذا لم يكن موسى و عزيز و هارون أبناء اللّه،فلما ذا خصهم اللّه سبحانه بالنبوه دوننا؟ وَ قٰالَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ لَوْ لاٰ يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ أَوْ تَأْتِينٰا آيَةٌ كَذٰلِكَ قٰالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ .

اى ان كل الكفار على امتداد التاريخ اعتمدوا على هذه الحجه فى تصورهم -شركاء للّه-حيث شاهدوا بعض الأشياء أقوى من بعضها أو بعض الأشخاص أهم من غيرهم فقالوا:لو لم تكن هذه الأشياء انصاف الهه،و لو لم يكن هؤلاء الهه فلما ذا فضلوا على غيرهم؟ تَشٰابَهَتْ قُلُوبُهُمْ .

و منطلقات تفكيرهم و الواقع ان المسيحيه أو اليهوديه لم تتأثر فقط بالثقافه الاغريقيه التى كانت تتصور ان للكون أربابا من دون اللّه، بل و تأثرت أيضا بذات المنطلقات الفكريه التى كانت موجوده عند هؤلاء.أولئك لم يفهموا حكمه التفاضل فى المخلوقات فزعموا ان الحجر الكريم لم يفضل على الحجر العادى الا لأنه يجسد جانبا من الالوهيه،و كذلك السلاطين لم يؤتوا الملك و القوه الا لان فيهم عرقا من اللّه(سبحانه).

و هؤلاء أيضا لم يفهموا حكمه التفاضل و قالوا لو لم يكن عيسى إلها فلما ذا فضل علينا،و كلمه اللّه أو أتاه البينات و لم يكلمنا أو يؤتينا البينات يقول اللّه:

قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .

اى أنّ هنالك ادله واسعه تنفى هذا التفكير،و لكنها تحتاج الى عقول متفتحه و مثقفه و رفيعه المستوى.

[۱۱۹]و كما أرسل اللّه الأنبياء من قبل.دون ان يكونوا أولاد اللّه.أرسلك اللّه يا محمد صلى الله عليه و آله .

إِنّٰا أَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً .

و لكنك لست مسئولا بعد أداء البلاغ عنهم.

وَ لاٰ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحٰابِ الْجَحِيمِ .

فدورك إذا دور محدود ليس فيه ذره من الالوهيه أبدا.

مصدر الإلهام:

[۱۲۰]و عليك يا محمد ان تستوحى افكارك و تفاصيلها من مصدر واحد هو اللّه،و لا تخلطها بثقافات الديانات الاولى التى فسدت و دخلها الشرك و الضلال، و لا تفكر فى ان أولئك سيرضون عنك لو اتبعتهم فى شيء من افكارهم،كلا.

وَ لَنْ تَرْضىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لاَ النَّصٰارىٰ حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدىٰ بالكامل و هذا يؤدى الى الغاء دورك.

وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِى جٰاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مٰا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ

انهم لا یملکون الا أهواء،و أنت تملک العلم و من یترک العلم الی الهوی فسوف یخسر المستقبل،و لا ینصره اللّه.

[۱۲۱]الیهود و النصاری حرّفوا دینهم و فسّروا نصوص کتابهم المقدس تفسیرا باطلا و لکن.

اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاٰوَتِهِ أُولٰئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ ایمانا صادقا لأنهم یتلون الکتاب لیفهموا ما فیه ثم یطبقوه،و لا یتلونه لکی یرکّبوا علیه افکارهم الباطله.اما الذین یتلون الکتاب لیجدوا فیه ایه تؤیدهم فیأخذونها و یجعلونها شعارا یبررون بها تصرفاتهم الباطله،و یترکون سائر الآیات،فهم فی الواقع یکفرون بالکتاب کفرا تاما.

وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ لأنهم سوف لا یستفیدون من هدی الکتاب،و لا من تعالیمه الحیاتیه الصائبه.

[۱۲۲]بنو إسرائیل کانوا یتلون الکتاب حق تلاوته،ففضلهم اللّه علی العالمین،ثم ترکوا ذلک،فانتهی بهم المطاف الی الذل و المسکنه.

الآن علیهم ان یتذکروا واقعهم السابق،و یعودوا الی أسباب تقدمهم.

یٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ من الکتاب و الرسول الذین بهما تقدمتم.

وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعٰالَمِینَ

ص:۲۴۴

بهذین العاملین الاساسیین للتقدم،الکتاب و الرسول.

[۱۲۳] وَ اتَّقُوا یَوْماً لاٰ تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَ لاٰ یُقْبَلُ مِنْهٰا عَدْلٌ وَ لاٰ تَنْفَعُهٰا شَفٰاعَهٌ وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ و لو ان بنی إسرائیل تذکروا نعمه اللّه-و هی الرساله-و اتقوا یوم الجزاء، لا خذوا بجذور الدین و أصوله الثلاث«التوحید-الرساله-المیعاد».

و هذه رؤیه عامه یذکرها القرآن الحکیم فی أخر حدیثه عن بنی إسرائیل لیبین ان جوهر الدین و جوهر تقدم الأمم یتلخص فی الایمان باللّه و برسالاته و بیوم القیامه.

ص:۲۴۵

[سوره البقره (۲): الآيات ۱۲۴ الى ۱۴۰]

اشاره

وَ إِذِ اِبْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنِّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي اَلظّٰالِمِينَ (۱۲۴) وَ إِذْ
جَعَلْنَا اَلْبَيْتَ مَثٰابَةً لِلنّٰاسِ وَ أَمْناً وَ اِتَّخِذُوا مِنْ مَقٰامِ إِبْرٰاهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهِدْنٰا إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ أَنْ طَهِّرٰا بَيْتِيَ لِلطّٰائِفِينَ وَ
اَلْعٰاكِفِينَ وَ اَلرُّكَّعِ اَلسُّجُودِ (۱۲۵) وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِيمُ رَبِّ اِجْعَلْ هٰذٰا بَلَداً آمِناً وَ اُرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ اَلثَّمَرٰاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ
اَلْآخِرِ قٰالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلىٰ عَذٰابِ اَلنّٰارِ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ (۱۲۶) وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰاهِيمُ اَلْقَوٰاعِدَ مِنَ اَلْبَيْتِ وَ
إِسْمٰاعِيلُ رَبَّنٰا تَقَبَّلْ مِنّٰا إِنَّكَ أَنْتَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۱۲۷) رَبَّنٰا وَ اِجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنٰا مَنٰاسِكَنٰا وَ
تُبْ عَلَيْنٰا إِنَّكَ أَنْتَ اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِيمُ (۱۲۸) رَبَّنٰا وَ اِبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ
يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۱۲۹) وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرٰاهِيمَ إِلاّٰ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اِصْطَفَيْنٰاهُ فِي اَلدُّنْيٰا وَ إِنَّهُ فِي اَلْآخِرَةِ
لَمِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۱۳۰) إِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قٰالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۳۱) وَ وَصّٰى بِهٰا إِبْرٰاهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يٰا بَنِيَّ إِنَّ اَللّٰهَ
اِصْطَفىٰ لَكُمُ اَلدِّينَ فَلاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۳۲) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدٰاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اَلْمَوْتُ إِذْ قٰالَ لِبَنِيهِ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ
بَعْدِي قٰالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَ إِلٰهَ آبٰائِكَ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ إِلٰهاً وٰاحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۱۳۳) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا
كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مٰا كَسَبْتُمْ وَ لاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۳۴) وَ قٰالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصٰارىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً وَ مٰا
كٰانَ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۱۳۵) قُولُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْنٰا وَ مٰا أُنْزِلَ إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبٰاطِ وَ مٰا
أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ مٰا أُوتِيَ اَلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۱۳۶) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مٰا آمَنْتُمْ بِهِ
فَقَدِ اِهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا هُمْ فِي شِقٰاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اَللّٰهُ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۱۳۷) صِبْغَةَ اَللّٰهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اَللّٰهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ
لَهُ عٰابِدُونَ (۱۳۸) قُلْ أَ تُحٰاجُّونَنٰا فِي اَللّٰهِ وَ هُوَ رَبُّنٰا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَكُمْ أَعْمٰالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (۱۳۹) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ
إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبٰاطَ كٰانُوا هُوداً أَوْ نَصٰارىٰ قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اَللّٰهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهٰادَةً عِنْدَهُ
مِنَ اَللّٰهِ وَ مَا اَللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۱۴۰)

اللغه

۱۲۴[الابتلاء]الاختبار.

[ينال]يلحق،يدرك.

۱۲۵[المثابه]الموضع الذى يثاب اليه من ثاب يثوب و منه ثاب اليه عقله أى رجع بعد غروبه.

[للطائفين]الطائف و الجائل و الدائر نظائر و يقال طاف يطوف إذا دار حول الشىء.

[العاكفين]العاكف المقيم على الشىء اللازم له و العاكف المعتكف فى المسجد.

۱۲۶[أضطره]الاضطرار هو الفعل فی الغیر علی وجه لا یمکنه الانفکاک منه.

۱۲۷[یرفع]الرفع و الاعلاء و الإصعاد نظائر و نقیض الرفع الوضع.

[القواعد]جمع قاعده و أصله فی اللغه الثبوت و الاستقرار فمن ذلک القاعده من الجبل و هی أصله و قاعده البناء أساسه الذی بنی علیه.

۱۲۸[مسلمه]الإسلام هو الانقیاد لأمر اللّه تعالی بالخضوع و الإقرار بجمیع ما أوجب اللّه و هو الایمان.

[مناسکنا]المناسک المتعبدات،و کل متعبد منسک و النسک فی اللغه العباده و النسک الذبیحه و المنسک الموضع الذی تذبح فیه النسائک.

ص:۲۴۸

۱۲۹[العزيز]القدير الذى لا يغالب و قيل هو القادر الذى لا يمتنع عليه شىء أراد فعله.

[الحكيم]المدبر الذى يحكم الصنع و يحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل و يكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات.

۱۳۰[يرغب]الرغبه المحبه لما فيه للنفس منفعه و رغبت فيه ضد رغبت عنه.

[اصطفيناه]الاصطفاء و الاجتباء و الاختبار نظائر،و الصفو نقيض الكدر و صفوه كل شىء خالصه،وصفى الإنسان اخوه الذى يصافيه الموده.

۱۳۲[وصى]وصى و أوصى و أمر و عهد بمعنى واحد.

۱۳۳[شهداء]جمع شهيد و الشاهد و الحاضر من النظائر و تقول حضرت القوم أحضرهم إذا شهدتهم.

ص:۲۴۹

۱۳۴[أمه]الامه كل جماعه يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد،سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا و جمعها أمم فالامه هم أهل المله الواحده و يجمعهم إمام.

۱۳۶[الأسباط]واحدهم سبط و هم أولاد إسرائيل و هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم و هم إثنا عشر سبطا من اثنى عشر ابنا و قالوا الحسن و الحسين سبطا رسول اللّه صلى الله عليه و آله أى ولداه و الأسباط فى بنى إسرائيل بمنزله القبائل من ولد إسماعيل.و قيل السبط الجماعه يرجعون الى أب واحد.

۱۳۷[شـقاق]الشـقاق المخالفه و كونک فی غیر شق صاحبک أو من شق العصا بینک و بینه قال« إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَإِنَّمَا هُمْ فِی شِقَاقٍ »أی مخالفه.

[فسیکفیکم]الكفایه بلوغ الغایه و یقال یكفی و یجزی و یغنی بمعنی واحد.و كفی یكفی كفایه إذا قام بالأمر و كفاک هذا الأمر أی حسبک.

ص:۲۵۱

إبراهيم رمز الوحده

هدى من الآيات:

انتهت الدروس التى استفدناها من تاريخ بنى إسرائيل،و اعطى القرآن من خلال سرده لقصصهم رؤيه متكامله لطراز من الامه التى انحرفت،لكى نعرف المسار الصحيح الذى يجب ان تسير عبره الامه الاسلاميه مستقبلا،و يتجنبوا تلك الانحرافات الاسرائيليه.

و ها هو القرآن يتحدث إلينا عن إبراهيم لعده أسباب:

أولا:ليعطى من خلال قصصه رؤيه عن كفار قريش الذين يزعمون انهم ينتمون الى النبى إبراهيم عليه السلام .

ثانيا:ليركز على العامل المشترك بين بنى إسرائيل و العرب و بالتالى بين الأديان السماويه الثلاث الرئيسيه،رساله موسى فعيسى ثم محمد-عليهم السلام-.

ص:۲۵۲

فقبل كل شىء من هو إبراهيم و كيف أصبح نبيا،رسولا و إماما للأمم..؟ثم من هو الذى يستحق ان يكون إماما من بعده..هل كل من انتمى نسبيا الى إبراهيم؟ الكعبه التى يتوجه إليها المسلمون ليست من صنع العرب حتى يخالفها الاسرائيليون بل هى بيت اللّه الذى بناه إبراهيم جد العرب وجد بنى إسرائيل.

و لكن الكعبه هذه ليست محلا لتعليق الأصنام بل مقاما لعباده اللّه وحده.

لان إبراهيم بناها و هو يردد كلمه التوحيد..و يدعو اللّه ان يثبته عليها، و إبراهيم دعا اللّه ان يبعث فى أبنائه رسلا،و لم يأت النبى محمد صلى اللّه عليه و آله الا استجابه لذلك الدعاء.

بينات من الآيات:

كيف يختار اللّه رسله:

و السؤال الذى يجيب عليه القرآن فى بدايه هذه المجموعه من الآيات هو:

[۱۲۴]هل يختار اللّه رسله عبثا..و دون سابق اختيار؟كلا..

انه يعرضهم لأشد الاختبارات فان نجحوا فيها حملهم رسالته..و إبراهيم عليه السلام،مر باختبارات صعبه فألقى فى النار و صبر و اخرج من بلده و صبر،و ابتلى بأمر اللّه له ان يذبح ابنه فلبى الأمر و..و..و بعدئذ اختير إماما.

وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فيها أوامر صارمه و صعبه.

فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنِّی جٰاعِلُکَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً فإبراهیم لم یحصل علی الرساله مجانا و بلا ثمن أو لأنه یملک عنصرا أجود من غیره أو دما ازکی حتی یسری ذلک الدم فی أبنائه بل أعطاه اللّه الرساله بعد امتحان عسیر..ثم ان إبراهیم طلب النبوه لأبنائه فرفض طلبه.

قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قٰالَ لاٰ یَنٰالُ عَهْدِی الظّٰالِمِینَ و فی ذریتک من هو ظالم یفشل فی الاختبار و الامامه عهد اللّه و عهد اللّه لا یعطی للظالمین.

[۱۲۵]هنالک حجتان تمسک بهما أهل مکه للدلاله علی انهم أقرب الی اللّه من غیرهم و بالتالی فلهم الحق فی السیاده علی العرب.

الحجه الاولی:انهم أبناء إبراهیم و ورثته علی البیت و قد ادحضها القرآن فی الآیه الاولی.

الحجه الثانیه:ان اللّه منّ علی بلدهم بالیسار و الخیر و کمثل کل الأغنیاء فی الأرض یزعمون ان اللّه لم ینعم علیهم بالغنی الا لأنهم أقرب الناس الیه سبحانه و فی الآیتین التالیتین دحض لهذه الحجه السخیفه یقول اللّه:

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَیْتَ مَثٰابَهً لِلنّٰاسِ مرکزا للناس فی الجزیره یعودون الیه لما خرجوا منه.

وَ أَمْناً حیث وفر اللّه فیه السلام حیث ینعدم السلام فی سائر أنحاء الجزیره..و لکن

کیف وفر اللّه السلام فی مکه..لأنه جعل فیها مقام إبراهیم..و إبراهیم الجد الأعلی لاکثر العرب و من ثم رمز الوحده بین الناس..من هنا جاء الأمر الالهی بتقدیس مقام إبراهیم(و هو الحجر الوحید الذی اعطی له قیمه بعد الحجر الأسود)و قال اللّه:

وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقٰامِ إِبْرٰاهِیمَ مُصَلًّی ای اجعلوا صلاتکم عند مقام إبراهیم.بشرط ان تکون الصلاه للّه..و لکن مع تذکر فضل إبراهیم علیکم حیث أصبح وسیله لهدایه اللّه لکم.

الإسلام لا یقدس شیئا من دون اللّه و لکنه یعطی لکثیر من الأشیاء أو الأشخاص قیمه التوسط بین العباد و بین فضل اللّه،فالغنی المنفق فی سبیل اللّه واسطه لبلوغ نعمه اللّه«و هو المال الی الفقیر»و یجب ان یشکر الفقیر ربه قبل کل شیء و الآمر بالخیر و الداعی الی اللّه واسطه فی هدایه الناس،و الأنبیاء هم وسائل یهدی بهم اللّه عباده صراطا مستقیما و حین نشکرهم أو نقدرهم لیس شکرا ذاتیا و لا تقدیرا الوهیا بل شکرا و تقدیرا یسبقه شکرنا للّه و تقدیسنا له.

و مقام إبراهیم من ذلک النوع حیث اننا لا نقدسه بل نقف نصلی للّه عنده تقدیرا لمقام إبراهیم و من ثم لإبراهیم نفسه.

و ما لبث ان ذکرنا القرآن الحکیم بهذه الحقیقه حیث نبهنا الی ان إبراهیم امر بأن یطهر بیت اللّه من الأصنام فکیف یمکن ان یتخذ مقامه صنما یعبد من دون اللّه.

وَ عَهِدْنٰا إِلیٰ إِبْرٰاهِیمَ وَ إِسْمٰاعِیلَ أَنْ طَهِّرٰا بَیْتِیَ من کل دنس ظاهر أو باطن واعدوه..

ص:۲۵۵

لِلطّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ .

إذا ما نجده فى البيت من وسائل الراحه و الأمن فانما هى لتحقيق هدف البيت من الطواف و الاعتكاف و الركوع و السجود و ليست إكراما لعين ذريه إبراهيم الشرفاء.

[۱۲۶]و يدل على ذلك ان إبراهيم دعا اللّه سبحانه ان يحدد نعمه فى الصالحين فقط،لأنه تصور ان نعم اللّه فى الدنيا دليل على حب اللّه و تقديره لصاحبها و لكن اللّه ابى.

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ إذا النار تنتظر الكفار من ولد إبراهيم-ع-بالرغم من الثراء و الأمن و السياده التى يتمتعون بها الآن..لان كل هذه النعم اختبارات يتعرضون لها لتجربه مدى صمودهم امام ضغط الانحرافات التحريفيه.

[۱۲۷]كان البيت موجود و جاء إبراهيم ليرفع عليه البناء و لكنه امتزج بروح التوحيد و الامتثال الى اللّه و لم يكن بناء من أجل التفاخر أو الرئاسه أو بلوغ الشهوات«كما تصوره ذريه إبراهيم و سدنه البيت الحرام من قريش».

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ و هم يرددون هذا الابتهال:

رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا

ص:۲۵۶

عملنا،إذ العمل قد لا يتقبله اللّه إذا امتزج بالنيه السيئه أو تعدد هدفه فكان يهدف مرضاه اللّه و مرضاه الناس معا،و قد جاء فی ایه کریمه« إِنَّما یَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ ».

و حین کان یدعو إبراهیم و ابنه بان یتقبل اللّه منهما-فانما کانا یخلصان عملهما للّه.

إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ لدعوات العباد.

اَلْعَلِیمُ لاهداف الناس التی ینوون تحقیقها من أعمالهم،هل هی اهداف نقیه للّه خالصه لوجهه أم لا.

الآثار الایجابیه للعمل الصالح:

[۱۲۸]و کان هدف إبراهیم و ابنه هو ان یساهم عملهما فی تعمیق روح التوحید فی نفوسهم،حتی یصبحا خاضعین کلیه للّه،ذلک ان العمل الصالح الخالص یزید الایمان و ینمی الاراده، من هنا کان یسعی إبراهیم و ابنه من خلال بناء البیت الی هذه الغایه و یقولان:

رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ و العمل الصالح یساهم أیضا فی صلاح ذریه الفرد و قد استهدف إبراهیم و إسماعیل من بناء البیت ان یصبح دلیلا عینیا لاسلامهما و مرکزا دینیا توحیدیا لذریتهم و قالا:

وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنٰا مَنٰاسِكَنٰا وَ تُبْ عَلَيْنٰا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ و العمل الصالح يزيد صاحبه هدى و علما بأسلوب العمل فى المستقبل و قد جاء فى ايه قرآنيه:« وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا »و كذلك استهدف إبراهيم و إسماعيل من بناء البيت بلوغ المزيد من الهدى و معرفه المناسك و من ثم استهدفا من وراء بناء البيت ان يتوب اللّه عليهم و هو الهدف الاخر الذى يمكن تحقيقه باى عمل صالح ان يغفر اللّه لصاحبه ما تقدم من تقصيره و ذنوبه.

[۱۲۹]المؤمن الصادق يعرف قيمه الايمان و مدى اهميه حياه الإنسان و لذلك فهو يستهدف تعميم الايمان على الناس جميعا ليسعدوا به،و كان إبراهيم و إسماعيل يدعوان اللّه بذلك و يقولان:

رَبَّنٰا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ من أنفسهم،و ليس غريبا عنهم كى يكونوا(أولاد إبراهيم)أول الناس ايمانا برسالته و الهدف من هذه الرساله هو أولا:

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِكَ حتى يهتدى بها الناس إليك يا رب إذ أن أول الدين معرفه اللّه معرفه يزيدها النظر فى ايات اللّه هدى:

ثانيا:

وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ نظاما لحياتهم و تشريعا لطقوس دينهم.

ثالثا:یعلمهم.

وَ الْحِکْمَهَ و ما یرتبط بالحیاه العملیه من دساتیر خلقیه و آداب اجتماعیه.

رابعا:

وَ یُزَکِّیهِمْ ینمی فیهم روح الایمان و الاراده،و یربیهم علی مکارم الأخلاق و یحولهم الی طاقه هائله لتعمیر الحیاه و بسط السلام و الرفاه فی أرجاء الأرض.

إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ بعزتک قادر عل استجابه دعائنا و بحکمتک تحقق لنا ذلک لأنه یتناسب مع الهدف العام لخلقه الکون.

السبیل الی فض الخلاف:

إبراهیم کان مسلما و قد بنی هو و ابنه البیت،و کان جد العرب الأعلی لکی یکون مرکزا للتوحید و علینا ان نتبع مله إبراهیم و کل من یخالف هذه المله سیکون سفیها لأنه یبتعد عن الخیر فی الدنیا و الاخره.

و أبناء إبراهیم کانوا موحدین و لم یکونوا یهودا أو نصاری و المطلوب منا العوده الی توحید إبراهیم حتی تنتهی خلافاتنا مع الیهود و النصاری و نؤمن فی نفس الوقت بکل رسالات السماء،و کل المرسلین من قبل اللّه هذا هو خط التوحید و الذی ینحرف عنه فهو المتمرد.

ص:۲۵۹

ان اللّه هو المقياس فى تصرفاتنا و نحن لا ندعى اننا مسئولون عنكم بل نحن و أنتم سواء امام اللّه،و لكل منا عمله الذى يجازى عليه عند اللّه.

ان خط اللّه و هو خط إبراهيم عليه السلام لم يكن الشرك كما لم يكن اليهوديه و النصرانيه إذا دعنا نتبع هذا الخط..

هذه خلاصه هذه الآيات و لقد تكررت ايه واحده فيها(۱۳۴-۱۴۱)لدلاله على ان لكل عهد شريعه و منهاجا قد يكونان صحيحين لـذلك العهـد و لكنهما خاطئين لعهد أخر و لرجال آخرين،و هذه اشاره الى ان بعض تفاصيل اليهوديه و النصرانيه لا تصلحان للمرحله الجديده التى ابتدأت مع رساله النبى محمد صلى الله عليه و آله .

مله إبراهيم:

[۱۳۰]إبراهيم كان رمز التوحيد و طريقه هو طريق التوحيد فى التاريخ، و كانت ثمرات توحيده ظاهره للناس،فذكره الحسن يلهج به كل لسان و يحاول كثير من الناس ان ينتموا اليه،و يشرفهم هذا الانتماء امام الناس انه مصطفى فى الأرض،اما عند اللّه فهو من الصالحين،إذا ما يضر الإنسان ان يسير على خط إبراهيم التوحيدى...

وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْراهِيمَ و طريقته المتمثله فى التوحيد.

إِلّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ و أراد لنفسه الخساره.

وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِى الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِى الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّالِحِينَ

[١٣١]كيف اصطفى اللّه إبراهيم و لماذا؟ببساطه لأنه أسلم كليا للّه.

إِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ فلم يتردد لحظه بل استجاب بقناعه تامه.

قٰالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ [١٣٢]قد تحول إسلام إبراهيم الى مسيره توحيديه فى التاريخ كما تحول شخص إبراهيم الى امه مسلمه،و هذا هو فضل اللّه على إبراهيم و على كل من يسلم مخلصا وجهه للّه.

وَ وَصّٰى بِهٰا بهذه الطريقه(المله).

إِبْرٰاهِيمُ بَنِيهِ و كما فى ذريه إبراهيم الجد الأعلى لليهود و هو يعقوب الذى وصى هو الاخر أولاده و قال:

يَعْقُوبُ يٰا بَنِيَّ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ لَكُمُ الدِّينَ و جعل هذا الدين هو الإسلام للّه و إخلاص العبوديه.

فَلاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ إذ قد يسلم الإنسان فتره من الوقت و لكنه ينهار امام مطارق الشرك و الكفر فيأتيه الموت و هو كافر،إسلامه ضعيف لا ينفعه فى الدنيا و لا فى الاخره انما على الإنسان ان يبقى مسلما فى كل مراحل حياته حتى لو أدركه الموت غفله يكون قد

استعد للقاء ربه و لا يفاجئ بالعذاب الأليم.

[۱۳۳]و قد جسدت فی یعقوب ذاته هذه الوصیه إذ بقی مسلما رغم الصعاب حتی إذا حضره الموت وصی بالتوحید أبناءه.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَ إِلٰهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلٰهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ کم کانت فرحه یعقوب و هو یودع الحیاه و یری ثمرات تربیته لأولاده علی التوحید امام عینیه إذ یجدهم یعاهدونه علی الاستمرار فی خط التوحید.

[۱۳۴]و لکن هل یعنی إسلام إبراهیم و ذریته الصالحین عنا شیئا حتی تکتفی بانتمائنا الجسدی إلیهم(نحن العرب و الیهود)کلا..إذ أولئک قد ذهبوا بأعمالهم الصالحه لأنفسهم و علینا ان نعمل لأنفسنا.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ إذ لا تجزون بجرائم الطالح فیهم و لا تکافؤون بحسنات الصالحین.

[۱۳۵]و بقی السؤال:ما هی مله إبراهیم؟هل هی الیهودیه أم النصرانیه أم الشرک الذی یتجسد فی العرب؟ان هذه الفرق الثلاث تدعی انتماءها الی إبراهیم فأیتها الصادقه؟یقول القرآن کل هذه کاذبه.

وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً رافضا للکفر و الشرک اللذین کانا فی عصره.

ص:۲۶۲

وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كما تدعى العرب انه كان مستقيما يرفض كل أنواع الشرك سواء الذى كان موجودا عند اليهود أو النصارى أو عند العرب.

[۱۳۶]و حين نقول بالعوده الى مله إبراهيم لا يعنى حذف دور الأنبياء العظام الذين جاؤوا من بعده بل نريد تكريس هذا الدور و تجاوز العقبات القشريه التى وضعت فى طريقه و حصرت كل مجموعه من الناس نفسها على نبى و لم تنتفع من رساله الآخرين بفعل العنصريه أو التعصب الأعمى.

إذا عودوا الى جوهر رساله اللّه المتمثله فى توحيد إبراهيم الرافض لكل أنواع الشرك و فى الايمان بكل الأنبياء.

قُولُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْنٰا وَ مٰا أُنْزِلَ إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبٰاطِ الأنبياء من ولد يعقوب لقد انزل على هؤلاء رساله التوحيد.

وَ مٰا أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ مٰا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ من تفاصيل الشرائع الاجتماعيه و التعاليم الخلقيه و..و..و قولوا.

لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ مسلمون للّه الواحد و خاضعون لكل من يرسله ربنا سواء كان عبريا أم عربيا من عائلتنا أم من الأبعدين.

[۱۳۷]هذه هى رساله اللّه الحقيقيه،و غير هذه هراء و تمرد و انحراف..إذ لم

ص:۲۶۳

يرسل اللّه رساله عنصريه الى الناس،و لم يأمر بالعصبيه الجاهليه،و لم يفرق بين أنبياءه و رسالاتهم.

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مٰا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا و سيكون حالهم حال المؤمنين السابقين بلا تمييز بينهم..

وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا هُمْ فِي شِقٰاقٍ فهم المنحرفون عن الخط العام المستقيم،و ليس أنتم..و الانحراف لا يقاس بالكثره و القله بل بمقياس آخر هو مدى الالتزام بخط الفطره،و الحق و صراط اللّه المستقيم،لذلك علينا الا تشككنا قلتنا،و لا توحشنا عن الحق كثره الناس حول الباطل..و نبقى ننعتهم هم بالمتمردين الانفصاليين أهل الشقاق،و نبقى نتحداهم و آنئذ..

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ يسمع دعاء من يدعوه و يعلم ضمير الصامتين.

التوحيد جوهر الوحده:

[۱۳۸]انهم يدعون الى العنصريه أو العصبيه الجاهليه،و يوحدون أنفسهم تحت هذا اللواء أو ذاك..و يصبغون تحركاتهم و افكارهم و مجتمعهم بلون اليهوديه أو النصرانيه و قد يتخذون لأنفسهم أصناما رموزا لوحدتهم و لنوع من الثقافه أو المصلحه أو الأرض التى ينتمون إليها.

و لكننا نؤمن بصيغه واحده و نرفض كل الألوان الاخرى،نرفض كل الرموز كل الأصنام كل شيء يميزنا عن بعضها و يهدد وحدتنا..نحن نؤمن بصبغه اللّه صبغه

التوحید و کفی..لا ندع لحواجز اللغه أو المصلحه أو الإقلیم أو اللون أو العنصر..

أو..أو..ان تفرقنا عن بعضنا تطلی کل جماعه منا بلون مختلف کلا..نحن نطلی أنفسنا بصبغه واحده و هی..

صِبْغَهَ اللّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَهً وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ لا نعبد هذه الألوان المختلفه التی فرقت الناس و جعلت منهم مجموعات متحاربه-یهود-نصاری-عرب-و الی اخره..

[۱۳۹]و حین نقول صبغه اللّه لا یستطیع أحد ان ینکر علینا ذلک إذ ننتمی آنئذ الی اللّه فاطر السموات و الأرض..

قُلْ أَ تُحَاجُّونَنا فِی اللّهِ وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّکُمْ لا نقول لکم تعالوا اتبعونا..بل ندعوکم و أنفسنا الی اللّه..الواحد،دون تمییز بین عنصرنا و عنصرکم..

وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَکُمْ أَعْمالُکُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ کما ندعوکم أنتم ان تکونوا مخلصین له..إذا الدعوه هذه لیست کالدعوات السابقه مشوبه بالشرک أو الضلاله..أو العنصریه أو الاقلیمیه أو غیرها..انها دعوه خالصه للّه رب کل الناس.

[۱۴۰]و هذه الدعوه هی بالذات دعوه الأنبیاء..إذ مستحیل ان تکون رساله السماء موجهه لناس دون ناس..لان اللّه رب کل الناس..خلقهم جمیعا..من ذکر و أنثی،و لم یتخذ بعضهم أبناء له فکیف یفرق بینهم بل ان ما نجده فی رسالات السماء من العنصریه و المصلحیه و غیرها..إنما هی من اضافه الناس

ص:۲۶۵

أنفسهم أضافوها الى الدين كذبا و ظلما..و قالوا:ان الأنبياء هم الذين جاؤوا به من قبل اللّه..

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ اللّه يقول انهم لم يكونوا سوى أنبياء للّه..و أنتم تدعون انهم كانوا هكذا..بل حتى هم يعرفون ان العنصريه و الاقليميه و غيرها هى إضافات ذاتيه افتروا على اللّه بها بعد علم بكذبها،و حرفوا تعاليم الدين التى تنافيها..

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّهِ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ انهم حملوا رساله اللّه..و استؤمنوا عليها و لكنهم خانوا الامانه..و غدا سوف يمثلون للمحاكمه امام اللّه العزيز الحكيم..

[سوره البقره (۲): الآيات ۱۴۱ الى ۱۵۰]

اشاره

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۴۱) سَيَقُولُ اَلسُّفَهاءُ مِنَ اَلنّاسِ ما وَلاّهُمْ عَنْ
قِبْلَتِهِمُ اَلَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلّهِ اَلْمَشْرِقُ وَ اَلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۴۲) وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا
شُهَداءَ عَلَى اَلنّاسِ وَ يَكُونَ اَلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ ما جَعَلْنَا اَلْقِبْلَةَ اَلَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ اَلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى
عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّ عَلَى اَلَّذِينَ هَدَى اَللّهُ وَ ما كانَ اَللّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اَللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۴۳) قَدْ نَرى تَقَلُّبَ
وَجْهِكَ فِي اَلسَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ اَلَّذِينَ
أُوتُوا اَلْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ (۱۴۴) وَ لَئِنْ أَتَيْتَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا
قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ اَلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ
اَلظّالِمِينَ (۱۴۵) اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ اَلْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ اَلْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۴۶) اَلْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُمْتَرِينَ (۱۴۷) وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا اَلْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اَللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اَللّهَ
عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۴۸) وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا
تَعْمَلُونَ (۱۴۹) وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ
عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اِخْشَوْنِي وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵۰)

اللغه

۱۴۲[السفهاء]السفيه و الجاهل و الغبى نظائر.

[ولاهم]ولاه صرفه و قتله و اشتقاقه من الولى و هو القرب و هو حصول الثانى بعد الاول من غير فصل.

۱۴۳[وسطا]الوسط العدل و قيل الخيار و معناهما واحد لان العدل خير و الخير عدل.و قيل أخذ من التوسط بين المقصر و الغالى و قيل الوسط من كل شيء أعدله و أفضله و قيل فى صفه النبى صلى الله عليه و آله :كان من أوسط قومه أى من خيارهم.

ص:۲۶۷

[عقبيه]العقب مؤخر القدم و عقب الإنسان نسله و التعقيب الرجوع الى أمر تريده و منه لم يعقب.

۱۴۴[الرؤيه]ادراک الشیء بالبصر و نظيره الأبصار ثم تستعمل بمعنی العلم.

[التقلب]التحول و التصرف نظائر و هو التحرک فی الجهات و يقال وليتک القبله ای صيرتک تستقبلها بوجهک.

[شطره]ای نحوه.

ص:۲۶۸

۱۴۷[الممترين]الامتراء الاستخراج و قيل الاستدرار،و المريه الشك و منه الامتراء و التمارى و المماراه و المراء الجدال و أصل الباب الاستدرار يقال بالشكر تمترى النعم أى تستدر.

ص:۲۶۹

القبله رمز وحده الأمه

هدی من الآیات:

سوره البقره بینت شخصیه الامه الاسلامیه فبدأت تقسم الناس الی ثلاثه أقسام:(المتقون ثم الکافرون و المنافقون) ثم وضحت کثیرا من صفاتهم و بعدئذ تناولت بنی إسرائیل کمثل لأمه مؤمنه و شرحت قصصهم و العبر التی یجب ان نستفیدها من حیاتهم.و آخر درس أعطانا القرآن فی هذا المجال هو:ضروره التمسک بهدی القرآن و عدم التأثر ببنی إسرائیل.ذلک لأنها امه قد انحرفت و لأنها امه قد خلت،لها ما کسبت و لکم ما کسبتم.

و بذلک ضمن القرآن الحکیم،للأمه الإسلامیه(شخصیتها)الثقافیه و استقلالها عن الأمم السابقه.و ها هو یبین لنا رمز هذا الاستقلال الظاهر،و المتمثل فی القبله التی توحد بین أبناء الأمه الإسلامیه،و تعطی لهم کیانا متماسکا،و من جهه ثانیه تمیزهم عن سائر الأمم.

یبدأ القرآن هذا الدرس بتکرار الآیه التی سبقت و أوضحت:بان تطور الزمان

قد يؤثر فی اختلاف التشریع،و ان علی الأمه ان تفکر تفکیرا مستقلا و دون التأثر بسلبیات الأمم السابقه(تِلْکَ أُمَّهٌ قَدْ خَلَتْ).

ثم یحدثنا عن ان القبله لیست مقدسه بذاتها بل لأن اللّه امر بتکریمها.و إذا غیّر اللّه القبله زالت قداسه القبله الأولی،و لیس للّه سبحانه حلول فی القبله حتی تقدس تقدیسا دائما.

و بین مدی العلاقه بین القبله و بین شخصیه الأمه التی جعلت مهیمنه علی سائر الأمم و شاهده علیها تراقب مدی تطبیقها لقیم الحق.

و اما القبله السابقه فکان تشریعها بهدف محدد و محدود،هو:اختبار مشرکی قریش لمعرفه مدی صدقهم فی قبول رساله اللّه التی تدعوهم الی اتباع قبله أعدائهم الیهود.

القبله التی شرّعت للأمه هو المسجد الحرام، الذی له کرامه یعرفها أهل الکتاب و لکنهم یکتمون الحق،انطلاقا من أهوائهم و تفکیرهم العنصری الضیق.

و لقد کان الأحری بهم ان یطبقوا کتابهم علی أنفسهم،لا ان یحرّفوا الکتاب حسب أهوائهم.و بالرغم من ان قبلتک حق لا ریب فیه،فلا یعنی ذلک ان تتورط الامه فی العنصریه،و تزعم أنها بمجرد التوجه الی القبله الحق تکون هی أکرم عند اللّه من غیرها.

کلاّ،إن هذه شعائر ظاهریه لا أکثر،و مقیاس الکرامه هو التسارع الی الخیرات،فمن کان أسبق الناس الی الخیر کان أکرم عند اللّه،و بعد ان یؤکد القرآن التوجه الی المسجد الحرام یحذر الامه من الضعف امام الأعداء أو الخشیه منهم،لأن من کان مع الحق یجب ان لا یخشی أحدا.

بينات من الآيات:

الانفصال نقطه الانطلاق:

[۱۴۱]و ضـمن هذا الإطار الفكری،بیّن القرآن الحکیم حقیقه هامه هی اننا و من أجل ان نبنی حیاه جدیده علینا ان ننفصل نفسـیا من التـأثر بالواقع المعاش، بالرغم من ان للواقع القائم ثقلا هائلا،و ضـغطا نفسـیا و اجتماعیا کبیرا،و لکی یبین لنا القرآن أنکم امه جدیده ذات قبله جدیده،ذکر لنا سـلفا ان کل امه لها دورها التاریخی،و واقعها الخاص بها،و علی الأمم الاخری ان تستقل عنها،و ان تبنی حیاتهـا وفق احتیاجاتهـا و ظروفهـا،ذلـک ان اللّه لاـ یسألنا عما فعل الآخرون بقـدر ما یسألنا عما فعلنا نحن،فان فعلوا خیرا فلأنفسـهم،و علینـا ان نعمـل الخیر لأنفسـنا و وفق حاجـات عصـرنا،و ان فعلوا شـرا فلأنفسـهم،و علینا الا نعمله و نبرر ذلک بأنهم فعلوه،إذ قد یکون الذی عملوه فی عصرهم خیرا لأنفسهم و هو شر بالنسبه الی واقعنا، من هنا قال اللّه لنا بصراحه:

تِلْکَ أُمَّهٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا کَسَبَتْ من خیر أو شر.

وَ لَکُمْ مٰا کَسَبْتُمْ وَ لاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ بل انما تسألون عما تعملون أنتم،و لـذلک یجب ان تسـتقلوا فی تفکیرکم،و فی أعمالکم،ما دمتم أنتم مجزیین بذلک دون غیرکم.

[۱۴۲]و السفهاء وحدهم یزعمون ان الواقع یجب ان یبقی بحجه انه الحق.

کلا،إذ قد یکون الواقع حقا بالنسـبه الی عصـر دون عصـر،و قداسه القبله لیست بسـبب ان اللّه موجود فی مکان القبله.بل لأن اللّه امر بذلک،یقول اللّه تعالی:

ص:۲۷۳

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النّاسِ مَا وَلاّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا زاعمين انّ الواقع السابق للأمّه حيث كانوا على قبله معينه،يجب ان يظل قائما،كلا.

قُلْ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ الصراط المستقيم فى العمل هو:وجه اللّه سبحانه،و ليس التوجه الى المشرق و المغرب.

[۱۴۳]و التوجه الى الكعبه لم يشرع فى الإسلام،الا لكى يجعل اللّه من المسلمين امه متميزه عن الأمم الاخرى،و رقيبه على مدى تطبيق سائر الأمم لتعاليم الله،فى الحق و الحريه،و العداله الاجتماعيه،و لو كانت الأمه متجهه الى قبله أهل الكتاب لم تكن قادره على توجيه مشركى العرب المعتقدين بالكعبه،كما انها لم تكن تستطع توجيه اليهود و النصارى الذين كانوا يزعمون أنفسهم-انئذ-أصحاب القبله،و يعتقدون ان المسلمين مجرد اتباع لهم،لذلك قال اللّه تعالى:

وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً هداكم اللّه الى صراط مستقيم هو:الصراط الوسط بين تطرف الناس ذات اليمين و ذات الشمال،بين تطرف اليهود الى الماديه،و تطرف النصارى الى الرهبانيه، بين الحريه الفوضويه و بين الاستبداد الغاشم،بين ظلم الفرد للجماعه،و بين ظلم الجماعه للفرد،و الهدف من الأمه الاسلاميه ان تكون شاهده على مسيره الأمم الاخرى.

لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّاسِ ماذا يعنى الشهداء على الناس؟

لعله يعنى ان تكونوا موجهين لهم نحو مبادئ الرساله،بمثل ما يكون الرسول شهيدا عليكم.

وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً فذات المسؤوليه التى يتحملها الرسول تجاهكم،يجب عليكم ان تتحملوها تجاه الأمم الاخرى،و فى مناسبات اخرى تحدث القرآن عن مسئوليات الرسول تجاه أمته و علينا مراجعتها لنعرف مسئولياتنا تجاه الأمم الاخرى.

اما القبله السابقه فلم تكن الا قبله مرحليه،و لهدف محدد هو اختبار الذين امنوا من مشركى العرب،ليعلم اللّه هل تركوا حساسياتهم الساذجه تجاه الرسالات الالهيه السابقه،و تجاه قبلتهم بيت المقدس أم لا.

وَ مٰا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهٰا التوجه الى بيت المقدس.

إِلاّٰ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلىٰ عَقِبَيْهِ و يعود الى حساسياته العصبيه التى كانت تنكر على الرسول الاشتراك مع اليهود،و أعداء العرب السابقين،فى أى مظهر من المظاهر الاجتماعيه،أو شعيره من الشعائر الدينيه.

و التخلص من الحساسيه العصبيه ليس سهلا.

وَ إِنْ كٰانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّٰ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ و تركوا التقاليد الباليه امتثالا لأمر اللّه،أما صلواتكم التى توجهتم بها الى بيت

المقدس فهی محفوظه عند اللّه.

وَ مَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ [۱۴۴]کان الرسول یعلم:ان الکعبه هی قبله المسلمین،و انما کان بیت المقدس قبله مؤقته،فکان ینتظر من اللّه امرا بالتوجه الی الکعبه،و لکنه لم یکن یطلب ذلک صراحه،لأنه رسول،علیه ان یبلغ رساله اللّه،دون ان یدخل فیها من ذاته شیئا،فحقق اللّه للرسول ما أحب و قال:

قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمٰاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰاهٰا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَ حَيْثُ مٰا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ای باتجاه المسجد الحرام و بالتالی الکعبه،أما أهل الکتاب فلا تفکروا فیهم، إذ انهم یعلمون الحق و یخالفونه.

وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ و لکنهم یخالفون علمهم،بید ان اللّه سوف یجازیهم علی ذلک.

وَ مَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا يَعْمَلُونَ

لماذا لا تتوحد القبله؟:

[۱۴۵]و یبقی السؤال:لماذا لا توجد قبله واحده لکل المنتمین الی رسالات الله،أ لیس من الأفضل ذلک؟ بلی و لکن المشکله ان کثیرا من هؤلاء ادخلوا أهواءهم فی الدین،فلذلک یغیرون الدین حسب هذه الأهواء.

ص:۲۷۶

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ لأنهم يحرفون رسالات السماء بأهوائهم و مصالحهم،و عليك-يا رسول اللّه- ان تتصلب فى اتباع الحق،و لا تستسلم لضغوط أهل الكتاب لأنك صاحب الحق و العلم.

وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ و من أشد ظلما للناس و لنفسه من قائد يخالف علمه الى اتباع الهوى.

[۱۴۶]و هؤلاء الذين يحرفون الكتاب و يفسرونه تفسيرا مخالفا للحقيقه لا ينقصهم العلم بالكتاب،و لكن ينقصهم الايمان الكافى به،و شجاعه مقاومه أهوائهم.

اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ [۱۴۷]لذلك يجب الا نجعل هؤلاء المنحرفين،قدوات لنا،أو نرتاب فى الحق، انطلاقا من عدم ايمان هؤلاء،لأنهم يخالفون علمهم،و انّما لكى نتبع عقولنا، و لنتعرف على الحق الصادق الذى أوحى به اللّه.

اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشاكين فى الحق.

إن من يدعى انه رجل دين،بشر قد تستهويه الشهوات فيحرّف الدين،بعد العلم به،و لذلك يجب الا يكون اتباعنا لرجل الدين مطلقا،بل فى حدود هدى

عقولنا و معرفتنا بقيم الرساله الإلهيه.

ان الرجل العادى لا- يسعه ان يغلق منافذ العلم على نفسه،و يتكل اتكالا- كاملا- على أصحاب العلم.لأن هذا قد يورطه فى المهالك،و انما عليه ان يكشف بعقله و فطرته اى نوع من الرجال يتبعه،أولئك الذين زهدوا فى الدنيا،و حددوا شهواتهم،و خالفوا أهواءهم،و أطاعوا اللّه طاعه تامه،أولئك وحدهم جديرون بالاتباع.

كيف نضمن الفلاح؟:

[۱۴۸]هل نستطيع ان نضمن الفلاح لأنفسنا بمجرد ان نتوجه شطر المسجد الحرام؟و هل نستطيع ان نؤكّد ان كل من يتوجه شطر بيت المقدس فى النار؟ كلا..ان هذه مظاهر خارجيه للعباده،اما العباده الحقيقيه فهى:التسليم للّه، و العمل الصالح،و كلما كانت الامه أكثر عملا من بالصالحات كانت أقرب عند اللّه،اما القبله فهى مظهر خارجى لا أكثر.

وَ لِكُلٍّ وِجْهَهٌ هُوَ مُوَلِّيها بعضهم شطر المسجد الحرام و البعض الى القدس.

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ هذا هدف رسالات اللّه و لا يكونن جدلكم فى القبله،بديلا عن منافستكم لبعضكم فى الخيرات.

أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هناك فى محكمه اللّه لا ينظر اللّه الى جدلياتكم بل الى مقدار الصالحات فى

میزان أعمالکم.

[۱۴۹]و لکن هـذه الفکره لاـ تـدعونا الی تمییع الحـدود،و القول بـأنّ المؤمن یمکنه ان یصـلی الی ایه جهه شاء،کلا،إنما علیه ان یلتزم بحدود الشریعه،و لکن دون ان یکتفی بها،لذلک تجد القرآن یعود و یأمر بالتوجه شطر المسجد الحرام و یقول:

وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ انه الحق،بـالرغم من مقـاومه أئمه الضـلال لـک علی ذلک،و ما دام الفرد علی الحق،فلا بـد الاّ یأبه بمعارضه الناس،مهما کانوا کبارا عنـد أنفسـهم،و عریقین فی الدین.

[۱۵۰]ثم یؤکد القرآن ضروره الاستقلال الفکری و عدم الخوف من الناس فی الحق و یقول:

وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ لِئَلاّ یَکُونَ لِلنّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّهٌ إِلاَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ هؤلاـء الظـالمون سـوف یحتجون علیکم،سواء اتبعتم الحق،أم الضـلال،و علیه فلاـ بـد من إسـقاط هؤلاـء عن الحساب و عدم التفکیر فیهم،یبقی الناس فهم یعرفون مدی أهمیه المسـجد الحرام،و کانوا یتساءلون لماذا أنتم باقون علی التوجه الی بیت المقـدس بالرغم من أهمیته الثانویه،الآن عودوا الی المسجد الحرام،حتی لا تکون لهؤلاء الناس حجه علیکم،خصوصا و هم علی الأغلب ممن یکرم المسجد الحرام.

و ما دام الإنسان علی حق و قد اسـتطاع ان یجلب أکثر الناس الی صـفّه عن طریق النهج السـلیم و العمل الصالح،فعلیه الا یخشـی طائفه من الناس،هم طبقه

المّحرفين للدين.

فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِى وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

التخلص من الظالمين نعمه،و الاستقلال الفكرى و الاجتماعى(بتميز القبله) نعمه،و هدايه فى ذات الوقت الى القبله الأفضل،المسجد الحرام.

ص:۲۸۰

[سوره البقره (٢): الآيات ١٥١ الى ١٥٧]

اشاره

كَمٰا أَرْسَلْنٰا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيٰاتِنٰا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اُشْكُرُوا لِي وَ لاٰ تَكْفُرُونِ (١٥٢) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاٰةِ إِنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلصّٰابِرِينَ (١٥٣) وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ أَمْوٰاتٌ بَلْ أَحْيٰاءٌ وَ لٰكِنْ لاٰ تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ اَلْخَوْفِ وَ اَلْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ اَلْأَمْوٰالِ وَ اَلْأَنْفُسِ وَ اَلثَّمَرٰاتِ وَ بَشِّرِ اَلصّٰابِرِينَ (١٥٥) اَلَّذِينَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قٰالُوا إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ (١٥٦) أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

اللغه

١٥١[أرسلنا]الإرسال التوجيه بالرساله و التحميل لها ليؤدى إلى من قصد.

[يتلوا]التلاوه ذكر الكلمه على نظام متسق و أصله من الإتباع و منه تلاه أىّ تبعه.

[يزكيكم]و التزكيه النسبه الى الإزدياد من الأفعال الحسنه.

١٥٢[فاذكرونى]الذكر حضور المعنى للنفس و قد يكون بالقلب و قد يكون بالقول و فى أكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان و أصله التنبيه على الشىء فمن ذكّرته شيئا فقد نبهته عليه.

[اشكروا]الشكر الاعتراف بالنعمه.

ص:٢٨١

۱۵۴[سبیل]السبیل الطریق و سبیل اللّه طریق مرضاته.

ص:۲۸۲

و بشّر الصابرين

هدى من الآيات:

للامه الاسلاميه شخصيه مميزه عن سائر الأمم حتى تلك التى تحمل رساله اللّه و أهم ما يميز هذه الامه،الرساله التى هى نعمه من الله،كما ان ابتعاث الرسول فيها نعمه أكبر سبقت نعمه القبله و اعطت للعرب شخصيه رساليه مستقله.

و النعمه كلما ذكرت كلما دامت و السبب ان ذكر النعمه يؤدى الى الاعتزاز بها و الاهتمام بكل العوامل المساعده لبقائها،و اما كفران النعمه فهو أقرب وسيله لزوالها.و لذلك فعلينا ان نتذكر أبدا تلك الرساله التى أنعم الله بها على الإنسان فأخرجه من الظلمات الى النور.

و لكن التذكر وحده لا يكفى،إذ علينا ان نسعى من أجل الاحتفاظ بها،و ذلك عن طريق الصبر و الصلاه و الجهاد فى سبيل الله و الاستهانه بالموت من أجل الرساله، و تحمل بعض التضحيات البشريه و الأمنيه و الاقتصاديه،و الرضا بها نفسيا.كل ذلك سوف يستنزل علينا صلوات الله و رحمته.

ص:۲۸۳

ان هذا الدرس أهم ما يجب على الامه ان تتعلمه من القرآن،لكى تقاوم التخلف و الكبت.

علينا الاستقلال عن سائر الأمم و لنجعل رمز الاستقلال القبله و نستعين بالصبر و الصلاه(لا بالمساعدات الخارجيه) و نرخص فى الله أنفسنا،و نستعد لحياه التقشف.

آنئذ فقط يلهمنا الله الصلوات و ينزل علينا رحمته و ننتصر على الضعف و الهزيمه.

ان القبله الجديده إتمام لنعمه الرساله،ذلك ان الرساله وضعت الأمه فى مصاف الأمم ذات الرساله لإلهيه،و لكن اشتراكها مع تلك فى القبله كان ينقص استقلالها الثقافى و الاجتماعى و السياسى،و الآن تم ذلك،لذلك قال الله تعالى: «وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» يعنى ان يتذكر المسلمون هذا الاستقلال و ان يلتفوا حول رساله اللّه أكثر فأكثر،إذ كلما التفوا حولها أكثر كلما اثبتوا استقلالهم و جمعوا صفوفهم.

بينات من الآيات:

اشاره

لذلك يذكرهم الله برسالته و يقول.

[۱۵۱] كَمٰا أَرْسَلْنٰا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ و ليس من بنى إسرائيل حيث كانوا يترقبون أن تنزل الرساله فيهم،و يقوم هذا الرسول بعده أمور هى اهداف كل رساله:

يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيٰاتِنٰا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ هذه الرساله هى التى فجرت طاقاتكم،و وحدت كلمتكم،و كانت نواه

حضارتكم.

ان كل امه بحاجه الى رساله،و كلما كانت هذه الرساله أقرب الى الحقيقه كانت الامه أقوى و أجدر بالنهوض،و رساله الامه الاسلاميه فيها تلاوه آيات الله التى تعنى تنبيه الإنسان الى الله،و تعميق روح الايمان فيه كقاعده ثابته لبناء كيان الامه التوحيدى.

و بعد التوحيد عن طريق توجيه الإنسان الى آيات الله،تأتى مرحله التربيه الرساليه(و يزكيكم)لتصفيه النفس من سلبياتها،من الفرديه،من الجهل،من العجله،من الجبن،من ضعف الاراده..و ضعف الهمه و..و.

ان الامه التى لا تستطيع ان تتغلب على سلبياتها الخلقيه،لا تستطيع ان تنتفع بالشرائع و النظم،و ان تفوق الامه فى الاراده،و التزامها الواعى شرط اساسى لتطبيق اى نظام أو قانون.

و فى المرحله الثالثه تحتاج الامه الى نوعين من الانظمه.نوع ثابت يسميه القرآن بكتاب،و نوع يتطور وفق الزمان يسميه بالحكمه حسب ما يبدو لى.

هذه هى الشروط الثابته لبناء ايه امه،و قد استوفت الرساله الإلهيه كل هذه الشروط و زياده،حيث فتحت امام الامه آفاقا جديده من العلم.

وَ يُعَلِّمُكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ و علينا ان نتذكر هذه الرساله باستمرار، و نتذكر حاجتنا إليها و فائدتها لنا.

[۱۵۲]و لذلك علينا ان نشكر الله على نعمه الرساله حتى ينفعنا الله بها، و نشكر الله عليها ليزيدنا نورا فيها،و لا نكفر بهذه النعمه التى منّ الله بها علينا، فالنعمه التى تكفر تزول.

ص:۲۸۵

فَاذْكُرُونِی أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكَرُوا لِی وَ لاٰ تَكْفُرُونِ ای لا تكفروا بی و بنعمتی.

بماذا نستعين؟

[۱۵۳]یٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰةِ إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰابِرِينَ الفكره الحضاريه أو الرساله هی نواه تكوين الامه،و مسئوليه الامه تجاه هذه الفكره هو التذكر و الشكر،و لكن الامه بحاجه الی طائفه من الصفات الضروريه و أبرزها الاستعانه بالصبر و الصلاه،تلك الاستعانه التی امر الله بنی إسرائيل بها حين أمرهم بالواجبات الصعبه.

و الصلاه هی الانقطاع عن الحياه،و التوجه الی الله،بحيث لا يتّكل الإنسان علی ای شیء فی الدنيا،بل علی الله و العمل الصالح،و ايه امه أرادت ان تتقدم فعليها ان تستمد القوه من الله،من الايمان به،و العمل بتعاليمه،و الاستفاده من نعمه علی الإنسان.و من دون هذا الانقطاع تفقد الامه تعاليم رسالتها،و قواها الذاتيه،و تتكل علی القوی الخارجيه،و تكتب بذلك نهايتها المحتومه.

و الصبر هو التطلع الی المستقبل،و التضحيه ببعض النعم فی الحاضر من أجل تحقيق أفضل منها فی المستقبل،و من هنا فمن دون رؤيه المستقبل و التطلع الی تحقيقه لا تتقدم الأمه،إذ التقدم بحاجه الی(استثمار)بعض الطاقات فی(سوق الزمان) حتی يحصّل الربح فی المستقبل.

الفلاح يدفن تحت الأرض رزقه من الحبوب،و يبذل عليه جهده،و يتطلع الی المستقبل حيث تتحول الأرض الی حقل خصيب،فلو لا جهده و انتظاره هل كان يستطيع ان يحصل علی الانتاج؟كلا...كذلك الامه عليها ان تصبر..أن تعمل

للمستقبل البعيد..و فيما يلى يضرب لنا القرآن بعض الامثله على الصبر.

إذا أردت أن لا تموت:

[۱۵۴]أوّل الصبر الرضا النفسى بالتضحيات و جعل القرآن المضحين فى سبيل الله فى قمه المجد الاجتماعى،ليشجع الباقين على المسير فى دربهم.

وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْوٰاتٌ بَلْ أَحْيٰاءٌ وَ لٰكِنْ لاٰ تَشْعُرُونَ احياء لان القتل قد نقلهم من حياه الى حياه،من حياه الجسد الى حياه الروح، من الحياه الظاهريه الى الحياه الحقيقيه،فلم تكن الشهاده الا بابا دخلوا منه الى رضوان الله،و احياء لأنهم و فروا فرصه الحياه للالوف من الناس.

إن الكرامه حياه،و الحريه حياه،و العيش السعيد حياه،و من يموت فى سبيل هذه المبادئ الدينيه فهو حى فى تلك المبادئ.ان الشجره التى اقتلعت لكى يتحول كل فرع منها الى شتيله لشجره جديده لم تمت و لن تموت،و الحبه التى دفنت تحت الأرض لكى تتحول الى سنبله فيها مائه حبه لم تمت و لن تموت.

و الشهيد الذى وقف حياته لمبادئه الرساليه،حيث كان حيا ثم قتل لتحيا تلك المبادئ،انه لم يمت،و إنّ أمه تكرم شهداءها و تحى ذكراهم و تجعلهم احياء بينها هى امه حيه لا و لن تموت.

[۱۵۵]الذى مضى شهيدا حى يرزق عند الله، و الباقون من أبناء الامه سوف يقضون ظروفا صعبه تتمخض عن حياه مجيده،و على الامه ان تكون مستعده أبدا للتضحيه،حتى تستطيع التقدم و تفجر طاقاتها،و تزيدها تلاحما و صلابه و عمقا.

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوٰالِ وَ الْأَنْفُسِ

وَ الثَّمَرٰاتِ انها حياه البناء التى لا بد ان تقضيها الامه قبل البدء بالمسيره الصاعده،انها فتره تجميع الرأسمال عند من يريد ممارسه التجاره،أو فتره الدراسه لمن يريد ان يصبح خبيرا أو عالما،انها بالتالى فتره العطاء و فى هذه الفتره يجب ان تتحلى الامه بالصبر.

وَ بَشِّرِ الصّٰابِرِينَ [۱۵۶] اَلَّذِينَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قٰالُوا إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ إن هؤلاء لا ينظرون الى المصيبه ذاتها،انما ينظرون إليها ضمن اطار عام يجعلونها فيه،فهم يتصورون-خلال المصيبه-انهم مجندون فى سبيل الله،قد شروا أنفسهم ابتغاء مرضاته،و لا يجوز لمن باع بضاعه ان يطالب بها.و المسلم الحقيقى لا يفكر فى جسده أو فى ماله،لأنه قد باعهما سلفا،ثم انهم يتصورون النهايه السعيده التى تنتظرهم لو صبروا على المتاعب فى سبيل اللّه.

إن ايه خساره فى سبيل الله يجب ان توضع فى اطار النظره التاريخيه العامه التى تجعل من الخساره شيئا تافها امام المكاسب الكبيره التى تنتظر الامه فى المستقبل.ثم أ ليس البشر أساسا للّه،خلقه اللّه لا من شيء.ثم جعله شيئا مذكورا،أو ليس يعود اليه بالتالى-عاجلا أو آجلا-فلما ذا الجزع على المصيبات و هى لا بدّ منها بصوره أو بأخرى.

[۱۵۷]ما جزاء الصابرين؟و ما ثوابهم؟ انه صلوات من ربهم،ان الله قريب منهم و يحبهم،و يبعث إليهم ببركاته و يرحمهم،فيخفف عنهم الصعوبات فى المستقبل.

ص:۲۸۸

إن أول جزاء يتلقاه الصابر من ربه تأييده عند صبره،و تخفيف مصيبته عليه، و دعم معنوياته،ثم تعويضه على خسارته و زيادته من فضله.

أُولٰئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ اما الذين لا يصبرون على المصيبه فهم لا يهتدون الى الحق،لأن حبهم لذاتهم يحجب عنهم الحقائق،و يجعلهم لا ـ ينظرون الاّ ـ الى الجوانب السهله من رساله الله، و بالتالى يحرمون من هذه الرساله،فالله لم يبعث دينا هكذا كله راحه و نوم و مصالح!! إن هذه هى أهم نواقص الامه الاسلاميه اليوم،حيث كفرت برساله اللّه، و هجرت الصيام و الصلاه،و خافت الاستشهاد،و لم تتحلّ بالصبر،و لذلك فقد تخلّفت و ذلّت،و توالت عليها النكبات و المصائب،و متى ما أردنا الفلاح فعلينا بالعوده الى هذه التعاليم بحزم و قوه.

ص:٢٨٩

[سوره البقره (۲): الآيات ۱۵۸ الى ۱۶۷]

اشاره

إِنَّ اَلصَّفٰا وَ اَلْمَرْوَهَ مِنْ شَعٰائِرِ اَللّٰهِ فَمَنْ حَجَّ اَلْبَيْتَ أَوِ اِعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اَللّٰهَ شٰاكِرٌ عَلِيمٌ
(۱۵۸) إِنَّ اَلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلْنٰا مِنَ اَلْبَيِّنٰاتِ وَ اَلْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّٰاهُ لِلنّٰاسِ فِي اَلْكِتٰابِ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اَللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اَللاّٰعِنُونَ
(۱۵۹) إِلاَّ اَلَّذِينَ تٰابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِيمُ (۱۶۰) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كُفّٰارٌ
أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَهُ اَللّٰهِ وَ اَلْمَلاٰئِكَهِ وَ اَلنّٰاسِ أَجْمَعِينَ (۱۶۱) خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ (۱۶۲) وَ إِلٰهُكُمْ
إِلٰهٌ وٰاحِدٌ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلرَّحْمٰنُ اَلرَّحِيمُ (۱۶۳) إِنَّ فِي خَلْقِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفِ اَللَّيْلِ وَ اَلنَّهٰارِ وَ اَلْفُلْكِ اَلَّتِي تَجْرِي فِي
اَلْبَحْرِ بِمٰا يَنْفَعُ اَلنّٰاسَ وَ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مِنْ مٰاءٍ فَأَحْيٰا بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا وَ بَثَّ فِيهٰا مِنْ كُلِّ دٰابَّهٍ وَ تَصْرِيفِ اَلرِّيٰاحِ وَ
اَلسَّحٰابِ اَلْمُسَخَّرِ بَيْنَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۱۶۴) وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَنْدٰاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اَللّٰهِ وَ
اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ وَ لَوْ يَرَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ اَلْعَذٰابَ أَنَّ اَلْقُوَّهَ لِلّٰهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اَللّٰهَ شَدِيدُ اَلْعَذٰابِ (۱۶۵) إِذْ تَبَرَّأَ اَلَّذِينَ
اُتُّبِعُوا مِنَ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوا وَ رَأَوُا اَلْعَذٰابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ اَلْأَسْبٰابُ (۱۶۶) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنٰا كَرَّهً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمٰا تَبَرَّؤُا مِنّٰا
كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اَللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ حَسَرٰاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِينَ مِنَ اَلنّٰارِ (۱۶۷)

اللغه

۱۵۸[الصفا]الصفا فى الأصل الحجر الأملس مأخوذ من الصفو واحده صفاه.و قيل الصفا كل حجر لا يخلطه غيره من طين أو تراب و انما اشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص.

[المروه]فى الأصل الحجاره الصلبه اللينه و قيل الحصاه الصغيره و المرو نبت و أصله الصلابه و قد صار الصفاء و المروه اسمين لجبلين معروفين فى مكه.

[شعائر]الشعائر المعالم للأعمال و شعائر الله معالمه التى جعلها مواطن للعباده و كل معلم لعباده أو دعاء أو صلاه أو غيرهما فهو مشعر لتلك العباده و واحد الشعائر شعيره فشعائر الله أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحر.

[حج]الحج فى اللغه هو القصد على وجه التكرار.و فى الشريعه عباره عن قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام و الطواف

و السعی و الوقوف بالموقفین و غیر ذلک.

[اعتمر]العمره هی الزیاده من العماره لان الزائر یعمر المکان بزیارته و هی فی الشرع زیاره البیت بالعمل المشروع.

[جناح]الجناح المیل عن الحق،یقال جنح الیه جنوحا إذا مال و أجنحته فاجتنح أملته فمال.

[یطوّف]الطواف الدوران حول الشیء و منه الطائف و فی عرف الشرع الدور حول البیت و یطوّف أصله یتطوف.

[تطوّع]تبرع.

۱۶۰[تابوا]التوبه هی الندم الذی یقع موقع التنصل من الشیء و ذلک بالتحسر علی مواقعته و العزم علی ترک معاودته ان أمکنت المعاوده.

[أصلحوا]صلاح العمل هو إخلاصه من قبیح ما یشوبه.

ص:۲۹۱

۱۶۲[ينظرون]الانظار الامهال قدر ما يقع النظر فى الخلاص و أصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين و كذلك النظر بالقلب أو باليد أو غيرها من الحواس.

۱۶۴[اختلاف]نقيض الاتفاق و اختلاف الليل و النهار أخذ من الخلف لان كل واحد منهما يخلف الآخر على وجه المعاقبه و قيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد و البياض.

[الفلك]السفن تقع على الواحد و الجمع،و الفلك فلك السماء و كل مستدير فلك و قيل هو اسم للدوران خاصه.

[بث]البث التفريق و كل شيء بثثته فقد فرقته.

[دابه]من الدبيب و كل شيء خلقه الله يدب فهو دابه.

[تصرف]تقليب و صرف الدهر تقلبه و جمعه صروف.

ص:۲۹۲

۱۶۵[أنداد]أشباه و أمثال و قيل هى الاضداد.

[حب]الحب خلاف البغض و المحبه هى الاراده فاذا قلت أحب زيدا فالمعنى انى أريد منافعه أو أمدحه،و إذا قلت أحبّ الله زيدا فالمعنى أنه يريد ثوابه و تعظيمه،و إذا قلت أحب اللّه فالمعنى أريد طاعته و اتباع أوامره.

۱۶۶[تبرأ]التبرؤ فى اللغه أصله التولى و التباعد للعداوه و إذا قيل تبرأ الله من المشركين فكأنه باعدهم من رحمته للعداوه التى استحقوها بالمعصيه و أصله من الانفصال و منه برأ من مرضه.

[اتبعوا]الاتباع طلب الاتفاق،فاذا قيل أتبعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه فى المكان.

[تقطعت]التقطع التباعد بعد اتصال.

[الأسباب]السبب الوصله الى المتعذر بما يصلح من الطلب،

ص:۲۹۳

و الأسباب الوصلات و واحدها سبب و منه يسمى الحبل سببا لأنک تتوصل به الى ما انقطع عنک من ماء بئر و غيره.

۱۶۷[کره]رجعه.

[حسرات]الحسره أشد الندامه.

ص:۲۹۴

كيف أخفى

اشاره

علماء السوء شعائر اللّه؟

هدى من الآيات:

تـذّكر نعم اللّه،و التى فى طليعتها القبله رمز الاسـتقلال،و كذلك الرساله،كبرى نعم اللّه على الأمه،هذا التذكر كان محور حديث الدرس السابق و من ثم الاستعانه بالصبر و الصلاه.

و هنا يـذّكرنا اللّه بالصـفا و المروه حين يسـعى الحاج بينهما،ليتذكر هاجر التى صبرت فى اللّه،و كانت عاقبتها النجاح فى الدنيا و الفلاح فى الآخره.

بيـد ان الأمه قد تتوانى و تخور عزيمتها،و هناك قد تتشـبث ببعض الأفكار السـلبيه التى تبعدها عن الجديه فى العمل،و التضـحيه فى سبيل اللّه.و هذه الأفكار يبلورها طائفه من انصاف رجال الدين الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يكتمون عن الناس هدى اللّه.

و بعد ان يحذرهم اللّه عاقبه هذا الأمر،يبين ضروره التوحيد و عدم الشرك.و كل

ص:۲۹۵

اتباع لغير اللّه شرک،بل و کل سماع عن غیر اللّه شرک.و یصور لنا اللّه یوم القیامه حیث یتبرأ التابعون عمن اتبعوهم بعد ان تخلی أولئک عنهم.کذلک فی الدنیا علینا الا نضیّع رؤیتنا و نتبع کل من تحدث عن اللّه،بل نفکر فیمن نتبعه و کیف نتبعه.

ان هذا الدرس یکمل الدرس السابق الذی کان یتناول شروط نهوض الأمه، إذ ان من ابرز هذه الشروط،وحده التوجیه الثقافی للأمه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۱۵۸]کما جاء فی آیات اخری،امر اللّه إبراهیم بان یسکن زوجته هاجر و ابنها فی مکه بواد غیر ذی زرع،و ان یرحل عنهم.فاستجاب و استجابت زوجته لأمر اللّه و لما استقرت هاجر فی مکه،عطش ابنها الرضیع.فطلبت له الماء فلم تجد قطره ماء.و کان هناک جبلان،أخذت هاجر تطوف بینهما،و تحاول ان تجد أحدا تستنجد به و عند ما أکملت هاجر سبعه أشواط من طوافها بین الجبلین،وجدت آثار الماء تحت قدمی ابنها إسماعیل.فشرع اللّه السعی بین هذین الجبلین،تخلیدا لذکری هاجر و رمزا لسعی الإنسان فی سبیل اللّه.بید أن المشرکین وضعوا حجرین علی الصفا و المروه و اختلقوا لهما قصه خرافیه و أخذوا یعبدونهما و یسعون من اجلهما، و ظن بنو إسرائیل ان الطواف بین الجبلین أصبح وهما لمجرد ان الجاهلیین وضعوا علیهما صنمین،فجاءت الآیه تنفی هذا الاعتقاد یقول تعالی:

إِنَّ الصَّفٰا وَ الْمَرْوَهَ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ الشعیره هی الرمز،حیث انها دلیل علی الایمان،و یطلق علی محل العباده، کالصلاه و الحج و ما أشبه،قال الطبرسی-ره-فی مجمع البیان و کل معلم لعباده من دعاء أو صلاه أو غیرهما فهو مشعر لتلک العباده للّه.

فَمَنْ حَجَّ الْبَیْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْهِ أَنْ یَطَّوَّفَ بِهِمٰا

و یسعی بینهما.

وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً کما فعلت هاجر،و سعی بین الصفا و المروه کما سعت.

فَإِنَّ اللّهَ شاکِرٌ عَلِیمٌ

رساله العلم:

[۱۵۹]العلم رساله یجب ان تخدم هدف الإنسان فی الحیاه،اما إذا استغل العلم فی سبیل مصالح خاصه فسوف،یصبح وبالا علی المجتمع و وبالا علی صاحبه،و سوف یفتضح هذا العالم الوبیل أمام الناس و التاریخ،فیعتزله الناس و یصبح منبوذا.

کانت قصه الصفا و المروه مثلا لما یستطیع ان یفعله العلم إذا استخدم فی سبیل إضلال الناس،حیث حولوه من شعیره دینیه الی عمل محرم.

و بعد هذه القصه و حتی الیوم نجد علماء سوء،یکتمون الحقائق عن الناس،و لا یؤدون امانه العلم العظیم.

إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَیِّناتِ وَ الْهُدی مِنْ بَعْدِ ما بَیَّنّاهُ لِلنّاسِ فِی الْکِتابِ .

الکتاب لم یأت لطائفه معینه،إنما جاء هدی للناس جمیعا،و الذین یکتمون تشریعاته المفصله(البینات)أو قیمه الموجزه(الهدی)عن الناس الذین نزل الکتاب لهم.

أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّٰعِنُونَ [۱۶۰]و أمام علماء السوء فرصه للعوده الی رحمه اللّه و رحمه النـاس،هی قیـامهم بثلاثه اعمال:

الاول:التوبه بالاعتراف باخطائهم السابقه،و الاستعداد لتصحیحها.

الثانی:القیام فعلا بتصحیح الاخطاء و إصلاحها.

الثالث:بیان کل الحقائق حتی التی تخالف مصالحهم،أو مصالح قومهم.

إِلاَّ الَّذِینَ تٰابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَیَّنُوا فَأُولٰئِکَ أَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ أَنَا التَّوّٰابُ الرَّحِیمُ ان ضـرر عالم السوء فی المجتمع کبیر،إذ انه قد یسبب انحراف خلق کثیر من الناس،و لذلک فان توبه اللّه علیه دلیل علی ان اللّه تواب رحیم.و الا فلیس هینا التوبه علی مثل هذا الرجل الذی استغل سلاح العلم ضد الناس.

جزاء علماء السوء:

[۱۶۱]عوده رجل العلم الفاسد صعبه جدا،لأنه سوف یشهّر امام الناس کمجرم،و هو قد عمل المستحیل فی سبیل ان یضفی علی نفسه قداسه علمیه،و لکنه لو مات هکذا غیر تائب فانه سیموت کافرا،و جزأوه عند اللّه اسوأ.

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ کُفّٰارٌ أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِکَةِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِینَ [۱۶۲] خٰالِدِینَ فِیهٰا لاٰ یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ یُنْظَرُونَ هؤلاء لا یعتنی بهم أبدا،بل یهانون أشد الامتهان،و ذلک بعدم النظر إلیهم

أبدا.ذلك لان هؤلاء حرّفوا الدين فى الدنيا طلبا للجاه و الرئاسه و العزه امام الناس، و اللّه يجازيهم بالذل و الصغار.

الثقافه التوحيديه:

[۱۶۳]ان على المسلم ان يستوحى ثقافته من اللّه أو ممن امر اللّه،ذلك التوحيد الخالص و القرآن هنا يبين لنا سبب هذا التوحيد(الثقافى)و يقول:

وَ إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ فما دام اللّه واحدا،فان علينا طاعته و اتباع رسوله،دون ان نختار لأنفسنا موجّهين و نتبعهم.

و لكى يكرّس القرآن الكريم هذه الفكره،يوجهنا الى فطرتنا،و يأمرنا بالنظر الى آيات اللّه فى السماء و الأرض،خصوصا تلك التى تعكس رحمه اللّه الواسعه و المستمره.

إن هذه الآيات تدعونا الى التوجه الى اللّه وحده،و نبذ الأنداد من دونه،و هذه الدعوه تتصل بفطره الإنسان الراسخه فى حب من أحسن اليه،و من أوسع إحسانا من اللّه علينا؟ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ بهذه العظمه و الروعه و الدقه.

وَ اخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ بما فيه من آيه الرحمه،و الحكمه،و القدره..

وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ من نقلهم و نقل أمتعتهم الى اقاصى الأرض.

وَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ مٰاءٍ فَأَحْيٰا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا كيف انه نظّم الحياه بشكل يتبخر الماء،فيتحول الى سحب تحمله الرياح و تسوقه الى حيث الحاجه اليه،فتمطر ماءا عذبا نافعا للزرع و الضرع،حاملا معه كل ما ينفع الأرض.

وَ بَثَّ فِيهٰا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ذات حياه،فاذا بالنمله و أصغر منها،و إذا بالفيله و أكبر منها،و إذا بالطيور و السباع و الأسماك،كل قد هداه الى رزقه و نفعه،و كل قد خلق لهدف محدد،ثم وفّرت له وسائل الحياه لأجل مسمى.

وَ تَصْرِيفِ الرِّيٰاحِ وَ السَّحٰابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ الذين يستثمرون طاقه العقل التى وضعها اللّه فيهم،وحدهم ينظرون من خلال هذه الآيات الى رحمه اللّه الواسعه و الدائمه،و يعرفون ان اللّه هو وحده الجدير بالحب و الطاعه و العباده،و انه دون غيره من الشركاء يجب ان يتخذ وليا.

[۱۶۵]الذين لا يعقلون لا ينتفعون بعقولهم بالرغم من وجودها عندهم،هؤلاء لا يعرفون ربهم،لانّهم ينظرون الى الكون نظره جامده متحجره لا تتجاوز ظواهر الكون،دون تعمق فى دلالات هذه الظواهر.و لذلك فهم لا يؤمنون أو يؤمنون،ايمانا سطحيا باللّه.

ص:۳۰۰

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدٰاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ لنظرتهم الجامده،فهم يقدسون الشمس-مثلا-بدلا من ان يعبدوا الذى خلق الشمس و نظّم سيرها،و هو اللّه.لماذا؟ لأنهم ينظرون الى ظاهر الشمس دون ان يستدلوا بها على ربها،كذلك فهم يرتبطون بأصحاب المال و الجاه و العلم،دون ان يفكروا ان هؤلاء جميعا عباد للّه،و أنّ اللّه هو الذى أعطاهم هذه النعم،فاولى بهم و أجدر ان يتصلوا باللّه مباشره،و لا يسمحوا لأنفسهم بأن يستعبدها هؤلاء الوسطاء.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ فبالرغم من إنشاء علاقه بينهم و بين أصحاب المال و الجاه و العلم،فهم لا يسمحون لأنفسهم بالعبوديه لهؤلاء،بل يبقون أبدا مرتبطين باللّه ارتباطا أشد.

وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أنفسهم،باتباعهم الأنداد،و تفضيل الأنداد على اللّه حين خالفوا أوامر اللّه ابتغاء مرضاه الأنداد،من أصحاب الثروه و السلطه.و المعرفه لو يرى هؤلاء الحقيقه فإنهم يكفون عن غيهم و ذلك.

إِذْ يَرَوْنَ الْعَذٰابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذٰابِ فان كان حب الأنداد طلبا للقوه فان القوه للّه جميعا،و ان كان خشيه العذاب فان اللّه شديد العذاب.

[۱۶۶]هؤلاء الذين يتّبعون من دون اللّه و يتخّذون أندادا مع اللّه،هؤلاء

ضعفاء و خونه،إذ انهم سوف يتبرءون من التابعين دون اى وازع من ضمير..و لو يرى تابعوهم تلك الحاله.

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا جميعا التابعون و المتبوعون.

اَلْعَذٰابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ فلم يجدوا حبلا يعتصمون به و لا ملجأ يأوون اليه.

[۱۶۷] وَ قٰالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنٰا كَرَّةً الى الحياه الدنيا أو الى الوراء.

فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمٰا تَبَرَّؤُا مِنّٰا .

هـذه عاقبه الـذى يتخذ من دون اللّه أندادا يحبهم كحبه اللّه،و يتبعهم من دون امر اللّه،العاقبه هى الندم.حيث يقول يا ليت الزمان يعود بى الى الوراء فارفض اتباعهم و لكن هيهات..

كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ حَسَرٰاتٍ عَلَيْهِمْ إذ انهم عملوا أعمالا كثيره و لكنها كانت أعمالا باطله بسبب اتباعهم فيها للأنداد،فيتحسرون عليها و لكن الحسره لا تنفعهم و لا تخفف عنهم عذاب ربهم.

وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِينَ مِنَ النّٰارِ ان الأمه الإسلاميه لا بد ان تنعدم فيها مراكز القوى(الأنداد)،و تتجه فى خط

واحد الى اللّه،فى صراط مستقيم،و لا يتبع أحد فيها أحدا الا بإذن اللّه،و يكون حبه للّه أشد من حبه لمن حوله من الناس الأقوياء و الضعفاء على حد سواء.انه مجتمع حر بكل ما فى الحريه من معنى.و فى الدروس التاليه تفصيل لهذه الحقيقه.

ص:۳۰۳

[سوره البقره (۲): الآیات ۱۶۸ الی ۱۷۷]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ کُلُوا مِمّٰا فِی اَلْأَرْضِ حَلاٰلاً طَیِّباً وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ اَلشَّیْطٰانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (۱۶۸) إِنَّمٰا یَأْمُرُکُمْ بِالسُّوءِ وَ اَلْفَحْشٰاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَی اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۱۶۹) وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمُ اِتَّبِعُوا مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ قٰالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مٰا أَلْفَیْنٰا عَلَیْهِ آبٰاءَنٰا أَ وَ لَوْ کٰانَ آبٰاؤُهُمْ لاٰ یَعْقِلُونَ شَیْئاً وَ لاٰ یَهْتَدُونَ (۱۷۰) وَ مَثَلُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا کَمَثَلِ اَلَّذِی یَنْعِقُ بِمٰا لاٰ یَسْمَعُ إِلاّٰ دُعٰاءً وَ نِدٰاءً صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ فَهُمْ لاٰ یَعْقِلُونَ (۱۷۱) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاکُمْ وَ اُشْکُرُوا لِلّٰهِ إِنْ کُنْتُمْ إِیّٰاهُ تَعْبُدُونَ (۱۷۲) إِنَّمٰا حَرَّمَ عَلَیْکُمُ اَلْمَیْتَهَ وَ اَلدَّمَ وَ لَحْمَ اَلْخِنْزِیرِ وَ مٰا أُهِلَّ بِهِ لِغَیْرِ اَللّٰهِ فَمَنِ اُضْطُرَّ غَیْرَ بٰاغٍ وَ لاٰ عٰادٍ فَلاٰ إِثْمَ عَلَیْهِ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۷۳) إِنَّ اَلَّذِینَ یَکْتُمُونَ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ مِنَ اَلْکِتٰابِ وَ یَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِیلاً أُولٰئِکَ مٰا یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلاَّ اَلنّٰارَ وَ لاٰ یُکَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ لاٰ یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۱۷۴) أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ اِشْتَرَوُا اَلضَّلاٰلَهَ بِالْهُدیٰ وَ اَلْعَذٰابَ بِالْمَغْفِرَهِ فَمٰا أَصْبَرَهُمْ عَلَی اَلنّٰارِ (۱۷۵) ذٰلِکَ بِأَنَّ اَللّٰهَ نَزَّلَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ اَلَّذِینَ اِخْتَلَفُوا فِی اَلْکِتٰابِ لَفِی شِقٰاقٍ بَعِیدٍ (۱۷۶) لَیْسَ اَلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ وَ لٰکِنَّ اَلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ اَلْمَلاٰئِکَهِ وَ اَلْکِتٰابِ وَ اَلنَّبِیِّینَ وَ آتَی اَلْمٰالَ عَلیٰ حُبِّهِ ذَوِی اَلْقُرْبیٰ وَ اَلْیَتٰامیٰ وَ اَلْمَسٰاکِینَ وَ اِبْنَ اَلسَّبِیلِ وَ اَلسّٰائِلِینَ وَ فِی اَلرِّقٰابِ وَ أَقٰامَ اَلصَّلاٰهَ وَ آتَی اَلزَّکٰاهَ وَ اَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا وَ اَلصّٰابِرِینَ فِی اَلْبَأْسٰاءِ وَ اَلضَّرّٰاءِ وَ حِینَ اَلْبَأْسِ أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُتَّقُونَ (۱۷۷)

اللغه

۱۶۸[خطوات]الخطوه بعد ما بین القدمین للماشی و خطوات الشیطان آثاره.

۱۶۹[السوء]کل فعل قبیح یزجر عنه العقل أو الشرع و انما سمی القبیح سوءا لسوء عاقبته.

[الفحشاء]و الفاحشه و القبیحه و السیئه نظائر و کل من تجاوز قدره فهو فاحش،و کل ما لا یوافق الحق فهو فاحشه.

۱۷۰[ألفینا]ای صادفنا و وجدنا.

۱۷۱[ینعق]نعق صاح زاجرا و نعق الغراب إذا صوت.

۱۷۳[اهلّ]الإهلال فى الذبيحه رفع الصوت بالتسميه و كان المشركون يسمون الأوثان و المسلمون يسمون الله.

[اضطر]الاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه و ذلك كالجوع الذى يحدث للإنسان فلا يمكنه الامتناع منه.

ص:۳۰۵

۱۷۷[البر]العطف و الإحسان،و البر الصدق،و البر الايمان و التقوى و أصله الاتساع و منه البرّ.

[المسكين]من لا شیء له من المال.

[الفقير]الذى له ما لا يكفيه من المال.

[ابن السبيل]هو المنقطع به إذا كان فى سفره محتاجا و ان كان فى بلده ذا يسار و هو من أهل الزكاه و قيل أنه الضيف.

[الرقاب]جمع رقبه و هى أصل العنق و يعبر عنه عن جميع البدن يقال أعتق الله رقبته و منه قوله فتحرير رقبه.

[البأساء]و البؤس:الفقر.

[الضراء]السقم و الوجع.

ص:۳۰۶

كيف نحطم أصنام الكفر؟

هدى من الآيات:

مجتمع الحريه هو مجتمع التقدم الرفاه،و يربط القرآن الحكيم بين التحرر من اتباع شياطين الثروه و السلطه و الدين،و بين الانتفاع التام بما فى الحياه من نعم طيبه.

هؤلاء الشياطين،يحرمون على الناس الطيبات من الرزق،لجهلهم أو لأنهم يريدون ان يستأثروا بها،أو لأنهم يحاولون إبقاء الناس ضعفاء مقهورين،و لكن اللّه خلق الأشياء لنا،و علينا ان نعمل من أجل الحصول عليها و نتجاوز العقبات من أجلها.

ان الآيه الأولى تدعو الناس صراحه الى الاستفاده مما فى الأرض و هى دعوه ضمنيه لكسر حواجز العبوديه التى يرتبط فى القرآن بأمر الشيطان الذى يأمر بالسوء و الفحشاء،و يضرب فى الآيات التاليه،مثلين لاتباع الشيطان:الأول اتباع

ص:۳۰۸

الآباء،و الثانی:اتباع رجال الدین المحرّفین لکتاب اللّه،و فی الآیه الأخیره یتحدث القرآن عن النظره القشریه التی أوصی بها هؤلاء العلماء المزیفون،فجردوا الدین من روحه و نوره و هداه.

ان الأمه الاسلامیه الیوم تعانی من التخلف،الذی لیس فی واقعه،سوی صوره مبسطه لعدم الاستفاده من نعم اللّه. بسبب التقالید البالیه،و النظریات السخیفه فی تفسیر الدین،و علیها ان تتقدّم حتی تتمتع بنعم اللّه،و تکسر حواجز التقلید،و ما یسمی بالدین و هو ابعد ما یکون عنه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۱۶۸]أولا:و قبل کل شیء،لا بد ان نضع للحریه هدفا سامیا.و الحریه فی المجتمع الاسلامی و التی دعت إلیها آیات الدرس السابق(رفض الأنداد)ذات هدف هو:الانتفاع بنعم اللّه و بکل صراحه یوجه اللّه خطابه الی الناس کل الناس المؤمنین و الکافرین قائلا:

یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ کُلُوا مِمّٰا فِی الْأَرْضِ حَلاٰلاً طَیِّباً و بذلک یقرر الأصل فی الأشیاء الحلیّه حتی یثبت انها حرام و التعبیر ب(مما فی الأرض)تعبیر یدل علی الإطلاق،مما یعکس لنا نظره القرآن الایجابیه الی الحیاه.

إن اللّه یرید ان نتمتع بالحیاه،و لکن الشیطان یمنعنا،انه یوجد الحواجز بین الإنسان و بین نعم اللّه،و علی الإنسان الاّ یتبع الشیطان،و ان یقاومه.کما أن الشیطان یزیّن للناس الغایات الخبیثه و الإسراف و الطمع و کلها تمنع من الانتفاع السلیم و التام من خیرات الأرض.

وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ

إنه لا يريـدكم أن تنعموا بالحياه فلما ذا تتبعوه؟الـذين يمنعون زراعه الأرض بحجه انها لفلان هم أعداء الإنسان،و الذين يمنعون التجاره و يضـعون حواجز فى طريق اللّه هم أعـداء الإنسان،و الـذين يمنعون عماره الأرض هم أعـداء الإنسان، و على الإنسان الا يتبع أعداءه.

القوانين الشيطانيه:

[۱۶۹]و عند تبسيط القوانين و التقاليد التى يضعها الشيطان،نجد أنها تنقسم الى ثلاث فئات،فبعضها(سوء)يمنع من الانتفاع بالحياه مثـل:أكثر القوانين الزراعيه و التجاريه الحـديثه التى وضـعت للحـد من نشاط الناس،و للإبقاء على سـيطره مراكز القوى(شـياطين الأرض)على مقدرات الناس.

و كمثـل بسـيط كان رؤساء العشائر الـذين كانوا يتمتعون بقوه البطش يقتطعون لأنفسـهم أرضا يسـمونها بالحمى،و يحرمون على النـاس رعى اغنـامهم فيهـا،ثم تطورت و أصـبحت تلـك الاراضـى ملكـا لاـ قرب الناس الى السـلاطين(الاقطاعات السـلطانيه) ثم تطورت و أصـبحت أراض اميريه مرتبطه بالبلاـط الملكى،ثم تطورت و أصـبحت ملكا لأصـحاب رؤوس الأموال الضـخمه أو ما أشبه.

ترى ان كـل هـذه القوانين منعت من زراعه الأـرض،و بالتالى من انتفاع الإنسان بها،و السؤال كيف اسـتطاع هؤلاء الشـياطين منع النـاس من الانتفـاع بمـا جعـل اللّه لهم حلالاـ؟ الجواب:إنمـا فعلوا ذلـک فى ظل القوانين و الأعراف و التقاليـد الباطله،فاذا ايمان الناس و اتباعهم لتلك القوانين و الأعراف و التقاليد هو السبب غير المباشر لعدم انتفاعهم،إذا فلنكفر بالشيطان و بانظمته الجائره.

ص:۳۱۰

و«السوء»يتطور الى«الفحشاء»إذ انه يكرس السلطه و الثروه بيد طائفه من الناس يستغلونهما فى الظلم.

و الفحشاء تلبسّ بثياب الدين،بفعل تعاون الانتفاعيين(المستثمرين)مع بعض من يسمى ب(رجال الدين)الذين يحرفون كلام اللّه،و يكتمون الكتاب.

إِنَّمٰا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشٰاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ أحد مظاهر«السوء»الانظمه الباطله،و كما أنّ ابرز مظاهر«الفحشاء»الظلم الاجتماعى الذى يقع-عاده-بسبب تلك الأنظمه و التبرير الدينى لتلك الانظمه و ذلك الظلم.

عبده الاباء:

[١٧٠]و كمثل لذلك اتباع الاباء المنحرفين.

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ و فيه رفاه للجميع،و تحرر للطاقات،و استفاده من نعم الحياه.

قٰالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مٰا أَلْفَيْنٰا عَلَيْهِ آبٰاءَنٰا اى ما تعودنا عليه من حياه آبائنا.

أَ وَ لَوْ كٰانَ آبٰاؤُهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ [١٧١]و مثل هؤلاء مثل الببغاء حيث يرددون ما يقوله الآخرون دون ان يفهموا منه شيئا،إنهم فقدوا قدرتهم على التفكير و الاستقلال الثقافى.

وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِی یَنْعِقُ ای یصیح مقلدا لصیاح الآخرین.

بِمٰا لاٰ یَسْمَعُ ای بصیاح لا یفهمه هو.

إِلاّٰ دُعٰاءً وَ نِدٰاءً مبهما و غیر معروف لدیه،و هؤلاء فی الواقع صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ لان الفائده من الاذن،و اللسان،و العین هی المعرفه و العقل،و حیث لا عقل فلا احساس.

فَهُمْ لاٰ یَعْقِلُونَ إن هذا مثل واحد لهؤلاء الناس الذین لا یتمتعون بالاستقلال،و لا یتحررون من عباده الأنداد من دون اللّه،و بالتالی لا یستغلون موهبه العقل عندهم.

[۱۷۲]و مثل آخر یضرب به القرآن من واقع اتباع رجال الدین المحرّفین لکلام اللّه،و هم صوره اخری للتخلف الاجتماعی حیث یبررون الانظمه الفاسده،و قبل ان یضرب القرآن هذا المثل یعود لیأمرنا بالانتفاع من نعم اللّه.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاکُمْ و ربما توجه الخطاب للمؤمنین هذه المره،بینما کان الخطاب عاما فی الایه

السابقه،ربما كان ذلك ليدحض القرآن فكره ان الدين تخلف و رجعيه و منع للطيبات،كما كان يوهم تصرف رجال الدين المحرّفين،و ليثبت العكس و ان الدين يأمر بالتقدم،و التطور،و الطيبات.

وَ اشْكُرُوا لِلّٰهِ على هذه النعم،و ذلك بان تكرموا هذه النعم،و تقدروها،و تحترموها.

إِنْ كُنْتُمْ إِيّٰاهُ تَعْبُدُونَ [١٧٣]و لا تقولوا لكل نعمه من أنعم اللّه هذا حرام بدون علم.

إِنَّمٰا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مٰا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّٰهِ ما ذبح على الأصنام تقربا لها و مع ان هذه أمور محرمه إلا انها سوف تحلل فى ظروف معينه.

فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بٰاغٍ وَ لاٰ عٰادٍ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أن من يصيبه ضرر كبير بامتناعه عن أكل هذه المحرمات لا اثم عليه،بشرط:

أن يبقى ملتزما نفسيا بحرمتها،فلا يحب أكلها(و لا يبغيها)،و بشرط:ألا يتجاوز اكله لها حدود الاضطرار،فيأكل بقدر ما يدفع عن نفسه الضرر الكبير فقط.

جزاء كتمان الحق:

[١٧٤]هذه هى محرمات الدين فى الأكل..انظر كيف وسعها اليهود حتى كادوا أن يحرموا كل شيء،ثم كتموا حكم اللّه فى الأكل بغيا و اتباعا لمصالحهم.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ الْكِتٰابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ مٰا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النّارَ إذ سوف يكتشفون غدا(بعد الموت أو حتى قبله)ان اللقيمات القليله التى أكلوها تحولت الى نار ملتهبه،ذلك ان الأعمال السيئه تتجسد بعد الموت.

وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ استهانه بهم،و تصغيرا لقدرهم،و هم الذين حرموا على الناس الطيبات تأييدا للسلطات،و طلبا للجاه عندها،و إذا لا جاه هم عند اللّه أبدا.

وَ لا يُزَكِّيهِمْ بالرغم من انهم يحسبون أنفسهم من رجال اللّه،و يزكون أنفسهم حتى يجعلونها أقرب الناس الى اللّه،بينما اللّه لا يعتبرهم أزكياء،و لا يقبل منهم دعواهم بأنهم عباده الصالحون.

وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فى الدنيا و الاخره.

لماذا هذا العذاب؟ [۱۷۵]كل تلك العقوبات كانت جزاء أعمالهم لماذا؟ السبب واضح.

أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَهَ بِالْهُدى باعوا الهدى فى مقابل بعض المكاسب الماديه التى سببت ضلالتهم عن الحق، و تورطهم فى المهالك.

ص:۳۱۴

وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَهِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ حيث اشتروها لأنفسهم بعد علم بالدين.

صفات علماء السوء

[۱۷۶]إن لهؤلاء علامتين:

الاولى:انهم حرفوا الكتاب حتى جعلوه متوافقا مع مصالحهم،و لأن مصالحهم مختلفه،و لان كل طائفه فسروا الكتاب حسب مصالحهم،فقد اختلفوا فى الكتاب ذاته،و تحول الكتاب عندهم الى اداه تفريق و كان سبيلا للتوحيد،كان كتاب حق فأصبح عندهم كتاب هوى.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ و أوجب على الناس ان يقيسوا الأشياء و الأشخاص به و ان يحددوا أهواءهم وفق مبادئه،اما هؤلاء العلماء المنحرفون فقد أضلوا الناس عن الكتاب و اختلفوا فيه.

وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِى الْكِتَابِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ إنهم متمردون على الحق.

إن اللّه سبحانه وعد هؤلاء الضالين المضلين من أهل الكتاب بأشد العذاب لماذا؟ لأنهم سلبوا من الناس أفضل ما كانوا يملكون،سلبوهم ايمانهم،و هداهم، و عقولهم،و دفعوا بالناس الى هاويه بعيده،كل ذلك لقاء بعض المكاسب الماديه، و على الأمه ان تستيقظ حتى تكتشف هؤلاء السراق،و تقطع أيديهم،و تعود الى وعيها و هداها.

ص:۳۱۵

[۱۷۷]العلامه الثانیه:النظره القشریه الی الدین،و تعمیق هذه القشریه فی النفوس،و تضخیم الأمور القشریه الی حد تغطیه القضایا الجوهریه.

و السبب فی ذلک هو خلافاتهم العائلیه من جهه،و من جهه ثانیه تعویض تقاعسهم عن الواجبات الاساسیه،و الاهتمام البالغ بالقضایا الثانویه أو القشریه یقول اللّه:

لَیْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ حتی تختلفوا فی القبله مع بعضکم،و تضخموا هذا الخلاف.

وَ لٰکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلاٰئِکَهِ وَ الْکِتٰابِ وَ النَّبِیِّینَ وَ آتَی الْمٰالَ عَلیٰ حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتٰامیٰ وَ الْمَسٰاکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ وَ السّٰائِلِینَ وَ فِی الرِّقٰابِ .

و هؤلاء المحرومون هم الذین یجب ان تتوجه إلیهم رساله السماء و حمله الرساله، لا السلاطین و الوجهاء.وحدهم.

وَ أَقٰامَ الصَّلاٰهَ وَ آتَی الزَّکٰاهَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا وَ الصّٰابِرِینَ فِی الْبَأْسٰاءِ حیث تقوم الحرب مع العدو.

وَ الضَّرّٰاءِ حیث تصاب الأمه بأزمه اقتصادیه أو کارثه طبیعیه أو ما أشبه.

وَ حِینَ الْبَأْسِ

ص:۳۱۶

حين الحرب.

أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا .

مع اللّه و مع الناس.

وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

ص:٣١٧

[سوره البقره (٢): الآيات ١٧٨ الى ١٨٢]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلْقِصٰاصُ فِي اَلْقَتْلَى اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ اَلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ اَلْأُنْثىٰ بِالْأُنْثىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبٰاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدٰاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسٰانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنِ اِعْتَدىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَ لَكُمْ فِي اَلْقِصٰاصِ حَيٰاةٌ يٰا أُولِي اَلْأَلْبٰابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذٰا حَضَرَ أَحَدَكُمُ اَلْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً اَلْوَصِيَّةُ لِلْوٰالِدَيْنِ وَ اَلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مٰا سَمِعَهُ فَإِنَّمٰا إِثْمُهُ عَلَى اَلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اَللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خٰافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

اللغه

١٧٨[كتب]فرض و أصل الكتابه الخط الدال على معنى فسمى به ما دلّ على الفرض.

[القصاص]و المقاصه و المعاوضه و المبادله نظائر،يقال قص الأثر أى تلاه شيئا بعد شيء و منه القصاص لأنه يتلو أصل الجنايه و يتبعه،و قيل هو ان يفعل بالثانى ما فعله هو بالأول مع مراعاه المماثله.و منه أخذ القصص كأنه يتبع آثارهم شيئا بعد شيء.

[الحر]نقيض العبد و الحر من كل شيء أكرمه.

[عفى]العفو الترك و عفت الدار اى تركت حتى درست و العفو عن المعصيه ترك العقاب عليها و قيل معنى العفو هنا ترك القود بقبول الديه من أخيه.[أداء]الأداء تبليغ الغايه يقال أدى فلان ما عليه و فلان أدى للامانه و غيره.

ص:٣١٨

۱۷۹[الألباب]العقول و أحدها لب مأخوذ من لبّ النخله و اللب البال.

۱۸۰[بالمعروف]المعروف هو العدل الذى لا يجوز ان ينكر و لا حيف فيه.

[حضر]الحضور وجود الشیء بحيث يمكن أن يدرك.

[حقا]الحق هو الفعل الذى لا يجوز إنكاره و قيل ما علم صحته سواء كان قولا أو فعلا أو اعتقادا.

۱۸۲[جنفا]الجنف الجور و هو الميل عن الحق،و قيل هو الميل فى الكلام و فى الأمور كلها،يقال جنف علينا فلان و أجنف فى حكمه و هو مثل الحيف الا ان الحيف فى الحكم خاصه و الجنف عام.

فلسفه القصاص

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن جوانب من شخصيه الامه الاسلاميه،تحدثنا هذه الآيات و تلك التى تليها،عن مجموعه من واجبات الامه و طقوسها الدينيه.و يبدأ الحديث بالقصاص باعتباره واجبا اجتماعيا،يتصل بالمحافظه على حرمه النفس.و بعدئذ يتحدث عن الوصيه كواجب اجتماعى يتصل بحرمه المال.و سواء الدم أو المال،فان احترامهما يعنى احترام الإنسان كإنسان.إذ ليس المال سوى جهد مكثف للإنسان،و الذى يعتدى على المال،حتى و لو كان ذلك بعد حياه الشخص،فهو يلغى حياه صاحبه و جهوده.

و بعدئذ يتحدث القرآن:عن الصوم و الجهاد و الحج كواجبات اجتماعيه دينيه و لكن يبقى السؤال:ما هو سبب وضع القصاص و الوصيه فى سياق الصوم و الجهاد و الحج؟ الجواب:ان القصاص أو الوصيه هما الآخران واجبات اجتماعيه يكلف بها

ص:۳۲۰

جمیع أبناء الأمه،کالصوم و الجهاد و الحج.و من جهه اخری،ان من اهداف المجتمع الاسلامی فی الشعائر و الواجبات هو المحافظه علی حیاه الناس و أموالهم،فکان من الطبیعی ان یتحدث القرآن سلفا عنهما.

بینات من الآیات:

اشاره

[۱۷۸]یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصٰاصُ فِی الْقَتْلیٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثیٰ بِالْأُنْثیٰ انه مکتوب علی الامه مفروض علی کل واحد من ابنائها تطبیقها و لکن هذا حق یطالب به صاحب الدم و تکلف الامه بانتزاعه له اما إذا عفی صاحب الدم فهو،حر فی ذلک.

فَمَنْ عُفِیَ لَهُ مِنْ أَخِیهِ شَیْءٌ فَاتِّبٰاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدٰاءٌ إِلَیْهِ بِإِحْسٰانٍ ان اللّه یضع حول شرائعه لمسه احساس و عاطفه،من أجل الا تکون الانظمه کلها صارمه و جامده لا تتوافق و ظروفا معینه.انه یعطی هنا لصاحب الدم الحق فی العفو لیصبح صاحب الدم و الجانی اخوه.و علی الجانی ان یراعی هذه الأخوّه الجدیده بالمعروف و الإحسان،ای یجب ان تتحول الجنایه الی عامل إصلاح فی حیاه الجانی.

فاذا به یصبح صاحب المعروف بأن یدفع الدیه حسب المتعارف،و صاحب الإحسان الذی یسعی من أجل إسعاد أولیاء القتیل بایه وسیله ممکنه.

ذٰلِکَ تَخْفِیفٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ رَحْمَهٌ و الإسلام دین القانون و دین الرحمه فی ذات الوقت.فهو ذو قانون محدد و لکنه مؤطّر بالرحمه،لتخفیف صرامه القانون فی ظروف معیّنه.و لکن هذه الرحمه وضعت لکی یتحول الجانی بسببها الی رجل صالح فی المجتمع،و إذا کانت الرحمه بالنسبه

الیه تشجیعا له علی متابعه اعماله الجنائیه فهنا یجب ان یکون المجتمع صارما معه أیضا.

فَمَنِ اعْتَدیٰ بَعْدَ ذٰلِکَ فَلَهُ عَذٰابٌ أَلِیمٌ [۱۷۹]لما ذا القصاص؟لما ذا نقضی علی حیاه إنسان قضی علی حیاه غیره؟ أو لیست هذه الحیاه الثانیه محترمه کالتی قضی علیها؟ بلی،و لکننا لا ننظر الی هذه الحیاه أو تلک بقدر ما ننظر الی حیاه المجتمع کله، و ضروره المحافظه علیها کلها،و عبر هذه النظره نری ان القصاص ضروره حیاتیه.

وَ لَکُمْ فِی الْقِصٰاصِ حَیٰاهٌ یٰا أُولِی الْأَلْبٰابِ إذ انه یبنی سورا منیعا حول حیاه المجتمع کله،فیقتل نطفه الجریمه فی مهدها، و لا یدعها تنمو حتی تتحقق،لأن العقاب شدید و صارم.و إذا ألغی مبدأ القصاص، فیمکن ان تتسع عملیات القتل الدفاعیه فی الأمه،إذ قد یحس کل فرد انه یتعرض للقتل من قبل خصومه فیبادر بقتلهم،و هکذا تنتشر الجریمه و ربما دون ای مبرر سوی الخوف الباطل.لذلک یقول القرآن فی فلسفه القصاص و الهدف من تشریعه:

لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ ای الهدف منه هو إیجاد رادع عن الجریمه فی المجتمع،یتقی الناس به من ارتکابها.

الوصیه و حق الأموال:

[۱۸۰]و بمناسبه الحدیث عن حرمه النفس و القصاص الذی ینتهی بالموت، یتحدث القرآن عن الوصیه باعتبارها تثّبت حق الفرد فی أمواله حتی بعد الممات،

ص:۳۲۲

و بذلک یتکرس هذا الحق فی حاله الحیاه بالطبع،و الوصیه مکتوبه علی ذوی الیسار الذین ینبغی ان یوصوا لأقاربهم.

کُتِبَ عَلَیْکُمْ إِذٰا حَضَرَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَکَ خَیْراً الْوَصِیَّهُ لِلْوٰالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَی الْمُتَّقِینَ إن هذه الوصیه حق ثابت علی المتقین لکی لا یضیعوا حق والدیهم و أقاربهم.

و لم یتحدث القرآن عن الوصیه للأولاد،لأنهم الجیل الصاعد و الوارث الطبیعی للآباء،و لکن ینبغی ان یوصی الوالد لابنه المحتاج الی عطف اضافی و تمضی الوصیه فی ثلث اموال المیت و هکذا جاء فی الحدیث الشریف-کما جاء فی مجمع البیان (ج ۱ ص ۲۶۷)

و قد روی أصحابنا عن أبی جعفر علیه السلام أنه سئل،هل تجاوز الوصیه للوارث فقال:نعم و تلا هذه الآیه.

[۱۸۱]الوصیه حق علی المتقین،و لکن تنفیذ الوصیه حق علی الناس،و علی الإنسان ان لا یمتنع عن الوصیه بحجه الخوف من عدم تنفیذها،إذ التنفیذ مسئولیه الوصی أولا و المجتمع ثانیا،و لیس مسئولیه الذی یوصی.

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مٰا سَمِعَهُ فَإِنَّمٰا إِثْمُهُ عَلَی الَّذِینَ یُبَدِّلُونَهُ .

صاحب التبدیل و شرکائه من الذین یرضون بالتبدیل و لا ینهون عنه.

إِنَّ اللّٰهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ شاهد علی الوصیه،عالم بمن یبدلها.

[۱۸۲] فَمَنْ خٰافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً ظلما متعمدا أو غیر متعمد ذلک ان الجنف-کما جاء فی مجمع البیان(ج

ص ۲۶۹)هو الجور و الميل عن،الحق ثم قال:

الإثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد و الجنف ان يكون على وجه الخطأ من حيث لا يدرى انه يجوز،و هو معنى قول ابن عباس و الحسن، و روى ذلك عن أبى جعفر عليه السلام .

و قال الجنف:هو ان يوصى به في غير قرابه ثم أضاف عليه أكثر المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام.(المصدر) فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ذلك لان اللّه سبحانه يغفر لمن كان على الخطأ كالموصى إذا تراجع عن خطأه.

هذه هى مسئوليه المجتمع فى مسأله الوصيه ان يراقبوا الموصى،فلا يدعوه يجفو بحق أولاده أو يضرر بهم،كأن يكون الموصى لا يملك الاّ بيتا واحدا و له ذريه ضعفاء،فيوصى بتلك الدار لرجل غريب،مما يسبب فى بيع الدار و إبقاء اهله بلا دار سكنى،آنئذ يتدخل المجتمع لتصحيح الوصيه.

جاء فى حديث شريف مأثور عن الامام الباقر عليه السلام فى معنى هذه الآيه الكريمه:

«من عدل فى وصيته،كان كمن تصدق بها فى خيانه،و من جار فى وصيته،لقى الله-عز و جل-يوم القيامه و هو عنه معرض». (۱)

ص:۳۲۴

۱- ۱) ،تفسير نمونه ج ۱ ص ۶۲۱)

[سوره البقره (۲): الآیات ۱۸۳ الی ۱۸۹]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ اَلصِّیٰامُ کَمٰا کُتِبَ عَلَی اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ (۱۸۳) أَیّٰاماً مَعْدُودٰاتٍ فَمَنْ کٰانَ مِنْکُمْ مَرِیضاً أَوْ عَلیٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَیّٰامٍ أُخَرَ وَ عَلَی اَلَّذِینَ یُطِیقُونَهُ فِدْیَةٌ طَعٰامُ مِسْکِینٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۸۴) شَهْرُ رَمَضٰانَ اَلَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ اَلْقُرْآنُ هُدیً لِلنّٰاسِ وَ بَیِّنٰاتٍ مِنَ اَلْهُدیٰ وَ اَلْفُرْقٰانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْکُمُ اَلشَّهْرَ فَلْیَصُمْهُ وَ مَنْ کٰانَ مَرِیضاً أَوْ عَلیٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَیّٰامٍ أُخَرَ یُرِیدُ اَللّٰهُ بِکُمُ اَلْیُسْرَ وَ لاٰ یُرِیدُ بِکُمُ اَلْعُسْرَ وَ لِتُکْمِلُوا اَلْعِدَّةَ وَ لِتُکَبِّرُوا اَللّٰهَ عَلیٰ مٰا هَدٰاکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۱۸۵) وَ إِذٰا سَأَلَکَ عِبٰادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَةَ اَلدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ فَلْیَسْتَجِیبُوا لِی وَ لْیُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ (۱۸۶) أُحِلَّ لَکُمْ لَیْلَةَ اَلصِّیٰامِ اَلرَّفَثُ إِلیٰ نِسٰائِکُمْ هُنَّ لِبٰاسٌ لَکُمْ وَ أَنْتُمْ لِبٰاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اَللّٰهُ أَنَّکُمْ کُنْتُمْ تَخْتٰانُونَ أَنْفُسَکُمْ فَتٰابَ عَلَیْکُمْ وَ عَفٰا عَنْکُمْ فَالْآنَ بٰاشِرُوهُنَّ وَ اِبْتَغُوا مٰا کَتَبَ اَللّٰهُ لَکُمْ وَ کُلُوا وَ اِشْرَبُوا حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ اَلْخَیْطُ اَلْأَبْیَضُ مِنَ اَلْخَیْطِ اَلْأَسْوَدِ مِنَ اَلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا اَلصِّیٰامَ إِلَی اَللَّیْلِ وَ لاٰ تُبٰاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عٰاکِفُونَ فِی اَلْمَسٰاجِدِ تِلْکَ حُدُودُ اَللّٰهِ فَلاٰ تَقْرَبُوهٰا کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اَللّٰهُ آیٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ (۱۸۷) وَ لاٰ تَأْکُلُوا أَمْوٰالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْبٰاطِلِ وَ تُدْلُوا بِهٰا إِلَی اَلْحُکّٰامِ لِتَأْکُلُوا فَرِیقاً مِنْ أَمْوٰالِ اَلنّٰاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۸۸) یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلْأَهِلَّةِ قُلْ هِیَ مَوٰاقِیتُ لِلنّٰاسِ وَ اَلْحَجِّ وَ لَیْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰکِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقیٰ وَ أْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۱۸۹)

اللغه

۱۸۳[الصیام]فی اللغه الإمساک و منه یقال للصمت صوم لأنه إمساک عن الکلام و فی الشرع إمساک عن أشیاء مخصوصه علی وجه مخصوص مبین هو علی صفات مخصوصه فی زمان مخصوص.

۱۸۴[سفر]أصله من السفر الذی هو الکشف تقول سفر یسفر سفرا و انسفرت الإبل إذا انکشفت ذاهبه.

[عده]من العد و هی بمنعی المعدود.

[یطیقون]الطوق الطاقه و هی القوه و أطاق الشیء إذا قوی علیه.

۱۸۷[الرفث]الجماع.

[لباس]الثیاب التی تستر البدن و العرب تسمی المرأه لباسا و إزارا.

[تختانون]الاختیان الخیانه یقال خانه یخونه خونا(و خائنه الأعین) مسارقه النظر الی ما لا یحل و أصل الباب منع الحق.

[باشروهنّ]المباشره إلصاق البشره بالبشره و هی ظاهر الجلد.

ص:۳۲۶

[الخيط الأبيض]بياض الفجر،الخيط الأسود:ظلام الليل.

ص:٣٢٧

الصوم فلسفته و احكامه

هدى من الآيات:

المجتمع الاسلامی مجتمع ملتزم مسئول،تجری الانظمه فیه بحافز داخلی یسمیه القرآن ب(التقوی)،و هذا الوازع یخلقه الایمان باللّه،و تنمیه طائفه من الواجبات فی طلیعتها الصیام.

و بمناسبه الحدیث عن شخصیه الأمه تتحدث هذه الآیات عن الصیام کأفضل وازع نفسی للامه یحافظ علی حدود المجتمع و یراعی انظمته.

فی البدء یبین القرآن فلسفه الصیام،و بعدئذ یبین طائفه من احکامه،ثم یتحدث عن اهمیه شهر رمضان.و بهذه المناسبه یتحدث عن الدعاء،و أخیرا یعود الی احکام الصیام و المحرمات الاساسیه خلال هذه الفتره.

و الملاحظ فی القرآن:انه یتحدث عن الصیام قبل و بعد الحدیث عن حرمه المال (الآیات ۱۸۳-۱۸۸)و کأنه یوصینا بأن من اهداف الصیام تحقیق،وازع داخلی

يحافظ على حرمات المجتمع و أبرزها حرمه المال.

إنّه يعدّل سلوك الفرد تجاه المجتمع،حتى لا يعتدى الفرد عليه.

و بهذه المناسبه يتحدث القرآن عن حرمه المسكن،و يحرّم على المسلم ان يتسلق البيوت من ظهورها.

بينات من الآيات:

اشاره

[۱۸۳]الصيام واجب دينى فى رسالات اللّه السابقه.و حين يكتبه اللّه علينا فانه لهدف عظيم يعود بالنفع علينا.هو تقويم سلوكنا،و تربيه نفوسنا على التقوى.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيٰامُ كَمٰا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الهدف من الصيام التقوى،و الهدف من كثير من الشعائر الدينيه هو التقوى أيضا(كما صرح القرآن به فى آيات كثيره)و لكن ما هو التقوى؟ لعلّ الكلمه التى نستخدمها فى أدبنا الحاضر بديلا عن كلمه التقوى و قريبه من معناها هى(الالتزام).و لكن ايحاءات كلمه التقوى أفضل.انها تدل على الالتزام خشيه العقاب،و العمل بشىء (اتقاء)شر معين و بالتالى جعل العمل وسيله لتجنب الوقوع فى المهلكه.

فالتقوى هى التزام واع و مفروض على الإنسان،بسبب الإضرار التى تصيبه إن ترك الالتزام.

و خلق هذه الحاله فى النفس،لا يتم الا عبر سلسله من الطقوس و الشعائر، و(الصيام)واحد منها.حيث انه يدرب الإنسان على تجنب شهواته برقابه ذاتيه،

و بذلك ينمّى عنده موهبه الاراده.ذلك لأن إراده الإنسان كأى نعمه اخرى عنده تنمو و تتكامل،كلما انتفع بها الإنسان و مارسها عمليا.و الصائم يمارس إرادته ضد شهواته كلما دعته الحاجه الى الطعام أو الجنس،فيرفض تلبيه هذه الدعوه بقوه إرادته.

إن كثيرا من الناس يحبون ان يصبحوا صالحين،مؤمنين،ملتزمين بالرغم من انهم قد لا يصرحون بذلك،و لكن بعضا منهم يوفّق لذلك لأنه-وحده-يملك اراده قويه،و على الإنسان ان يربى إرادته و يدربها حتى يستطيع ان يقاوم بها ضغوط الشهوات،و الصيام واحد من وسائل تربيه و تدريب الاراده.

[۱۸۴]الصيام فرض خلال شهر واحد قد يتصوره الإنسان طويلا،و لكنه يجده بعد الممارسه و بعد التصميم على الالتزام به قصيرا:و كذلك كل عمل يتصوره الإنسان فى البدء عظيما،و لكنه بعد ان يعزم عليه،يصبح سهلا و خفيفا.و لذلك كان من أفضل وسائل التغلب على الحياه تهوينها،و الاستهانه بصعوباتها.و هكذا يصور لنا القرآن الصيام.

أَيّاماً مَعْدُوداتٍ .

و هناك تسهيلات اخرى فى أداء واجب الصيام منها تغيير موعد الصيام للمسافر و المريض.

فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ .

يصومها عن كل الأيام التى لم يصمها لمرض أو سفر.و من التسهيلات،إلغاء الصيام اختيارا عن كل من لا يطيق الصيام.اى يجهده،و يستنفد كل طاقته، كالضعيف البنيه و الشيخ الكبير.آنئذ يستطيع ان يصوم أو ان يبدّل الصوم بالفديه

بإطعام مسكين واحد عن كل يوم يفطر فيه.

وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعٰامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً و صام بالرغم من المشقه عليه.

فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ بشرط الا يسبب له ضررا كبيرا بل مجرد مشقه و حرج.

وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لأنه يزكى نفوسكم،و يربى ارادتكم،و يهىء لكم عند اللّه جزاء حسنا.

لماذا رمضان؟

[۱۸۵]و لا بد ان يقع الصيام فى شهر رمضان بالذات،لما ذا؟أو ليس هناك شهر آخر أفضل منه؟ كلا..إنه شهر يحمل معه ذكرى من أهم ذكريات الامه،إنها ذكرى ليله القدر حيث نزّل فيها القرآن،كتاب اللّه الكريم.

شَهْرُ رَمَضٰانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّٰاسِ بصائر و رؤى للإنسان فى الحياه وَ بَيِّنٰاتٍ مِنَ الْهُدىٰ تفاصيل التشريع الاسلامى.

وَ الْفُرْقانِ ففى القرآن قيم و مقاييس يميز بها الحق عن الباطل.فرمضان إذا أجدر الشهور بالصيام.

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ اى من كان فى هذا الشهر حاضرا فى بلده أو محل إقامته فعليه ان يصوم.

وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ و لا يجوز له ان يصوم فى حاله المرض أو السفر،ذلك لأن اللّه:

يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لاٰ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و على الإنسان ان يستجيب لاراده اللّه،و لا يوقع نفسه فى الأعمال العسيره و منها الصيام فى المرض أو السفر.

وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ كل يوم يفوتكم من الصيام تصومون مثله من أيام أخر.

وَ لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلىٰ مٰا هَدٰاكُمْ و تجعلون تعظيمكم للّه و انتماءكم اليه أقوى من تعظيمكم لأى شخص أو شىء آخر.

وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعم اللّه عليكم من خلال الصيام.

ص:۳۳۲

إن ترويض النفس يساعـد على تنميه الايمان باللّه،لأن شـهوات الدنيا هى أكبر حاجب بين عقل الإنسان و معرفه اللّه،و عن طريق الصـيام يتم خرق هـذا الحجاب (و لو بصوره مؤقته)و آنئـذ يشـرق نور الايمان فى القلب،و يكبر العبـد ربه،و يعرف ان كل تلك النعم العظيمه منه فيشكره.

كما ان المنع الموقت لبعض لـذات الجسد،سـيعطى له طعما جديدا يشـكر المرء عليها،فللصائم فرحتان:فرحه عند الإفطار،و فرحه عند لقاء الملك الجبار.

رمضان و الدعاء:

[۱۸۶]شـهر رمضان مناسـبه للـدعاء،و بهذه المناسـبه يسـتطرد القرآن ليحدثنا عن ضـروره ارتباط الإنسان بخالقه عن طريق الدعاء فيقول:

وَ إِذٰا سَأَلَكَ عِبٰادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَهَ الـدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ إذا كانت الـدعوه حقيقيه و متجهه الى اللّه وحـده،خالصه من الشرك و الرياء، فان اللّه يجيبه لا ريب فيه عاجلا أم آجلا.

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِی هم بدورهم،و يعملوا بأوامر اللّه،ليبادلهم اللّه جزاء الحسنه بعشر أمثالها.

وَ لْيُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ اسـتجابه دعوه اللّه تبدأ من الايمان باللّه،فاذا أخلص العبد ايمانه بربه يدعوه ايمانه الى تنفيذ واجبات اللّه،و من ثم يجيب ربه دعاءه.

من هنا كانت الدعوات المأثوره متوّجه بالاستغفار للّه،لان الاستغفار يعيد

الإنسان الى حضيره الايمان،و من ثم يجيب اللّه دعاءه.

من أحكام الصوم:

[۱۸۷]احكـام الصـيام كثيره و لكن أبرزهـا الامتنـاع عن الطعام و الجنس خلال النهار،اما فى الليل فقـد كان الإسـلام يحرم مطلقا الجنس و الطعـام الإخلال فترات معينه،و لكن خفّف الحكم بعدئـذ.كمثل كثير من الأحكـام المشـدده فى بـدايه الرسـاله و التى خففت بعدئذ،و ربما لسبب هو أنّ الأمم تكون فى بدايه تكونها أشد التزاما.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلىٰ نِسٰائِكُمْ ممـارسه الجنس مع الزوجـات اللاـتى يشـكلن حصـنا لكـم مـن الوقـوع فى مزالق الجنس،كمـا تشـكلون أنتـم نفس الحصـن لهن:إن كـثيرا من الجرائم ترتكب بسـبب الجنس،سـواء بصـوره مباشـره أو عن طريق تكوين الجنس للعقد النفسيه التى تدعوا الى الجرائم،من هنا قال اللّه عن النساء.

هُنَّ لِبٰاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبٰاسٌ لَهُنَّ .

و قد كانت ممارسه الجنس فى ليالى الصيام حراما،و لكن الناس لم ينفّذوه بالضبط فخفف الحكم.

عَلِمَ اللّٰهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتٰانُونَ أَنْفُسَكُمْ .

و تظلمونها بسبب شهوه الجنس.

فَتٰابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفٰا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ .

إنما بهدف حكيم هو ان يرزقكم اللّه الأولاد،فليس الجنس هدفا بذاته،انما هو وسيله لهدف اسمى هو الأولاد.

وَ ابْتَغُوا مٰا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ من بنين و بنات،تسلمون لقضاء اللّه فيهم.

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ حيث يتبين الصبح عن طريق وجود خيط ابيض فى الأفق يدل على انبلاج الفجر.هناك يبدأ وقت الصيام و يحرم الجنس و الاكل و الشرب.

ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيٰامَ إِلَى اللَّيْلِ حيث تغيب الشمس و تسحب من السماء ذيول الضياء.

و كما يحرم الجنس خلال نهار الصيام،كذلك عند ما يعتزل المؤمن الناس و يأوى الى المساجد متبتلا الى اللّه.

وَ لاٰ تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عٰاكِفُونَ فِي الْمَسٰاجِدِ و الإسلام لم يشرّع العزله التامه عن الناس،لأنها تلغى مسئوليه الإنسان فى الحياه و دوره فى إصلاحها،و لكنه شرّع و حبب الاعتزال المؤقت ليكتسب المسلم العزيمه و الأمل،و يعود الى الحياه أقوى من قبل.

و الاعتكاف واحد من أساليب الاعتزال المؤقت،حيث يمكث المؤمن فى المسجد ثلاثه أيام و يصوم و لا يخرج من المسجد الا للضرورات:هنالك يحرم عليه ممارسه

ص:٣٣٥

الجنس ليلا أو نهارا.

تِلْکَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهٰا کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّهُ آیٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ .

[۱۸۸]الصیام یستهدف تزکیه النفوس حتی تتقی حرمات اللّه،و تتجنب مظالم العباد.و لیس الصیام نافعا لو لم یؤد الی التقوی،کما ان الصلاه لا تنفع لو لم تنه عن الفحشاء و المنکر.و لذلک تحدث القرآن بعد الصیام عن حرمه المال و قال:

وَ لاٰ تَأْکُلُوا أَمْوٰالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْبٰاطِلِ إذا اغتصبت مال أخیک،أو خدعته،أو مارست الغش معه فهو باطل.و إذا أکلت ماله بالقمار أو التجاره الضاره فهو باطل.و الذین یأکلون اموال الناس بالباطل یستندون فی ذلک الی الحکام الأقویاء،و یتشارکون معهم فیها،لذلک قال اللّه:

وَ تُدْلُوا بِهٰا إِلَی الْحُکّٰامِ لِتَأْکُلُوا فَرِیقاً مِنْ أَمْوٰالِ النّٰاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [۱۸۹]و کما حرمه المال کذلک حرمه البیت،حیث لا یجوز للإنسان ان یتسلق بیوت الناس.و بمناسبه الحدیث عن شهر رمضان و ارتباطه برؤیه الهلال تحدّث القرآن عنه فی البدء،ثم حذّر من الاعتقاد بان ذلک یکفی الإنسان فی التدین،و قال کلا..ان الالتزام بالواجبات الاجتماعیه أهم من الالتزام بظواهر الدین.

یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ مَوٰاقِیتُ لِلنّٰاسِ وَ الْحَجِّ یعرفون بها کیف یضبطون أوقاتهم،ذلک ان الهلال بما فیه من تغییرات یومیه یمکن ان یعرفنا بأیام الشهر.

وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا

كما كانت تفعل جماعه من الجاهليين،يزعمون ان فى ذلك دلاله على الشجاعه.و كانوا يزعمون ان المحرم للحج لا يجوز له ان يدخل المسجد الحرام من الباب،بل من ثقب كانوا يصنعونه فى الجدار.

وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ المحرمات،و ضبط فى نفسه الحدود الشرعيه،فاشجع الناس من غلب هواه.

وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ص:۳۳۷

[سوره البقره (٢): الآیات ١٩٠ الی ١٩٥]

اشاره

وَ قٰاتِلُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ اَلَّذِینَ یُقٰاتِلُونَکُمْ وَ لاٰ تَعْتَدُوا إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ اَلْمُعْتَدِینَ (١٩٠) وَ اُقْتُلُوهُمْ حَیْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَیْثُ أَخْرَجُوکُمْ وَ اَلْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ اَلْقَتْلِ وَ لاٰ تُقٰاتِلُوهُمْ عِنْدَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ حَتّٰی یُقٰاتِلُوکُمْ فِیهِ فَإِنْ قٰاتَلُوکُمْ فَاقْتُلُوهُمْ کَذٰلِکَ جَزٰاءُ اَلْکٰافِرِینَ (١٩١) فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (١٩٢) وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰی لاٰ تَکُونَ فِتْنَهٌ وَ یَکُونَ اَلدِّینُ لِلّٰهِ فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَلاٰ عُدْوٰانَ إِلاّٰ عَلَی اَلظّٰالِمِینَ (١٩٣) اَلشَّهْرُ اَلْحَرٰامُ بِالشَّهْرِ اَلْحَرٰامِ وَ اَلْحُرُمٰاتُ قِصٰاصٌ فَمَنِ اِعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اِعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلْمُتَّقِینَ (١٩۴) وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی اَلتَّهْلُکَهِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلْمُحْسِنِینَ (١٩۵)

اللغه

١٩٠[تعتدوا]الاعتداء مجاوزه الحد.یقال عدا طوره إذا جاوز حده.

١٩١[ثقفتموهم]ثقفته أثقفه ثقفا و ثقافه أیّ وجدته و منه قولهم رجل ثفف ثقف أیّ یجد ما یطلبه و ثقف سریع التعلم و التثقیف التقویم.

[الفتنه]أصلها الاختبار.و منها الابتلاء و منها العذاب،و منها الصدّ عن سبیل اللّه.

ص:٣٣٨

القتال فی الإسلام

اشاره

اهدافه و احکامه

هدی من الآیات:

من میزات الامه الاسلامیه:انها تؤمن بالجهاد من أجل اهداف انسانیه عالیه، و فی اطار هذه الاهداف تمارس القتال.و فی هذه الآیات یتحدث القرآن عن حدود القتال(کما تحدث سابقا عن حدود القصاص و الصیام)و یؤکد علی التقوی باعتبارها وسیله لمراعاه حدود اللّه فی الجهاد.

فالقتال انما هو فی سبیل اللّه،و موّجه ضد من یقاتل الامه،و هناک هدف آخر للقتال هو منع الفتنه،إذ هی اخطر من القتل،و هناک حد آخر للقتال هو حرمه القتال فی المسجد الحرام،و لکن حرمه المسجد و الشهر،قائمه ما دام العدو ملتزما بها.و القتال بحاجه الی الإنفاق،و علی الامه ان تبادر بالإنفاق قبل ان تحدق بها الاخطار.

ص:۳۴۰

بينات من الآيات:

القتال لماذا و كيف؟

[۱۹۰]ان القتال مفروض على الامه،بشرط ان يكون بهدف تحقيق قيم اللّه فى الأرض،و التى هى،فى الوقت ذاته،اهداف تتطلع الى تحقيقها كل الشعوب من إقامه الحق و الحريه و العداله و المساواه.

و لكن حتى هذا القتال يكون بعد ان تتعرض الامه للاعتداء.و مع كل ذلك يجب ان يظل القتال محدودا فى اطار إنهاء الوجود العسكرى للعدو،و ليس الاعتداء على الأنفس و الأموال.

وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ الَّذِینَ یُقاتِلُونَکُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ .

و ليس من الصحيح ان يفكر أبناء الامه ان الاعتداء يجوز لهم ما داموا ينتمون الى رساله اللّه.كلا،إن اللّه لا يحب المعتدين أنى كانوا.

[۱۹۱]و لا يتحدد القتال بساحه المعركه بالذات،بل يجوز ان تقتل الامه، المفسدين انّى وجدتهم،ما داموا قد استعدوا للقتال.و من الحكمه ان تعطى للامه، فرصه المبادره بالحرب إذا وجدت ضروره دفاعيه إليها.

وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ حيث وجدتموهم.

وَ أَخْرِجُوهُمْ من معاقلهم.

ص:۳۴۱

مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ الْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ إنهم هم الـذين بـدأوا الحرب ضـدكم و أخـذوا يفسـدون عليكم،فهم بذلك أباحوا قتالكم لهم.

وَ لاٰ تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتّٰى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذٰلِكَ جَزٰاءُ الْكافِرِينَ حيث انهم سوف يسلبون نعمه الأمن عند المسجد الحرام،متى ما استغلوا ذلك فى صالحهم.

[۱۹۲]الا ـ ان انـدفاع الا ـمه الى القتـال،يجب الا ـ يخرج أفرادهـا عن اطـار انضـباطهم بتعـاليم اللّه،فالقتال متى ما اشـتعل،يسـتعد له المسلمون،و لكن إذا توقف لا يعتدى المسلمون على الناس لمجرد حب القتال،خصوصا إذا كان عند المسجد الحرام حيث جعله اللّه من قديم الزمان منطقه سلام.

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

الهدف الحضارى للقتال:

[۱۹۳]و القتـال فى حـال اشـتعاله ذو هـدف حضـارى هـو القضـاء على الفسـاد بكـل ألـوانه(التفرقـه،حكـم الجبـابره،الا ـنظمه الباطله،أسباب الظلم)و إقامه حكم اللّه فى الأرض،لا حكم طائفه على طائفه،أو اشخاص على اشخاص،حكم اللّه الذى يطّبق على القاده كما يطّبق على الناس.

وَ قاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَهٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلّٰهِ الدين بمعنى الالتزام بالسياده،اى حتى يلتزم الناس جميعا بحكم اللّه

فی الأرض.

مره اخری یذّکر القرآن بأن الهدف من القتال،لیس القتال ذاته،بل هو وسیله مرحلیه فقط.

فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاٰ عُدْوٰانَ إِلاّٰ عَلَی الظّٰالِمِینَ الذین یعتدون علی الناس،فیسترد النظام الاسلامی حقوق الناس منهم بالقوه.

متی تحفظ الحرمات؟:

[۱۹۴]و یبقی سؤال:لماذا سمح اللّه للمسلمین بالقتال عند المسجد الحرام،أو فی الشهر الحرام،حیث کان العرب یعتبرون القتال حراما فیهما؟أ فلیس الإسلام دین سلام؟ و یجیب اللّه علی هذا السؤال بالقول:

اَلشَّهْرُ الْحَرٰامُ بِالشَّهْرِ الْحَرٰامِ وَ الْحُرُمٰاتُ قِصٰاصٌ فَمَنِ اعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ إن حرمه الشهر الحرام کانت تعطی فتره من الهدوء للعرب،لعلهم یحلّون اختلافاتهم سلمیا،و لکن بعضهم کان یستغل هذا الهدوء،لشن حروب عدوانیه ضد المسلمین،فأمر اللّه الامه بالرد علیهم.إذ ان الحرمات قصاص،فما دام الفرد یحترم حقوق الآخرین،تحترم حقوقه.اما إذا اعتدی علیها،فان الواجب استرداد الحقوق منه بالقوه و هذه الآیه تفتح آفاقا واسعه فی التشریع الجنائی.

و بالطبع حتی هنا لا یجوز الاعتداء علیه أکثر من اعتدائه،و یؤکد القرآن هذا الواجب و فی ذات الوقت یحدد أهم قضیه أرادها من الحدیث عن القتال هنا و یقول:

وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ الامه الاسلاميه و الفرد المسلم يجب ان يكونوا ملتزمين بحدود اللّه و لا يتجاوزونها،و هذه من أهم مسئوليات الامه.

الإنفاق ضروره قتاليه:

[۱۹۵]و بمناسبه الحديث عن القتال،تحدث القرآن عن الإنفاق،باعتباره ضروره قتاليه،ذلك ان الاعداد للقتال قد يكون أصعب من القتال ذاته لذلک شدد القرآن على الإنفاق،و ربطه بمصير الامه و قال:

وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ لان عدم الإنفاق سوف يوقع الامه فى اخطار عظيمه.

وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ على كل فرد الاّ يقتصر على حدود الواجب فى الإنفاق،بل ينفق أكثر من ذلك حسب طاقته،و ذلك هو الإحسان الذى يحبه اللّه و يحب من يصنعه.

إن أمتنا اليوم بحاجه ماسه،للاستعداد لخوض معاركها المصيريه على أكثر من جبهه،و لن يتم الاستعداد من دون العطاء،العطاء بكل ألوانه،بالجهد،بالجاه، بالمال،و لكن قله الوعى المستقبلى و الانانيه الذاتيه و انعدام الثقه بالمجتمع و مؤسساته، كل تلك أدّت الى كف الأمه عن الإنفاق،و جعلها تخسر المعركه بعد الاخرى.

ان عودتنا الى تعاليم الدين فى الإنفاق،هى الضمانه الاكيده لاسترداد عزنا المفقود،و حفظ ما تبقى من مصالحنا و كرامتنا.

ص:۳۴۴

[سوره البقره (۲): الآیات ۱۹۶ الی ۲۰۳]

اشاره

وَ أَتِمُّوا اَلْحَجَّ وَ اَلْعُمْرَهَ لِلّٰهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اِسْتَيْسَرَ مِنَ اَلْهَدْيِ وَ لاٰ تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ اَلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كٰانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَهٌ مِنْ صِيٰامٍ أَوْ صَدَقَهٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذٰا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ إِلَى اَلْحَجِّ فَمَا اِسْتَيْسَرَ مِنَ اَلْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ ثَلاٰثَهِ أَيّٰامٍ فِي اَلْحَجِّ وَ سَبْعَهٍ إِذٰا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَهٌ كٰامِلَهٌ ذٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حٰاضِرِي اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ شَدِيدُ اَلْعِقٰابِ (۱۹۶) اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومٰاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ اَلْحَجَّ فَلاٰ رَفَثَ وَ لاٰ فُسُوقَ وَ لاٰ جِدٰالَ فِي اَلْحَجِّ وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اَللّٰهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ اَلزّٰادِ اَلتَّقْوىٰ وَ اِتَّقُونِ يٰا أُولِي اَلْأَلْبٰابِ (۱۹۷) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذٰا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفٰاتٍ فَاذْكُرُوا اَللّٰهَ عِنْدَ اَلْمَشْعَرِ اَلْحَرٰامِ وَ اُذْكُرُوهُ كَمٰا هَدٰاكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ اَلضّٰالِّينَ (۱۹۸) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفٰاضَ اَلنّٰاسُ وَ اِسْتَغْفِرُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۹۹) فَإِذٰا قَضَيْتُمْ مَنٰاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اَللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ آبٰاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنٰا آتِنٰا فِي اَلدُّنْيٰا وَ مٰا لَهُ فِي اَلْآخِرَهِ مِنْ خَلاٰقٍ (۲۰۰) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنٰا آتِنٰا فِي اَلدُّنْيٰا حَسَنَهً وَ فِي اَلْآخِرَهِ حَسَنَهً وَ قِنٰا عَذٰابَ اَلنّٰارِ (۲۰۱) أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمّٰا كَسَبُوا وَ اَللّٰهُ سَرِيعُ اَلْحِسٰابِ (۲۰۲) وَ اُذْكُرُوا اَللّٰهَ فِي أَيّٰامٍ مَعْدُودٰاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اِتَّقىٰ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۲۰۳)

اللغه

۱۹۶[أحصرتم]الإحصار المنع يقال للرجل الذى قد منعه الخوف أو المرض عن التصرف قد أحصر و يقال للرجل الذى حبس قد أحصر و أصل الباب الحبس.

ص:۳۴۵

۱۹۸[جناح]الجناح الحرج فی الدين و هو الميل عن الطريق المستقيم.

[تبتغوا]الابتغاء الطلب.

[أفضتم]الإفاضه مأخوذه من فيض الإناء عن امتلائه فمعنی أفضتم دفعتم من عرفات الی المزدلفه عن اجتماع و كثره.و يقال أفاض الناس فی الحديث إذا اندفعوا فيه و أكثروا التصرف.

فالإفاضه فی اللغه لا تكون إلّا عن تفوق أو كثره.

ص:۳۴۶

الحج مدرسه التقوی

هدی من الآیات:

بعد الصیام و الجهاد یأتی دور الحج،کمدرسه رسالیه لتربیه روح الالتزام فی الامه.و الهدف من الحج التقوی.لان واجبات الحج تشبه الی حد بعید الصیام،فی انها تفرض اجتناب طائفه من الشهوات العاجله بوعی و اختیار مما یقوی الاراده، و یزید فی الایمان.و الحج یشبه الجهاد أیضا لان فیه اخطار السفر و احتمالات الموت و صعوبات الأعمال و من هنا جاء فی الحدیث الحج جهاد الضعفاء.

و الحدیث هنا عن الحج،لا یتناول الجوانب الاجتماعیه منه کما نجد ذلک فی سوره الحج بل یقتصر علی الجوانب التربویه من الحج،لطبیعه السیاق الذی یتحدث عن التقوی کمیزه اساسیه فی الشخصیه الایمانیه.

و فی الآیات الاخیره نجد الحدیث المباشر عن التقوی و بعض مظاهره من فرض الرقابه الذاتیه علی الإنسان و ابعاده عن الجریمه و النفاق.و قد تکررت کلمه التقوی فی

ص:۳۴۸

هذا الدرس خمس مرات.

بينات من الآيات:

اشاره

[۱۹۶]قبل كل شىء،يجب ان يكون الحج أو العمره خالصا لوجه اللّه،لا يدخل فيه هدف آخر،تجاره أو سياحه أو رياء.و على الحاج ان يمتنع عن الزينه بكل مظاهرها.حتى انه لا يستطيع ان يحلق رأسه،و إذا منعه المرض عن متابعه رحله الحج فعليه الا يحلق رأسه الا بعد ان يبعث بهديه(ذبيحته-أضحيته)الى مكه.

فاذا ذبحت استطاع ان يتحلل من إحرامه و يحلق رأسه.و عند ما يضطر المريض الى حلق رأسه فعليه ان يفتدى حلقه بصيام أو صدقه أو ذبيحه.

الواجب الاخر فى الحج:تقديم الهدى(الذبيحه سواء كان شاه أو بقره أو إبلا) و من لم يجد واحدا منها،فعليه ان يصوم عشره أيام،ثلاثه فى الحج و سبعه إذا عاد الى بيته.و أهل مكه و ما حولها لا يجب عليهم الهدى.

كل هذه الفرائض واجبه من أجل تنميه روح التقوى فى القلب و الخوف من اللّه.

وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلّٰهِ .

أولا:لا يجوز ترك الحج أو العمره بلا سبب بل يجب الاستمرار فيهما و إتمامهما و هذا واجب اساسى فى الحج.

ثانيا:يجب ان يكون الحج و العمره خالصين للّه.

و الحاله التى يجوز فيها ترك الحج هى حاله الحصر(بمرض أو عدو أو ما أشبه).

فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ .

ص:۳۴۹

ابتداء من الشاه و انتهاء بالإبل.

وَ لاٰ تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ .

عند بيت اللّه الحرام أو فى منى..

فَمَنْ كٰانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ .

يستوجب حلق رأسه،سوى يضره استمرار الشعر كما إذا أصيب بصداع دائم لا يبرئه سوى حلق الرأس،أو كان حرجا بالغا عليه استمرار الشعر.

فَفِدْيَهٌ مِنْ صِيٰامٍ أَوْ صَدَقَهٍ أَوْ نُسُكٍ .

فاذا انتهى الخوف من العدو أو من المرض،فعلى الإنسان الذى يأتى بحج التمتع و هو الذى يفصل بين عمرته و حجه فتره استراحه يبقى فيها بدون إحرام،عليه ان يقدم الهدى.

فَإِذٰا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ إِلَى الْحَجِّ .

اى عن طريق الإحرام للعمره استطاع ان يتمتع فتره من الزمان حتى يأتى موعد الحج.

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ ثَلاٰثَهِ أَيّٰامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَهٍ إِذٰا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَهٌ كٰامِلَهٌ ذٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حٰاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ .

اما أهل مكه الحاضرين عند المسجد الحرام فيجوز لهم ان يأتوا بغير حجه التمتع، و لا يقدموا الهدى.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ .

و الهدف البعيد من الحج هو:ألا يتهاون المسلم فى واجبات دينه،و ان يلتزم بحدوده لا يتقدم فيها قيد شعره،لان اللّه شديد العقاب و فى هذه الآيه نجد واحدا من أهم واجبات الحج و هو الإحرام،يتحدث عنه القرآن فى ثلاثه مظاهر:و هى مظهر النيه،و مظهر عدم حلق الرأس،و ينتهى بالذبح،و الإحرام هو ابرز اعمال الحج لذلك بدأ به القرآن الحكيم.

الإحرام:

[١٩٧]و فى هذه الآيه نجد بعض مظاهر الإحرام و هى:حرمه الرفث(مباشره النساء)بكل ألوانه و حرمه الفسوق(و الحلف كاذبا باللّه)و حرمه الجدال.

و خلال فتره الحج يجب ان يتقيد الإنسان بهذه الأمور،و الهدف منها:تنميه روح التقوى فى النفوس.

اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومٰاتٌ لا يمكن ان يبدأ الإنسان حجه قبل شوال،و لا ان يؤخره عن موسم الحج فى ذى الحجه و ربما يوحى هذا بان محرمات الإحرام لا تستمر بعد أيام ذى الحجه.

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ .

فرض على نفسه الحج فى هذه الأشهر.

فَلاٰ رَفَثَ وَ لاٰ فُسُوقَ وَ لاٰ جِدٰالَ فِى الْحَجِّ .

لماذا الجدال و الفسوق؟ هل لكى يتظاهر الإنسان بأنه أهم من غيره،و يزكى نفسه دون الآخرين،

ما دام اللّه يعلم بما يفعله العباد ان كانوا صادقين فی عملهم،و الكذب و الادعاء لا يغنی أحدا شيئا.

وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّٰادِ التَّقْوىٰ .

أ فلاـ يتزود الإنسان لسفره؟ فلما ذا لا يتزود لسفر الاخره و هو أطول و أوحش من اسفار الدنيا،و لكن كيف نتزود؟ أفضل ما نتزود به:التقوی و الالتزام بما أوجبه اللّه علينا،إنه الزاد الوحيد الذی ينفعنا فی ذلك الطريق الطويل الطويل.

وَ اتَّقُونِ يٰا أُولِي الْأَلْبٰابِ .

أنتم يا من تملكون حقيقه الانسانيه و هی العقل اتقوا اللّه،لأنكم تعرفون اللّه و تعرفون ان من يتقيه ينجو من نار جهنم،و ينجو من عذاب الدنيا.

إن التزود بالتقوی لا يختص بالآخره بل يشمل اسفار الدنيا،إن رحلتنا الشاقه فی الدنيا بحاجه الی زاد،بحاجه الی اراده و عقل و مثابره،و التقوی هی التی تعطينا هذه الصفات المثلی و الضروريه للحياه فی الدنيا.

إن الذين لا يتسلحون بالتقوی فان ای مشكله فی الحياه يمكنها ان تصرعهم و تحول حياتهم الی جحيم.

ماذا بعد عمره التمتع؟:

[۱۹۸]بعد فتره العمره يتحلل الحاج من إحرامه،و يبتغی من فضل اللّه،

و يتمتع بلذات الدنيا،و يفكر فى التجاره،و يتزود بالعلم و الأدب،و بعدئذ يحرم مره اخرى للحج و يقف فى عرفات،و يفيض منه الى المشعر،ثم الى منى،و بعدئذ يذهب للطواف و يقضى سائر مناسكه.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ .

فى الفتره بين الحج و العمره فى حاله التمتع.

فَإِذٰا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفٰاتٍ .

حيث يقف فيه كل الحجاج،و يبدو ان الافاضه من عرفات من ابرز واجبات الحج،لأنها مسيره ايمانيه تذكرنا بطبيعه الدين،انه حركه موجهه لهدف مقدس، و سنجد فى الايه التاليه تركيزا على الافاضه.

فَاذْكُرُوا اللّٰهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرٰامِ .

و هو موقف يقع داخل حدود حرم المسجد الحرام،و ملتصق بمنى جغرافيا،بينما يبتعد عن عرفات بضع كيلومترات.

كان المشعر الحرام فى الجاهليه موقعا للمباراه الفكريه بين القبائل التى كانت تهتم بعنصريتها و عصبيتها أكثر من اهتمامها بالشعائر الدينيه،فكانت كل قبيله تحيى ليله المشعر بالاشاده بامجادها الغابره و تعرض بالقبائل الاخرى، فأمرهم اللّه بان يتمحوروا حول الايمان باللّه،و ينسوا خلافاتهم العصبيه و العنصريه.

وَ اذْكُرُوهُ كَمٰا هَدٰاكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضّٰالِّينَ .

إن مقارنه حاله التخلف،القديم للأمه و الفساد الجاهلى بحاله تقدمها الحالى فى

ظل الرساله الجديده،تكرس فيها ايمانها برسالتها،و تدفعها الى المحافظه عليها بكل قوه.

و القرآن يأمرنا ان نتـذكر رساله اللّه التى اهتـدينا بها لكى لا نتوانى عن تطبيق قيمها،و لكى نتصور واقعيا نعمه الوحـده و الأمن و الطمأنينه و النشـاط،و بالتـالى سـائر النعم التى جـاءت نتيجه هـذه الرساله،و التى لا يمكن ان تسـتمر لوانا لم نتمسك بها تمسـكا شديدا،بل هى بحاجه الى المحافظه عليها،و التذكره بأنها ستزول لو لم نسع من أجل المحافظه عليها.

الإفاضه مسيره الإيمان:

[۱۹۹]بعـد عرفات تبـدأ المسـيره الايمانيه التى تسـميها الايه ب(الافاضه)تشبيها لها بانـدفاع السـيل،آنئـذ حيث تميل الشـمس الى المغرب،تسـتعد جموع الحجاج للتحرك الى المشـعر،ليرمزوا بذلك للسـعى المشترك فى سبيل اللّه،و على الدرب الذى حددته رساله اللّه،دون اى تمييز بين الطبقات المختلفه.

و قـد كـانت الجاهليه تعطى لبعض القبائل شـرف تقـدم الناس فى الافاضه، فكانت تقف امام الجماهير و تتحرك من نقطه أقرب الى المشـعر من سـائر النـاس، أو تفيض من المشـعر ذاته.و جاءت الايه صـريحه بالغاء هـذا الامتياز و البـدء بالمسـيره مع الناس و قالت:

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النّاسُ .

من ذات النقطه التى يفيض منها الناس.

وَ اسْتَغْفِرُوا اللّهَ .

ص:۳۵۴

ليشعر كل إنسان بأنه مذنب امام ربه،و انه لا يجوز له ان يزكى نفسه و يجعلها أشرف من الآخرين،فكلنا عباد اللّه و قد يكون الوضيع منا شريفا عند اللّه بل و أشرف من الذى يزعم نفسه شريفا.

إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

كيف نربح الدنيا و الآخره؟

[۲۰۰]بعد المشعر يفيض الحاج الى منى حيث يؤدى مناسكه من:تقديم الهدى،و رمى الحجاره،و التقصير،و انئذ يجتمع الحجاج فى منى ليبنوا حياتهم وفق تطلعاتهم،فينقسم الناس الى نوعين:فمنهم من يذكر اللّه و ينتمى اليه قبل ان ينتمى الى أهل أو ارض أو قوم،و يريد ان يبنى حياته وفق نهج اللّه،و منهم من يستعجل فى الحصول على مكاسب الدنيا،دون ان يفكر فى الاخره فيخسرهما جميعا.

فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ .

فى منى،رميا للجمرات،و هديا للّه،و حلقا أو تقصيرا،و بالتالى بالتحلل من أكثر مظاهر الإحرام.

فَاذْكُرُوا اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً .

حتى يصبح انتماؤكم الاول الى اللّه،فيوحدكم الإيمان به،و تصبح ارض منى منطلقا للتعارف و التعاون و الأمل،و لكن يبقى هذا الهدف مرتبطا بمنطلقات معينه.

فَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ .

لا يملك اى رصيد فى الاخره.لأنه يريد كل جهوده ان تثمر فى الدنيا،هؤلاء ليس لهم فى الآخره نصيب فى الدنيا.

[۲۰۱] وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنٰا آتِنٰا فِی الدُّنْیٰا حَسَنَةً وَ فِی الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ .

[۲۰۲] أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمّٰا كَسَبُوا وَ اللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسٰابِ .

هؤلاء سوف يحصلون على مكاسبهم فى الدنيا و فى الاخره لان منطلقهم سليم.

و بالطبع لا ينفع هؤلاء مجرد سلامه منطلقهم،إذ انهم سوف لا يحصلون إلاّ نصيبا مما كسبوا لا مما قالوا،ان الدنيا و الاخره هدفان لا يحققان الا بسعى و على قدره.

ان الذين يحددون نظرهم فى الدنيا يصابون بقصر النظر،و الذاتيه،إذ ما دام العمل للدنيا و لا نعرف هل نحن غدا موجودون أم أموات،فدعنا نأكل نصيبنا اليوم،و بذلك يستنفذون طاقاتهم فى الحال دون النظر فى المستقبل.

و ما دام الفرد يعمل للدنيا،و يعمل لذاته و لا قرب الناس اليه،و إن ذلك يقضى على حضارته فما عاشت امه انتشرت فيها الذاتيه و قصر النظر،بينما من يعمل من أجل الاخره يكون امامه أفق بعيد يتطلع لتحقيقه،انه يفكر فى رحمه اللّه الواسعه،فهو لا يريد مكاسب عاجله،ثم انه يعمل للجميع لان ذلك طريقه الى اللّه،و هكذا يكون العمل للآخره طريقا الى حضاره الامه.

بعد قضاء مناسك منى،يتوجه الحاج الى بيت اللّه الحرام ليذكر اللّه،و لكى يرتبط بهدى اللّه و يوثق علاقته بالانتماء التوحيدى له،و يعمل للدنيا و الاخره معا.

[۲۰۳] وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِی أَيّٰامٍ مَعْدُودٰاتٍ .

ثلاثه أيام من الحادى عشر حتى الثالث عشر.

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی يَوْمَيْنِ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقىٰ وَ اتَّقُوا

اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

الهدف البعيد لكل هذه المناسک هو التقوى،و سببه هو التفكير المستمر فى أنّ الإنسان مهما طال عمره فسوف يحشر الى اللّه و يسأل عما فعله،فعليه ان يجعل من نفسه عليها رقيبا و وازعا عن السوء،و دافعا الى الخير،و لا ينتظر محاسبا اجتماعيا أو واعظا دينيا.

ص:۳۵۷

[سوره البقره (۲): الآیات ۲۰۴ الی ۲۱۳]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی اَلْحَیاهِ اَلدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اَللّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ اَلْخِصامِ (۲۰۴) وَ إِذا تَوَلّی سَعی فِی اَلْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ اَلْحَرْثَ وَ اَلنَّسْلَ وَ اَللّهُ لا یُحِبُّ اَلْفَسادَ (۲۰۵) وَ إِذا قِیلَ لَهُ اِتَّقِ اَللّهَ أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ اَلْمِهادُ (۲۰۶) وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ اِبْتِغاءَ مَرْضاتِ اَللّهِ وَ اَللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۲۰۷) یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اُدْخُلُوا فِی اَلسِّلْمِ کَافَّهً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ اَلشَّیْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (۲۰۸) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْکُمُ اَلْبَیِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۰۹) هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ یَأْتِیَهُمُ اَللّهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ اَلْغَمامِ وَ اَلْمَلائِکَهُ وَ قُضِیَ اَلْأَمْرُ وَ إِلَی اَللّهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۲۱۰) سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ کَمْ آتَیْناهُمْ مِنْ آیَهٍ بَیِّنَهٍ وَ مَنْ یُبَدِّلْ نِعْمَهَ اَللّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اَللّهَ شَدِیدُ اَلْعِقابِ (۲۱۱) زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا اَلْحَیاهُ اَلدُّنْیا وَ یَسْخَرُونَ مِنَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا فَوْقَهُمْ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ وَ اَللّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ (۲۱۲) کانَ اَلنّاسُ أُمَّهً واحِدَهً فَبَعَثَ اَللّهُ اَلنَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ اَلْکِتابَ بِالْحَقِّ لِیَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّاسِ فِیمَا اِخْتَلَفُوا فِیهِ وَ مَا اِخْتَلَفَ فِیهِ إِلاَّ اَلَّذِینَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ اَلْبَیِّناتُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ فَهَدَی اَللّهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِیهِ مِنَ اَلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اَللّهُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۲۱۳)

اللغه

۲۰۴[یعجبک]الاعجاب هو سرور المعجب بما یستحسن و منه العجب بالنفس و هو سرور المعجب من الشیء استحسانا له و ذلک إذا تعجب من شده حسنه و العجب کل شیء غیر مألوف.

[ألدّ]الألد الشدید الخصومه تقول لدّ یلدّ لدودا ولدّه یلدّه إذا غلبه فی الخصومه.

ص:۳۵۸

۲۱۰[ینظرون]النظر هنا الانتظار.و أصل النظر الطلب لادراک الشیء و إذا استعمل بمعنی الانتظار فلأن المنتظر یطلب إدراک ما یتوقع.و إذا کان بمعنی الفکر بالقلب فلأن المتفکر یطلب به المعرفه و إذا کان بالعین فلأن الناظر یطلب الرؤیه.

[ظلل]جمع ظله و هی ما یستظل به من الشمس و سمی السحاب ظله لأنه یستظل به.

[الغمام]السحاب الأبیض الرقیق سمی بذلک لأنه یغم أی یستر.

۲۱۲[زین]الزینه الحقیقیه ما لا یشین الإنسان فی شیء من أحواله فی الدنیا و لا فی الآخره فأما ما یزینه فی حاله دون حاله فهو من وجه شیء.

ص:۳۵۹

التقوی:

اشاره

رضا اللّه،السلم،العداله

هدی من الآیات:

فی هـذا الـدرس یبین لنـا القرآن اهمیه التقوی فی مقـاومه النفـاق و یبین بعـدا هاما من ابعاد التقوی الاجتماعیه،و هی(الوحـده)و تنازل الطرف المخالف للحق عن نزاعه فی مصلحه صاحب الحق.

یبـدأ الحـدیث:بـدعوه الی السـلم داخل المجموعه الاسـلامیه کهدف سام یجب علی أبناء الامه تحقیقه و المحافظه علیه،و تجعل الآیه الناس کلهم مسئولین عن الوحده.

و مـن ثـم یحـذرهم القرآن من الاختلاـف بعـد البینه،و یضـرب لهم من قصه بنی إسـرائیل مثلاـ لکیفیه الاختلاـف بعـد البینـات الکثیره،بعـد ان یقول ان علیهم ان یکتفوا بهـذه النصوص فی رفع الخلافـات بینهم،و لاـ ینتظروا ان یـأتیهم اللّه فی مظـاهر عظمته حتی یحکم بینهم فی خلافاتهم.

بعدئذ یبین السبب الجذری لکل الخلافات و هو حب الدنیا،الذی یدفع

الإنسان الی البغی علی الآخرین و فی أخر الآیات یحذر القرآن من الغطاء الفکری الذی یلبسه الإنسان حول حب الدنیا،و بذلک یبرره بقیمه مزیفه.کما فعل الکفار عند ما جاءتهم البینات.

و بهذه الآیه یمهد القرآن للحدیث عن الموضوع التالی و هو:ان الخلاف المشروع الوحید هو الخلاف المبدئی بین أهل الدنیا المتمثل فی الکفار و أهل الحق.

ان التقوی هی الضمانه الاکیده لمقاومه حاله النفاق.حیث یعیش الإنسان فی داخله شخصا و فی الخارج یتظاهر شخصا آخرا،فیعمل بالحسنات لأجل الریاء فقط،کل ذلک لأنه لا یتمتع بروح التقوی الداخلیه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۲۰۴] وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ .

و یصوره صادقا لنا،و یدعم کلامه أبدا بالیمین.

وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ .

فی الجدل،لدود.

[۲۰۵] وَ إِذا تَوَلّی سَعی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ .

هذه هی صفات المنافق الرئیسه،و هی اربع صفات:

الاولی:انه معسول الکلام فیما یخص الحیاه الدنیا،یتحدث عنها بشهیه مفتوحه و لعاب مسال و کأنه یتحدث عن حبیبته المفضله فی قلبه،هذه الصفه نابعه

من شعور المنافق بالنقص فيما يرتبط بالدنيا،فهو يهتم بها اهتمام الجائع المنهوم بالرغيف.

الثانيه:انه يكذب و هو يعلم انه يكذب،و لكى يبرز كذبه بمظهر الصدق، يحلف باللّه كثيرا،و هذه الصفه ناشئه عن تصوره الدائم بان الناس لا يصدقونه فى أقواله.

الثالثه:انه ينفجر غيظا إذا عورض فى كلام له،و يحاول ان يثبت كلامه بالرغم من الاعتراض،و ذلك عن طريق مواصله الجدل لأنه قد أجاد صناعه الكلام و لا غيرها.

الرابعه:إن عمله هو الفساد لا الصلاح،فهو لا يحب أحدا،و لا يحب ان يمتلك أحد شيئا،و لذلك فامنيته الكامنه هى الا يعيش أحد و لا يبقى شىء سليما،تراه يفسد بين الناس بالغيبه،و النميمه،و التهمه،و يبخس الناس أشياءهم بالتحطيم، و التكسير،و عدم المبالاه و..و..إلخ.

و إذا اوتى القوه استخدمها فى اباده الحياه،و الزراعه،و الانتاج،و الناس أجمعين.

[۲۰۶]هذه صفات المنافق الظاهريه،اما صفته الواقعيه فهى عدم التقوى.

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ .

انه يصور نفسه فوق الحق و فوق قيم اللّه فى الأرض،فلا يرى ضروره للخضوع للحق،بل تأخذه العزه و الانفه،فاذا به يعتز بالأعمال السيئه التى يعملها،و يصورها حسنه لمجرد انها صدرت منه،فهو يعتز بالإثم بدل ان يعتز بالحق.

إن هذه هى صفه المنافق الجذريه و هى:التمحور حول الذات و جعلها مقياسا

للحق،و هی صفات مقابله تماما للتقوی،و هی جعل الحق مقیاسا للحقیقه أبدا و علی الإنسان ان یتمحور حوله لا حول نفسه.

ایّ عذاب الیم یجب ان یکون جزاء هذا المعاند الأثیم؟ لا شیء غیر النار.

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهٰادُ .

[۲۰۷]عکس المنافق تماما،المتقی الذی لیس لا یتمحور حول ذاته فقط،بل یبیع ذاته للّه أیضا.

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبٰادِ .

و حین یشری نفسه یجعلها تدور مدار الحق و تتبعه انی اتجه،سواء کان عند صدیقه أو قریبه أو رئیسه،أو کان عند خصمه البعید عنه أو عبده أو مرءوسه.انه یعرف الحق و لا یعرف ایه قیمه اخری ذاتیه کانت أو طاغوتیه اجتماعیه.

إنه لا یفکر بعد ان باع نفسه للّه ان یثبت لأحد انه فعل ذلک،أو انه مخلص،أو یشهد اللّه علی ما فی قلبه،کلا انه یعرف ان اللّه بصیر به فیبقی مخلصا لربه العلیم بحاله،و یکفیه ذلک من الناس،فتراه خاشعا للّه مسلما له راضیا بأقداره،نشیطا فی ابتغاء مرضاته،متصلبا فی ذات اللّه،ثائرا ضد أعداء اللّه،لا ترهبه قوی العدو،و لا تأخذه فی اللّه لومه لائم.

هذه هی شخصیه المتقی فهل نجدها فی أنفسنا؟

الوحده ضروره جهادیه:

[۲۰۸]المجتمع الاسلامی مجتمع حرب دفاعیه ضد أعداء الانسانیه و أعداء

الرساله،و لا یمکن لهذا المجتمع ان یواجه تحدیات الحرب من دون وجود وحده داخلیه متینه،لذلک یدعو القرآن فی الآیه و قبل الحدیث عن الحرب فی الدرس القادم الی الوحده،و یجعلها مسئولیه کل الإفراد و یقول:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِی السِّلْمِ کَافَّهً وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ .

ان رحاب السلام یتلوث بالحساسیات الصغیره التی تتراکم علی بعضها حتی تصبح کسحابه داکنه،و علی ای فرد مسلم داخل المجتمع ان یقاوم نمو هذه الحساسیات،و لا یتبع خطوات الشیطان منذ البدایه،لان الشیطان یستدرج الإنسان خطوه خطوه الی الجحیم.

فعلینا ان نحدد عدونا الحقیقی و عدو الجمیع(الشیطان)و نتحذر من أول خطوه یدعونا إلیها،و هی الحساسیه ضد أحد من إخواننا،و اعتباره عدوا لنا من دون الشیطان.

[۲۰۹] فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْکُمُ الْبَیِّنٰاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ .

ثم یحذر ربنا المسلمین من السقوط فی درک الخلافات الجاهلیه النابعه من الشهوات،و ینذرنا بأنه عزیز فلا یفوته هارب،و لا یغلبه غالب،و انه حکیم یجازی الناس حسب أفعالهم لا حسب أهوائهم و امنیاتهم و ادعاءاتهم.

مسئولیه الحفاظ علی الوحده:

[۲۱۰]و هذا یعنی اننا نحن المسؤولون عن المحافظه علی وحدتنا بالاعتماد علی هدی اللّه و بیناته،و لیس من الصحیح ان ننتظر اللّه ان یأتی و یفض خلافاتنا،أو ننتظر مثلا الامام الحجه علیه السلام حتی یصلح ما بیننا بطریقه غیبیه،انها آنئذ قیام

الساعه،و هنالك لا مسئوليه على أحد،كما و لا تؤخر العقوبه عن أحد.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَهُ .

كنايه عن مجىء اللّه(سبحانه)مع كل ملكوته.

وَ قُضِيَ الْأَمْرُ .

أي آنئذ انتهت حياه المسؤوليه،و آنئذ تتبدل الحياه،فلو أراد اللّه بالجبر ان يصلح بين العباد بالخير،فالحياه غير هذه الحياه،اما هنا فنحن بأنفسنا مسئولون عن تصفيه خلافاتنا،ثم بعدئذ نمثل امام اللّه للمحاكمه فى الآخره.

وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

[۲۱۱]و الأمم السابقه لم تنزل عليهم ملائكه اللّه،بل نزلت عليهم البينات، و كان عليهم ان يستفيدوا منها فى تحقيق مسئولياتهم، و مع ذلك فان بعضهم لم يستفد منها.بل بدل فيها و حرف و ما ظلموا إلاّ أنفسهم.

سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَهٍ بَيِّنَهٍ .

لكن بعضهم بدل هذه الآيات.

وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَهَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ .

و قد يكون العقاب فى صوره شياع الفوضى بينهم،و ضرب بعضهم ببعض نتيجه إهمالهم لرساله اللّه،و تورطهم فى الخلافات الداخليه.

لماذا الاختلاف؟!:

[۲۱۲]و لكن يبقى السؤال الهام:لماذا أساسا يختلف الناس؟و ما هو جذر

ص:۳۶۶

المشکله؟ الجواب:انهم یختلفون لان الدنیا زینت لقلوبهم،و لکن المؤمن لا یتمحور حول الدنیا بل الاخره،و لذلک فهو یتقی الدنیا و شهواتها و فواحشها،و هنا یظهر جلیا مدی اهمیه التقوی فی إنشاء حیاه کریمه،لأنها تسحب فتیل الخلافات الاجتماعیه المتمثله فی حب الدنیا.

زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا الْحَیاهُ الدُّنْیا وَ یَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا .

لأنهم لا یأبهون بالدنیا کثیرا، بینما الحقیقه انهم هم الفائزون.

وَ الَّذِینَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ .

و الدنیا الفاضله لا یحصل علیها کل من أرادها،بل هناک سبل یجب السیر فیها حتی نصل الی الدنیا الکریمه ذات النعم المتکامله،و هی موجوده فی ایات اللّه و فی طلیعتها قانون الوحده(الدخول فی السلم کافه)إنه باب یؤدی الی رزق اللّه.

وَ اللّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ .

[۲۱۳]و کمثل علی ذلک لنقرأ قصه الرساله الاولی،فالبشر کانوا جمیعا علی الضلاله،فجاءت رساله اللّه.و من اهدافها الرئیسیه توحید الناس علی الحق،و رفع اختلافهم فیه،و لکن اختلف بعض ممن اوتی الرساله لماذا؟هل لأنهم لم یملکوا ما یرفع اختلافاتهم؟ کلا بل لأنّه کانت توجد هناک طائفه منهم یقومون بظلم الناس و البغی علیهم، و جاءت الرساله ضد البغی،فعارضت مصالحهم المؤقته فقاوموها أشد المقاومه،إذ ان جذر الخلافات هو البغی،و إذا تخلص الناس منه استراحوا.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ .

و كانت هذه وسيلتهم لتوجيه الناس،لا المال و لا القوه،بل التبشير بحياه أفضل و الإنذار من العذاب،(الترغيب و الترهيب).

وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّٰاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ .

كان يريد بعضهم ظلم البعض الآخر فكانوا يختلفون فى الأمر،و هنا استفاد المؤمنون بالرساله بينما خسر الكافرون،و المؤمنون انّما اهتدوا لأنهم رضوا ان يكون الحق مقياسا بينهم.

فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

أما المؤمنون فقد اتخذوا من هدى اللّه و رسالته اداه لتوحيد صفوفهم،و حل خلافاتهم،بينما الكفار لم يفعلوا مثل ذلك،لأنهم كانوا يريدون البغى و ليس الحق.

ص:۳۶۸

[سوره البقره (۲): الآيات ۲۱۴ الى ۲۱۸]

اشاره

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا اَلْجَنَّهَ وَ لَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ اَلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ اَلْبَأْساءُ وَ اَلضَّرّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ اَلرَّسُولُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اَللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اَللّهِ قَرِيبٌ (۲۱۴) يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ اَلْأَقْرَبِينَ وَ اَلْيَتامى وَ اَلْمَساكِينِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِيلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اَللّهَ بِهِ عَلِيمٌ (۲۱۵) كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اَللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۲۱۶) يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلشَّهْرِ اَلْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اَللّهِ وَ اَلْفِتْنَهُ أَكْبَرُ مِنَ اَلْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اِسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَهِ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۱۷) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اَللّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اَللّهِ وَ اَللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۱۸)

اللغه

۲۱۴[زلزلوا]الزلزله شده الحركه و الزلزال البليه المزعجه لشده الحركه و الجمع زلازل و أصله من قولك زلّ الشيء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفه معناه نحو صر و صرصر فاذا قلت زلزلته فتأويله حركته عن مكانه.

۲۱۶[كره]الكره بالفتح المشقه التى تحمل على النفس و الكره بالضم المشقه على النفس حمل أو لم يحمل و قيل الكره الكراهه

و الکره المشقه و قد یکره الإنسان ما لا یشق علیه،و قد شق علیه ما لا یکرهه.

۲۱۷[صدّ]الصد و المنع و الصرف نظائر یقال صد عن الشیء یصد صدودا إذا أعرض و عدل عنه و صدّ غیره صدا إذا عدل به عنه و منعه و أصل الباب العدول.

[لا یزالون]یدومون.و ما زال أی دام.

[حبطت]حبط عمل الرجل حبطا و حبوطا و أحبطه اللّه و الحبط فساد ما یلحق الماشیه فی بطنها لأکل الحباط و هو ضرب من الکلأ یقال حبطت الإبل إذا أصابها ذلک ثم سمی الهلاک حبطا.

۲۱۸[هاجروا]الهجر ضد الوصل يقال هجره يهجره هجرانا و هجرا و هجره إذا قطع مواصلته و هجر المرض يهجر هجرا إذا قال ما يهجر من الكلام و سموا المهاجرين لهجرتهم قومهم و أراضيهم.

[جاهدوا]جاهدت العدو و مجاهده و جهادا إذا حملت نفسك على المشقه فی قتاله.

ص:۳۷۱

اَلْفِتْنَهُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ

هدی من الآیات:

بـالرغم من ان هـذه الآیـات تبین لنـا جوانب من فریضه القتال.الا انها لیست مرتبطه بآیات(الجهاد الاسـلامی)بل هی متصـله ببناء شخصـیه الامه،التی تتمیز بالتقوی و بالتمحور حول الحق،فی رد الخلافات الی الإسـلام،و أیضا بالاستقامه و التصلب فی التمسک بالرساله، و عدم التهاون فیها رغم الصعوبات التی تعترض طریقها.

ففی الآیه الاولی نجد کیف ان الله یبشـر الامه بالأیام الصـعبه التی تسـتقبلها، و ینذرها بأنها لو لم تسـتقم فیها علی الحق.فان الجنه حرام علیها.ثم یتحدث عن الإنفاق باعتباره فریضه مقارنه لایام الشده.و بعدئذ یبین لنا ان القتال کره لکم.

و لکن لا بـد لکم منه،و ان هدف العدو من القتال هو اسـتلاب دینکم و اعادتکم الی أغلال الکفر.و علیکم ان تصـمدوا ضده،و یبشر أخیرا الصامدین فی وجه الضغوط بکل خیر.

ص:۳۷۲

و ربما تکون الآیه الاولی من الـدرس القادم متصـله بالحدیث عن الاسـتقامه و التصـلب،إذ انها تحرم الخمر و المیسـر و هما اداتا تمییع للامه،و تسبّبان ابعادها عن الجدیه الرسالیه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۲۱۴]حفت الجنه بالمکـاره،و من أراد ان یـدخلها فعلیه ان یقتحم هـذا السور الشائـک.و لکن هـل یعنی ذلک ان أهل الجنه فی شقاء دائم؟ کلا.بل یعنی انهم یتمتعون بالقوه و الصـلابه التی تجعلهم مستعدین لکل الظروف.و هی تعطیهم مناعه من الاستسلام للضغوط،و تحدی محاولات الاستبعاد.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ عبثا و بلا ثمن و دون ان تکونوا من أهل الجنه الذین امتحنوا بالفتن الصعبه و نجحوا فیها.

وَ لَمّا یَأْتِکُمْ أی دون ان یواجهکم.

مَثَلُ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرّاءُ البأساء هی الصعوبات التی منشؤها العدو.و الضراء الصعوبات المادیه کالفقر و المرض. (۱).

ص:۳۷۳

۱- ۱) مجمع البیان ج ۱ ص ۳۰۹

وَ زُلْزِلُوا حَتّٰى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتىٰ نَصْرُ اللّٰهِ لهول الصعوبات و الخساره،كانوا يستعجلون نصر الله،و عند ما تصل الصعوبه الى ذروتها يجب ان نأمل الفرج.

أَلاٰ إِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيبٌ و هذه الآيه تعنى ان الذين يحلمون بالجنه مجانا و بلا ثمن إنما يحلمون باطلا و سيجدون أنفسهم فى النار.

الجنه ليست مزرعه الدواجن و لا مربض الأغنام،انها مقام الرجال و مكتسب الابطال.و عهود التخلف و الابتعاد عن صلابه الرساله و خشونتها هى المسؤوله عن هذه النظره اللامسؤوله الى الجنه، و لهؤلاء

يقول الامام على عليه السلام «هيهات هيهات لا يخدع اللّٰه عن جنته.»

الإنفاق سبيل التضحيه:

[۲۱۵]و كما فى الحرب فهناك فى السلم فتنه و بلاء يتمثل فى ضروره الإنفاق، و الإنفاق هو الاعداد النفسى الخارجى للحرب،و هنا يشير القرآن الى الجانب النفس من الإنفاق إذ يجب ان يكون خالصا لله،حتى يربى صاحبه على العطاء و التضحيه،ذلك ان التضحيه،كأيه صفه نفسيه اخرى،تحتاج الى التدريب فهى تنمو شيئا فشيئا ابتداء من التضحيه بالمال القليل،ثم المال الكثير،ثم القتال و الصمود و هكذا،لذا يحدد القرآن هنا جهه الإنفاق،لعلاقته الوثيقه بالتضحيه بالنفس،و قلما تحدث القرآن عن التضحيه بالنفس دون ان يقرنها بالتضحيه بالمال.

يَسْئَلُونَكَ مٰاذٰا يُنْفِقُونَ قُلْ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوٰالِدَيْنِ فكل خير يمكن إنفاقه،و لكن علينا ان نحدد وجهته و هى:ابتغاء مرضاه الله.

بعیدا عن الاهداف المادیه أو الریاء،بل للوالدین.

وَ الْأَقْرَبِینَ وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِیمٌ [۲۱۶]الامه المسلمه تتمیز بالاستقامه علی الحق،و التضحیه رغم صعوبتها، و ها هو القتال مفروض علیها،بالرغم من انه مکروه علی الإنسان.

کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ کُرْهٌ لَکُمْ وَ عَسی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ عَسی أَنْ تُحِبُّوا شَیْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَکُمْ وَ اللّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ الحق هو محور الإنسان الرسالی و الامه المؤمنه لا الحب و الکره المجردین،ذلک لان الحق ینفع الإنسان و الباطل یضره،بالرغم من ان النفس تمیل الی الباطل و تزعم انه أصلح لها.و الله هو الذی یحدد الحق،اما الناس فهم لا یعلمونه دائما،لأنهم محجوبون عنه بالشهوات التی تزیّن لهم الباطل و تصوره حقا لهم.

اَلْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ :

[۲۱۷]هل یجوز القتال فی الأشهر الحرم أم لا؟ کلا و لکن لیس هذا هو السؤال الاساسی عند القرآن،ان السؤال هو:ما هو الهدف من القتال لأنه المقیاس فی الدین؟ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِیهِ قُلْ قِتالٌ فِیهِ کَبِیرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ وَ کُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَکْبَرُ عِنْدَ اللّهِ وَ الْفِتْنَهُ أَکْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ما هی الفتنه هنا؟ إنها مصادره حریه الإنسان و مصادره حقوقه و اکراهه علی الکفر، هذه هی الفتنه

فی هـذه الآیه،و القتل و القتال یستهدف تطهیر الأرض من عناصر الفتنه،و بالرغم من ان القتل عملیه شاذه أساسا،لکن الإسلام یلجأ إلیها لدفع ما هو أکبر ضررا منه و هو الفتنه.

من هنا فالقتال من أجل الحریه و الحقوق قتال مشروع،لأنه قتال من أجل المبادئ الرسالیه التی ترید تصفیه عناصر الفساد،أولئک الذین لا یمکن مهادنتهم لأنهم لا یقفون عند حد معین فی فسادهم.

وَ لاٰ یَزٰالُونَ یُقٰاتِلُونَکُمْ حَتّٰی یَرُدُّوکُمْ عَنْ دِینِکُمْ إِنِ اسْتَطٰاعُوا فهم یحاربون المبادئ الرسالیه و یحاربون المعتقدین بها،و علینا ان نقاتلهم دفاعا عن مبادئنا،و ان لا نخضع لاهوائهم التی تشتهی أن تسرق منّا قیمنا.

وَ مَنْ یَرْتَدِدْ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَیَمُتْ وَ هُوَ کٰافِرٌ فَأُولٰئِکَ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ فِی الدُّنْیٰا وَ الْآخِرَهِ وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ لان قیمه الإنسان انما هی برسالته التی یلتزم بها و یدافع عنها حتی الموت،فاذا تنازل الإنسان عن رسالته فقد تنازل عن قیمته رأسا،إنه إذا یذل إذلالا،و یحرم من حقوقه،و یتعرض لامتصاص جهوده و اعماله و مکاسبه،فیکد من الصباح حتی المساء من أجل ان یستریح اسیاده و مستعبدوه علی الکراسی و یترفوا علی حسابه،اما فی الآخره فان الله یسوقه الی النار،و حتی عباداته البسیطه(الصلاه،الصیام،..

إلخ)سوف تحبط هی الاخری،لأنه لم یحافظ علی حریته،و لأنه أطاع الطاغوت فی أهم أجزاء حیاته،و جعل طاعه الله محدوده ببعض الجزئیات.انه سوف یقضی حیاته فی النار.

[۲۱۸]هذا عن أولئک الذین یستسلمون لضغوط الطاغوت،و یتنازلون عن

دينهم و حريتهم و جهودهم للعدو،أما الذين يهاجرون فی البدء ليشكلوا قوه فلا.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ان هؤلاء يحدوهم الأمل بالانتصار علی العدو فی الدنيا،و الجنه فی الآخره،و هذا الأمل سوف يتحقق بفضل الله لهم.

ص:۳۷۷

[سوره البقره (۲): الآيات ۲۱۹ الى ۲۲۵]

اشاره

يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلْخَمْرِ وَ اَلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمٰا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنٰافِعُ لِلنّٰاسِ وَ إِثْمُهُمٰا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمٰا وَ يَسْئَلُونَكَ مٰا ذٰا يُنْفِقُونَ قُلِ اَلْعَفْوَ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ لَكُمُ اَلْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۱۹) فِي اَلدُّنْيٰا وَ اَلْآخِرَهِ وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلْيَتٰامىٰ قُلْ إِصْلاٰحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخٰالِطُوهُمْ فَإِخْوٰانُكُمْ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ اَلْمُفْسِدَ مِنَ اَلْمُصْلِحِ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۲۰) وَ لاٰ تَنْكِحُوا اَلْمُشْرِكٰاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَهٌ مُؤْمِنَهٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَهٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لاٰ تُنْكِحُوا اَلْمُشْرِكِينَ حَتّٰى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى اَلنّٰارِ وَ اَللّٰهُ يَدْعُوا إِلَى اَلْجَنَّهِ وَ اَلْمَغْفِرَهِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۲۲۱) وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا اَلنِّسٰاءَ فِي اَلْمَحِيضِ وَ لاٰ تَقْرَبُوهُنَّ حَتّٰى يَطْهُرْنَ فَإِذٰا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اَللّٰهُ إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلتَّوّٰابِينَ وَ يُحِبُّ اَلْمُتَطَهِّرِينَ (۲۲۲) نِسٰاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنّٰى شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاٰقُوهُ وَ بَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِينَ (۲۲۳) وَ لاٰ تَجْعَلُوا اَللّٰهَ عُرْضَهً لِأَيْمٰانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ اَلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۲۴) لاٰ يُؤٰاخِذُكُمُ اَللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمٰانِكُمْ وَ لٰكِنْ يُؤٰاخِذُكُمْ بِمٰا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۲۲۵)

اللغه

۲۱۹[الخمر]أصله الستر و الخمر ما و أراك من الشجر و غيره و منه الخمار للمقنعه و يقال:خامره الداء إذا خالطه و خمرت الإناء أى غطيته و أصل الباب الستر.و منه الشراب المعروف و سمى خمرا لأنه يغطى العقل و يستره.

[الميسر]القمار اشتق من اليسر و هو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لى هذا الشيء ييسر يسرا و تيسرا إذا وجب لك و الياسر الواجب لك بقداح وجب لك و قيل للمقامر ياسر و يسر أى قامر و قيل أخذ من التجزئه و كل شيء جزأته فقد يسرته.

۲۲۱[تنکحوا]النکاح اسم یقع علی العقـد و الوطء.و قیل أصـله الوطء ثم کثر استعماله حتی قیل للعقـد نکاح و یقال نکح ینکح إذا تزوج.

[أمه]الأمه المملوکه.یقال أمه بینه.

۲۲۲[المحیض]حاضت المرأه تحیض حیضا و محیضا و محاضا.و هو الدم الذی یصیب المرأه فی أوقات معلومه.

[فاعتزلوا]الاعتزال التنحی عن الشیء و کل شیء نحیته عن موضع فقد عزلته عنه و منه عزل الوالی،و أنت عن هذا بمعزل أی تنح

[يطهرن]الطهر خلاف الدنس و الطهور يكون اسما و يكون صفه.

و يطهرن إذا اغتسلن و قيل توضأن.

ص:٣٨٠

التقوی الاجتماعیه

هدی من الآیات:

من میزات الشخصیه الاسلامیه فی الفرد أو فی الامه،التقوی و إخضاع الشهوات للرساله و التمحور حول الحق،و قد حدثنا القرآن الحکیم فی الآیات السابقه عن التقوی فی عده مظاهر و اخرها حول الدفاع عن المبادئ بالقتال،و الآن یحدثنا عن مظاهر اخری للتقوی و هی،فی الوقت الذی تحدد المحرّمات فی الإسلام، تضرب امثله واقعیه للتقوی.

یبدأ القرآن الحدیث عن الخمر و المسیر،باعتبارهما محرّمان یشیعان عاده فی الأمم المترهله اللامبالیه بواقعها،و علی المسلمین ان یکونوا امه جدیه مسئوله،تحارب من أجل مصالح الحق کل طواغیت الأرض،فکان من الطبیعی ان یأتی ذکر الخمر و المیسر مباشره بعد آیات القتال.

و بعدئذ یوجهنا الی التقوی فی المال و حقوق الناس،و التقوی فی ممارسه الجنس کواحد من أهم حقوق المجتمع،و بمناسبه ذکر حقوق الناس،یذکّرنا بدور الیمین فی

ص:۳۸۱

تأديه هذه الحقوق و الدفاع عنها،لا فى هضمها و الاحتيال على المجتمع بالأيمان الباطله.

بينات من الآيات:

اشاره

[۲۱۹]الخمر و كل مسكر،و الميسر و كل مقامره،يلهيان الإنسان عن واقعه، و يدفعان بالمجتمع الى زاويه الصراع و التشرذم.و إذا أراد اللّه:بناء امه قويه متماسكه،وجب ان نسد كل أبواب الاختلاف و الترهل،و كل النوافذ التى قد تهب منها رياح الانقسام،و ليس من الصحيح ان يفكر المرء بأنه يشرب كأسا من الخمر أو يلعب شوطا من القمار.فما يضر ذلك؟كلا.

اولا:لان الخمر تدمن و تسحبك الى الازدياد منها و كذلك القمار.

و ثانيا:لان الإسلام حين يمنع الزنا يمنع التبرج،لأنه باب يؤدى الى الزنا شئنا أم أبينا،و كذلك حين يمنع الخمر و الميسر يمنع حتى الجلوس فى محافلهما،حتى يسد كل الأبواب مره واحده.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمٰا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنٰافِعُ لِلنّٰاسِ .

متمثله فى ملء الفراغ،و قضاء الوقت،و الانتعاش الموقّت.

وَ إِثْمُهُمٰا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمٰا .

حيث انهما يسببان توزع المجتمع و انقسامه و إلهائه عن واجباته النضاليه.

ان الهدف الأكبر من وراء حرمه الخمر و الميسر هو المحافظه على وحده الامه و منع الحساسيات عنها(كما يظهر من آيه اخرى فى القرآن)،و بهذه المناسبه تحدث القرآن عن العفو باعتباره الوسيله الثانيه لذات الهدف،فلو افترضنا ان الحساسيه

نمت بين أبناء المجتمع،فعلينا تصفيتها بالعفو،و قد ورد فى بعض الروايات ان المقصود بالعفو هنا التوسط فى الإنفاق(!).

وَ يَسْئَلُونَکَ مٰا ذٰا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ .

و حين تقع الحساسيه بين أبناء المجتمع،تلهيهم عن مشاكلهم الرئيسيه و عن جديه مواجهتها،لذلك ذكرنا القرآن هنا باهميه التفكر،ليس فى أمور الاخره فقط بل فى شؤون الدنيا أيضا و قال:

کَذٰلِکَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَکُمُ الْآيٰاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ [۲۲۰] فِی الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ .

التقوى و الحقوق الاجتماعيه:

و تجربه التقوى فى الحقوق الاجتماعيه الاخرى تبرز بوضوح فى حقوق اليتامى.

إذ انهم أضعف حلقه فى المجتمع،إذ لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم تجاه نهم الطامعين فى أموالهم،لذلك نجد القرآن يضرب من واقعهم مثالا لحرمه الحقوق فى أكثر من مناسبه.و هنا يقول:

وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْيَتٰامىٰ .

هل يبقون وحدهم،أم يخالطوهم،و بالتالى هل تفرز أموالهم و يقوم الولى بإصلاحها و استثمارها،أم تبقى مع اموال الولى يصلحها معها.

قُلْ إِصْلاٰحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخٰالِطُوهُمْ فَإِخْوٰانُکُمْ .

و ليس يضركم لو نقص شيء منكم أو منهم فى الشراكه.لان الحرام هو تعمد

الاعتداء على اموال الآخرين،اما لو خلصت النيه و كان المشرف عليها محسنا،فى تصرفاته تجاه اليتيم،فان اللّه لا يحاسبه على خطئه ۱۳(۲)« مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» و جاء فى بعض النصوص:انه حين نزلت آيه« وَ لاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ» تحرج الناس فى التعامل من اليتيم مما جعل الأيتام يتعرضون لحرج شديد،فنزلت هذه لكى لا ينفصل الأيتام عن المجتمع.

وَ اللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَأَعْنَتَكُمْ .

إذا اعتديتم على حقوق اليتامى،فانه قادر على ان يسلب بعض نعمه عنكم حتى تعانوا مثلما جعلتم اليتامى يعانون من الحرمان. و ربما تدل الآيه على ان اللّه خفف عليكم الحكم بعد الشده و لم يأمركم بإداره اليتامى،مع فرز أموالهم عن أموالكم.

إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

فهو قادر على استرداد الحقوق بعزته،و يفعل ذلك بحكمته.

التقوى و حقوق المرأه:

[۲۲۱]و كما التقوى فى حق اليتامى،فكذلك فى حقوق المرأه،الحلقه الضعيفه الثانيه فى المجتمع،التى يجب المحافظه على حقوقها بالكامل.و القرآن الحكيم ربط بين حقوق اليتامى و النساء فى أكثر من مناسبه،و بهذه المناسبه يبيّن القرآن مجموعه التزامات تجب على المسلم فى الجنس،ابتداء من اختيار الزوجه،و مرورا بالعمليه الجنسيه،و الخلافات العائليه،و الطلاق،و الرضاع.و هى تنظم كذلك علاقات المجتمع الاسلامى،و لكن يبدو ان الهدف من ذكرها هنا،هو التركيز على مظاهر الالتزام بحقوق الناس داخل المجتمع الاسلامى و بتعبير أخر:التقوى فى حقوق الناس.

ص:۳۸۴

وَ لاٰ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكٰاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكَمْ .

تلك المشركه بجمالها و روعتها،أو بمالها و شهرتها.

وَ لاٰ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتّٰى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ .

المشرك،و السبب:ان أهم هدف من الزواج هو تكوين عائله و اسره تساهم فى بناء المجتمع و تربيه الجيل الصاعد منه.و علينا ان نختار الزوجه و الزوج وفق هذا الهدف و بمقياس الكفاءه الإيمانيه،لأنها سوف تحقق هذا الهدف أفضل من غيرها.

و المرأه المشركه،لا تستطيع ان تكون عضوه صالحه فى مجتمع الاسره.و كذلك الرجل المشرك،فيضيع الطرف الثانى و تضيع الاسره.

أُولٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النّٰارِ وَ اللّٰهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ إذ معرفه فلسفه الحكم لا تحتاج الى أكثر من تذّكر،بما سوف يجره الزواج الى الاسره التى تتكون من مشرك و مسلم من ويلات،و نزاعات و ثغرات داخل المجتمع الاسلامى.

و من الشباب اليوم من يختار زوجته من الغرب أو الشرق لمجرد انها تعجبه،فاذا به يتعرض لعده مشاكل بعد عودته الى بلاده.إذ فارق القيم و التقاليد و التربيه و عموم الدين،تجعل زواجه جحيما.و كثيرا ما ينتهى بالطلاق.

و هم فى الأغلب يبررون هذا الزواج،بادعاء ان الزوجه آمنت.و لكن اى ايمان،هذا الذى يدفع اليه الزواج فقط،و ليس معه ايه ممارسه ايمانيه،و لا حتى

ص:٣٨٥

قناعه واقعیه،بل مجرد تردید الشهادتین کالفاظ فارغه.

حکم المقاربه فی الحیض:

[۲۲۲]و من حقوق المرأه،و فی ذات الوقت من آداب الزواج،الا تباشر النساء فی الحیض لأنه یسبب انحرافا فی صحه المرأه و خللا فی اجهزتها الداخلیه و اضطرابات فی الدوره الدمویه..و و.و المباشره فی هذا الوقت لیست فقط تشکل أذی للمرأه.بل و للذریه فی المستقبل لو قدر لهم ذریه کما یهدد بعقم الزوجین و انتشار الأمراض فی الأجهزه التناسلیه فیهما،من هنا حرم الإسلام هذه المباشره، و جعل ذلک حدا للشهوه الجنسیه و تقوی للّه فیها.حتی تروض النفس فی سائر شؤونها،و تطوع بإراده الایمان.

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِیضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتّی یَطْهُرْنَ .

حتی ینقطع الدم،و بعدئذ یجب الانتظار الی ان تغتسل المرأه من الحیض.

فَإِذا تَطَهَّرْنَ .

عن الدم و ربما بالاغتسال أیضا.

فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ التَّوّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ .

و التعبیر ب «مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللّهُ» قد یدل علی ضروره التزام المباشره بالسبیل الفطری،حیث الرحم،و حیث ترجی الولاده،لا من السبیل الاخر،حیث الشذوذ و الأمراض و حرمان المرأه فی لذه الجنس.

و اللّه یحب التوابین،الذین إذا تعدوا حدود اللّه،و باشروا نساءهم فی المحیض أو

من غير السبيل الفطرى.فإنهم سرعان ما يتوبون الى اللّه.و اللّه يحب المتطهرين الذين يلتزمون بحدود اللّه كامله لأنه أى اطارها تنمو قيم النظافه الروحيه و الجسديه.

الروحيه بالتقوى،و الجسديه بالاغتسال.

[۲۲۳]لما ذا المباشره الجنسيه هل لمجرد المتعه.كلا.بل ابتغاء فضل اللّه من الأولاد الصالحين.ان وجود الهدف الأسمى للغرائز عند المسلم يجعله يمارسها فى حدود تحقيق الهدف،و لا يسترسل معها الى حيث يحطم جسده و يلوث روحه.

نِسٰاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ .

الهدف منهن انجاب الأبناء.

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنّٰى شِئْتُمْ .

فى اى مكان و اى زمان.و لكن دون ان تستبد بكم الشهوه الجنسيه،بل و تذكروا الاخره و ما فيها.

وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ .

فقسموا أموالكم و أوقاتكم و طاقاتكم،بين شهوات الدنيا و فى طليعتها شهوه النساء،و بين تطلعات الاخره.ان فى ذلك ضمانا لالتزامكم بحدود اللّه فى ممارسه الشهوات.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ .

و التزموا بمناهجه فى التمتع باللذائذ.

وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاٰقُوهُ .

ص:۳۸۷

غدا حيث يعاقب الفاسق أشد العقاب.

وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ .

المتقين و الملتزمين بحدود اللّه.

[۲۲۴]و التقوى يجب ان تكون حاجزا داخليا بين الإنسان و بين انانيته و ذاتيته.خصوصا فى مجال الصراعات الاجتماعيه،و بالأخص فيما يتصل بالخلافات العائليه.و الذى سيجسد التقوى،هو عدم استخدام اليمين فى إثبات الادعاءات الباطله.و إذا التزم الناس باليمين الصادقه،كما هو المفروض فى المؤمنين،فإنهم سيجدون حاكما عادلا بينهم،إذ يفصلون كل قضاياهم بمجرد ان يستحلف أحد الطرفين الاخر،و يتوقف صاحب الادعاء الباطل عن اليمين الكاذب و يعترف بخطئه.

لذلك شدد القرآن على اليمين و قال:

وَ لاٰ تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِأَيْمٰانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النّٰاسِ وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

[۲۲۵]و يبشرنا القرآن الحكيم بالعفو عن القسم الذى يبتدر عن اللسان،دون وعى أو قصد.و انما يحاسب اللّه الإنسان على القسم الذى يعقد عليه قلبه،و يتعهد عليه تعهدا واعيا.و هكذا القسم نوع من العهد.و لذلك الحقوه بالعهد.

لاٰ يُؤٰاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمٰانِكُمْ وَ لٰكِنْ يُؤٰاخِذُكُمْ بِمٰا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ .

[سوره البقره (۲): الآيات ۲۲۶ الی ۲۳۲]

اشاره

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَهِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۲۶) وَ إِنْ عَزَمُوا اَلطَّلاقَ فَإِنَّ اَللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۲۷) وَ اَلْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَهَ قُرُوءٍ وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اَللّهُ فِی أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذلِكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً وَ لَهُنَّ مِثْلُ اَلَّذِی عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَهٌ وَ اَللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۲۸) اَلطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاّ أَنْ يَخافا أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اَللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اَللّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا اِفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اَللّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اَللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ اَلظّالِمُونَ (۲۲۹) فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّی تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا إِنْ ظَنّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اَللّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اَللّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۲۳۰) وَ إِذا طَلَّقْتُمُ اَلنِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اَللّهِ هُزُواً وَ اُذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ اَلْكِتابِ وَ اَلْحِكْمَهِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ (۲۳۱) وَ إِذا طَلَّقْتُمُ اَلنِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكی لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اَللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۲۳۲)

اللغه

۲۲۶[يؤلون]آلی الرجل من امرأته إيلاء من الاليه و الألوه و هی الحلف،و ائتلی و تألی و فی التنزيل« وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» و هو أن يحلف الا يقارب زوجته.

[تربص]انتظر.

[فاءوا]الفیء الرجوع يقال فاء يفیء فيئا إذا رجع.و فاء الغنی إذا تحول عن جهه الغداه برجوع الشمس.و هو ما نسخ الشمس.

و فیء غنائم المشركين أفاء اللّه علينا منهم و هو من رجوع الشیء الی حقه و فلان سريع الفیء عمن غضبه أی الرجوع.

۲۲۷[عزموا]العزم هو العقد علی فعل شیء فی مستقبل الأوقات و هو إراده متقدمه للفعل أكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم.

يقال عزم علی الشیء عزم عزما.

ص:۳۸۹

۲۲۹[إمساك]خلاف الإطلاق و الممسك البخيل و المسك الإهاب لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه.

[تسريح]مأخوذ من السرح و هو الإطلاق و سرح الماشيه فى المرعى إذا أطلقها ترعى.

[أن يخافا]أى يظنا و قيل معناه أن يوقنا.

ص:۳۹۰

۲۳۱[أجلهن]الأجل آخر المده.

[المعروف]المراد به هنا الحق الذى يدعو إليه العقل أو الشرع للمعرفه بصحته خلاف المنكر الذى يزجر عنه العقل،أو السمع لاستحاله المعرفه بصحته،فما يجوز المعرفه بصحته معروف،و ما لا يجوز المعرفه بصحته منكر.

۲۳۲[تعضلوهن]العضل الحبس و قيل هو مأخوذ من المنع و قيل هو مأخوذ من الضيق و الشده و الأمر المعضل بصعوبته و عضلت الناقه إذا احتبس ولدها فى بطنها.و تقول عضل المرأه يعضلها إذا منعها من التزويج ظلما و يقال للداء الذى أعيا الأطباء علاجه داء عضال.

ص:۳۹۱

واجبات العلاقه الزوجيه

هدى من الآيات:

يبين القرآن هنا مجموعه من الحدود فى العلاقه الزوجيه،و التى هى طائفه من حقوق المرأه فى الاسره،تستعرضها هذه الآيات من زاويه الطلاق.لان حاله الطلاق،تعتبر قمه النشاز فى العلاقه العائليه،و التى تتعرض حينها الحقوق للضياع.

فالحديث عنها يعنى الحديث عن الالتزام بالحقوق فى الحالات العاديه.

المسلم المتقى:هو الذى يلتزم بحقوق الناس،ابتداء من عائلته،ثم ليس فى الحالات العاديه فحسب،و انما فى الأوقات الصعبه أيضا كالطلاق.

فى البدء يذكر القرآن:جانبا من احكام الإيلاء حيث يحلف الزوج الا يباشر زوجته،فعليه ان يكفر عن حلفه و يباشرها أو يطلقها.و هذه حاله يدخل فيها الحلف طرفا فى الحقوق الزوجيه، و ذكرت هنا بمناسبه الحديث عن الأيمان الباطله.

باعتبار الإيلاء مثلا لاستغلال اليمين فى الإضرار بالآخرين.

ص:۳۹۳

ثم يستعرض احكام الطلاق،حيث يجب على المرأه أن تعتد حتى يستكشف ما فى رحمها من حمل.و خلال فتره العده،يجوز للزوج ان يرجع إليها.

و لا يجوز ان تستمر عمليه الطلاق ثم العوده الا مرتين،ففى الثالثه لا بد لهم من الاختيار النهائى،فان استطاعا الالتزام بالواجبات الزوجيّه فليبقيا على العلاقه،و الا فتسريح بإحسان.

و فى الطلقه الثالثه لا تحل له الا بعد ان تتزوج من غيره،و بعد العده لا يجوز الإمساك بالمطلقه،لأنها حره كما لا يجوز له ان يمنعها من الزواج بمن شاءت.

و بمناسبه الحديث عن الطلاق،يأتى الحديث عن الرضاع باعتباره موضع تفاهم بين الزوجين،ثم يعود الحديث الى حقوق الزوج المتوفى عن زوجته.فعليها ان تبقى فى حداد أربعه أشهر و عشرا.

و بعدئذ يواصل القرآن الحديث عن المطلقات،و يحذّر من ان يصبحن اداه لمتعه أهل الشيطان،بل السبيل الوحيد لهن الزواج من رجال آخرين.

و من حقوق المطلقات أيضا المهر.حيث يجب ان يدفع كله،بالرغم من الطلاق.

الا فى حاله واحده هى الطلاق قبل الدخول حيث يدفع نصف المهر.

و من الطلاق ينتقل القرآن الى الالتزام بالصلاه.خصوصا الوسطى لكى لا ننسى ربنا.فهو الذى يبارك تلك العلاقات و يحل المشاكل،و يعطينا ايمانا نقاوم به مغريات الشيطان و سلبيات أنفسنا.

و بعد ان يذكر بعض الحقوق المستحبه للنساء،كالوصيه لهن بالبقاء فى البيت بعد وفاه الزوج،أو الإحسان إليهن بعد الطلاق،بعدئذ ينتهى الدرس.

ص:۳۹۴

ان أسلوب عرض القرآن لحقوق المرأه هنا يختلف عن أسلوبه فی السور الاخری.

لأنه هنا يبيّن لنا:ضروره الالتزام التام بحدود الله،و فی الأوقات الحرجه،حيث يكاد الشيطان يتغلب علی اراده الإنسان.و لهذا تجد القرآن يذكرنا هنا بالتقوی مره بعد اخری،و يطالبنا بتذكر الله و تذكر انه عليم بعباده و إنّه بصير خبير.و علينا ان نحذره حذرا شديدا،كل ذلك ليكرس روح التقوی-فی نفوسنا.تلك الروح التی هی واحده من أهم ميزات الشخصيه المؤمنه.

بينات من الآيات:

التقوی فی العلاقه الزوجيه:

[۲۲۶]لا يجوز ان يضر الزوج بزوجته،فيجعلها فی بيته دون ان يؤدی إليها حقوقها،و التی منها حقها فی المتعه الجنسيه.بل عليه ان يباشرها لا أقل مره كل اربعه أشهر.فاذا حلف يمينا ان يمتنع عن المباشره الجنسيه،لسبب أو آخر،فانه يمنح له فرصه اربعه أشهر.بعدها يجب عليه:اما العوده إليها و كفاره حلفه،و اما طلاقها.

جاء فی الحديث المأثور عن الباقر و الصادق عليهما السلام انهما قالا: «إذ الی الرجل،لا يقرب امرأته،فليس لها قول و لا حق فی الأربعه أشهر،و لا إثم عليه فی الكف عنها فی الأربعه أشهر،فان مضت الاربعه أشهر قبل ان يمسها فما سكتت و رضيت فهو فی حل وسعه،فان رفعت أمرها قيل له:أما ان تفیء فتمسّها،و أمّا ان تطلق،و عزم الطلاق ان يخلی عنها » (۱)لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَهِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فٰاؤُ فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بالرغم من ان نقض اليمين حرام.الا ان هذا اليمين مرتبط بحقوق الناس.

۱- ۱) نور الثقلين ج ۱ ص ۲۲۰

و الله يغفر نقضه،للنيه الصالحه وراء هذا النقض.

[۲۲۷] وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاٰقَ فعليهم الالتزام بحقوق الزوجه و تقوى اللّه فيها.

فَإِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [۲۲۸]بعد الطلاق الذى يقع بسبب أو أخر،يجب على المرأه ان تعتد و لا تتزوج خلال فتره تتحدد بعادتها بثلاثه قروء و السؤال ما هى القروء الثلاثه؟جاء فى بعض كتب اللغه..أن هنا فرقا بين(القرء)بفتح القاف.فهو للحيض و(القرء) بضم القاف فهو للطهر،و أنّ جمع الاول يأتى على(أقراء)،بينما يأتى جمع الثانى على (قروء).

و هكذا تكون الآيه داله على أنه تكفى حيضتان و ثلاثه مرات طهر.فاذا دخلت فى الحيضه الثالثه بانت.و على ذلك افتى المشهور كما

جاء فى حديث شريف عن زراره عن أبى جعفر عليه السلام «إن عليا كان يقول:انما القرء:الطهر،فيقرر فيه الدم فتجمعه،فاذا جاء الحيض قذفته، قلت رجل طلّق امرأته من غير جماع بشهاده عدلين،قال إذا دخلت فى الحيضه الثالثه انقضت عدتها و حلت للأزواج،قلت:ان أهل العراق يروون ان عليا عليه السلام يقول:انه أحق برجعتها ما لم تغتسل من الحيضه الثالثه،فقال:كذبوا » (۱)و هكذا إذا حاضت المطلقه ثم طهرت،حتى ثلاث مرات فقد خرجت من العده و إذا لم تحض تنتظر ثلاثه أشهر،تخرج بعدها من العده،و تصبح حره فى التصرف فى

۱- ۱) البرهان ج ۱ ص ۲۱۹

نفسها.

ان العـده حق من حقوق الزوج على الزوجه كمـا هو حكم من احكـام الله.ذلك انه فى هـذه الفتره يراجع الزوج نفسه و قـد يعود إليهـا،و حكم من الله،إذ انهـا تحافـظ على ماء الرجل عن الاختلاط بماء غيره،و بالتالى تمنع ضـياع نسب الإفراد.و ظهور طبقه من الشذاذ فى المجتمع.

وَ الْمُطَلَّقٰاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاٰثَةَ قُرُوءٍ ينتظرن فتره ثلاثه مرات تـذهب عنهن عادتهن الشـهريه(الحيض)فاذا ظهر خلال الفتره اثار الحمل فعليهن إظهاره.

وَ لاٰ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ فِى أَرْحٰامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذٰلِكَ إِنْ أَرٰادُوا إِصْلاٰحاً ففى هـذا الوقت،وقت العـده،يحق للزوج الرجوع بشـرط ان يكون رجوعه الى الزوجه بعد تصـميم على بناء حياه زوجيه عادله.

وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ و ليس من الصـحيح تحميل الزوجه واجبات دون ان تعطى لها حقوق،مثلا، حين يفرض عليها واجب الـتربص و الانتظـار،يعطى لهـا حق النفقه خلال الفـتره و الواقع:أن هـذا قـانون انسـانى عـام حيث يجب ان تربـط الحقوق بالمسؤوليه فى اى تشريع.

وَ لِلرِّجٰالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ إذ جعل الرجل هو الحاكم فى محيط الاسره.و بيده الطلاق،و عليه النفقه،و له

ص:٣٩٧

الطاعه.

وَ اللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ عزيز فى قدرته على الرجال و النساء.حكيم فى تشريع الواجبات و الزام الناس بها.

[۲۲۹]الطلاق،لا يتكرر الى ما لا نهايه،ذلك ان تكرار الطلاق يجعل الزوج فى وضع الحاكم المطلق الذى لا تتحدد تصرفاته.انما يمكنه ان يطلق فقط ثلاث مرات حيث تحرم عليه المرأه الا بعد ان تتزوج برجل.

اَلطَّلاٰقُ مَرَّتٰانِ و بعدهما على الزوج ان يختار أحد الأمرين.

فَإِمْسٰاكٌ بِمَعْرُوفٍ و زواج صالح و معاشره معروفه.

أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسٰانٍ أو إنهاء العلاقه الزوجيه للأخير،و اعطاءها حقوقها و اضافه الإحسان الى الحقوق.

و عند الطلاق يبقى المهر عند المرأه و لا يحل للرجل ان يسترجع المهر الا فى حاله واحده هى:تنازل المرأه عن مهرها فى مقابل قبول الرجل بطلاقها.إذا هى أرادت الطلاق.و بالطبع فى هذه الحاله يجب ان يتدخل الناس ليعرفوا ما إذا كان طلب الطلاق من قبل الزوجه مستند الى تضييع الزوج لحقوق الزوجيه.و عدم رعايه حدود

ص:۳۹۸

الله فيها،أم نابع من شهوه أو غضبه عابره.

وَ لاٰ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّٰا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً من المهر.

إِلاّٰ أَنْ يَخٰافٰا أَلاّٰ يُقِيمٰا حُدُودَ اللّٰهِ حيث وصلت العلاقه الزوجيه مرحله بعيده من الحساسيه،بحيث يصعب معها الالتزام بالحقوق المتقابله.

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّٰ يُقِيمٰا حُدُودَ اللّٰهِ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ و اعطت من مهرها،ثمنا لطلاقها.

تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلاٰ تَعْتَدُوهٰا وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ الظالمون لأنفسهم و للمجتمع من حولهم ذلك ان هذه الحدود وضعت ضمانا للعداله الاجتماعيه،و رعايه لحقوق الجميع،و من يجاوزها فهو الظالم الآثم.

[۲۳۰]و بعد الطلاق الثالث،تحرم على الزوج حتى تتزوج من رجل آخر زواجا دائما،و يباشرها الزوج،ثم ان طلقها تحل للزوج الاول.

فَإِنْ طَلَّقَهٰا فَلاٰ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهٰا فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يَتَرٰاجَعٰا إِنْ ظَنّٰا أَنْ يُقِيمٰا حُدُودَ اللّٰهِ فلا يجوز العوده إليها،للإضرار بها،بل لكى يؤسسا،فعلا،حياه عائليه متينه وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ يُبَيِّنُهٰا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

ای للعلماء الـذین یتفهمون الحقائق،و یعرفون مدی اهمیه العلاقه الزوجیه، و مدی ما تحتاج هذه العلاقه الی الضبط و التحدید،لان اندفاع شهوه الجنس من جهه،و نزغ النزاعات و السلبیات من جهه اخری تجعلان العلاقه الجنسیه مهتزه.

و بالتالی تهددان البناء الاسری بالزوال،و لـذلک بیّن الله حدودا حاسمه لهذه العلاقه حتی یحافظ من جهه علی استقامه شهوه الجنس،و عدم انحرافها فی متاهات بعیده، و من جهه ثانیه یقلل من السلبیات و یحسم النزاعات.

ان المجتمع الصناعی الیوم یعانی من اهتزاز العلاقه الجنسیه.و یعانی لـذلک من الکثیر من السلبیات الناتجه عن انعدام الاسره و منها انعدام التکامل الخلقی و تراکم العقد و اشاعه الأمراض الخطیره.

[۲۳۱]بعد العده تصبح المرأه حره،و علی الزوج ان یفکر ملیا فیما إذا یرید زوجته أم لا.فاذا أرادها فعلیه ان یراجعها قبل انتهاء الفتره الممنوحه له.و الا فلیس له حق فی منعها من التصرف فی شؤونها لأنها أصبحت حره.

وَ إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لاٰ تُمْسِکُوهُنَّ ضِرٰاراً لِتَعْتَدُوا لتضروا بهن،و تمنعوهن من الزواج بغیرکم،لان ذلک عدوان و ظلم.

وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ذلک ان حدود الله التی تحافظ علی حقوق الناس هی فی مصلحه الجمیع.فاذا تجاوزها شخص و اعتدی علی حقوق الآخرین،فقد یأتی شخص آخر و یعتدی علی حقوقه هو.و هکذا تعم الفوضی.من هنا و قبل ان یفکر الواحد فی ظلم الناس،لا بد ان یجعل هذا الظلم فی الإطار الاجتماعی العام و یحلل الموقف.هل یرید ان یعود

للمجتمع الظلم و الفوضى و.و.أم لا ـ إذا أحب ذلك فليقدم،و لينتظر النتائج السيئه.من هنا يذكر القرآن هؤلاء الظالمين بنعمه الرساله و يقول:

وَ لاٰ تَتَّخِذُوا آيٰاتِ اللّٰهِ هُزُواً وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ مٰا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتٰابِ وَ الْحِكْمَهِ يَعِظُكُمْ بِهِ فهل تحبون العوده الى حياه الجاهليه،حيث لا كتاب فيه دستور حياتكم،و لا حكمه تشرح تفاصيل سلوككم..؟ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هذه الفكره هى-فى الواقع-ضمانه تنفيذ حدود الله المبينه فى الآيات السابقه،و هى جوهر آيات هذا السياق،الذى يتحدث لنا عن التقوى فى مظاهرها المختلفه.

[۲۳۲]هل تستطيع الزوجه ان تعود الى زوجها الاول بعد انقضاء فتره العده؟ بالطبع يجوز لها إذا اختارت ذلك،و دون ان يتمكن زوجها من جبرها على ذلك.الا ان هناك بعض الأقارب(أبوها أو إخوتها أو أو.)قد يمنعونها من ذلك.و هم ظالمون.

وَ إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاٰ تَعْضُلُوهُنَّ و لا تؤذوهن.

أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوٰاجَهُنَّ إِذٰا تَرٰاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ و ذلك بعقد جديد،يحتاج الى تراض منهما معا،و ليس من الزوج وحده، و يكون بذلك معروفا.

ذٰلِکَ یُوعَظُ بِهِ مَنْ کٰانَ مِنْکُمْ یُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِکُمْ أَزْکیٰ لَکُمْ وَ أَطْهَرُ حیث انکم لو منعتم المطلقه من زوجها فقد لا یخطبها أحد،أو قد تسقط فی مهاوی الرذیله.أو قد تربطها علاقه غیر طبیعیه مع زوجها الاول.

وَ اللّٰهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ لا تعلمون إضرار الکبت الجنسی حیث یؤدی الی انفجار خطیر.

[سوره البقره (٢): الآيات ٢٣٣ الی ٢٤٢]

اشاره

وَ اَلْوٰالِدٰاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كٰامِلَيْنِ لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يُتِمَّ اَلرَّضٰاعَةَ وَ عَلَى اَلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاٰ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّٰ وُسْعَهٰا لاٰ تُضَارَّ وٰالِدَةٌ بِوَلَدِهٰا وَ لاٰ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى اَلْوٰارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ فَإِنْ أَرٰادٰا فِصٰالاً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْهُمٰا وَ تَشٰاوُرٍ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاٰدَكُمْ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِذٰا سَلَّمْتُمْ مٰا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) وَ اَلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوٰاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ اَلنِّسٰاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اَللّٰهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لٰكِنْ لاٰ تُوٰاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاّٰ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ لاٰ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ اَلنِّكٰاحِ حَتّٰى يَبْلُغَ اَلْكِتٰابُ أَجَلَهُ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ اَلنِّسٰاءَ مٰا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى اَلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى اَلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتٰاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُحْسِنِينَ (٢٣۶) وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مٰا فَرَضْتُمْ إِلاّٰ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا اَلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ اَلنِّكٰاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَ لاٰ تَنْسَوُا اَلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) حٰافِظُوا عَلَى اَلصَّلَوٰاتِ وَ اَلصَّلاٰةِ اَلْوُسْطىٰ وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجٰالاً أَوْ رُكْبٰاناً فَإِذٰا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اَللّٰهَ كَمٰا عَلَّمَكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) وَ اَلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوٰاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوٰاجِهِمْ مَتٰاعاً إِلَى اَلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرٰاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِي مٰا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اَللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢۴٠) وَ لِلْمُطَلَّقٰاتِ مَتٰاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُتَّقِينَ (٢۴١) كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ لَكُمْ آيٰاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢۴٢)

اللغه

٢٣٣[حولين]الحول السنه مأخوذه من الانقلاب فی قولک حال الشیء عما کان علیه یحول و منه الاستحاله فی الکلام لانقلابه عن الصواب و قیل أخذ من الانتقال فی قولک تحوّل.

[تکلف]التکلیف الإلزام الشاق و أصله عن الکلف و هو ظهور الأثر لأنه یلزمه ما یظهر فیه أثره.

[وسعها]الوسع الطاقه مأخوذ من سعه المسلک الی الطلب.

۲۳۵[عرضـتم]التعريض ضد التصـريح و هو أن تضـمن الكلام دلاله على ما تريد و أصله من العرض من الشىء الذى هو جانبه و ناحيه منه.

[خطبه]الخطبه الـذكر الذى يسـتدعى به الى عقده النكاح أخذ من الخطاب و هو توجيه الكلام للافصام و الخطبه الوعظ المتسـق على ضرب من التأليف.

[أكننتم]الأكنـان الستر للشـىء و الكنّ الستر أيضا و الفرق بين الأكنان و الكنّ أن الأكنان الإضـمار فى النفس و لا يقال كننته فى نفسى و الكنّ فى معنى الصون و فى التنزيل« بَيْضٌ مَكْنُونٌ ».

ص:۴۰۴

۲۳۸[حافظوا]الحفظ ضبط الشیء فی النفس ثم یشبه به ضبطه و المنع من الذهاب و الحفظ خلاف النسیان و الحفیظه الحمیه و الحفاظ المحافظه.

[قانتین]أصل القنوت الدوام علی أمر واحد و قیل أصله الطاعه و قیل أصله الدعاء فی حال القیام.

۲۳۹[رجالا]جمع راجل و هو الکائن علی رجله واقفا کان أو ماشیا.

[رکبانا]جمع راکب و کل شیء علا شیئا فقد رکبه.

ص:۴۰۵

التقوى فى إداره البيت

هدى من الآيات:

و بمناسبه الحديث عن الطلاق يبين الله حكم الرضاعه،إذ كثيرا ما يشملها الخلاف العائلى،فهل على الزوجه ان ترضع وليدها نعم،بمثل ما يجب على الزوج ان ينفق على الزوجه و على وليدهما،بيد ان حدود الرضاع و مقدار الإنفاق تتحدد بقدر المكنه و الاستطاعه،إذ ان الله لا يكلف الناس أكثر من طاقاتهم.

و على الزوجين ان يتشاوروا فى شؤون البيت و بالأخص فى شؤون وليدهما،و يتخذا القرار المناسب فى إنهاء فتره الرضاعه،كما ان بإمكان الزوج،آنئذ،ان يستأجر من النساء من ترضع ابنه،بشرط ان يدفع أجورها كامله.

بينات من الآيات:

اشاره

[۲۳۳] وَ الْوٰالِدٰاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كٰامِلَيْنِ لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضٰاعَةَ

ص:۴۰۷

فهـذه هی فتره الرضاعه الفطریه التی یحتاج الولیـد خلالها الی لبن الام الذی هو أفضل غذاء للولد،خصوصا فی أیامه الاولی.و لا ینبغی للام ان تتهرب من واجبها کأم و تخاطر بمصیر ولـدها لاسباب کمالیه تافهه.إذ یعتمـد مستقبل ولدها علی هذا اللبن و قد ثبت علمیا ان کثیرا من الضعف و المرض فی الأولاد،یأتی نتیجه عدم الرضاعه من لبن الام.

وَ عَلَی الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ کِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فالأب الـذی ولـدت الام ولیـدها له و فی صالحه،علیه الا یبخل بالنفقه،حسب المعروف و وفقا لمستوی معیشتهما الاجتماعیه.

لاٰ تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّٰ وُسْعَهٰا لاٰ تُضَارَّ وٰالِدَهٌ بِوَلَدِهٰا وَ لاٰ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ لا یجوز ان یستخف بعاطفه الأبوین فیلحق بهما ضـرر عبر الولد.کان یمنعا من زیارتهما أو یمنع الرجل زوجته أو العکس من لذه الجنس رعایه لحق الولد.

جاء فی الحدیث المأثور عن الصادق علیه السلام -فی تفسیر الآیه-فی قوله تعالی: «لاٰ تُضَارَّ وٰالِدَهٌ» قال علیه السلام «کانت المرأه ممـن ترفع یـدها الی الرجـل،إذا أراد مجامعتهـا،فتقـول:لاـ أدعـک،أنی أخـاف ان أحمـل علی ولـدی،و یقـول الرجـل للمرأه:لا أجامعـک أنی أخاف ان تعلقی فأقتل ولـدی فنص الله ان یضار الرجل المرأه و المرأه الرجل » (1)یظهر من النص الثانی ان معنی ذلک:عدم جواز منع الأب من زیاره ولده أو العکس إذا کان عنده.

ص:408

1- 1) المیزان الجزء الثانی ص 251.

الحديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام: «لا ينبغى للوارث-أيضا- ان يضّار المرأه فيقول:لا ادع ولدها يأتيها، و يضار ولدها ان كان لهم عنده شيء، و لا ينبغى أن يقتر عليه » (۱)وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ الإنفاق على العائله.

فَإِنْ أَرادا فِصالاً لابنهما عن الرضاعه فلا بد ان يكون ذلك:

عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ شانه شأن سائر أمور البيت و لكن بشرط الا يسبب ذلك فى تضييع حقوق الأم التى أرضعت ولدها،بل على الأب أن ينفق عليها بقدر ما أرضعت ثم يعطى الولد للمرضعه.

فَلا جُناحَ عَلَيْهِما وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ انها التقوى.و انه الالتزام بحدود الله فى قضايا الإنسان الاجتماعيه.ينقذ الإنسان من مخاطر الفوضى و اللامسؤوليه.

حق الزوج بعد الوفاه:

[۲۳۴]التسلسل الطبيعى لسياق الطلاق و الرضاعه و العده،يؤدى بنا الى

ص:۴۰۹

۱- ۲) الميزان ج ۲ ص ۲۵۶.

الحديث عن التزام المرأه بالحداد على زوجها بعد الوفاه،كحق مفروض من حقوقه عليها.من جهه وعده تعتدها منه من جهه ثانيه.

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوٰاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فهن حرائر فى التصرف بأنفسهن،و يستطعن الزواج ممن شئن دون تدخل الآخرين فى حريتهن.اللهم الا بقصد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و التواصى العام بين المسلمين،لذلك كرر القرآن هنا و فى آيات سابقه كلمه بالمعروف و قال هنا:

فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ للدلاله على انهن هن المسؤولات عن تصرفهن فى اطار القيم العامه للمجتمع، و التى تسمى ب(المعروف)فى لغه القرآن،اى القيم الرساليه التى تعارف عليها المجتمع،اما لو تعدين المعروف الى المنكر،فالكل مسئول عنهن و عن تصرفهن، و عليهم ردعهن عن المنكر.

وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يعلم تعديكم على حقوقهن،كما يعلم اهتمامكم بتوجيههن الى المعروف،و إذا لا تبرروا تدخلاتكم غير المشروعه فى تصرفاتهن بغطاء الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

كيف تختار زوجتك:

[۲۳۵]الشهوه الجنسيه لا بد ان تجد لها سبيلا نافعا للمجتمع و الا فهى تضر و لا

تنفع و السبيل الصالح هو الزواج،و الزواج يبدأ بالاختيار و فی عمليه الاختيار يتدخل الشيطان سلبيا. و يدعو الطرفين الى الفاحشه،و على المسلم ان يصبر و يتقى ربه فى هذا الوقت الحرج،و لا يخرج من حدود الشريعه،بل يجعل لقاءه بأنثاه تمهيدا للزواج بها،و بناء الاسره الفاضله.و مناسبه الحديث عن الخطبه هنا،هى الحديث عن المطلقات اللاتى يبحثن عن الأزواج بطريقه أكثر شجاعه من الفتيات الأبكار، حيث ان الأخيرات يغلّف شهوتهن الجنسيه،لباس الحياء و الكبرياء.

وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسٰاءِ اى فى الدعوه المبطنه لهن بالزواج،كأن يقول لها:دارى واسعه،أو انا محتاج الى زوجه.أو سوف أجدد أثاث بيتى..و هكذا..

أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ و جعلتم الزواج مجرد مشروع تفكرون فى تطبيقه.

عَلِمَ اللّٰهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لٰكِنْ لاٰ تُوٰاعِدُوهُنَّ سِرًّا لان الشيطان قد يدخل بين الرجل و المرأه إذا اختليا ببعضهما.

إِلاّٰ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً هو التفكر فى الزواج ذاته و ليس أشياء اخرى.

وَ لاٰ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكٰاحِ حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتٰابُ أَجَلَهُ و ينتهى موعد العده.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ

فلا تعتدوا على حدود الله فى خطبه النساء. و لا تستعجلوا فى إنشاء علاقه جنسيه،ثم تفكروا فى الزواج،و لكن لو فعلتم شيئا من ذلك،فلا تيأسوا من روح الله،و عودوا الى رشدكم و توبوا الى الله.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [۲۳۶]و إذا تزوجتم بواحده من المطلقات أو غيرهن و لكن قبل ان تباشروهن، تبدل الرأى بسبب من الأسباب،فمن الممكن التراجع عن تكميل الزواج بعد دفع جزء من المهر.و لكن لو لم تحددوا المهر سلفا،فعليكم دفع مقدار من المال يتناسب مع مقدوركم الاقتصادى.فالغنى يدفع بقدره و الفقير بقدره.

لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ متعه تقدر حسب وضع الزوج غنى و فقرا ف..

عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ و لا يكون هذا المتاع بهدف غير شريف و مقدمه للمنكر.

حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ و يعتبر هذا المتاع،فى الواقع،نوعا من الإحسان الواجب،إذ لم يحصل الزوج على ما يقابله من المتعه،و لكنه قد يمكن ان يسبب للزوجه نوعا من الأذى باقدامه عليها و تراجعه عنها.

ان تحديد مقدار المهر فى هذه الحاله يعود الى العرف العام حسب ظروف كل منطقه.

جاء فى حديث مأثور عن الصادق عليه السلام فى رجل طلق امرأته قبل ان يدخل

بها؟،«قال علیه نصف المهر ان کان فرض لها شیئا،و ان لم یکن فرض لها فلیمتعها علی نحو ما یمتع مثلها من النساء » (۱)[۲۳۷]تلک کانت إذا لم تحدد فریضه المهر.اما إذا حددت و طلقها الزوج قبل المباشره،فان علیه ان یدفع نصف المهر.

وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِیضَهً معینه من المهر.

فَنِصْفُ مٰا فَرَضْتُمْ إِلاّٰ أَنْ یَعْفُونَ ان تعفی النساء عن نصف الفریضه.

أَوْ یَعْفُوَا الَّذِی بِیَدِهِ عُقْدَهُ النِّکٰاحِ أولیاؤهن الذین یمکنهم إنشاء عقد النکاح.

وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْویٰ ذلک ان الزوج لم یستطع ان ینتفع شیئا بزوجته.

وَ لاٰ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَیْنَکُمْ ای لا تنسوا انکم ذوی علاقه بینکم و علیکم المحافظه علیها و عدم قطعها بسبب سوء المعامله ذلک ان هناک مجالات تنفع الأطراف فی المستقبل.

ص:۴۱۳

۱- ۳) المیزان ص ۲۵۸.

إِنَّ اللّهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ و سوف يجازيكم بالحسنات،لو تحاببتم و أحسن بعضكم الى البعض الآخر.

المجتمع الاسلامى يجب ان يكون متينا الى درجه لا تؤثر فيه السلبيات الطارئه.

فحتى الخلافات يجب ان تسوى بطريقه تخلف وراءها امكانات لانشاء وفاق أفضل ربما فى ميادين اخرى.

ان المسلم يجب ان يتفضل على اخوته،و لا ينتظرهم يتفضلون عليه.

[۲۳۸]ان العلاقه بين المسلم و المسلم يجب ان يباركها الله،حيث ان المسلم أخ المسلم فى الله،و كلما ضعفت هذه العلاقه بسبب الخلافات الطارئه يجب ان تعالج عن طريق زخم ايمانى جديد.يمتن اخوّه الايمان بين المؤمنين.

لذلک يوصى الله هنا و فى زحمه الخلافات العائليه بالعوده الى الصلاه باعتبارها وسيله التقرب الى الله.و يقول:

و قوموا للّه قانتين:

حٰافِظُوا عَلَى الصَّلَوٰاتِ وَ الصَّلاٰهِ الْوُسْطىٰ وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِينَ يبدو ان الصلاه الوسطى هى الظهر،حين يتوغل المرء فى شؤون الدنيا،فالمحافظه على الصلاه فيه،يعطى المسلم مناعه من التأثر بسلبيات الدنيا.

[۲۳۹]و المحافظه على الصلوات لا تختص بأيام السلم بل حتى فى الحرب يجب الاهتمام بها إذ انها تعطينا روحا جديده تساعدنا على القتال و على الانتصار:

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجٰالاً أَوْ رُكْبٰاناً

فی حاله المشی إذا کنتم مشاه الجیش،أو فی حاله الرکوب،و فی هذه الحاله علیکم أداء الصلاه بای شکل ممکن،و لکن بعدها یجب الاهتمام بشرائط الصلاه بالکامل.

فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْکُرُوا اللّٰهَ کَمٰا عَلَّمَکُمْ مٰا لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ اذکروا الله و تذکروا نعمه الهدایه الی الدین الجدید.حیث أنقذکم من الضلاله ان تذکرکم له ضمان للمحافظه علیه.و التمسک الشدید به.

[۲۴۰]بعد ان أمرنا القرآن بالمحافظه علی الصلاه فی کل حال و خصوصا فی حال اشتداد الخوف،لکی یزودنا بالتقوی فی مسیره الحیاه الصعبه،بعد ذاک عاد لیبین لنا بعضا من احکام الزواج المستحبه،و أبرزها اثنان:ان یوصی الزوج ببقاء زوجته فی بیته بعد وفاته الی عام،دون ان یجبرها الورثه علی الخروج منه.و ثانیا:

ان یحافظ المرء علی علاقته الانسانیه بزوجته المطلقه،فیتعهدها بالإحسان بالرغم من انتهاء علاقتهما الزوجیه.فقال عن الموضوع الاول:

وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْوٰاجاً وَصِیَّهً لِأَزْوٰاجِهِمْ مَتٰاعاً إِلَی الْحَوْلِ غَیْرَ إِخْرٰاجٍ ای یوصی بان تبقی الزوجه تتمتع بالنفقه و بالسکنی الی عام.و إذا وصی الزوج ذلک،فانه لا یعنی ان یفرض علی الزوجه البقاء فی البیت،بل ان یکون لها الحق فی ذلک فقط.

فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِی مٰا فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ فهی حره.بعد انقضاء عده الوفاه فیما تفعل لنفسها تستطیع ان تتزوج،أو ان تعمل أو تسافر أو ما أشبه.

ص:۴۱۵

وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يهيمن على اعمال عباده،بعزته،و يقدر لهم الجزاء المناسب بحكمته، و هذه الزوجه المتوفى عنها زوجها،لا تستطيع ان تخرج من عزه الله و حكمته ان خرجت من بيت زوجها لتفعل المنكر،و لذلك ليس من الصحيح:حجزها فى البيت،لان الله يكفيها..فهو العزيز الحكيم.

[۲۴۱]و عن موضوع استمرار العلاقه الانسانيه مع المطلقات بالرغم من انتهاء الروابط الزوجيه يقول ربنا:

وَ لِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ هذا فيما إذا انتهت فتره العده.اما خلالها فانها كالزوجه ما يجب عليها الإنفاق بالكامل.

[۲۴۲]و بانتهاء بيان القرآن لحدود العلاقه الزوجيه التى يجب الالتزام بها، و تقوى الله فيها.بذلك ينتهى فصل من فصول التربيه الاسلاميه للشخصيه المسلمه و بيان لمكوناتها الرئيسيه.و فى الختام يذكرنا القرآن بان التقوى بدورها نتيجه لنمو العقل فى المسلم،إذ ان آيات الله فى القرآن تستثير العقل،و تحرك طاقه التفكر فى الإنسان المسلم،فيتوجه المرء الى ربه،و يتقيه،و بالتالى يلتزم بحدود الشريعه فى كافه جوانب حياته،لذلك قال الله:

كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

[سوره البقره (۲): الآيات ۲۴۳ الی ۲۴۹]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ اَلْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اَللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ إِنَّ اَللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى اَلنّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّاسِ لا يَشْكُرُونَ (۲۴۳) وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللّهِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۴۴) مَنْ ذَا اَلَّذِي يُقْرِضُ اَللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَ اَللّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۴۵) أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ اِبْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اَللّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلْقِتالُ أَلاّ تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلاّ نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اَللّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ اَلْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَ اَللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ (۲۴۶) وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اَللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنّى يَكُونُ لَهُ اَلْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ اَلْمالِ قالَ إِنَّ اَللّهَ اِصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي اَلْعِلْمِ وَ اَلْجِسْمِ وَ اَللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۴۷) وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ اَلتّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ اَلْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۴۸) فَلَمّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اَللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاّ مَنِ اِغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمّا جاوَزَهُ هُوَ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَةَ لَنَا اَلْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالَ اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اَللّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اَللّهِ وَ اَللّهُ مَعَ اَلصّابِرِينَ (۲۴۹)

اللغه

۲۴۳[أ لم تر]الرؤيه هنا بمعنى العلم و أ لم تر أ لم تعلم.

۲۴۵[يقرض]القرض هو قطع جزء من المال بلا عطاء على أن يرد بعينه أو يرد مثله بدلا منه و أصل القرض القطع بالناب يقال قرض الشيء يقرض إذا قطعه بنابه و أقرض فلانا إذا أعطاه ما يتجازاه منه.و الاسم منه القرض.

[يضاعفه]التضعيف و المضاعفه بمعنى الزياده على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر.

ص:۴۱۷

[يقبض]القبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا و القبض ضم الكف على الشيء و قبض الإنسان إذا مات.

۲۴۶[الملأـ]الجماعه الأشراف من الناس.و أصله الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد و إنما سمى الأشراف ملأ لأنه لا مزيد على شرفهم و قيل لأن هيبتهم تملأ الصدور.

۲۴۷[اصطفاه]أختاره.

ص:۴۱۸

[بسطه]فضیله فی الجسم و المال.

۲۴۸[التابوت]ما یوضع فیه المیت.

[سکینه]مأخوذه من السکون..و السکینه و السکن واحد و هو زوال الرعب.

۲۴۹[فصل]الفصل القطع و فصل بالجنود أی سار بهم و قطعهم عن موضعهم و فصل الصبی فصالا قطعه عن اللبن.

[یطعمه]یقال طعم الماء کما طعم الطعام.

ص:۴۱۹

[جاوزه]المجاوزه من الجواز يقال جاز الشیء يجوزه إذا قطعه.

[فئه]الطائفه من الناس.

ص:۴۲۰

الحاکمیه الالهیه

هدی من الآیات:

بالرغم من ان هـذا الفصل یعالـج-فیما یترائی ظاهرا-موضوعات شتی،الا أنّ هناک حقیقه واحـده،تربط بین تلک الموضوعات،و انما تعالـج هـذه الحقیقه من خلال معالجه تلک الموضوعات،و هـذا هو منهـج القرآن الحکیم. إنّه لا یعالج الحقائق المجرده بل ضمن تجسـداتها الواقعیه،و توجیهاتهـا التربویه،لقـد رأینـا کیف تحـدث الآیـات السـابقه عن التقوی،انمـا تحـدث عنهـا ضـمن الحـدیث عن مجموعه قضایـا،فی الحرب،و فی السـلم.فی الصـراع الخارجی مع العـدو،و فی الصـراع الـداخلی مع الناس و بصـفه خاصه داخل الاسره.

و هنا یعالـج القرآن:موضوع الایمان بان الله هو الذی یقضـی فی الحیاه بحکمه، فبیده الأمور مباشـره،و انّه لیس بعیدا.کما تتصور الیهود،عن مباشره سلطانه الالوهیه سبحانه..

ان لهذه الحقیقه تجسدات واقعیه فی الموت و الحیاه،و فی الغنی و الفقر،و فی الملک

ص:۴۲۱

يؤتيه من يشاء،و فى الانتصار يهبه لمن يشاء،و فى الرساله ينزلها على من يشاء..

و ان لهـذه الحقيقه توجيهـات تربويه تتجسـد فى:القتـال فى سبيـل الله من دون خشـيه الموت(لاـن الحياه بيـد الله)،و الإنفاق دون خشيه من الفقر،و الطاعه للحاكم بإذن الله و الالتزام بتوجيهاته،و الايمان بكل رسل الله،و الإنفاق فى سبيل الله..

و قد ذكّرنا القرآن بتلك التجسدات الواقعيه،و هذه التوجيهات،من خلال قصـص تاريخيه ذات عبره و إثاره.و ضمنها التوجيهات التربويه..

و لكـن يبقى سؤال:الـم يكـن مـن الأفضـل:ان يتحـدث القرآن بشـكل تجريـدى محض،عن الحقـائق الـواقعيه،كمـا يفعلهـا مثلا الفلاسفه،و كتاب علم الكلام الاسلامى؟ الجواب..كلا..لان القرآن كتاب حياه و كتاب تزكيه،و لأنه كتاب حياه فهو لا ينقلنا من الحياه الى غياهب التجريدات الذهنيه التى لا تمثل الا نفسـها، و لا تعكس الا خيالات فارغه أشبه ما تكون الى الاشكال الهندسيه و الحسابـات الرياضـيه لاـ تعنى شـيئا حقيقيـا،بـل يتحـدث إلينـا عن ظواهر الحيـاه ظـاهره ظاهره منها ما انتهت و تتكرر،كالظاهره التـاريخيه،و منهـا مـا هى متلاـحقه كالظـاهره الطبيعيه، و منهـا مـا نصـنعها كـالحرب و السـلام..كل ذلـك لتلتصق افكارنا بالواقع الخـارجى أكـثر فـأكثر،ثـم يعطينـا:رؤيـه نـابعه مـن حقيقـه عـامه،تجـاه هـذه الظـاهره،رؤيه تـاريخيه،رؤيه طـبيعيه،رؤيه فى افعـال الإنسان.فهو بذلك لا يفصـلنا عن الواقع،بل يعطينا منظارا مكبرا و سليما ننظر من خلاله الى الحياه،ذلك المنظار هى الرؤيه و هى الحقيقه العامه(مثلا حقيقه هيمنه الله على الحياه).

و مـن جهـه أخرى:لاـ يريـد القرآن ان يشـبع قلوبنـا بحب الله،أو افكارنـا بالاعتقـاد بـالله.من دون ان يكـون لـذلك الحب،و هـذا الايمان:انعكاس عملى فى

حیاتنا،لذلک فکلّما تحدث عن ظاهره تاریخیه.و أعطانا فیها رؤیه حقیقیه،أضاف إلیهما عبره تربویه.و أمرا بعمل نقوم به..و سوف تجدون هذا المنهج فی الآیات التالیه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۲۴۳]خشیه الطاعون،نزح أهل القریه من قریتهم،بید ان الطاعون لحقهم و أفناهم فی الصحراء،و بعد فتره طویله مرّ بهم نبی فوجدهم عظاما نخره،فدعا ربه ان یحییهم فاستجاب له ربه..هذه الواقعه تعکس حقیقه ان الله هو الذی یحی و یمیت.

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْیاهُمْ إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النّاسِ یتجسد فی الحیاه التی وهبها لهم.

وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لاٰ یَشْکُرُونَ ربهم علی انه ینعم علیهم بالحیاه.و قد یکون الموت أیضا من فضل اللّه [۲۴۴]بینما یجب علیهم:معرفه واهب الحیاه،ثم التسارع فی تقدیم حیاتهم له،لو طلبها منهم،لأنها منه و الیه تعود.

وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ یسمع الأصوات الظاهره،و یعلم النوایا الباطنه،فلا تخلطوا مع الله فی قتالکم عدوانا أو ریاء،بل لیکن قتالکم خالصا لله و فی سبیل اللّه.

ان القتال فی سبیل الله یجسد الایمان بان الله هو واهب الحیاه..و المطلوب من

المؤمن ان يبلغ ايمانه بهذه الحقيقه الى هذا المستوى حتى يثبت صدق ايمانه بالله..

[۲۴۵]و الله واهب ما فى الحياه من نعم كما هو واهب الحياه ذاتها،فهو الذى يوسع على من يشاء،و يقتر على من يشاء و لكن ليس عبثا،و انما بمقدار عطاء الفرد فى سبيل الله،و تجارته معه تلك التجاره التى دعا الله إليها فى كتابه فى أكثر من مناسبه و هنا يدعو إليها و يقول:

مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضٰاعِفَهُ لَهُ أَضْعٰافاً کَثِیرَهً و هل هناك بنك فى العالم يعطى على المائه،ثلاث مائه و أكثر،و لكن الله يفعل و يطلب منا ان ننفق فى سبيله حتى يعوّضنا أضعافا.

وَ اللّٰهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ فبيده الفقر،إذ يقبض عن الفقير يد نعمته،و بيده الغنى،حين يبسط على الغنى يد رحمته.هذا فى الدنيا.

وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ فى الآخره فيجازى المعطى فى سبيله اجرا عظيما..

هذه الآيه تشمل تجسيدا حيا لصفه هيمنه الله على الحياه،و كما تشمل توجيها للإنسان انطلاقا من هذه الحقيقه،هو العطاء بلا خوف من الفقر و الفاقه.

أمروا بالقتال فتولّوا

۲۴۶]اخرجوا من بلادهم ظلما و عدوانا و طالبوا نبيّهم،بان يختار الله لهم قائدا يحاربون أعداءهم تحت لوائه..و لكن حين بعث الله لهم قائدا وجدّ الجد،

نكصوا على أعقابهم.انهم مثل لعدم الايمان الحقيقى و بالتالى فصل دين الله عن الحياه،و فصل الدين عن السياسه،و رجال الله عن أمور الدنيا..

ان الدين الذى يريده الله هو دين الحياه،و ان الايمان الذى يطالب به العباد، هو الايمان بالله المدبر للكون،المطاع بلا شريك فى الحياه،و هذا الايمان كان مفقودا عند هذه الطائفه لذلک فشلوا فى الامتحان.و قال عنهم ربنا:

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى الذى كان قائدهم المطاع و الذى انقذهم الله به من بطش فرعون.

إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّهِ و لكن النبى كان يعرف مستوى ايمانهم الضحل و لذلک قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلاّ تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلاّ نُقاتِلَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا فكيف لا نقاتل هل هذا معقول؟ فَلَمّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ كان يعرفهم قبل ان يكتب عليهم القتال،و يتولوا،و لكنه امتحنهم ليعرفوا أنفسهم،وليتم عليهم الحجه،و لعل الناس يعتبرون بقصتهم.

ان هؤلاء يمثلون فريقا من الناس يؤمنون بالله ايمانا ظاهرا و سطحيا،فاذا محصوا بالبلاء كفروا بالله،إذ انهم-منذ البدايه-كانوا يزعمون:انّ اللّه محصور فى المسجد و بعض الصلوات و الابتهالات،و من ثمّ،بعض التعاليم الخلقيه،امّا اللّه

الذی یأمر بالقتال،و بطاعه رجال معینین لا یملکون کفاءه القیاده حسب تصورهم الباطل.. فإنهم یکفرون به..

[۲۴۷]و قصه هؤلاء بالتالی،هی قصه المؤمن الذی لم یذوّب نفسه کاملا فی بوتقه الایمان،و لم یسلم نفسه للّه.و لا تزال رواسب الجاهلیه و قیمها تتحکم فیه، لنستمع الی القصه و نعتبر منها لأنفسنا:

وَ قٰالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طٰالُوتَ مَلِکاً فاذا بهم یجن جنونهم،لماذا طالوت و لیس فلان أو فلان..

قٰالُوا أَنّٰی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنٰا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ لاننا أکثر أموالا منه،و الملک یجب ان یکون غنیا و لیس طالوت کذلک.

وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمٰالِ فأجابهم النبی:بان قیاده الحرب لا تحتاج الی مال،بل الی کفاءه اخری موجود فی طالوت،و لذلک اختاره الله.

قٰالَ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰاهُ عَلَیْکُمْ وَ زٰادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ و هذه هی کفاءه القیاده الحربیه،ان یکون قادرا علیها جسدیا و علمیا،ثم ان اختیار الله له تزکیه له،و کافیه لثقتکم بأمانته و کفاءته،ثم ان الله هو إلهکم و بیده أمور عباده،و علیکم ان تطیعوه دون تلکأ..أو تقاعس.

وَ اللّٰهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ قادر و قدرته واسعه،و رحیم و رحمته واسعه،و علیم فهو الملک الحقیقی للعباد،و هو

يؤتى ملكه لمن يشاء.

[۲۴۸]بذلك أفحمهم،و لكنهم تساءلوا و قالوا:من يقول أن الله قد بعث طالوت ملكا؟.هنا بيّن لهم علامه ملكه.

وَ قٰالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَهَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التّٰابُوتُ فِيهِ سَكِينَهٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّهٌ مِمّٰا تَرَكَ آلُ مُوسىٰ وَ آلُ هٰارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاٰئِكَهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَهً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لقد كانت السكينه فى التابوت بقيه تراث الأنبياء و كانت كافيه لهؤلاء الناس بالاعتقاد بان طالوت ملكهم،و لكنهم مع ذلك لم يقاتلوا معه كما يأتى.و كان التابوت-كما جاء فى التفاسير-هو الصندوق الذى وضعت أم موسى،وليدها، بأمر اللّه فيه.و بقى عند فرعون إلى أن ورثت بنو إسرائيل ملك فرعون،فأخذه موسى و وضع فيه مواريث الأنبياء،مضافا الى ودائعه.و أورثه وصيّه(يوشع).

و كان التابوت(أو صندوق العهد)يعتبر أكبر من اللواء.و الشعار عند بنى إسرائيل.و قد استولى عليه الكفار من عبده الأصنام فى ارض فلسطين.و كانوا دائمى الحنين إليه. فلّما أخبرهم(شموئيل)نبيّهم بان الملائكه سوف تعيد إليهم صندوق العهد استبشروا،لأنهم علموا انه دليل أنصارهم على أعدائهم.

و تضيف التفاسير:أنّ الكفار،لم يهنأوا بالصندوق،إذ توالت عليهم النكبات،فتطيّروا بالتابوت.و استقر رأيهم ان يعلقوه بين بقرتين،ثم يهجموا بهما فى الصحراء.لتذهبا به انى شاءت الأقدار و كان ذلك الوقت مصادفا لذات الفتره التى انصب اللّه-عبر شموئيل-طالوت ملكا على بنى إسرائيل،و وعدهم بان تحمل الملائكه إليهم التابوت.فوّجه الملائكه البقرتين الحاملتين للصندوق باتجاه ديار بنى إسرائيل.و هناك أقوال أخرى.فى هذه القصه التاريخيه إلا ان المهم عندنا عبره

ص:۴۲۷

القصه حيث نتساءل:

:ماذا ترمز بالنسبه إلينا السكينه و البقيه،انهما ترمزان الى ضروره توفر صفتين فى القياده.

۱-الثقه بها،و اشاعه الاطمئنان فيمن حولها،و ذلك عن طريق التجرد للحق، و عدم الاستسلام للقوى الضاغطه،و عدم تفضيل طائفه من الناس على طائفه.

۲-هذه واحده و اخرى الاصاله و الارتباط بتراث الامه الحضارى و القدره على التعامل مع هذا التراث تعاملا ايجابيا مستمرا،ان تجارب الامه النضاليه عبر القرون أفضل ينبوع يلهم الناس الصبر و اليقين و التضحيه من أجل القيم الرساليه.

[۲۴۹]اختار طالوت جنوده،و توجه تلقاء العدو،و لكنه كان محّنكا لم يغامر بمواجهه العدّو قبل ان يقوم بمناوره عسكريه،الهدف منها اختبار جنوده،فمّر فى طريقه بنهر عذب و كان جنوده يعانون من عطش شديد،فنهاهم عن ان يشربوا أكثر من كف من الماء فقط،و كانت المفاجأه: أنّ أكثرهم فشلوا فى الاختبار.

فَلَمّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّی وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّی إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ الماء بمقدار ما تحتويه يده فقط.

غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ و هنا امر طالوت الذين لم يصبروا عن العطش قليلا،بان يعودوا ربما الى احضان أمهاتهم،انهم ليسوا رجال حرب،الحرب بحاجه الى خشونه و طاعه،و لا تنفعها الميوعه و الخذلان،و سار بعيدا عن النهر بجيش صغير،و لكنه قوى المعنويات نوعا ما.

ص:۴۲۸

فَلَمّٰا جٰاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قٰالُوا لاٰ طٰاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجٰالُوتَ وَ جُنُودِهِ و كان جالوت يمثّل جيش الكفر الـذى خرج الى جنود طـالوت للحرب،فى جيش ضـخم،كـثيف العـدد،و لكـن قليـل المعنويـات،و بـالطبع أرهـب عـدد الجيش الضـخم و معـداته الكـثيره،المـؤمنين لأنّـهم بشـر،بيـد أنّ روح الايمـان اسـعفتهم و ذكرتهـم بالآخره و بـان الله يـأمرهم بالمقـاومه حـتى يجزيهم الجنه،هنالـك اطمأنوا بالايمان قٰالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاٰقُوا اللّٰهِ و يتصورون أنفسـهم امام الله أبـدا،و يسـتمدون منه القوه و العزم قالوا:

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ مَعَ الصّٰابِرِينَ إذ لا يهم عدد الجيش بل ايمانهم بقضيتهم،و تضحيتهم من أجلها.

ص:۴۲۹

[سوره البقره (۲): الآیات ۲۵۰ الی ۲۵۴]

اشاره

وَ لَمّٰا بَرَزُوا لِجٰالُوتَ وَ جُنُودِهِ قٰالُوا رَبَّنٰا أَفْرِغْ عَلَيْنٰا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدٰامَنٰا وَ اُنْصُرْنٰا عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكٰافِرِينَ (۲۵۰) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ قَتَلَ دٰاوُدُ جٰالُوتَ وَ آتٰاهُ اَللّٰهُ اَلْمُلْكَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمّٰا يَشٰاءُ وَ لَوْ لاٰ دَفْعُ اَللّٰهِ اَلنّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ اَلْأَرْضُ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى اَلْعٰالَمِينَ (۲۵۱) تِلْكَ آيٰاتُ اَللّٰهِ نَتْلُوهٰا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۲۵۲) تِلْكَ اَلرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اَللّٰهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ وَ آتَيْنٰا عِيسَى اِبْنَ مَرْيَمَ اَلْبَيِّنٰاتِ وَ أَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مَا اِقْتَتَلَ اَلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْبَيِّنٰاتُ وَ لٰكِنِ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مَا اِقْتَتَلُوا وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ (۲۵۳) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّةٌ وَ لاٰ شَفٰاعَةٌ وَ اَلْكٰافِرُونَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۲۵۴)

اللغه

۲۵۰[برزوا]البروز أصله الظهور و منه البراز و هی الأرض الفضاء.

ص:۴۳۰

۲۵۴[خله]خالص الموده و الخليل الخالص الموده من الخله لتخلل الأسرار بينهما و قيل لأنه يمتنع من الشوب فى الموده.

ص:۴۳۱

شروط الانتصار على العدو

هدى من الآيات:

للنصر شرطان:الصبر و اليقين اما الصبر فهو تحمل المصاعب و المكاره الجسديه و النفسيه و التطلع الى المستقبل و التعويض به عن مشاكل الحاضر،و اما اليقين فهو يعطيك الاندفاع و التضحيه و الثقه بالمستقبل و هؤلاء جنود طالوت سألوا اللّه ان يزودهم بالصبر و اليقين-و فى ذات الوقت كانوا يسعون من أجل توفر هاتين الصفتين فى أنفسهم إذ كل دعوه الى اللّه بتحقيق شيء لا تستجاب لو لم يسعى المرء عمليا من أجل تحقيقه و قد جاء فى الحديث..يكفى من الدعاء مع العمل ما يكفى من الملح فى الطعام..

بينات من الآيات:

[۲۵۰] وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً اى اشملنا بصبر منك حتى لا نتزعزع بايه صعوبه.

ص:۴۳۲

وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا ای ارزقنا الیقین حتی تطمئن نفوسنا و تترسخ خطانا علی الاستقامه و هذه و تلک تمهید للهدف الأکبر و هو النصر الذی سألوه أخیرا و قالوا..

وَ انْصُرْنا عَلَی الْقَوْمِ الْکافِرِینَ [۲۵۱]أثمرت دعواتهم و جهودهم..

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ و ان الله إذن لهم فانتصروا علیهم إذ ان الصبر و الیقین کانا من عطاء الایمان بالله و التقرب الیه و الدعاء الیه و بالتالی استجابه الله و کان هناک شاب صالح مؤمن بالله برز فی المعرکه اسمه داود.

وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ و لأنه قتل جالوت و کان صالحا فقد التفت حوله الطائفه المؤمنه و تقرب الیه رئیسهم طالوت و استخلفه علیهم.

وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا یَشاءُ و جعله خلیفه فی الأرض باذنه ملکا نبیا کما تأتی قصصه فی مناسبات اخری..

و لکن هنا یرید القرآن ان یذکرنا بان الملک لله یؤتیه من یشاء و علینا ان نطلبه منه کما أن النصر و الغنی و الحیاه منه.

لقد بین القرآن الحکیم فی مناسبات عدیده فلسفه الجهاد و ابرز اهدافها و بمناسبه الحدیث عن داود ذکر هذه الفلسفه هنا أیضا و قال:

وَ لَوْ لاٰ دَفْعُ اللّٰهِ النّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعٰالَمِينَ حيث يهىء من عباده المؤمنين امه رساليه تقوم بالدفاع عن مبادئ اللّه المتمثله فى الحق و العداله و الحريه و..و..و تحارب كل من تسول له نفسه بالظلم و الجور و الاستعباد و تنقذ الناس منه ان هذا فضل كبير على الناس و لو لا هذه الامه إذا لأصبحت الحياه البشريه اسوأ من حياه الغاب يأكل فيها القوى الضعيف و يأكل الضعيف من هو أضعف منه،و يعيش الناس الخوف و الفقر و الحرمان.

و كلما كانت هذه الامه أكثر نشاطا و ايمانا تكون مبادئ اللّه أفضل تطبيقا اما إذا تراخت الامه عن واجبها(كما نحن فى عصرنا)فان الفساد سيعم الأرض.

[252]و كما الحياه و الغنى و الملك و النصر من الله كذلك الهدى منه فهو الذى يهدينا الى منهاج الحياه و أساليب مكافحه الفقر و الوصول الى الملك و النصر و ذلك عن طريق رسالاته التى يختار لها رجالا أمناء من عباده و يبعثهم أنبياء بها.

تِلْكَ آيٰاتُ اللّٰهِ نَتْلُوهٰا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ [253] تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ كما موسى عليه السلام.

وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ كما إبراهيم اتخذ خليلا و جعل للناس إماما.

وَ آتَيْنٰا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰاتِ وَ أَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أيده بالعصمه التى منعته من اى نوع من الفحشاء و المنكر و لقد أيد الله سائر

الأنبياء بها أيضا بيد ان عیسی کفر فيه بعض الناس و زعموا انه هو القدوس بذاته و دون تأیید من الله فنفی ربنا ذلك.

إذا الرساله من الله و هی تعطی للأنبياء على شكل متفاوت حسب كفاءات الأنبياء و مصالح الله فی العباد و هنا يبرز سؤال:إذا كان الله يهدی الناس فلما ذا اختلف اتباع الرسل من بعدهم لماذا لم يهدهم الله جميعا هدى واحدا و تركهم يقتل بعضهم بعضا..

يجيب القرآن:ان الله لا يهدی الناس كرها و انما يوفر لهم فرصه الهدايه فمن اهتدی فلنفسه و من ضل فعليها هكذا أراد الله للدنيا ان تكون مختبرا لمعادن الناس و قاعه امتحان لمدى ايمانهم و لا يسأل اللّه عما أراد.

وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد الأنبياء من اتباع حيث تقاتلوا.

مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ فلم يكن اختلافهم لنقص فی هدايه الله لهم بل لخلل فی ايمانهم بها و استجابتهم لدعواتها.

وَ لٰكِنِ اخْتَلَفُوا و كان اختلافهم على الحق..

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ فلم تكن أعمالهم صحيحه بمجرد انهم(كانوا)من اتباع الرسل بل كانت

وَ لَوْ شٰاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لٰكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ و هنا ابرز القرآن-مره اخرى-هيمنه الله على الحياه و ان ما يجرى فيها من خير و شر،لا يدل على اعتزال الله سبحانه للسلطات و لا على انه مغلوب على امره لا يسعه منع حدوث الشر كلا و لا على انه راض بما يقع على الناس فى الدنيا من شرور بل لأنه يريد اختبارهم فتركهم الى أجل مسمى و هو قادر على أخذهم إذا شاء بسطوته العزيزه و قدرته الواسعه التى لا يعجزها شىء.

[۲۵۴]ما ذا تعنى هذه الحقيقه بالنسبه لنا،انها تعنى اننا لسنا مخلوقين عبثا و لا متروكين هكذا الى الأبد بل ان هناك فرصه قصيره أمامنا لتجربه ايماننا و ارادتنا فعلينا استغلال هذه الفرصه بالعطاء و الإنفاق قبل ان تنتهى الفرصه..

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ لأنه لا يملك أحد شيئا حتى يبيعه.

وَ لاٰ خُلَّهٌ وَ لاٰ شَفٰاعَهٌ و ليس هناك من صديق و حتى لو كان فلا يستطيع ان يفعل لنا شيئا.لأنه هو الآخر مبتلى و مغلوب على امره إذا دعنا نفكر فى ذلك اليوم و ننفق..

وَ الْكٰافِرُونَ هُمُ الظّٰالِمُونَ الذين يظلمون أنفسهم و لا يبعثون لحياتهم الاخرى خيرا..

و مناسبه الحديث عن الإنفاق قد تكون تكميلا للحديث عن القتال فى سبيل الله فى الآيات السابقه إذ يتحدث القرآن عنه إذا تحدث عن القتال على الأكثر.

ص:۴۳۶

[سوره البقره (۲): الآیات ۲۵۵ الی ۲۶۰]

اشاره

اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ اَلْحَیُّ اَلْقَیُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِی اَلسَّماواتِ وَ ما فِی اَلْأَرْضِ مَنْ ذَا اَلَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِما شاءَ وَسِعَ کُرْسِیُّهُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ لا یَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ اَلْعَلِیُّ اَلْعَظِیمُ (۲۵۵) لا إِکْراهَ فِی اَلدِّینِ قَدْ تَبَیَّنَ اَلرُّشْدُ مِنَ اَلْغَیِّ فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اِسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ اَلْوُثْقی لا اِنْفِصامَ لَها وَ اَللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۲۵۶) اَللّهُ وَلِیُّ اَلَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُماتِ إِلَی اَلنُّورِ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیاؤُهُمُ اَلطّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ اَلنُّورِ إِلَی اَلظُّلُماتِ أُولئِکَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ (۲۵۷) أَ لَمْ تَرَ إِلَی اَلَّذِی حَاجَّ إِبْراهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اَللّهُ اَلْمُلْکَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّیَ اَلَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ قالَ أَنَا أُحْیِی وَ أُمِیتُ قالَ إِبْراهِیمُ فَإِنَّ اَللّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ اَلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ اَلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ اَلَّذِی کَفَرَ وَ اَللّهُ لا یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّالِمِینَ (۲۵۸) أَوْ کَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَهٍ وَ هِیَ خاوِیَهٌ عَلی عُرُوشِها قالَ أَنّی یُحْیِی هذِهِ اَللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اَللّهُ مِائَهَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ کَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَهَ عامٍ فَانْظُرْ إِلی طَعامِکَ وَ شَرابِکَ لَمْ یَتَسَنَّهْ وَ اُنْظُرْ إِلی حِمارِکَ وَ لِنَجْعَلَکَ آیَهً لِلنّاسِ وَ اُنْظُرْ إِلَی اَلْعِظامِ کَیْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَکْسُوها لَحْماً فَلَمّا تَبَیَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اَللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۵۹) وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ اَلْمَوْتی قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلی وَ لکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی قالَ فَخُذْ أَرْبَعَهً مِنَ اَلطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلی کُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ اُدْعُهُنَّ یَأْتِینَکَ سَعْیاً وَ اِعْلَمْ أَنَّ اَللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۶۰)

اللغه

۲۵۵[الحی]هو من کان علی صفه یجب لأجلها أن یدرک المدرکات إذا وجدت.

[القیوم]من القیام و هو القائم بتدبیر خلقه.

[سنه]النوم الخفیف و هو النعاس.

[نوم]النوم خلاف الیقظه،و هو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد الیه و قیل هو موت خفیف و الموت نوم ثقیل.

[یحیطون]یقال لمن أحرز شیئا أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط به.

ص:۴۳۷

۲۵۸[بهت]انقطع و تحیر و یقال بهت الرجل أبهته بهتانا إذا قابلته بکذب فالبهت الحیره عند استیلاء الحجه لأنها کالحیره للمواجهه بالکذب لان تحیر المکذب فی مذهبه کتحیر المکذوب علیه و منه قوله أ تأخذونه بهتانا کأنه قال أ تأخذونه ادعاء للکذب فیه.

ص:۴۳۸

۲۵۹[خـاویه]أصل الخواء الخلاء و الخواء الفرجه بین الشیئین لخلو ما بینهما و خوت الـدار تخوی خواء فهی خاویه إذا باد أهلها لخلوها منهم و الخوی الجوع خوی یخوی خوی لخلو البطن من الغذاء.

[عروشـها]أبنیتها و قیل الخیام و هی بیوت الاعراب و قیل خاویه علی عروشها أی بقیت حیطانها لا سقوف علیها و کل بناء عرش و عریش مکه أبنیتها و العریش البیت لارتفاع أبنیتها.

ص:۴۳۹

هدی من الآیات:

من خلال القصص السابقه،ذکرنا القرآن ببعض أسماء ربنا الحسنی و فی طلیعتها انه یهب الحیاه و الغنی و الملک و النصر و أخیرا الهدی.و الواقع ان الغنی و الملک و النصر و الهدی لیست الا بعضا من مظاهر الحیاه التی یهبها الله للإنسان.و فی هذه الآیات یتابع القرآن تذکرته بربنا و بیانه لصفاته الحسنی،و التی منها قدرته علی بعث الناس من جدید.

فالآیه الاولی و التی تسمی بآیه الکرسی،و قد جاء فی السنه الشریفه اهتمام بها و توجیه الی قراءتها،لأنها تلخص صفات الله التی تساهم معرفتها فی تربیه النفس البشریه.فهو الذی یدبر الحیاه و یحفظها فی کل لحظه،و لو لا حفظه للحیاه إذا لزالت.بعدئذ یوجهنا القرآن الی الناحیه العملّیه للایمان بان الله حی قیوم،و هی ضروره التسلیم لله وحده،و التمرد ضد کل سلطه لا تستمد شرعیتها من قیم الله، و التی یسمیها القرآن بالطاغوت.ثم بین القرآن ان الایمان بالله و بقدرته الواسعه

يدعونا الى الايمان باليوم الآخر،حيث ان الله قادر على ان يحيى الموتى.فليست هنالك ايه صعوبه فى اعاده الناس الى الحياه للحساب.

بينات من الآيات:

[۲۵۵]فى حاله الرخاء لا يكتشف البشر شيئا اما فى الشده فانه يستثير عقله، و يحاول ان يفهم الحياه بعمق،حتى يرفع حاجته و إذا اشتدت حاجه الإنسان و استبدت به الضراء،واعيته مذاهب الحياه،فإنّه-انئذ-يتوجه الى ربه،و يجأر اليه،و تسقط امامه كل الأصنام التى كان يعبدها.

بهذه المناسبه سمى العرب ربهم ب(إله)لأنهم يألهون اليه،و يتوسلون به أشد التوسل،عند ما تصيبهم الضراء.و الكلمه المفضله فى لغه القرآن للدلاله على ربنا هى كلمه(الله)و هنا تبدأ آيه الكرسى بهذه الكلمه لاستثاره ضمير الإنسان بأن الذى تجأر اليه و تتوسل به،هو وحده الجدير بان يكون ربك الحقيقى.

اَللّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ و لكن ما هى صفات ربى؟انه يتميز بسلسلتين من الصفات الحسنى تتصل الواحده بأسمائه الذاتيه،فهو عالم،قدير،سميع،بصير،يريد ما يشاء،و لا يسأل عما يفعل،و هناك كلمه تشير الى هذه الصفات هى(الحى).و السلسله الثانيه تتصل بكل أفعاله و مظاهر خلقه للأشياء،فهو فعال لما يشاء،خالق،رازق،رحمن،رحيم، منعم و..و...و تشير الى هذه السلسله كلمه(القيوم)و التى تدل على ان الله قائم بذاته فلا يحتاج الى شىء،و تقوم به الأشياء فلا يستغنى عنه شىء.و هنا يذكّرنا القرآن باللّه عبر صفتين(الحى-القيوم)،و يبيّن بعضا من مظاهر هاتين الصفتين فيقول:

اَلْحَيُّ الْقَيُّومُ

ص:۴۴۲

فمن مظاهر صفه الحی تعالیه عن النعاس(السنه و النوم).

لاٰ تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لاٰ نَوْمٌ و من مظاهر الحی،ان ربنا واسع القدره فهو مالک کل شیء،نافذ فی کل شیء امره و مشیئته،لان.

لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ و لذلک فهو غنی عن کل أحد.

مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ فلا یستطیع أحد ان یحتم علیه امرا بل انما یمکنه ان یدعوه،فیستجیب له ان شاء أو لا یستجیب.

ان ملوک الأرض یعتمدون،فی سیطرتهم علی الناس،علی مجموعه من ذوی النفوذ،و هؤلاء یشفعون فیمن یخصهم.و لکن الله،تعالی سلطانه عن ای تدخل من ای أحد،حتی الأنبیاء و المرسلون و الملائکه المقربون،لیسوا سوی عباد مکرمین.

و من مظاهر اسم الحی،علم الله بکل شیء و تعالیه عن العقول ان تسمو الی جنابه.

یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ یعلمهم و یعلم ما سبق و ما یأتی من حیاتهم،و علم الله واسع یشمل کافه جوانب البشر.

وَ لاٰ یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّٰ بِمٰا شٰاءَ

ص:۴۴۳

و بينه هو لهم.

هـذا هو الحى،مطلق الحياه،ابـدى الحيـاه،واسع العلم و المقـدره سـبحانه.انه ربنـا الجـدير بنـا ان نتخـذه وليـا،و ليس هؤلاء العباد المربوبين الأموات،الذين يستبد بهم النوم و الجهل،و لا يملكون شيئا.

و صـفه«القيوم»نابعه من صـفه الحياه،ان الله الحى بذاته الذى يملك ما فى السـماوات و الأرض و يحيط علمه بما فيهما،هو القيوم عليهما.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ (۱)السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ عرشه و سلطانه و امتداد نفوذ مشيئته،واسع للسماوات و الأرض.فكل شىء تحيط به قدرته،و يدبر أموره و يصـرف شؤونه ليل نهار،دون ان تتعبه اداره ملكوت السماوات و الأرض،أو ان تحجبه المجرات الكبيره بما فيها من شموس و أقمار،عن اداره ما فى الذره المتناهيه فى الصغر بما فيها من نواه و توابع.

وَ لاٰ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا لأنه تعالى عن التعب و الإعياء،انه يقول للشىء كن فيكون.

وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ علىّ لأنه حى تعالى عن اى صفه عجز.و عظيم لأنه قيوم على كل شىء.

[۲۵۶]هذا هو ربنا و هذا علاه و عظمته و هذه قدرته و سلطانه،أ فنتخذ بعد ذلك

۱- ۱) جاء فى حديث مأثور عن الامام على عليه السـلام : «ان السماء و الأرض و ما بينهما من خلق مخلوق فى جوف الكرسى،و له اربعه أملاك يحملونه بأمر اللّه». (الميزان الجزء ۲-ص ۳۴۱)

إلها من دونه،أو قائدا لا يرضى ربنا به.ان القلب الذى عمّر بالايمان بالله،كيف يعظّم أحدا سواه،أم كيف يعبد إله من دون الله،و كيف لا يثور ضد هؤلاء الاقزام الذين يطغون فى الأرض بغير الحق و يأمرون الناس بطاعتهم.

لاٰ إِكْرٰاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ و لا يحتاج الى بيان آخر،ان الله هو لا اله الا هو و على الناس ان يطيعوه و يتخذوه وليا من دون الشركاء و الطواغيت.

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّٰاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقىٰ لاَ انْفِصٰامَ لَهٰا وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لأنه استعاد حريته و انسانيته،و استطاع ان يستثمر طاقاته فى السبيل الأقوم.

و ايه قوه هى أقوى من الإنسان حين يكفر بالطاغوت،و يتمرد على كل سلطه تستعبده و تستغله،ثم يؤمن بالله و يعمر قلبه بالثقه و الأمل و التواضع للحق و التسليم له؟! ان القوه الحقيقيه فى هذا الكون هى قوه الحريه(الكفر بالطاغوت)و قوه الحق (الايمان بالله).و اللّه يؤيد بنصره من يشاء،و هو سميع لما يقولون من كلمه كفر أو ايمان،و عليم بما يضمرون من نيه صالحه أو خبيثه.

[۲۵۷]ان فى الحياه سلطه حقيقيه واحده-متمثله فى سلطان الله-و قدره و قضائه،و بالتالى سننه الحتميه،و انظمته التى لا تتحول و لا تتبدل. و من خضع لهذه السلطه،و اتصل بها،و استمد منها القوه و الشرعيه،استطاع ان يسخّر الحياه، و يصبح خليفه عليها من قبل تلك السلطه.و من كفر بها و تمرد عليها،و فتش عن سلطات وهميه و استسلم لها،ظل عبدا و تاه فى ظلمات لا يبصر.

ص:۴۴۵

اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ لأنه وليهم و سيدهم،و هم اتصلوا بسلطانه،و استمدوا منه القوه و الشرعيه و النور.

و الهدى الذى لا يحصل عليه الإنسان ما دام مستعبدا للطواغيت.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ إذا فالإنسان الذى لا يخضع لله،لا يتمرد على الطاغوت،لأنه أساسا يكفر بالله استجابه لضغط الطاغوت المتمثل فى المجتمع الفاسد،و النظام الفاسد و الاقتصاد الفاسد و..و..و من يستعبده الطاغوت،فأول ما يسلبه منه،قدرته على التفكير و استقلاله فيه،فلا يرى الا ما يراه الطاغوت.و لا يعمل الا بما يملى عليه.من هنا يفقد عقله الذى وهبه الله للإنسان.

ان الشرط الاول للفكر السليم،هو التحرر من الاستعباد و التبعيه.لان العقل لا يتحرك الا بوجود الثقه و الحاجه.و الرجل الذى انّى له الثقه بذاته أو الشعور بالحاجه الى التفكر،ما دام لا يحتاج الى التفكر،و لن يطبق نتائج الفكره لو قدّر له عرضا ان فكر فى شيء.

و التفكير السليم،هو الشرط الاول للقوه فى الحياه.من هنا ركّز القرآن الحكيم على ان الايمان بالله يعطى صاحبه التحرر،و التحرر يعطيه القوه(التمسك بالعروه الوثقى)و العلم(يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ).

و لكن اى ايمان هذا الذى يعطينا القوه و العلم..انه الايمان الواعى،لا الايمان المكره عليه فهو الآخر نوع من الاستعباد و الخضوع للطاغوت.أ رأيت لو آمن شعب بالله لان السلطه السياسيه فيه أجبرته عليه،هل هذه حريه أم استعباد..؟بالطبع

ص:۴۴۶

استعباد،لان هذا الشعب سوف يكفر بالله لو ان السلطه السياسيه امرته بالكفر.من هنا تحدث القرآن فی بدایه الحدیث عن الحریه الدینیه و قال:لا إكراه في الدين.

[۲۵۸]من الذی یمثل السلطه الشرعیه الحقیقیه فی الحیاه،الله أم الطواغیت؟ انه الذی یمنح الحیاه لمن یشاء و یقدر له الموت حینما یشاء،الذی یجعل الحیاه تستمر بتزویدها بمقوماتها من نعم لا تحصی،الذی یدبر الشمس التی تطلع کل نهار لتملأ الدنیا دفئا و نورا و حیاه من هو غیر الله سبحانه..و لکن الظالمین لا یفقهون.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِی حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ .

فبدل ان یشکر ربه علی الملک الذی أتاه،انقلب علی ربه و طغی فی الأرض.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِی يُحْيِی وَ يُمِيتُ و لیس ربی مثلک أنت الطاغوت العاجز.

قَالَ أَنَا أُحْيِی وَ أُمِيتُ أمر باثنین حکم علیهما بالاعدام،ثم عفی عن واحد و قتل الثانی،و لکن هل کان بامکانه ان یعید المقتول الی الحیاه؟کلا.بید ان إبراهیم لم یشأ ان یجادله بل انه هزّ فطرته بصوره عنیفه تجعله امام الواقع بلا لبس و لا تشویه.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی كَفَرَ و لکن لماذا لم یؤمن؟لأنه کان ظالما،و الظالم یحجبه ظلمه عن الحق.انه لا یفکّر الا بمصالحه و اهوائه و شهواته.

ص:۴۴۷

وَ اللّهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ الرؤساء و الملوك الـذين يحاربون الـدعوات الاصـلاحيه،و الأغنياء و المترفون الـذين يناهضون الثورات،و الأحبار و الرهبان و العلماء الـذين يعادون الأفكار التقـدميه،انما هم ظالمون و يخشون العـداله و الإصـلاح.و كل ظالم اختـار عمليا سبيـل الاعتـداء على حقوق النـاس،فهو سـيقف فى صف الباطـل-فكريا-كما وقف فى صـفّه -عمليا-و يكفر بالحق عاجلا أم آجلا.

[۲۵۹]اما الـذين التزموا بالحق عمليا و لم يعتدوا على حقوق الناس،فسوف يهديهم الله،لان فطرتهم سـليمه و لا تحجبهم عن رؤيه الحقائق سوى الغفله التى يكشـفها الله عنهم،فاذا بهم يبصـرون الحقائق مثلهم مثل عزيز و إبراهيم،حيث هـداهم الله الى نفسه حين عرفهم انه هو واهب الموت و الحياه جميعا،و انه قادر على ان يحيى الموتى.

ان سـياق الآيات لا يزال يحدثنا عن تدبير الله سـبحانه مباشره للحياه،و يلهمنا افكارا-عمليه-مستوحاه من هذه الحقيقه و لقد رأينا آيه الكرسـى كيف انتهت بنا الى ضـروره رفض حكم الطواغيت،اما هنا فينتهى بنا السـياق الى ضروره الايمان بالبعث انطلاقا من الايمان بقدره الله الواسعه.لنعد الى الآيه و لنستمع الى قصه عزير الذى هداه الله الى نفسه.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلىٰ قَرْيَةٍ وَ هِيَ خٰاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا قٰالَ أَنّٰى يُحْيِي هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهٰا فَأَمٰاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عٰامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قٰالَ كَمْ لَبِثْتَ قٰالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قٰالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عٰامٍ و كان مع عزير حماره و طعامه،الحمار كان قد أصبح رميما،اما طعامه فلم يزل طريا كذلك أراد الله ان يبين لعبده قدرته و تدبيره المباشر لشؤون الحياه فقال له:

فَانْظُرْ إِلىٰ طَعٰامِكَ وَ شَرٰابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ اى لم يتعفن..بالرغم من مرور مائه عام.عليه اما الحمار فقد انتهى الى رميم و لكن سيبعثه الله من جديد.

وَ انْظُرْ إِلىٰ حِمٰارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّٰاسِ حيث ان الله أحياك،من بعد موت دام مائه عام، و أحيا أمامك حمارك لتنظر اليه،و تنقل الى الناس كيف،و بأيه صوره يحيى الله الموتى.كذلك أخّر الله احياء الحمار حتى تتم العمليه امام عينه.

وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظٰامِ كَيْفَ نُنْشِزُهٰا نركّبها بعضها على بعض و نرفعها الى بعضها-بدقه-.

ثُمَّ نَكْسُوهٰا لَحْماً فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ قٰالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و هذه هى الحقيقه التى لا بد ان نفهمها جيدا.هى ان قدره الله ليست محدوده كما هى قدراتنا.

[۲۶۰]و قصه عزير تشبه قصه إبراهيم،العبد الصالح،الذى هداه الله الى نفسه،و قال عنه:

وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتىٰ قٰالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قٰالَ بَلىٰ وَ لٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ذلك ان الايمان درجات أعلاها:درجه اليقين و الاطمئنان،الذى يطرد تماما شيطان الشك من النفس،و لا يعود الإنسان يرتاب أبدا.و هذا النوع سمّى فى ايه

اخری ب(عین الیقین).

قَالَ فَخُـذْ أَرْبَعَـةً مِنَ الطَّیْرِ فَصُـرْهُنَّ (۱)إِلَیْـکَ ثُمَّ اجْعَـلْ عَلیٰ کُـلِّ جَبَـلٍ مِنْهُـنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُـنَّ باسـمائهن الواحـد بعد الآخر..الغراب،الحمام،العصفور،و هکذا..

یَأْتِینَکَ سَعْیاً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ فهو قادر و یفعل بقدرته فی الحیاه ما یشاء فهو عزیز الجانب لا یغلبه أحد و لا شیء و هو حکیم لا یتصرف عبثا و من دون هدف..

ص:۴۵۰

۱- ۱) صرهنّ:بضم الصاد بإحدی القراءتین من صار یصور إذا قطع أو أمال،و بکسر الصاد علی القراءه الاخری.من صار یصیر بإحدی المعنیین و قرائن الکلام تدل علی اراده معنی القطع،و تقدیمه بإلی تدل علی تضمین معنی الاماله،فالمعنی:اقطعهن ممیلا إلیک أو أملهن إلیک قاطعا إیّاهنّ.(المصدر-ص ۳۷۴)

[سوره البقره (۲): الآيات ۲۶۱ الى ۲۷۴]

اشاره

مَثَلُ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اَللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اَللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۱) اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اَللّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۶۲) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَ اَللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (۲۶۳) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ اَلْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ اَلنّاسِ وَ لا يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمّا كَسَبُوا وَ اَللّهُ لا يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلْكافِرِينَ (۲۶۴) وَ مَثَلُ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ اِبْتِغاءَ مَرْضاتِ اَللّهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۶۵) أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ اَلثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ اَلْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اَللّهُ لَكُمُ اَلْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۶۶) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ وَ لا تَيَمَّمُوا اَلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۲۶۷) اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ اَلْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اَللّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۸) يُؤْتِي اَلْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا اَلْأَلْبابِ (۲۶۹) وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اَللّهَ يَعْلَمُهُ وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۲۷۰) إِنْ تُبْدُوا اَلصَّدَقاتِ فَنِعِمّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا اَلْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۲۷۱) لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَّ اَللّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ ما تُنْفِقُونَ إِلاَّ اِبْتِغاءَ وَجْهِ اَللّهِ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (۲۷۲) لِلْفُقَراءِ اَلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اَللّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي اَلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ اَلْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ اَلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ اَلنّاسَ إِلْحافاً وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اَللّهَ بِهِ عَلِيمٌ (۲۷۳) اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ اَلنَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۷۴)

اللغه

۲۶۱[أنبت]النبت الحشيش و كل ما ينبت من الأرض يقال نبت نبتا.

۲۶۳[غنى]الغنى الواسع الملك و اللّه غنى بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شىء منها و الغنى ضد الحاجه و الغنى الكفايه.

۲۶۴[منّ]المن هو ذكر ما ينقص المعروف كقول القائل أحسنت الى فلان و أنعشته و أصل المن القطع و منه قوله« لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » أى غير مقطوع.و سمى ما يكدر المعروف منه لأنه يقطع الحق الذى يجب به.

[آذى]ضرر يتعجل وصوله الى المضرور.

۲۶۵[بربوه]الربوه المرتفع من الأرض.

[طل]المطر الصغار يقال أطلت السماء فهى مطله و روضه مماطله نديه.

ص:۴۵۲

۲۶۶[إعصار]الاعصار غبار يلتف بين السماء و الأرض كالتفاف الثوب فى العصر.

۲۷۱[الصدقات]الفرق بين الصدقه و الزكاه لا تكون الا فرضا

ص:۴۵۳

و الصدقه قد تکون فرضا و قد تکون نفلا.

[تخفوها]تستروها.

۲۷۳[سیماهم]السیماء العلامه التی یعرف بها الشیء الشیء و أصله الارتفاع لأنه علامه رفعت للظهور و منه السوم فی البیع و هو الزیاده فی مقدار الثمن الارتفاع فیه عن الحد.

[إلحافا]إلحاحا فی المسأله و قیل الحف شمل بالمسأله و هو مستغن عنها و اللحاف من هذا اشتقاقه لأنه یشمل الإنسان فی التغطیه.

ص:۴۵۴

الإنفاق فی سبیل اللّه

هدی من الآیات:

الإنفـاق فی سبیل الله نتیجه مباشـره للایمان بالله و علامه علی عمق الیقین بان الله هو القادر علی الکون و انه واهب الحیاه و الغنی و الملک و الهدی.

و شخصیه المسلم تتمیز بأنها معطاءه،و عطاؤها لیس من أجل شهره أو ریاء،بل فی سبیل الله.و وفق المنهاج الذی رسم له الله.

و القرآن تحـدث عن الإنفـاق فی أکثر السور،الاّ ان حـدیثه هنا یتمیز بالجوانب النفسـیه للإنفاق،و التی تعالجها سوره البقره أکثر من غیرها،فالإنفاق هنا جاء کمظهر من مظاهر الایمان بالله و الیوم الآخر.

ففی الآیه الاولی نجـد التوجیه الی ضـروره ان یکون الإنفـاق فی سبیل الله و فی الثانیه و الثالثه و الرابعه الاّ یکون وراءه منّ و لا أذی.اما الخامسه فهی تضرب مثلا علی الإنفاق فی سبیل الله کیف انه یثبت الایمان،اما الآیه السادسه فهی تأمر بان

یکون الإنفاق من المال الطیّب و لیس الخبیث و هکذا..

بینات من الآیات:

[۲۶۱]الله هو واهب الحیاه و واهب نعمها،و الآن یطلب منا ان نقدّم له بعضا مما أعطانا،حتی یعوضنا عنه أضعافا مضاعفه،إنّ ما نقدّم لله لن یضیع،بل مثله کالحبه التی ندفنها تحت الأرض،فهی لا تنتهی،بل الاخری التی ناکلها هی التی تنتهی،امّا هذه التی سترناها تحت الأرض،فهی تنمو و تنمو حتی تصبح مئات الحبات،هذا صنع الله،انه یأخذ منک قدرا بسیطا من المال تنفقه فی سبیله فیضاعفه لک.

مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّٰهُ یُضٰاعِفُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ [۲۶۲]قد یکون الإنفاق فی سبیل الله فی ظروف صعبه،کان یکون صاحبه قلیل المال،و لکنه ینفق علی من هو أفقر منه،أو یؤثر الآخرین علی نفسه و بها حاجه،أو یتحدی بالإنفاق سلطات الطاغوت،أو یداوی جرح مظلوم.و انئذ یکون الجزاء بقدر المشقه،و بحسب الظروف الموضوعیه و النفسیه التی تکتنف الإنفاق، و الله یعلم بهذه الظروف تماما،و قادر علی ان یضاعف العطاء بسببها.

إذا الإنفاق فی سبیل الله نوع من الاستثمار فی الحیاه الدنیا و الآخره،و لکن هذا الاستثمار مهدد بالخساره،لو لم یحافظ علیه صاحبه،و یقاوم شهوه الشهره و السلطه، و لا یتبع إنفاقه بالمنّ و الأذی.

اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ یُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا،مَنًّا وَ لاٰ أَذیً فلا یشبع شهوه الشهره،أو السلطه،فی نفسه عن طریق الإنفاق،فیتعالی علی

الفقير،أو يتجبر عليه بغير حق،و يكوّن لنفسه طبقه ضد طبقه الفقراء.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ [۲۶۳]ثم يؤكد القرآن هذا الشرط الصعب فى الإنفاق،و الذى يحتاج تحقيقه الى ترويض شديد للنفس الاماره بالسوء،و ردع دائم للشهوات الشيطانيه فيها.

يؤكده و يقول:

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهٰا أَذىً فلو لم يدفع الغنى ماله للفقراء،و لكنه يجالسهم و يحسب نفسه واحدا منهم و يعتبرهم إخوانه،و لم يتسلط عليهم،بل إذا صدرت منهم خطيئه صبر عليها، و غفرها لهم.هذا أفضل عند الله من ان يدفع ماله بدافع السيطره عليهم،و تذليل كرامتهم،و تكوين حاله طبقيه فى الامه.

هكذا يرفض الإسلام اى نوع من الإنفاق المشروط من قبل الأغنياء يكرّس كبرياءهم المزيفه،و تسلطهم اللامشروع.

وَ اللّٰهُ غَنِيٌّ فلا يحتاج الى إنفاق المرائين و لا غيرهم و انما المحتاج هو الإنسان نفسه و هو سبحانه.

حَلِيمٌ لا يأخذ الناس بالعذاب بل يترك المجال مفتوحا لهم ليتوبوا حينما يغلبهم الشيطان.

[۲۶۴]و يتابع القرآن الحديث عن ذات الفكره بكلمه توجيهيه للمؤمنين يحذر فيها من ان صدقاتهم سوف تتبخر،بل و تحترق،بمجرد استخدامها فی سبيل السيطره على الفقراء و المحرومين،و لا تعود الصدقات سببا لنمو المال،و لا لرحمه الله فی الآخره.

و يضرب لنا مثلا موضّحا و يقول:أ رأيت كيف يبطل الإنسان عمل الخير؟انه أشبه شیء بأرض جبليه صمّاء،جمع الفلاح حفنه من التراب عليها ليزرع فيها، و لكن سيول المطر ذهبت بتلك الحفنه من التراب،فعادت الأرض كطبيعتها الاولى،لا تصلح للزرع،هكذا..الذی ينفق ماله، ثم يستخدم إنفاقه للسيطره كالصحراء لا تصلح لنبات الخير..

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ كَالَّذِی يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ حتى يراه الناس فيرضون عنه،و يقدرون جهوده،و بالتالی يتعالى عليهم.

وَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ حتى يكون عطاؤه فی سبيله،فهو لا يعمل لوجهه.

وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ و ما دام ايمانه باليوم الآخر ضعيفا فهو يبحث عن الشهره و السمعه،النتائج العاجله،فسعيه يكون للدنيا وحدها..دون ان تدخل فيه حسابات الآخره..

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً الصفوان:الحجر الأملس المستويه،و الوابل:المطر الشديد الوقع،و الصلد:

ص:۴۵۹

الصخره الملساء التی لا تنبت شیئا.

لاٰ یَقْدِرُونَ عَلیٰ شَیْءٍ مِمّٰا کَسَبُوا لأنهم أبطلوا استثمارهم،و لم یبق لدیهم شیء فی بورصه الآخره.

وَ اللّٰهُ لاٰ یَهْدِی الْقَوْمَ الْکٰافِرِینَ بل تتحول قلوبهم کتلک الصخره الصماء،لا تزرع فیها الهدایه،لأنّها -أساسا-لا تطلب الهدایه،بل تعشق السلطه و السیطره و التکبّر علی الناس.

[۲۶۵]و هناک مثل آخر،یعاکس هذا المثل تماما،إنّه مثل المؤمنین المخلصین لله فی إنفاقهم:إنّهم سوف یحصلون علی ثلاث فوائد،الاولی:اکتساب مرضاه الله،و الثانیه:تزکیه أنفسهم و تربیتها علی التقوی و العطاء،و الثالثه:جنی ثمار العطاء فی شکل ثواب عظیم فی الدنیا و فی الآخره.

وَ مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ وَ تَثْبِیتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ لان الایمان،کأیه موهبه اخری،تزداد کلما استفاد الإنسان منها،کالاراده تقوی کلما تحدت الصعاب،و المعرفه تزداد کلما انتفع بها صاحبها فی العمل، و الحب ینمو کلما اهتم به صاحبه،و هکذا الایمان یثبته العمل الصالح و ینمّیه.

کَمَثَلِ جَنَّهٍ بِرَبْوَهٍ فهی جنه أساسا..لا مجرد صخور،کذلک قلب المؤمن،ارض قابله للزراعه..

أَصٰابَهٰا وٰابِلٌ عن طریق العمل الصالح المرکّز..کالانفاق فی الظروف الحرجه،حیث انه

سوف يضاعف من قوه الايمان،و ثباته فى النفس.

فَآتَتْ أُكُلَهٰا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهٰا وٰابِلٌ فَطَلٌّ إذ ان طبيعه الجنّه،انّها تستدر الرطوبه و تكثفها فى الفضاء،فلا بد ان يصيبها طل،مطر خفيف،أو رطوبه مفيده،كذلك القلب المؤمن حتى و لو لم يواجه بنجاح تحديات خطيره(كالانفاق فى المجاعه)فانه سوف يمارس الأعمال الصالحه اليوميه، مما يحافظ على ايمانه.

وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فلا تفكروا فى الناس و لا تراؤوهم،كفى بالله رقيبا على أعمالكم،و كفى به مثيبا.

[۲۶۶]و يضرب الله:مثلا رائعا لما يصيب الإنسان من خيبه أمل بسبب إحباط اعماله،يوم يحتاج الى الجزاء،فيكتشف أنّ لذه الشهره.أو السيطره التى أرادها من عمله فاتبعه بالمن و الأذى،قد ذهبت بخيراته،و أصبحت هباء منثورا، يقول ربنا:

أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنٰابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ لَهُ فِيهٰا مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ وَ أَصٰابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفٰاءُ كم يحتاج هذا المسكين الى هذه الجنه،التى هى خلاصه جهوده فى الحياه الدنيا..؟و لكن كيف به إذا أحاط الخطر بجنته.

فَأَصٰابَهٰا إِعْصٰارٌ فِيهِ نٰارٌ فَاحْتَرَقَتْ هل يمكن تصور خيبه أمل هذا الشيخ المحروم من جهده،كذلك هى حاله ذلك

الـذی أنفق أمواله رجاء الثواب،ثم بعث بنار المنّ و الأذی،فالتهمت ثواب إنفاقه، و یوم احتاج الی ذلک الثواب لم یجده،و وجد الله هناک أعدّ له نارا لاهبه،جزاء ریائه و کبریائه السخیفه.

کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ [۲۶۷]إذا الشرط الاول للإنفاق الصالح:ان یکون فی سبیل الله،و الشرط الثانی الا یتبع بالمن و الأذی،فلا یستثمر من أجل تکریس الطبقیه فی المجتمع، و الشرط الثالث یبیّنه القرآن فی هذه الآیه و یقول:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا کَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لاٰ تَیَمَّمُوا الْخَبِیثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ فعلیکم باختیار أفضل ما عندکم،سواء حصلتم علیه بالجهد،کما المال و البناء،و ما صنعتم بأیدیکم،أو لم تصرفوا فیه جهدا،کما الزرع و الضرع..المهم ان تختاروا أفضل أموالکم لتقدموه لله،و لا تتوجهوا نحو الخبیث،حتی تختاروه للإنفاق،و فکّروا لو عکست الآیه و کنتم أنتم الفقراء و غیرکم ینفق علیکم هل کنتم تقبلون بهذا الخبیث؟ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِیهِ إِلاّٰ أَنْ تُغْمِضُوا و تتساهلوا.

فِیهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ غَنِیٌّ حَمِیدٌ و لیس بحاجه الی انفاقکم،فهو غنی و هو حمید فی غناه.یتفضل علیکم من بحر

غناه فیحمده الجمیع و أنتم-عباد الله المؤمنین به-تخلّقوا بأخلاق ربکم،و أعطوا من غناکم شیئا یحمدکم الناس علیه.

[۲۶۸]و لا تستجیبوا لصراخ الشیطان الذی ینادیکم من داخل أنفسکم:

لا- تنفقوا لأنکم سوف تصبحون فقراء لو أنفقتم،کلا-.إنّ الإنفاق یدوّر الثروه بین الناس،و یسبب انتعاش الاقتصاد،و بالتالی استفاده الجمیع،و حین یدعوکم الی العطاء،فانّه یدعوکم الی أفضل منه،و من جهه اخری،الشیطان یخوفکم من الفقر، فتمسکون أیدیکم فیکرهکم الناس،و تنتشر البغضاء،و تتولد منها الفحشاء،أو لیس الأفضل هو الإنفاق،حتی ینتشر بدل الحقد:المحبه و الوئام.

اَلشَّیْطٰانُ یَعِدُکُمُ الْفَقْرَ لانّه یخوفکم منه أجل،و لکن لماذا یرید الإنسان المال؟أ لیس حتی یتصرف فیه بحریه؟أما إذا جاءه الفقیر،فانه سوف لا یتصرف فی المال،و إذا فما الفرق بینه و بین الفقیر الذی لا یملک شیئا،کلاهما لا یملک قدره التصرف فی المال.

و من یخشی الفقر یهضم الحقوق و یظلم الناس و یشیع الفحشاء فی المجتمع و هذا من عمل الشیطان.

وَ یَأْمُرُکُمْ بِالْفَحْشٰاءِ وَ اللّٰهُ یَعِدُکُمْ مَغْفِرَهً مِنْهُ متمثله فی السلام داخل قنوات المجتمع.بالاضافه إلی تزکیه النفس من رواسب الذنوب،و النجاه من النار فی الاخره.

وَ فَضْلاً متمثلا فی مردود العطاء فی سبیل الله حیث ینزل بالطبع علی المنفق بالخیر

ص:۴۶۳

الکثیر.

وَ اللّهُ واسِعٌ العطاء..إذا أنفق فی سبیله.

عَلِیمٌ بمن ینفق فیجازیه خیرا من لدنه.

[۲۶۹]هـذه حکمه و علم للحیاه،و معرفه بالقوانین الثابته التی تحکمها،أن العطاء یزیـد من المال و البخل ینقصه..و لکن لیس کل الناس یملکون الحکمه التی هی خیر کثیر،لانّ التعرف علی الحیاه طریق للسیطره علیها.

یُؤْتِی الْحِکْمَهَ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ الذین أوتوا العقل،و یستفیدون من عقولهم بالتنبیه و التذکره،لان العقل یکتشف الأشیاء و یحیط بها علما،بشرط ان یتوجّه إلیها،و مهمه التذکره التوجیه الی العقل.

[۲۷۰]تـأثیر العطـاء فی الرخـاء الاقتصـادی،تأثیر فطری ترعاه سـنه الله فی الحیاه،سواء عرف الناس بالعطاء أم لا،لان علم الناس أو جهلهم،بالعطاء لیس له اثر فی مـدی تأثیر العطاء فی نمو الاقتصاد،و یکفی:أنّ الله یعلم بـذلک،و هو الـذی یزید الثروه بالإنفاق لا الناس.

وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَهٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ یَعْلَمُهُ

فیجزی به خیرا،سواء کان انفاقکم بسابق نـذر أو لا،اما الـذین لا ینفقون أموالهم و لا یفون بنـذورهم،فحتی لو اعتقـد الناس أنّهم فعلوا ذلک،فلن ینفعهم ادّعاؤهم بالإنفاق،أو ادّعاؤهم به فی نمو أموالهم،أو فی منع الکوارث عنهم.

وَ مٰا لِلظّٰالِمِینَ مِنْ أَنْصٰارٍ یمکنهم من نصره الظالم،الذی لا یدفع حقوق الناس أو حقوق اللّه.

[۲۷۱]مهـدت الآیه السابقه للحـدیث عن کتمان الإنفاق،و جاءت هـذه الآیه تشـرحه بوضوح أکثر..ما دام الإنفاق فی سبیل اللّه و لیس بهدف الاستعلاء علی الناس،فهو عمل صالح و لا یضره علم الناس به،و لکن کتمانه أفضل،لأنّه ابعد عن هواجس النفس و وساوس الشیطان..

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقٰاتِ فَنِعِمّٰا هِیَ خصوصا إذا کان ذلک یشجّع الآخرین علی العطاء.

وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ یُکَفِّرُ عَنْکُمْ مِنْ سَیِّئٰاتِکُمْ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ فلستم بحاجه أبـدا الی علم الناس..بل اللّه یعلم،و هو یزیدکم بالإنفاق خیرا، و یدفع عنکم الضر،و یکفر بعض السیئات..

[۲۷۲]و الإنفـاق انمـا هو فی سبیـل اللّه،و لیست القیاده الاسـلامیه إلاّ قناه للمال المنفق توصـله الی مستحقیه،و لیست مسئوله عن إنفاق الأغنیاء أکثر من ذلک..

لَیْسَ عَلَیْکَ هُدٰاهُمْ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ

ص:۴۶۵

انما المسؤول الاول عن اعمال الشخص هو ذاته،لان فوائده و اضراره تصيبه مباشره.

وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ و لا يحسب إنفاق عند الله،الا ذلک الإنفاق الخالص لوجه الله.

وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ و الإنفاق لا يختص بالمال،بل يمكن ان يشمل اى شىء يملكه المرء كالجاه حين يبذله فى خير الضعفاء،و العلم يدل به الجهال الى الخير،و كل شىء ينفق فهو محبوب عند الله فى كتاب،مجزى به غدا.

وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ [٢٧٣]الى هنا عرفنا شروط الإنفاق الصالح،يبقى ان نعرف:اين ننفق الأموال و لمن؟ يجيب السياق على هذا السؤال.

لِلْفُقَرٰاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ بسبب منع العدو لهم،كالذين اخرجوا من ديارهم،لأنهم لم يستسلموا للطاغوت..أو بسبب الضعف و المرض كالمحاربين القدامى الذين أكلت المعارك شبابهم،ثم أصبحوا ضعفاء،لا يستطيعون امتهان عمل،و لا يمكنهم العوده الى عملهم السابق.

يَحْسَبُهُمُ الْجٰاهِلُ أَغْنِيٰاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

ص:۴۶۶

لأنهم لا يسألون أحدا شيئا لكرامتهم و عفه نفوسهم..

تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ [۲۷۴]و كلمه اخيره فى الإنفاق فى سبيل الله على الإنسان الا يضع حدا لانفاقه بل عليه ان ينفق،أنى وجد ثغره فى المجتمع يحاول سدها بإنفاقه،و يكون من اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ

ص:۴۶۷

[سوره البقره (۲): الآيات ۲۷۵ الى ۲۸۱]

اشاره

اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ اَلرِّبٰا لاٰ يَقُومُونَ إِلاّٰ كَمٰا يَقُومُ اَلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ اَلشَّيْطٰانُ مِنَ اَلْمَسِّ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا إِنَّمَا اَلْبَيْعُ مِثْلُ اَلرِّبٰا وَ أَحَلَّ اَللّٰهُ اَلْبَيْعَ
وَ حَرَّمَ اَلرِّبٰا فَمَنْ جٰاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فَلَهُ مٰا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اَللّٰهِ وَ مَنْ عٰادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (۲۷۵)
يَمْحَقُ اَللّٰهُ اَلرِّبٰا وَ يُرْبِي اَلصَّدَقٰاتِ وَ اَللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ كَفّٰارٍ أَثِيمٍ (۲۷۶) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتَوُا
اَلزَّكٰاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۷۷) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ ذَرُوا مٰا بَقِيَ مِنَ اَلرِّبٰا إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۷۸) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوٰالِكُمْ لاٰ تَظْلِمُونَ وَ لاٰ تُظْلَمُونَ (۲۷۹) وَ
إِنْ كٰانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۲۸۰) وَ اِتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اَللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ
نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ (۲۸۱)

اللغه

۲۷۵[الربا]الزياده من قولهم ربا الشيء إذا زاد و الربا هو الزياده على رأس المال و أربى الرجل إذا عامل في الربا

و منه الحديث «من أجبى فقد أربى».

[يتخبطه]التخبط أصله الخبط و هو الضرب على غير استواء و الخبط ضرب البعير الأرض بيده و يقال للذي يتصرف في أمر و لا يهتدي فيه فهو يخبط خبط عشواء.و التخبط المس بالجنون و التخبل لأنه كالضرب على غير استواء في الادهاش.

۲۷۶[يمحق]المحق نقصان الشيء حالا بعد حال يقال اللّه يمحقه محقا فانمحق و امتحق أي هلك و تلف بذهابه حالا بعد حال و المحاق آخر الشهر لانمحاق الهلال فيه.

[أثیم]المتمادی فی الإثم.

۲۸۰[نظره]تأخیر.

[میسره]المیسر و المیسور بمعنی الیسار و الغنی و السعه.

ص:۴۶۹

الربا و الفساد الاقتصادی

هدی من الآیات:

من النـاس من ینفق فی سبیـل الله علی الضـعفاء،و منهم من یعکس تمامـا فیسـتغل الضـعفاء،و یبنی کیـانه الاقتصادی علی انقاض ثرواتهم المحـدوده،هؤلاء هم المرابون الـذین یتحـدث عنهم القرآن هنا،لأنهم الوجه المتناقض مع المنفقین الـذین تحدث عنهم الدرس السابق.

و الآـیه الاـولی تحـدثت عـن النتائـج المره للخلـط بیـن الـبیع و الربـا،و بینـت الآـیه الثـانیه الفرق بیـن المنفـق فی سبیـل الله و المرابی،فالأول یضاعف له الله و الثانی یمحقه.

و بعـد ان وجه القرآن الانظار الی الصـلاه و الزکاه باعتبارهما وسـیلتی خلاص للمؤمن من ضـغط الشـهوات و منها شـهوه الاثراء السریع بالربا،بعدئذ وجه نداء آخرا للمؤمنین بترک الربا و الاکتفاء فقط برأس المال،و لم یکتف القرآن بذلک.بل

امر فی الآیه التالیه بأن یعطی مهله کافیه لمن لا یستطیع تسدید دیونه،اما الآیه الاخیره فقد ذکرتنا بالتقوی،تلک الصفه النفسیّه التی یکون تجنب الربا واحدا من مظاهرها.

بینات من الآیات:

آثار الربا:

[۲۷۵]التجاره تزید العقل،لأنها تحمل بین طیاتها مخاطر الخساره،فیفکر صاحب التجاره بکل أسلوب ینجح تجارته و یجنبها الخساره،و بالتفکر المستمر ینمو العقل اما لو اطمأن الإنسان الی مصدر ثابت من الربح یأتیه بلا تعب فلما ذا یفکر؟! انه یعطل عقله لأنه لا یحتاج الیه شیئا فشیئا یضمر العقل حتی ینتهی،و الربا هو ذلک المصدر الثابت الذی ینتظره کل الکسالی حیث یأملون ان تکون لدیهم ثروه معینه یقرضونها للفقراء مقابل جزء من جهدهم،سواء خسر أولئک الکادحون أم ربحوا،و بذلک فان اخطر إضرار الربا هو تشجیعه علی تکوین طبقه من المترفین و المعتوهین فی المجتمع.

اَلَّذِینَ یَأْکُلُونَ الرِّبٰا لاٰ یَقُومُونَ إِلاّٰ کَمٰا یَقُومُ الَّذِی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ لا یجهدون أنفسهم إنما یقومون و یتحرکون لمجرد اللهو حیث یخالطهم خبل من الشیطان.

إن هذا الخبل نتیجه طبیعیه لاختیارهم السیء منذ البدایه،حیث انهم اختاروا الربا،و خلطوا بینه و بین البیع،فخالطهم الخبل و أصبحوا معتوهین طبیعیا،لخلطهم

الباطل بين البيع و الربا.

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰا و زعموا انه كما يجوز التعامل بالبيع و الاكتساب به،كذلك يجوز الاكتساب بالربا،فالبيع عندهم هو الربا بالضبط،و لكن بصوره اخرى:أنت فى البيع تعطى سلعه و تأخذ ثمنا،و هنا تعطى قرضا و تأخذ إيجاره.كلا..

وَ أَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبٰا بالطبع ليس عبثا انما لهدف محدد هو:منافع البيع و إضرار الربا.

فَمَنْ جٰاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فَلَهُ مٰا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ له ما سلف من رأس أمواله،و هو مرجو لأمر الله إن يشأ يعذبه أو يتوب عليه.

وَ مَنْ عٰادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ [۲۷۶]و الربا يسبب تكوين طبقه من المترهلين و العاطلين عن العمل المنتج، فيؤخر اقتصاد المجتمع،و هو فى ذات الوقت يمتص جهود الفقراء،و لا يشجعهم على العمل الجاد،بينما الإنفاق فى سبيل الله،و إعطاء الفقراء صدقات لرفع عوزهم، و تهيئه رأس مال لهم،سوف يسبب فى تدوير الثروه،و تحريك عجله الاقتصاد، و تشجيع العاطلين على العمل من هنا تقع الصدقات،فى مواجهه الربا تماما.

يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰا وَ يُرْبِي الصَّدَقٰاتِ و الصدقات دليل على ايمان المنفقين و شكرهم لنعمه الثروه،بينما الربا دليل كفر المرابين الحقيقى!بالله، بالرغم من تظاهرهم بالايمان كما انه عمل اجرامى

ص:۴۷۲

و اثیم.

وَ اللّٰهُ لاٰ یُحِبُّ کُلَّ کَفّٰارٍ أَثِیمٍ و ربما جاءت کلمه الکفار بصیغه المبالغه للدلاله علی ان المرابی یکفر مرتین،مره حین لا یدفع للفقراء الصدقه،و مره حین یمتص جهود الفقراء بالربا.

ما هو العلاج؟

[۲۷۷]کیف نتخلص من الربا؟ان القلب البشری یهوی الثروه،و من الصعب التخلص من هذا الهوی؟ یقول القرآن الحکیم:أن طریقه الخلاص من شهوه الثروه هی الایمان بالله، و العمل الصالح،و الصلاه،و الزکاه.

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَ أَقٰامُوا الصَّلاٰهَ وَ آتَوُا الزَّکٰاهَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ [۲۷۸]ان تنمیه التقوی فی النفس هی مسئولیه المسلم نفسه،فعلیه الا ینتظر شیئا یربیه،أو شخصا یعظه،بل لیکن واعظ نفسه و مربیها،و لیتخلص من السلبیات و فی طلیعتها الربا.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ذَرُوا مٰا بَقِیَ مِنَ الرِّبٰا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ فاذا کانت بینکم و بین الناس ربا،فارضوا منهم فقط برأسمالکم، و اعفوهم عن الربا.

[۲۷۹]إذ لو لم تتقوا الله،فان الله یعلن علیکم حربا تتمثل فی تخلف

فتصادكم،و اشاعه الخلاف بينكم،و تسلط العدو عليكم،و نزول الكوارث الطبيعيه بكم.و غيرها..

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ [۲۸۰]يمكنكم استعاده رؤوس أموالكم التى دفعتموها للمقترضين دون أخذ الربا منهم،و لكن لا يجوز لكم الضغط عليهم.

وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ الذى استدان منكم.

فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ فلا بد من إعطاء مهله حتى يقدر على الوفاء،و الأفضل من إعطاء المهله هو التغاضى رأسا عن الدين،و اعتباره صدقه.

وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [۲۸۱]صحيح ان من الصعب عليكم ذلك،و لكن يجب على الإنسان ان يتجاوز الدنيا فى سبيل الحصول على الآخره،فغدا لا تنقذ الإنسان من عذاب الله ثروته أو شهرته.

وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ

ص:۴۷۴

[سوره البقره (۲): الآيات ۲۸۲ الی ۲۸۳]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اَللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ اَلَّذِي عَلَيْهِ اَلْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اَللّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ اَلَّذِي عَلَيْهِ اَلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اِسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ اِمْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ اَلشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا اَلْأُخْرى وَ لا يَأْبَ اَلشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اَللّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلاّ تَرْتابُوا إِلاّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلاّ تَكْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اَللّهُ وَ اَللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۸۲) وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ اَلَّذِي اُؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اَللّهَ رَبَّهُ وَ لا تَكْتُمُوا اَلشَّهادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۲۸۳)

ص:۴۷۵

العلاقه التكامليه بين

اشاره

التقوى و الأنظمه الاجتماعيه

هدى من الآيات:

تكميلا للحديث عن الإنفاق و الربا،تحدث القرآن فى الآيتين ما قبل الأخيرتين من سوره البقره عن التقوى فى الدين.مما يحتاج اليه المجتمع،و أمر ألا يعتمد أحد الطرفين على حسن سلوك الطرف الآخر،بل يضبط عمله،فيكتب دينه الى أجله و يستشهد عليه.و الكتابه تكون بيد أمين،يملى عليه صاحب الدين فيكتب.و ان لم يكن هناك كاتب،فلا بد أن يقبض صاحب الحق رهينه.

إن حكم الدّين،مثل بسيط و واضح للعلاقه التكامليه بين التقوى كرادع نفسى للمسلم عن الظلم،و بين الأنظمه الاجتماعيه التى تمنع الظلم.فلا يمكن أن يكتفى المجتمع بواحد عن الآخر.إذ قد يكون الظلم ناشئا من عامل السهو و الغلط و النسيان،و قد تكون التقوى ليست قويه الى درجه منع الظلم،و لكنها إذا قرنت بالأنظمه الاجتماعيه تصبحان معا عامل ردع ضد الظالم.

لهذا نجد:ان اللّه يأمر بالتقوى لتكميل ثغرات الانظمه،فالكاتب و الشهيد

و صاحب الحق و من يقترض منه،يجب ان يتزود كل أولئك بالتقوى،حتى يمكنهم التعامل من دون ظلم.الكاتب يكتب بالعدل،و الشهيد يقوم بالشهاده للّه، و صاحب الحق لا يسأم من كتابه دينه صغيرا أو كبيرا، و من عليه الحق(المقترض)لا يضار بالكاتب و الشهيد،كلّ هذه ثغرات قانونيه لا تسد إلّا بالتقوى.و تأتى آيه الدين لتكمل حديث القرآن هنا عن التقوى و ربطها بالأنظمه الاجتماعيه.

بينات من الآيات:

كتابه الدّين:

[۲۸۲]من هنا يقرر القرآن أن من المفروض أن يكون الدين الى أجل مسمى، و أن يكتب حتى تسهل المطالبه به،و بالتالى لا يحجم أحد عن إقراض أخيه بحجه الخوف من المماطله فيه أو إنكاره.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ و هنا تلقى المسؤوليه على المثقفين،فعليهم أن يراعوا العدل فى الكتابه فلا يزيدوا أو ينقصوا،و أن يتحملوا مسئوليتهم فى الكتابه فلا يحجموا عنها بسبب أو بآخر.

وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كٰاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لاٰ يَأْبَ كٰاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ و ليتذكر الكاتب ان اللّه هو الذى زوده بنعمه العلم،فعليه أن يؤدى شكر هذه النعمه باستثمارها فى خدمه المجتمع،فلا يمتنع عن الكتابه و ليكتب.

كَمٰا عَلَّمَهُ اللّٰهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ أىّ فليكتب الكاتب حسب ما يمليه عليه المقترض لا حسب ما يمليه الدائن،

لان المقترض هو الذی سوف یطالب بالمال فی الأجل المحدد،و علیه أن یعترف سلفا بما یمکن فرضه علیه.

وَ لْیَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ وَ لاٰ یَبْخَسْ مِنْهُ شَیْئاً و هنا یأتی دور التقوی حیث من الممکن أن یتلاعب المقترض فی الأوراق،فلا یعترف حین الکتابه بکل المال الذی استدانه،أو بالأجل المحدد له،فعلیه أن یتقی اللّه و لا یغیّر فی الکتابه الرسمیه،منذ البدء،تمهیدا لأکل أموال الناس بالإثم.

فَإِنْ کٰانَ الَّذِی عَلَیْهِ الْحَقُّ سَفِیهاً أَوْ ضَعِیفاً کأن یکون مریضا أو صغیرا.

أَوْ لاٰ یَسْتَطِیعُ أَنْ یُمِلَّ هُوَ بأیّ سبب من الأسباب کأن یکون مسافرا،أو شخصا کبیرا لا یمکن حضوره عند الکاتب أو ما أشبه،فآنئذ یقوم و کیله و ولیه بالإملاء علی الکاتب،و یعتبر إقراره و تعهده کافیین لمطالبه موکله أو ولیه بالحق.

فَلْیُمْلِلْ وَلِیُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِیدَیْنِ مِنْ رِجٰالِکُمْ علی الورقه الرسمیه.

فَإِنْ لَمْ یَکُونٰا رَجُلَیْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتٰانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدٰاءِ من الذین تقبل شهادتهم لمزید الثقه فیهم،و لکن لماذا تخلفت المرأه عن الرجل فی الشهاده؟ السبب ان المرأه قد لا تضبط الشهاده بسبب انصرافها عنها،و انشغالها عاده

بأمور اخرى، فكان من المفروض أن يزداد العدد لمواجهه النقص فى النوعيه.

أَنْ تَضِلَّ إِحْدٰاهُمٰا فَتُذَكِّرَ إِحْدٰاهُمَا الْأُخْرىٰ و إذا طلب من الشهداء الحضور فعليهم الحضور لأنه من دون حضورهم قد يضيع الحق.

وَ لاٰ يَأْبَ الشُّهَدٰاءُ إِذٰا مٰا دُعُوا و يجب أن يكتب دينه أنى كان قليلا أو كثيرا.

وَ لاٰ تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلىٰ أَجَلِهِ لأنه من دون الكتابه يتعرضون للنزاع،و النزاع قليله كثير،و قد يمنع النزاع الصغير من تدوير الثروه فى المستقبل.

ذٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهٰادَةِ وَ أَدْنىٰ أَلاّٰ تَرْتٰابُوا فاللّه يحب ذلك لأنه يضع حدا لأكل المال الحرام،و هو يسهل عمليه الشهاده، لأن النص المكتوب دليل قوى على الحق،و هو بالتالى يمنع انتشار الريب فى المجتمع الإسلامى،و اللاثقه التى تتسبب بدورها فى تحجيم المعاملات التجاريه.

إِلاّٰ أَنْ تَكُونَ تِجٰارَةً حٰاضِرَةً تُدِيرُونَهٰا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَلاّٰ تَكْتُبُوهٰا فلا يكتب لتسهيل عمليه التجاره من يد تاجر الى آخر،مما يعرف بالطبع مواقع تداول السلعه فلا يتعرض للنسيان،كما أن الإنكار فيها أو السرقه غير وارد.بسبب طبيعه انكشافها لدى الناس.

ص:۴۸۰

وَ أَشْهِدُوا إِذٰا تَبٰايَعْتُمْ لان ذلک أقسط عند اللّه،و أبعد للخلاف فی المستقبل.خصوصا فی الصفقات الکبیره کالعقارات.

وَ لاٰ يُضَارَّ كٰاتِبٌ وَ لاٰ شَهِيدٌ أیّ لا یجوز الإضرار بهما بسبب شهادتهم بالحق.

وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ فالإضرار بالکاتب أو الشهید یجعلهما یمیلون عن الحق و یجأرون الأقوی،و قد تکون أنت الأقوی الیوم،أما غدا فیکون خصمک هو الأقوی،بینما تکون أنت صاحب الحق ضعیفا.و إذا انتشر فی المجتمع الإضرار بالکاتب و الشهید،و بالتالی انتشرت الکتابات الوجاهیه و شهاده الزور،آنئذ قد تصبح أنت ضحیه هذا الفسوق،لذلک قال القرآن: (فُسُوقٌ بِكُمْ) أی فساد یشملکم کلکم،و هنا ثغره قانونیه تسّدها التقوی،إذ ینبغی أن یلتزم الجمیع بعدم الإضرار بالکاتب و الشهید التزاما نابعا من إیمانهم باللّه،حتی لا ینتشر الفساد و الفسوق.و أخیرا یذکرنا اللّه بعلاقه التقوی بالعلم،و یبیّن انه إذا کانت التقوی نابعه من الإیمان باللّه،فان العلم هو الآخر نعمه من نعم اللّه،فعلینا ألاّ نکتفی بواحد عن الآخر.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هذه الآیه أطول آیه فی القرآن،و تناولت العلاقه بین الغیب و الشهاده،بین الروح و الجسم،بین الإیمان و العلم،و بالتالی بین النصائح الخلقیه و الانظمه الاجتماعیه،و هی توصی بضروره الوصول الی الحق عبر أیّ وسیله مادیه أو معنویه مشروعه ممکنه،و یدع الباب مفتوحا أمام بعض الوسائل الحدیثه التی تکشف

صاحب الحق مثل التحقيقات الجنائيه،طبع الأصابع،الكشف العلمى على الخط،جهاز الكذب عن طريق تسارع نبضات القلب..و ما أشبه.إن كلّ وسيله ماديه توصلنا الى اليقين التام و العلم القاطع بالحقيقه يأمر الإسلام بها،و يعتمد عليها جنبا الى جنب اعتماده على روح التقوى النابعه فى النفوس.

[۲۸۳]و تكميلا للحديث عن الدّين يتحدث القرآن عن الرهن فيقول:

وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلىٰ سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كٰاتِباً فَرِهٰانٌ مَقْبُوضَةٌ فإن الرهن يساعد على استمرار العلاقه التجاريه بين الناس،فعمليه الرهن ليست مفروضه لذاتها،بل بهدف المحافظه على حق الدائن.

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمٰانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ فما دام الشخص وضع ثقته فيك فلا تخنه فى أمانته،و اتق اللّه لأنه سيطالبك بحق صاحب الأمانه،و يأخذه منك عاجلا أو آجلا.

وَ لاٰ تَكْتُمُوا الشَّهٰادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهٰا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فإذا كان أحد من الناس يعرف أمانه عند أحد،فليشهد لصاحب الأمانه و لا يكتم الشهاده.فإن ذلك سوف يسبب نقصا فى إيمانه.

[سوره البقره (۲): الآیات ۲۸۴ الی ۲۸۶]

اشاره

لِلّهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اَللّٰهُ فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ
عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۸۴) آمَنَ اَلرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلاٰئِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لاٰ نُفَرِّقُ بَیْنَ
أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا غُفْرٰانَکَ رَبَّنٰا وَ إِلَیْکَ اَلْمَصِیرُ (۲۸۵) لاٰ یُکَلِّفُ اَللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا لَهٰا مٰا کَسَبَتْ وَ عَلَیْهٰا مَا
اِکْتَسَبَتْ رَبَّنٰا لاٰ تُؤٰاخِذْنٰا إِنْ نَسِینٰا أَوْ أَخْطَأْنٰا رَبَّنٰا وَ لاٰ تَحْمِلْ عَلَیْنٰا إِصْراً کَمٰا حَمَلْتَهُ عَلَی اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِنٰا رَبَّنٰا وَ لاٰ تُحَمِّلْنٰا مٰا لاٰ طٰاقَةَ
لَنٰا بِهِ وَ اُعْفُ عَنّٰا وَ اِغْفِرْ لَنٰا وَ اِرْحَمْنٰا أَنْتَ مَوْلاٰنٰا فَانْصُرْنٰا عَلَی اَلْقَوْمِ اَلْکٰافِرِینَ (۲۸۶)

اللغه

۲۸۶[إصرا]کل ما عطفک علی شیء من عهد أو رحم. و أصل الباب العطف فالاصر الثقل لأنه یعطف حامله بثقله علیه.

ص:۴۸۳

المسؤوليه

اشاره

و مسقطات الأحكام

هدی من الآیات:

فی الدرس الأخیر من هذه السوره،یحدد اللّه بعض بنود المسؤولیه و التی تزرعها التقوی فی النفس،فیبیّن..

أولا-ان اللّه یحاسب الإنسان علی کلّ عمل،و علی کلّ نیه سواء أظهرها الإنسان أم لا.فما دامت النیه«الإراده»هی منشأ العمل،فان اللّه یحاسب علیها.

ثانیا:أهم مسئولیه علی الإنسان و هی مسئولیه الایمان باللّه و رسوله و الاعتقاد أبدا بالتقصیر امام اللّه.

ثالثا:یبین حدود مسئولیه الإنسان،انها فی إطار قدراته.فبقدر سعه قدرات الإنسان تتسع مسئولیاته،و کلّ إنسان یتحمل مسئولیاته دون مسئولیات الآخرین.

و هنا استثناءات فی المسؤولیه منها:الخطأ و النسیان و الحرج و العجز(الضرر).

هـذه الاسـتثناءات خـاصه ليست دائميه بـل فى ظروف معينه(كالجهـاد فى سبيـل اللّه)لاـ يسـتثنى عن المسؤوليه شـىء.ذلك لاـن النسيان ينشأ من اللامبالاه، و الخطأ ينشأ من عدم الجديه.أما الحرج و الضرر، فهما يرافقان ظروف الجهاد بصوره طبيعيه.

و تنتهى سوره البقره بالدعاء بالانتصار على الكافرين،و هو التطلع العظيم الذى يبقى دافع الأمه نحو التقدم و البناء،و المحور الذى تلتف حوله فئات الأمه فتبتعد عن التشرذم.

بينات من الآيات:

اشاره

[۲۸۴]إصلاح الأمه يبدأ من إصلاح أفرادها،و يبدأ إصلاح الفرد بتزكيه نفسه و تصحيح منطلقاته و أهدافه.

ذلك لان كلّ شخص يعمل وفق ما تمليه أهدافه،و ينظر الى أحداث الحياه و يحدد مواقفه منها حسب منطلقاته.و القرآن الحكيم يحمّل الإنسان مسئوليه إصلاح منطلقاته و أهدافه حين يحمله مسئوليه أفكاره.فلست حرا فى أن تفكر ما شئت، ذلك لان بعض تلك الأفكار من أبنيه الشيطان التى تكبر و تكبر حتى تصبح أعمالا خبيثه.فعليك أن تفرض على قلبك رقابه شديده،حتى لا تدخلها كل فكره خبيثه و هاجسه انحرافيه.و عليك أن تعرف ان علم اللّه و قدرته و سلطته تحيط بك و بالسماوات و الأرض فانتبه لكلّ أعمالك.

لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ و الإنسان بعض ما فى الأرض.

وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اللّٰهُ فَیَغْفِرُ

لِمَنْ يَشٰاءُ و هم الـذين إذا مر بهم طائف من الشـيطان تـذكروا فاسـتغفروا اللّه،هؤلاء يقبضون على الأفكار المتسـلله الـدخيله الى قلوبهم و يطردونها،فيغفر اللّه لهم اللّه، بعد أن يحاسبهم حسابا يسيرا.

وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قادر على الحساب الدقيق لما يجرى فى النفوس،و قادر على الجزاء.و ربما هذه الآيه جاءت لتبين مسئوليه الإنسان تجاه أفكاره تكميلا لبيان مسئوليات البشر.

[۲۸۵]فالإنسـان إذا مسـئول عن تصـرفاته و مسـئول عن أفكـاره،و عليه فهو مسـئول عن الإيمان أو الكفر فى قلبه.ان الإيمان عمل مسـئول لصـاحبه،ذلـك لاـن كـلّ بشـر يولـد بـالفطره التى يسـتطيع أن يعرف اللّه بهـا،لو لا انه يطمر فطرته فى تراب الشـهوات،و يحتجب وراء سـحب الأسـاطير و الخرافـات،فلاـ يؤمن باللّه.إلاّـ الـذين يسـتجيبون لفطرتهم و يسـتنيرون بنور العقـل و يخرقون به حجب الغفله و الأساطير،انهم يصممون على أن يقاوموا ضغوط الهوى باتجاه الفكر،و أن يتبعوا هدى العقل فى الإيمان باللّه.

من هنا فالمؤمنون هم الذين يتحملون مسئوليتهم تجاه ما يجرى فى قلوبهم فيختارون الايمان.

آمَنَ الرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلاٰئِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ هذه هى عناصر الإيمـان الأساسـيه و هى قاعـده بنـاء الشخصـيه المسـلمه التى يلخّصـها القرآن فى نهـايه هـذه السوره التى تحـدثت عنهـا بشـكل مسهب.الإيمان بما

انزل اللّه من كتاب،و الإيمان بالرسل جميعا دون حساسيه تجاه رسول،إذ أن أيه حساسيه من هذا النوع تضر بالإيمان ذاته.

فـاليهود مثلا،الـذين لم يؤمنوا بـالنبى محمـد صـلى الله عليه و آله انطلاقـا من حساسـيتهم تجـاه العرب،كـانوا كفارا حتى برساله موسى،لأن رساله موسى،لم تكن عنصريه،بل إلهيه و هم حوّلوها الى عنصريه.

و الإيمان بالملائكه هو رمز الإيمان بهيمنه اللّه و سـلطانه فى كلّ شـىء،و انه الذى يدبر ما فى الكون من فوق عرشه العظيم الذى وسع السماوات و الأرض.

و هذا الإيمان يدفع بصاحبه الى السماع و الطاعه.السماع لفهم كتب اللّه و رسالاته.و الطاعه لرسل اللّه و رجال دعوته.

وَ قٰالُوا سَـمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا غُفْرٰانَکَ رَبَّنٰا وَ إِلَيْکَ الْمَصِـيرُ و الإيمان يـدفعك الى الشـعور بالمسؤوليه و الخشـيه من الـذنب و الاهتمام بـالمغفره، كمـا ان الإيمـان بـاللّه يـدفعك الى الإيمان بأن مصـير العباد اليه،و أنّه يجازى على الحسـنات و انه قادر على أن يبعث الموتى.

إطار المسؤوليات:

[۲۸۶]ما هى حدود المسؤوليه و بالتالى حدود التقوى التى تحدثت عنها الدروس السابقه؟ أهم هذه الحدود:

۱-القدره.ان القدره شـرط عقلى للتكليف،و لذلک لا يکلف اللّه أحدا على أعمال الآخرين لأنه لا يقدر عليها فبقدر استطاعتک يکلفک اللّه،و لن يکلف اللّه

أحدا الا بما يقدر.فلو استطاع شخص التأثير على الناس باتجاه الخير،فسوف يكلف بهم بقدر استطاعته،و فى حدودها و لا يكلف الطفل الذى لا يميز شيئا،و لا المجنون ،و لا المريض بما يعجز عنه،و لا المعدم.

و لا يحمّل اللّه الإنسان مسئوليه الهواجس التى تتزاحم فى قلبه من دون إراده منه(كالحسد الذى لا يطيعه صاحبه أو كالتشكك فى الخلق،و التشاؤم الذى لا يتبعه صاحبه،و نيه السوء التى لا يحققها صاحبها و هكذا).

و التكليف يقدّر أيضا بالعمل سلبا و إيجابا..فبقدر عملك الصالح تجازى بالخير،و بقدر عملك السىء تعاقب بالسوء.و لا ينفعك عمل غيرك كما لاـ تضرك ذنوبه،أبوك،مجتمعك،قادتك،أئمتك،كلّ يعمل لذاته،و أنت تعمل لنفسك و انما عملك يشفع لك.

لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ ٢-و الخطأ الذى يرتكبه الإنسان من دون عمد معفى عنه،بالرغم من ان المسؤوليه قد تشمله بسبب ان الخطأ ينشأ من اللامبالاه.و من هنا نجد ان اللّه وضع على بعض أنواع الخطأ كفّاره ليردع الناس عنها، و ليزيدوا من اهتمامهم بأنفسهم و لا يتورطوا فيها.مثل كفاره الخطأ فى الحج و كفاره قتل الخطأ.

٣-النسيان هو الآخر معفى عنه بالرغم من انه يقع فى حدود قدره الإنسان أيضا.فبالاهتمام تستطيع ألا تنسى شيئا.

من هنا جاء تعبير القرآن عن رفع مسئوليه الخطأ و النسيان بصوره دعاء.بينما كان التعبير عن رفع مسئوليه العجز-بشكل قاطع-قال اللّه:

رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا ۴-التكاليف التى تسبب ضررا لحياه الإنسان و ابتعادا عن سنن اللّه، كالرهبنه و الاعتزال عن الناس و الامتناع عن الزواج أو عن أكل الطيبات،ان هذا النوع من التكاليف كانت فى الأمم لاسباب مرحليه،و لكنها انتفت فى الإسلام لأن الإسلام ليس دينا مرحليا بل دين أبدى،للبشر.

۵-فى الإسلام خففت التكاليف المجهده و التى سميّت بالحرج فإذا أصبح الصوم مرهقا لصاحبه و سيتنفد كلّ جهده و كلّ طاقته،يجوز له آنئذ أن لا يصوم.و كذا الحج و كلّ التكاليف.لذلك قال:

رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ هذه هى حدود المسؤوليه،و هى مشكله الإنسان انه قد يقع فى الذنب حتى داخل هذه الحدود فيحتاج الى العفو.العفو عن الذنب و التغاضى عنه،و عدم العقاب عليه،اما الغفران فهو محو الذنب من قائمه الشخص و تصفيه آثاره.

و الإنسان بحاجه الى عفو اللّه و غفرانه،كما يحتاج الى توفيق اللّه له بان يصلح من نفسه ما أفسده الذنب عليه.

إن كلّ ذنب يخلّف فى ذات الشخص و داخل مجتمعه آثارا،و على الإنسان الذى يتوب الى اللّه من ذنوبه أن يقوم بجهد مكثف بإصلاح ما أفسدته الذنوب، و هنا يحتاج إلى رحمه اللّه.

وَ اعْفُ عَنّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ

ص:۴۹۰

و هذا الدعاء الأخير هو تطلع الأمه الی المستقبل،هذا التطلع الذی یعتبر هدف الأمه المقدس الذی یتمحور حوله کلّ أبنائها.

إنّ أیه أمه بحاجه الی هـدف یکون بمثابه حبل یشـد بعضـهم ببعض،و قناه تصب فیها جهود الأمه،و مقیاس لمـدی تقدم الأمه أو تخلفها،و دافع قوی لأبناء الأمه بالتضحیه و العطاء و النشاط و التعاون.

و الأـمه الإسـلامیه تتطلع الی یوم تنتصـر فیه علی الکـافرین،و تحقق مبـادئ الإسـلام فی الأـرض،و تحمل الخیر لجمیع الناس.انها تتطلع الی تطبیق رسالتها فی الأرض،و لذلک فهی لیست أمه عدوانیه،أو عنصریه،أو استعماریه،إنها أمه تبنی ذاتها لتهیئها للعطاء.

سوره آل عمران

اشاره

ص:۴۹۳

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره:

عن ابن كعب عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله : «من قرأ سوره آل عمران يوم الجمعه صلى اللّه عليه و ملائكته حتى تجب الشمس »

و عن بريده عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله انه قال: «تعلّموا سوره البقره و سوره آل عمران،فإنهما الزهراوان،و انهما تظلان صاحبهما يوم القيامه،كأنهما غمامتان، أو غيابتان،أو فرقان من طير صواف » مجمع البيان ص ۴۰۵

ص:۴۹۵

الإطار العام للسوره

لما ذا الاسم؟

لماذا سميت هذه السوره باسم«آل عمران»؟هل لأنهم كانوا يشكلون التجمع الايمانى الصادق و بما ان سوره«آل عمران» تتحدث عن الامه الاسلاميه كتجمع مبدئى يتمحور حول الايمان باللّه و الحق.فقد سميت بآل عمران كمثل واقعى لهذا التجمع؟ أم لأن التجمع الايمانى يتمحور حول اشخاص،هم رسل اللّه فى الأرض، و هؤلاء الأشخاص هم صفوه الناس الذين اختارهم اللّه بحكمته البالغه لما علم فيهم من إخلاص للّه،و صدق فى العمل من أجل اللّه و«آل عمران»هم مثل بارز لهؤلاء الصفوه فكانت السوره باسمهم.

سواء كان هذا أو ذاك السبب فى تسميه السوره،فان اللّه خلّد هذه العائله الكريمه بذلك،لكى تكون قدوه للإنسان المسلم،و للاسره المسلمه،و بالتالى

ص:۴۹۷

للمجتمع الايمانى.

ما هو الإطار العام؟

قيمتـان تحكم النـاس:قيمه رسالات اللّه،و قيمه الأرض و فيها من زخرف الحياه و الدنيا.تتجلى قيمه الرساله فى الايمان باللّه،و التسليم له،و اتباع الحق الذى أوحاه اللّه،و طاعه رسل اللّه بلا تفريق بينهم.و بالتالى قيمه مسئوليه الإنسان الكامله عن اى تصرف يقوم به.

و تتجسد قيمه الأرض فى تقديس البشر لذاته،و الاعتقاد بالتمييز العنصرى، و من ثم القومى،و الاقليمى،و الطبقى،و التنصل عن بعض المسؤوليه اعتمادا على العنصريه.

و تتحدث سوره«آل عمران»عن التقابل بين قيمتى السماء و الأرض،فى الحقل الاجتماعى حيث تبين لنا أن الامه الاسلاميه،انما هى تجمع مبدئى،تستمد تلاحمها من قوه الرساله،و تتمحور حول قيم الايمان باللّه و التسليم له(الإسلام) و الخضوع للحق و تقبل المسؤوليه،و بالتالى الجهاد الذى هو قمه المسؤوليه و التضحيه.

و تتحدث هذه السوره عن الوحده المبدئيه التى تربط رسالات السماء ببعضها، كما تربط عناصر الأمه فيما بينها،و كذلك تفصل بين الامه الاسلاميه و بين الأمم العنصريه الاخرى،فالمبدأ هو المقياس و هو القيمه،فهو الذى يفصل بين الأخ و أخيه،و هو الذى يربط بين العربى و الأعجمى.

و من هنا تشير آيات سوره«آل عمران»الى فكره(العنصريه)و التى تتجسد فى عباده اشخاص،و اتخاذهم آلهه من دون اللّه،(كمثل عيسى عند النصارى).باعتبار هذه الفكره هى جذر فكره العنصريه،و التى هى أخبث ثمره لتقديس الذات.لذلك

يفصّل القرآن الحديث حولها.

و هذه السوره،تتحدث فى البدء عن اللّه الذى انزل الكتاب بالحق،ليهدى الناس،و لأن اللّه لا يخفى عليه شىء،فهو أحق ان يهدى الى الحق.

و الكتاب الذى يمثل الدين الحق،لا ريب فيه،و إنما يختلف فيه البعض لأنهم يبتغون الفتنه،و يعتمدون تحريف الكتاب بسبب ابتعادهم عن المسؤوليه،فهم لا يؤمنون باليوم الآخر،و يزعمون ان أموالهم تغنيهم عن العذاب.

إن الشهوات هى وراء انحراف الناس عن الحق،و إنما الخلاص منها بالإيمان بالآخره،و بما أعدّ اللّه للصابرين عن الشهوات من أجر عظيم.

و رساله اللّه الى الإنسان واحده،لأنها تشع من ذات المشكاه،بيد أن اختلاف الناس فيها نابع من أنفسهم المريضه،التى تريد الظلم و البغى و لكى تتخلص البشريه من الاختلاف،فلا بد ان يتكامل ايمانها باللّه،و يبتعد عن العنصريه، و يعرف أنّ اللّه يراقب تحركاته، و يؤمن بيوم الجزاء و يتبع رسل اللّه.

و قد اختار اللّه رسله لأنهم أتبعوا اللّه و أخلصوا له العباده،فليست هنالك ايه عنصريه،و ليس عيسى الاّ عبدا للّه.امتحنه اللّه فاختاره لرسالته.و إذا لم يكن عيسى الاّ عبده،جزاه اللّه بصالح عمله فهل يقدر البشر ان يتقدموا بلا عمل صالح، و لمجرد انهم من عنصر مقدس؟! إنّ العنصريه هى اسوأ ما تعانيه البشريه،و هى الطرف المعاكس و المتناقض تماما مع الرساليه.

و سوره«آل عمران»تنسف فكره العنصريه من جذورها البعيده،و تتحدث طويلا عنها من خلال بيان مفصّل لقصه عيسى،و من خلال الحديث عن إبراهيم

الذى قدّسه اليهود،و زعموا أنهم أولياء اللّه لمجرد انهم أبناء إبراهيم.

كما ان هذه السوره تتحدث عن الوحده داخل التجمع الايمانى،و ما يجب ان تكون عليه الوحده من صفات.

و كلمه اخيره:ان سوره«آل عمران»تتحدث مباشره عن المسؤوليه،باعتبارها أهم نتائج التجمع الايمانى،و فى نهايات السوره-تتضح-فكره المسؤوليه و يضرب السياق أمثله توجيهيه لها،أبرزها الجهاد فى سبيل اللّه.

و بمناسبه الحديث عن المسؤوليه،تتحدث السوره عن الجزاء،و تبين ان كلّ من عمل صالحا سيجزى بعمله،و انّ من الخطأ تصنيف الناس حسب انتماءاتهم العنصريه،أو ولاءاتهم الدينيه.

هذه الفكره هى التى تختم السوره آياتها بها و نستوحى منها ضروره الاعتماد على العمل فى سبيل اللّه.

ص:۵۰۰

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . الم (۱) اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْحَیُّ اَلْقَیُّومُ (۲) نَزَّلَ عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ اَلتَّوْرٰاهَ وَ اَلْإِنْجِیلَ (۳) مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنّٰاسِ وَ أَنْزَلَ اَلْفُرْقٰانَ إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ وَ اَللّٰهُ عَزِیزٌ ذُو اِنْتِقٰامٍ (۴) إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَخْفیٰ عَلَیْهِ شَیْءٌ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِی اَلسَّمٰاءِ (۵) هُوَ اَلَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی اَلْأَرْحٰامِ کَیْفَ یَشٰاءُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۶)

اللغه

۶[یصورکم]:التصویر جعل الشیء علی صوره لم یکن علیها.

[الأرحام]:جمع رحم و أصله الرحمه.و ذلک لأنها مما یتراحم به و یتعاطف یقولون وصلتک رحم.

[یشاء]:المشیئه هی الاراده.

ص:۵۰۱

رسالات اللّه

اشاره

بین الوحده و العنصریه

هدی من الآیات:

بعد ان یذکرنا الدرس الأول من سوره آل عمران بربنا الذی لا اله الا هو الحی القیوم،یبصّرنا بأن الکتاب الذی نزّله اللّه علی قلب الرسول حق.و انه یصّدق ما مضی من کتب.و ان منزّله هو الذی انزل من قبل التوراه و الإنجیل،مما یوحی بوحده رسالات اللّه.أو لیست جمیعا هدی للناس.و انّه لقرآن کریم یفرق بین الحق و الباطل،و ینذر الکافرین به بعذاب شدید نازل من عند عزیز منتقم.

و الذی انزل الفرقان حکیم خبیر بمصالح عباده.لا یخفی علیه شیء فی الأرض و لا فی السماء.و هو الذی یحیط علما بطبائع البشر.أو لیس قد صوّرهم فی الأرحام کیف یشاء.سبحانه لا شریک له و هو العزیز الحکیم.

بینات من الآیات:

[١] الم .

کلمات مضیئات،معجزات لا یعرف مداها الاّ اللّه و النبیّ صلی الله علیه و آله و الراسخون

ص:۵۰۲

فی العلم.

[۲] اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ .

کلمه التوحید هی النقطه الاساسیه التی تتمحور حولها الامه الاسلامیه.فهی خلاصه قیمها(لان القیم مستوحاه من اللّه)،و هی رمز وحدتها.و هی قاعده قیادتها،لذلک بدأت السوره بهذه الکلمه:أمّا« اَلْحَیُّ الْقَیُّومُ »فهما اسمان من أسماء اللّه تعالی،یرمز کل واحد منهما الی جانب من فکره السوره.

اَلْحَیُّ اسم یرمز الی أهم الصفات الذاتیه للّه،صفه القدره و الاراده و العلم،إذا العاجز و المجبور،و الجاهل،یفقد من حیاته بقدر عجزه و جبره و جهله.و تعالی اللّه عن الموت بکل اشکاله و صوره،انه الحی مطلق الحیاه.

ما هو القیوم؟ الحیاه التی لعیشها لیست موجوده فقط،و انما هی منظمه أیضا تنظیما دقیقا، و کل نظام بحاجه الی من یقوم به،و یهیمن علیه.فمن هو قائم بتنظیم هذه الحیاه الواسعه؟ إنه اللّه الذی یشمل قیامه بالحیاه علی کل مرافقها،انه یقوم بنظام حرکه المجرّه، لکی لا ـ تصطدم نجومها مع سائر المجردات کما یقوم فی ذات الوقت بنظام الذره، لکی تبقی الکترونات و البروتونات تدور حول بعضها.

و کما فی الکون کذلک فی المجتمع،یجب ان یسود نظام الإسلام،ذلک النظام الذی أوحی به اللّه سبحانه،الذی لا یعلم فقط نظام الطبیعه-و بینها طبیعه الإنسان-و إنما یقوم أیضا بتسییر هذا النظام.

ص:۵۰۳

اَلْقَيُّومُ هو صيغه الكثره من القيام،و القيام استخدم فى آيات الكتاب فى معنى النظام أكثر من مره واحده و لأن اللّه حى و قيوم،فهو الذى يجدر ان ينظم حياتنا الاجتماعيه و يقوم عليها قياما،و هذه بالذات هى فكره هذه السوره من بدايتها الى نهايتها.إذا السوره ما هى الا ترسيخ لاسمى الحى و القيوم.و تبسيط لهما و ربطهما بسائر مرافق الطبيعه و الحياه.

[۳] نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ .

لأن اللّه حى و قيوم فانه نزّل الكتاب تنزيلا متدرجا حسب الحاجه اليه، و الكتاب لم يهبط على جبل،بل على بشر كسائر البشر.إلا انّه بشر يتميز باتباعه للحق و تجسيده له.

و الحق الذى نزل به القرآن على النبى،هو التعبير الموجز عن التوافق بين الطبيعه و حياه الإنسان.و إنّ التشريع السليم للحياه ينبغى ان يكون متناسبا مع الطبيعيه، و خالق الطبيعه العليم بها،و مدبر شؤونها،و القيوم عليها،أجدر بأن يشرّع للحياه و ينظمها،و يقوم على تسيير هذا النظام.

و التشريع الموحى فى الكتاب(القرآن)قديم قدم الإنسان ذاته و قدم حاجته الى النظام،و علم اللّه هو الأخر قديم.لذلك كان كتاب اللّه الأخير مصدقا لكتبه الاولى.لان المشكاه التى أضاءت الحياه بالقرآن،هى التى أعطتهم الإنجيل و التوراه.فكل هذه الأنوار آتيه من مصباح واحد.

[۴] مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ

عَذٰابٌ شَدِیدٌ وَ اللّٰهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقٰامٍ .

و القرآن و الإنجیل و التوراه،و کل رسالات السماء نور واحد یستهدف غایه واحده هی توفیر الهدی للناس.و لماذا الهدی،لان فی الحیاه خیر و شر،صحیح و سقیم، صالح و طالح،فکیف یمیّز الإنسان الخیر عن الشر.أو لیس بمقیاس؟و بمیزان و بقیم و بالتالی بفرقان یفرق بین الحق و الباطل.و من هنا أنزل اللّه«الفرقان».

الذین یهتدون بالرسالات السماویه و یتمسکون بالفرقان،یمیزون به الحق عن الباطل،و الخیر عن الشر،فطوبی لهم،أولئک لا خوف علیهم.أما« اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اللّٰهِ »فما ذا تنتظر لهم،هل تنتظر کفایه الدرب و بلوغ الهدف؟ کلا بل« لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ »و ای عذاب أشد من الضلال،و من الانفلات فی فوضی الحیاه و الوقوع فی المهالک.

و اللّه سبحانه لا یترکهم یعانون من عذاب شدید فی الدنیا فحسب،بل یقف لهم بالمرصاد لیاخذهم فی الحیاه الآخره أیضا.« وَ اللّٰهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقٰامٍ »و حین یکون العزیز(القوی المقتدر)ذو انتقام فیا للمأساه،و یا للنهایه المروعه.

و الکتاب هدی و فرقان لسبب بسیط،هو ان اللّه باعث الکتاب حی و قیوم فهو حی لا یخفی علیه شیء فی الأرض و لا فی السماء.

[۵] إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَخْفیٰ عَلَیْهِ شَیْءٌ فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ فِی السَّمٰاءِ و قیوم،یهیمن علی نظام الحیاه من أکبر الأشیاء الی ابسط شیء.

[۶] هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحٰامِ کَیْفَ یَشٰاءُ هناک حیث لا تمد الیه ید الأبوین و لا یمتد الیه علمهما،هناک اللّه اللطیف یقوم

بفعل التصوير حسب ما يشاء.لأنه مطلق المشيئه واسع المشيئه،لا تخضع مشيئته سبحانه لضغوط أو حتميات،كما هى مشيئه الإنسان،تخضع لضغوط الشهوه و حتميات العجز و الجهل و..و..

و إذا كان كل شىء ضمن عرض علم اللّه حيث لا يخفى منه شىء،و كل شىء فى رحاب قدره اللّه-حتى فى الأرحام يصورنا-كيف يشاء فانه الرب الأحد.

لاََ إِلََهَ إِلاََّ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ .

و اسمى« اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ »هما معا مظهر المنظم الحقيقى.فالقائم بالنظام ينبغى ان يتمتع بالقدره«العزه»و«العلم اى الحكمه»و نجد هذين الاسمين فى القرآن كلما ذكرت انظمه و تشريعات.

و العزه هى المظهر الاجتماعى للقدره،كما ان الحكمه هى الجانب العملى من العلم.و لذلك جاءتا عند الحديث عن التشريع دون اسمى القدير العليم.

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۷ الی ۱۳]

اشاره

هُوَ اَلَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ مِنْهُ آیٰاتٌ مُحْکَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ اَلْکِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ فَأَمَّا اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ اِبْتِغٰاءَ اَلْفِتْنَهِ وَ اِبْتِغٰاءَ تَأْوِیلِهِ وَ مٰا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِی اَلْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا یَذَّکَّرُ إِلاّٰ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۷) رَبَّنٰا لاٰ تُزِغْ قُلُوبَنٰا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنٰا وَ هَبْ لَنٰا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ اَلْوَهّٰابُ (۸) رَبَّنٰا إِنَّکَ جٰامِعُ اَلنّٰاسِ لِیَوْمٍ لاٰ رَیْبَ فِیهِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُخْلِفُ اَلْمِیعٰادَ (۹) إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اَللّٰهِ شَیْئاً وَ أُولٰئِکَ هُمْ وَقُودُ اَلنّٰارِ (۱۰) کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا فَأَخَذَهُمُ اَللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اَللّٰهُ شَدِیدُ اَلْعِقٰابِ (۱۱) قُلْ لِلَّذِینَ کَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلیٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ اَلْمِهٰادُ (۱۲) قَدْ کٰانَ لَکُمْ آیَهٌ فِی فِئَتَیْنِ اِلْتَقَتٰا فِئَهٌ تُقٰاتِلُ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ أُخْریٰ کٰافِرَهٌ یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ اَلْعَیْنِ وَ اَللّٰهُ یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشٰاءُ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَعِبْرَهً لِأُولِی اَلْأَبْصٰارِ (۱۳)

اللغه

۷[محکمات]:المحکم مأخوذ من قولک أحکمت الشیء إذا ثقفته و أتقنته.

[أم الکتاب]:أصله.

[متشبهات]:ای یشبه بعضها بعضا فیغمض الأخذ من الشبه لأنه یشتبه به المراد.

[زیغ]:میل.[الراسخون]:الثابتون ۸[هب]:الهبه تملیک الشیء من غیر ثمن و الهبه و الصله و النحله نظائر.

ص:۵۰۷

۱۱[کدأب]:الدأب العاده.یقال دأب یدأب إذا اعتاد الشیء و تمرن علیه.

۱۲[تحشرون]:الحشر الجمع مع سوق.[جهنم]اسم من أسماء النار و قیل أخذ من الجهنام و هی البئر البعیده.[المهاد]:القرار و هی الموضع الذی یتمهد فیه أی ینام فیه مثل الفراش.[لعبره]:آیه

ص:۵۰۸

اشاره

بين حق التأويل و فتنه الباطل

هدى من الآيات:

أ رأيت كيف تتوحد حبات المسبحه؟إنها تنخرط جميعا فى خيط واحد أو رأيت كيف تتوحد أوراق الشجره الكثيفه؟إنها تلتف حول الفروع التى تتمسك-هى بدورها-حول الساق الغليظه الضاربه بجذورها فى الأرض.

كذلك أبناء آدم لا يمكن ان يتحدوا من دون حبل يعتصمون جميعا به،أو أصل راسخ يلتفون حوله.فما هو ذلك الحبل فى رؤيه الإسلام؟ انه كتاب اللّه المتجسد فى رسول اللّه،أو فى من هو امتداد حقيقى لشخصيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله .

و لأن سوره«آل عمران»تتحدث لنا عن التوحيد و الوحده. سواء على صعيد المؤمنين برسالات السماء جميعا أو على صعيد المسلمين فقط،فإن القسم الأول من هذه السوره تتحدث عن كتاب اللّه ثم عن رسله إلى الناس.

ص:۵۰۹

ما هو كتاب اللّه،لماذا لا يؤمن به الناس و ما هو مصير الكافرين به؟حول هذه الاسئله تبحث آيات هذا الدرس:

بينات من الآيات:

كيف تكون الرساله عامه؟

[۷] هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتٰابَ مِنْهُ آیٰاتٌ مُحْکَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ الناس مستويات مختلفه،و كتاب اللّه جاء للناس جميعا،فكيف يمكن ان يرسل اللّه رساله واحده لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم؟ الجواب:إن اللّه جعل كتابه على درجات أيضا.ليست كل آياته لكل الناس انما فيها آيات عامه يفهمها الجميع،و هى بمثابه قاعده راسخه تبنى عليها سائر الأفكار و الأحكام.و فيها آيات خاصه لا يفهمها الا الراسخون فى العلم،أولئك الذين أوتوا نصيبا كبيرا من العقل و المعرفه.و بالطبع الراسخون فى العلم بدورهم متفاضلون بينهم فى درجات،فقد تكون الآيه الواحده عند بعضهم واضحه،و لا تكون واضحه عند من هو أقل منه علما.

القسم الاول من الآيات تسمى«المحكمات»و القسم الثانى«متشابهات» و على الإنسان ان ينظر الى الآيات،فاذا فهمها و تبصر ما فيها من رؤى و أفكار أخذ بها. و إذا لم يفهمها فليس له ان يضيف إليها من آرائه شيئا،و يفسرها على هواه، انما يجب عليه أن يسأل أهل الذكر،الراسخين فى العلم.فعسى أن يأخذ مما لديهم ذكرا و علما فى ذلك.و قبلئذ يكتفى بالآيات المحكمات اللاتى هن أم الكتاب.

ان التفسير الخاطئ لنصوص الكتاب يسبب الاختلاف فى الدين،و إنما جاء

الـدين ليجمع النـاس فحين يتخـذ أداه للتفرقه لا- يكون هناك دين حقيقى.و بـذلك يكون التفسـير الخاطئ وسـيله لهـدم الـدين أساسا.

بين المحكم و المتشابه:

و من هنا ركّز القرآن الحكيم على تفسير هـذه الناحيه،و اعطى فى بـدايه حديثه عن القرآن«القاعده العامه»التى تصـلح ان تكون طريقا لفهم القرآن الحكيم،و هى قاعـده«المحكم و المتشابه»حيث يجب على الإنسان الّا يأخـذ من آيات القرآن إلّا الآيات التى يفهمها جيدا،و تكون واضحه امامه وضوحا تاما.

و لو اكتفى كل إنسان بالأفكار الواضـحه جدا،و لم يقل شيئا لا يعلمه،لم يخلط العلم بالجهل،و لم يأخذ الفرد غرور العلم.بينما لو عكس فاشبع نهم روحه الى العلم بأفكار خاطئه لاختلط عنده العلم بالجهل،و انتشر بغرور العلم،و ركن الى الجهل و تبلّد فكره،و لم ينفعه علمه.

و الوقوف عنـد الآيات المحكمات دون تجاوزها الى المتشابهات،يعنى أيضا تربيه العقل عنـد الإنسان،و تنميه قدرته على كشـف الحق عن الباطل،و العلم عن الجهل.

لماذا الاختلاف فى الدين؟

و بعد بيان قاعده المتشابه و المحكم،بيّن القرآن بوضوح،و بتفصيل سبب الاختلاف فى الكتاب،و بالتالى فى الدين.

و بالرغم من أنّ السبب واحد،إلّا انه يتدرج فى مراحل ابتداء من الزيغ فى القلب و انتهاء بالكفر و مرورا بالتكذيب.

الف:اما عن الزيغ فقال ربنا:

فَأَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغٰاءَ تَأْوِیلِهِ

ما هو الزیغ؟:

الزیغ هو الانحراف و الانصراف عن الحق.و یعتقد ان القرآن یفسر الخطأ الانسانی تفسیرا نفسیا فلا یخطأ الإنسان إلاّ بسبب انحراف فی نفسه من عقده الضعه،أو ترسب الأفکار الوراثیه،أو الاستسلام لأفکار المجتمع أو الجماعه التی ینتمی إلیها،أو الخضوع لضغوط الشهوه،أو التسرع فی إصدار الحکم بهدف الراحه أو بسبب توتر النفس.

و حین تنتهی مشکله الإنسان النفسیه بتنمیه إرادته و مقاومه الضغوط،فان العقل ینطلق للبحث السلیم و سیصل-بالطبع-الی المعرفه.

و قد یطرح سؤال:کیف تکون المشکله العقلیه مرتبطه بالمشکله النفسیه،علما بأن وعی الإنسان قادر علی ان یکون حاجزا یقف أمام خلط أحکام النفس و أمانیها،مع بصائر العقل و أفکاره.

الجواب:إن محیط النفس و العقل هو محیط واحد،و حین تهوی النفس شیئا فانها تقوم بالتسویل للعقل،و التزیین له،حتی تحجبه عن الرؤیه تماما،خصوصا إذا استجابت اراده الإنسان(و هی القوه الحاسمه عند الإنسان،التی تختار العقل أو الهوی)للنفس،فانها تحاول القیام بعملیه خداع ذاتی،و أکثر ما یقع الناس فی الخطأ هو بسبب الخداع الذاتی.حیث یصعب علیهم أو یستحیل فی بعض المراحل تمییز بصائر العقل و أفکاره عن أهواء النفس و امنیاتها.

من هنا تکون التربیه النفسیه طریقا لتحریر العقل من أغلالها.اما إذا انحرفت النفس فان العقل سیتاثر سلبیا.

ص:۵۱۲

من هنا اعتبرت الآيه الكريمه زيغ النفس و انحرافها سببا للتأويل الباطل و حذّر من أىّ نوع من الزيغ.

التأويل:

بعد وجود الزيغ فى القلب نبدأ عمليه التأويل،و هى تطبيق القيم العقليه و الرساليه على أهواء الذات،فمثلا:يتم تطبيق قيم العداله و المساواه على هوى الذات كيف؟يقول من ابتلى بانحراف فى نفسه:إنه ليس من العداله ان أكون فقيرا و الناس أغنياء،فعلىّ ان أسرق من الناس لجبر فقرى.أو يقول الديكتاتور ان ضروره النظام تفرض علينا كبت حريات الناس،و هكذا يتم تحريف القيم باتجاه الهوى.أو بتعبير القرآن تأويلها بما يتناسب و الأهواء الذاتيه.

الفتنه:

و التأويل يأتى بعد الفتنه،إذ الفتنه هدف التأويل و هى ظلم الناس،إذ لا ينحرف البشر الا استجابه لضغوط شهوات الذات،التى تدعو بالطبع إلى اغتصاب حقوق الآخرين،مما يسمى بالفتنه فى منطق القرآن.

ان علامه الانحراف هى التأويل غير العلمى،و علامه التأويل غير العلمى هى استهداف الفتنه.و باستطاعتنا ان نكشف الانحراف العقلى من المظاهر الاجتماعيه (الظلم الاجتماعى).فالنتائج السلبيه للفكره تكون ابسط دليل على خطأ الفكره ذاتها.من هنا نبّه القرآن الى ان الفكره الخاطئه هى التى تستهدف نتائج ظالمه.

و قال:

فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ يعنى إنّ المنحرفين نفسيا هم الذين يتركون الآيات الواضحه الى الآيات

ص:٥١٣

الغامضه لتأويلها حسب أهوائهم و بهدف ظلم الناس و غصبهم حقوقهم.

من يعلم التأويل؟

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ و لا يوجد التأويل الصحيح اى:التطبيق الصحيح لقيم الوحى،أو العقل على الموضوعات الخارجيه،الاّ عند اللّه و عند الراسخين فى العلم.فمن هم هؤلاء الراسخون فى العلم؟ انهم أولئك الذين لم يكتفوا بالعلم بالأشياء فقط،انما يركزون أيضا فى العلم، و يكثرون النظر فيه حتى تترسخ أقدامهم فى ارض العلم، و هناك يعرفون كيف يطبقون العلم على الواقع.

إن تطبيق القيم الرساليه على الواقع الموضوعى،لا يتم سليما إلاّ إذا توافرت شروط ثلاثه تشير إليها الآيه الكريمه و هى:

۱-سلامه النيه.

۲-العلم بالقيم علما راسخا.

۳-العلم بالواقع علما راسخا.

و كلمه اخيره:ان هذه الآيه لتدل على ان أهم مسئوليات رجل العلم تطبيق القيم على الواقع تطبيقا نزيها.

الايمان قبل المعرفه

ثم تتحدث الآيه عن علاقه الايمان بالمعرفه،و تؤكد ان المعرفه هى وليده الايمان،

و ليس العكس..و السبب ان الشرط المسبق للمعرفه هو الاستعداد النفسى لتقبلها و التسليم لها متى ما ظهرت له.

ان الفرد الـذى يتكـبر-سـلفا-على الحق،و يسـتبطن فى نفسـه رفض الحـق أن جـاءه فسـوف لن يصـل الى المعرفه و إنمـا يعرف الراسـخون فى العلم التأويل الصحيح للقرآن،لأنهم يؤمنون به سلفا و لا يريدون تكييف القرآن حسب أهوائهم،انما يبتغون الاتباع و التسليم.

يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ هناك قضايا واضـحه كالقضايا التى تحدثت الآيات الماضـيه عنها،و لكنها تحتاج الى التنبه إليها، فمن يتنبه انما الـذى يمتلك اللب يتـذكر و من لا يمتلك كيف لا يتـذكر و بما ذا يتذكر انما باللب فمـا هـو اللب؟ هـل هو العقـل باعتبـاره جوهر الإنسـان و لبه،أم ان أولى الألبـاب هـم الـذين لاـ يهتمون بـالقشور و الظواهر،و انما بالحقائق التى تكشف الظواهر عنها.

[۸]من الذى يكشف انحراف النفس(زيغ القلب)غير الإنسان ذاته.

و بالرغم من ان الآخرين قد يساعدونه فى التنبيه الى زيغه و انحرافه،الا انهم لا يقدرون على إصلاحه الاّ إذا أراد هو.

الوعى الذاتى لا يصـلح القلب بعد الزيغ فحسب،انما يمنع عنه الزيغ فى المسـتقبل أيضا.لذلک تجد الراسـخين فى العلم يتوسلون إلى اللّه من أجل الا تزيغ قلوبهم.

و بهذا الدعاء يخلق اللّه فى أنفسهم مناعه عن الزيغ و وعى ذاتى لاكتشافه متى تسرب إلى قلوبهم،فهم يكررون أبدا:

رَبَّنٰا لاٰ تُزِغْ قُلُوبَنٰا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنٰا وَ هَبْ لَنٰا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ

ص:۵۱۵

الْوَهّابُ إن الرحمه الهابطه من اللّه أقسام.و لكن أهمها هى المعرفه التى يمن بها اللّه على البشر سواء وحيا بالقرآن،أم إلهاما.

و ينمّى الدعاء تطلع المؤمنين الراسخين فى العلم الى المعرفه و لذلك فهم يرددون هذا الدعاء و يطلبون الرحمه(المعرفه)من اللّه.

و أساسا الروح العلميه بحاجه الى تربيه و تنميه،و بهذا الدعاء ينمّى المؤمنون هذه الروح.

الايمان باليوم الآخر..حجر الزاويه فى المعرفه:

[۹]كما الجبال الراسيات تحفظ الأرض من ان تميد،و كما القواعد تحفظ البناء من الزلزله و الانهيار،كذلك الايمان باليوم الاخر حجر الزاويه فى البناء الذهنى للمؤمن،فمن دونه يتوتر القلب و لا يستقر على اتجاه،كيف ذلك..؟ إن القلب البشرى كسفينه تتقاذفه الأهواء،فمن ضرورات الحياه،الى مطامع الشهوات،الى ضغوط المجتمع،الى حتميات الطبيعه.تعصف جميعها بالنفس و تحدث فيها طوفانا عاتيا.و العقل كسكّان متين،يحاول توجيه السفينه فى خط مستقيم،و لكنه يعجز عن التحكم بالسفينه من دون الاستعانه بالثقل الذى يرسيها به.و ثقل النفس هو الايمان بالحياه الاخره،إذ عن طريق هذا الايمان تطمئن النفس،و يحدث فيها نوع من التوازن.

فاذا عصفت شهوه الجنس بالنفس و أرادت ان تستبد بتوجيهها،جاء الايمان بالحياه الاخره ليخفف من ضغط هذه الشهوه،و يقول لصاحبها كلا..ليست هذه الشهوه هى كل شىء فى الحياه إذ هذه الحياه بالذات ليست كل الحياه،انما الدار

الآخره هی الحیاه الحقیقه،و بهذا تطمئن النفس و یستطیع ان یحکم توجیهها العقل.

و قبل ان یذکرنا القرآن فیما یلی من الآیات بالعوامل النفسیه التی تسبب زیغ القلب،و بالتالی انحراف البشر،انطلاقا من مبدأ القرآن الآنف الذکر.

ان مشکله الإنسان فی العلم مشکله نفسیه،و قبلئذ ذکرنا القرآن بالیوم الآخر باعتباره حجر الزاویه فی توجیه النفس البشریه.

و قال علی لسان الراسخین فی العلم.

رَبَّنٰا إِنَّکَ جٰامِعُ النّٰاسِ لِیَوْمٍ لاٰ رَیْبَ فِیهِ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُخْلِفُ الْمِیعٰادَ و ما دام الإنسان یتمثل غدا امام اللّه فعلیه ان یفکّر و یتذکر و لا یسترسل مع ریاح الهوی.علیه ان یعی ذاته.

ان فلسفه القرآن تقول:«

حب الدنیا رأس کل خطیئه »و بالتالی«التجرد عن حب الدنیا رأس کل فضیله»و من هنا کلما تذکر الإنسان«المعاد»کلما اطمأنت نفسه و کان اقدر علی توجیه شهواته.

الاعتماد علی اللّه فقط

[۱۰]اعتمادا علی المال أو الولد یتکبر المرء علی اللّه و علی رسالاته و یحسب أن ماله یخلده و ان أبناءه سینصرونه من دون اللّه.

و لکن متی ما عرف الإنسان نهایته الحتمیه و انّه حین یقف أمام اللّه سیحاسب حسابا عسیرا،فلا بد انه یسلم للحق.

یقول القرآن بصراحه:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لاَ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً وَ أُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النّٰارِ و حين يذكرهم بمصيرهم الأسود حين يتحولون الى مجرد وقود للنار،فلا بد ان ذلك يرغم أنوفهم و يحطم كبرياءهم.

[۱۱]و كمثل من التاريخ:

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقٰابِ إن«آل فرعون»و صلوا قمه التقدم المادى فهل انتصر لهم تقدمهم من اللّه،و هل نفعتهم أموالهم و أولادهم و أعطتهم مبررا لتكبرهم أو لمقاومتهم الحق.

[۱۲]و باختصار فان الاستكبار عن الحق،لا ينفع الإنسان لا فى الاخره و لا فى الدنيا،فاما الآخره:

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهٰادُ [۱۳]و اما فى الدنيا فان شواهد التاريخ تتوالى لتدل على أن أهل الحق هم الغالبون فى الدنيا،و لهم النصر و المجد.

قَدْ كٰانَ لَكُمْ آيَةٌ -واضحه و علامه اكيده- فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتٰا فِئَةٌ تُقٰاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ -و الحق- وَ أُخْرىٰ كٰافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ -و كل وسائل النصر الماديه من نصيب الكفار- وَ اللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشٰاءُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصٰارِ فلما ذا التكبر عن الحق ما دام الباطل ذلك فى الدنيا و عذاب فى الآخره.ان التكبر عن الحق و الاحساس بالتعالى و المجد،يشكل نسبه ۵۰٪من أسباب الكفر،

و يجب معالجه هذه الشذوذ فى النفس بتذكيرها بعاقبه المتكبرين فى الدنيا و الآخره حتى تخشع النفس و تقنت للحق.ثم ذكّرت الآيه أن فى هذه الحقائق عبره لأولى الأبصار..فما هى العبره؟و كيف يستفيد منها الإنسان؟ العبره هى-مثلا-الانتقال من الدليل الى معناه،و من رؤيه ظاهره الفقر الى سببها الاجتماعى.

الذين لا يملكون الأبصار يجمدون على الظواهر و لا ينتقلون منها الى الحقائق، فاذا رأى ظاهره الفقر فى المجتمع جمد عندها و لم يستدل بها على وجود الطبقيه فى المجتمع،أو وجود التخلف الفكرى و الصناعى و..و..

اما الذين يملكون الأبصار فإنهم لا ينظرون الى الظاهره فحسب بل الى أسبابها التى يرونها من خلالها،و العمليه تسمى عبور أو«عبره»اى انتقالا من على جسر الظاهره الى شاطئ الحقيقه.

و ظاهره انتصار المؤمنين بالحق أبدا تكشف عن السبب وراءه و هو ان التكبر عن الحق ذل حاضر فى الدنيا.انما هذا الكشف يختص بمن يبصر أما من يغض طرفه عن الحقيقه فحتى الشمس يمكن ان تخفى عليه.

ص:٥١٩

سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۴ الی ۲۰

اشاره

زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ اَلشَّهَواتِ مِنَ اَلنِّساءِ وَ اَلْبَنِینَ وَ اَلْقَناطِیرِ اَلْمُقَنْطَرَهِ مِنَ اَلذَّهَبِ وَ اَلْفِضَّهِ وَ اَلْخَیْلِ اَلْمُسَوَّمَهِ وَ اَلْأَنْعامِ وَ اَلْحَرْثِ ذلِکَ
مَتاعُ اَلْحَیاهِ اَلدُّنْیا وَ اَللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ اَلْمَآبِ (۱۴) قُلْ أَ أُنَبِّئُکُمْ بِخَیْرٍ مِنْ ذلِکُمْ لِلَّذِینَ اِتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ
خالِدِینَ فِیها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اَللّهِ وَ اَللّهُ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ (۱۵) اَلَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ
اَلنّارِ (۱۶) اَلصّابِرِینَ وَ اَلصّادِقِینَ وَ اَلْقانِتِینَ وَ اَلْمُنْفِقِینَ وَ اَلْمُسْتَغْفِرِینَ بِالْأَسْحارِ (۱۷) شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ اَلْمَلائِکَهُ وَ أُولُوا
اَلْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۱۸) إِنَّ اَلدِّینَ عِنْدَ اَللّهِ اَلْإِسْلامُ وَ مَا اِخْتَلَفَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتابَ إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما
جاءَهُمُ اَلْعِلْمُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِآیاتِ اَللّهِ فَإِنَّ اَللّهَ سَرِیعُ اَلْحِسابِ (۱۹) فَإِنْ حَاجُّوکَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِیَ لِلّهِ وَ مَنِ اِتَّبَعَنِ وَ
قُلْ لِلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتابَ وَ اَلْأُمِّیِّینَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اِهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَیْکَ اَلْبَلاغُ وَ اَللّهُ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ (۲۰)

اللغه

۱۴[الشهوات]:جمع شهوه و هی توقان النفس الی المشتهی.

[القناطیر]:جمع قنطار و هو المال الکثیر العظیم.

[المسومه]:من قولهم أسحت الماشیه و سومتها إذا رعیتها.

۱۷[القانتین]:المطیعین.

ص:۵۲۰

[الأسحار]:جمع سحر.و هو الوقت الذى قبيل طلوع الفجر أصله الخفاء لخفاء الشخص من ذلك الوقت.

۱۸[شهد]:حقيقه الشهاده:الاخبار بالشىء عن مشاهده أو ما يقوم مقام المشاهده.

۱۹[الدين]:الطاعه و أصله الجزاء و سميت الطاعه دينا لأنها للجزاء.

[الإسلام]:أصله السلم معناه دخل فى السلم،و أصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله.و هو تأديه الطاعات على السلامه من الإدغال.

ص:۵۲۱

الحياه

اشاره

بين آفاق المستقبل و شهوه الحاضر

هدى من الآيات:

النفس البشريه بين العقل و الشهوه:

[۱۴]النفس البشريه،تفضّل العصفور الواحد فى اليد على عشره على الشجره، حتى إذا كان المرء قادرا ان يصيد العشره بقليل من الجهد.

من هنا يفضل البشر الشهوات الحاضره على التطلعات البعيده المدى،فالطالب يفضل الراحه و الكسل عن تحصيل العلم،على الميزات التى يحصل عليها بعد التخرج،كما يفضل العامل صرف راتبه بالكامل فى سبيل راحته،على تحويله الى رصيد،يشترى به أسهما فى شركه رابحه.

و عقل الإنسان،يدفعه أبدا الى الموازنه،بين المستقبل و بين الحاضر فيأمر الطالب بالاكتفاء بشىء من الراحه، و الجهد من أجل الحصول على راحه أكثر بعد التخرج و كذلك يأمر العامل بادخار علاوه معاشه من أجل أيام ضعفه.

ص:۵۲۲

و العلاقه بین الدنیا و الاخره هی ذات العلاقه بین الحاضر و المستقبل إذ تدعونا الشهوات الی صرف کل طاقاتنا فی الدنیا حتی إذا انتقلنا الی الدار الآخره لا نجد فیها شیئا بینما العقل یدعونا الی الموازنه بین الدنیا و الاخره.

و حین یتطلع الإنسان الی الاخره،فإنّ مستقبل دنیاه أیضا مضمون،إذ کل عمل یوفره البشر للآخره یعطیه مردودا دنیویا أیضا.

بینما حین یهتم المرء فقط بالدنیا و شهواتها الحاضره یکفر بالمستقبل لأنه لا یراه بل لا یرید ان یراه و هکذا تحجب عنه جدران الشهوات،النظر الی رحاب المستقبل الواسع.

و حب الإنسان للشهوات طبیعی،کما ان تطلع البشر الی مستقبل الحقیقه فطری إلاّ أنّ المهم الا یختار المرء الواحد علی الآخر.من هنا عبّرت الآیه عن الشهوات بأنها زیّنت للنفس.

و شهوات النفس تتدرج الی أنواع هی:

(۱)شهوه الجنس-و البنین.

(۲)شهوه الخلود و متطلباته من الثروه الطائله کقناطیر من الذهب و الفضه، و القنطار یعنی فی عرفنا غاصه النقد.

(۳)شهوه الرئاسه و الفخر،و متطلباتهما من الخیل المسوّمه،ای المعروفه لمن هی، و الانعام و الحرث.

تقول الآیه:

زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ

ص:۵۲۳

الـذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعٰامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتٰاعُ الْحَيٰاهِ الـدُّنْيٰا إلاّ أنّ هـذه الشـهوات العاجله يجب أن تبقى فى حدودها المعينه و ذلك بالتفكر فى أنّ هناك تطلعا اسمى منه يجب ان يوازن به الإنسان حياته.ذلك التطلع هو ما عند اللّه فما ذا عند اللّه؟ وَ اللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ اى المستقبل المضمون،و الجيّد.

[۱۵] قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ و لم يسترسـلوا مع الشهوات إلى نهايه الشوط،انما وجّهوا شهواتهم حسب تطلعات عقولهم.و قيم دينهم لهؤلاء عند اللّه.

جَنّٰاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ و هذه تشبع فى الإنسان الاحساس بطلب ضرورات حياته.

خٰالِدِينَ فِيهٰا و هذه تشبع فيه تطلعه الى الخلود.

وَ أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ يوازن بها المؤمن شهوه الجنس فى الدنيا.

وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ .

يشبع به المؤمن حبه للمديح فى الدنيا.

ص:۵۲۴

إنک ترى کيف ان الذى اتقى فى الدنيا من الإفراط فى الشـهوات،نال فى الاخره عن کل شهوه دنيويه اتقى منها ما يتناسب معها من نعم عظيمه.و بذلک يتم التوازن فى قلب المؤمن،بين حاضر شهوات الدنيا،و مستقبل تطلعات الاخره.

معنى التقوى

يبقى ان نعرف أنّ التقوى هى رقابه ذاتيه،إذ ليس هناک من شخص يراقبک أو يحاسبک،على مدى توجيهک لشهوات ذاتک،إنما أنت تراقب نفسک و تحاسبها،حتى إذا ذهبت الى اللّه لا يفاجئک حسابک العسير.

و هذا ما يؤکده قول اللّه فى نهايه الآيه:

وَ اللّٰهُ بَصِيرٌ بِالْعِبٰادِ إذ ما دام اللّه يحاسب الإنسان،فعلى الإنسان أن يخشى المفاجئه السيئه امام اللّه العليم فيتقى اللّه ما استطاع.

[۱۶]من المتقى؟و کيف يوازن المتقى بين شهوات الدنيا و تطلعات الآخره؟ و بالتالى کيف يربّى ذاته لتقبل الحقيقه؟ للتقوى منطلق نفسى،و مظاهر خارجيه،فمن وجدهما فى ذاته فليعرف انه تقى فعلا.

الجذر هو الايمان بالحساب،و إنّ الذنب سيحاسب عليه حسابا عسيرا.

اَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنٰا إِنَّنٰا آمَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَ قِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ إن التقوى هى وجود رادع فى النفس يمنعها من الإفراط فى الشهوات.

ص:۵۲۵

[۱۷]أما مظاهر التقوى الخارجيه فهى الصفات النفسيه التاليه و المتدرجه على بعضها:

(أ)الصبر الصبر عن الشهوات و عن الاسترسال معها الى مرحله الإفراط.إنها الصفه الأولى و الأساسيه فى شخصيه المؤمنين باليوم الآخر،و حين يصبر عن الشهوات يبتعد عن الزيغ و آنئذ يكون صادقا.

(ب)الصدق و هو تعبير عن الاستقامه على الحق،و اى انحراف يطرأ على قلب الإنسان فلا بد ان يظهر فى كلامه بصوره أو بأخرى.إذ لا يمكن ان يستمر الإنسان فى الانحراف العملى دون ان يظهر فى قوله.

و الذى يلتزم بالصدق فلا بد ان يحاول إصلاح انحرافه.و قد جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام و طلب منه ان ينصحه و يوجز.فقال له:لا تكذب.

(ج)القنوت.

بعد ان تتربى النفس على الصبر عن الأهواء و الصدق،فإنها تستعد لقبول الحق.

إذ تكون آنئذ قانته مسلّمه للحق،إذ تزول من طريقها آنئذ العقبه الرئيسيه التى تمنع من اتباع الحق و هى اتباع الهوى.

(ء)الإنفاق.

ص:۵۲۶

و ابسط و أهم مظهر للقنوت للحق هو العطاء.إذ ما دامت النفس شحيحه فليس من المؤكد انها تتبع الحق فعلا.

(ه)الاستغفار بعد ان تعرف النفس شحها،و تخرج من سجن الذات الى رحاب الحق،عليها ان تتحدى ضغوط الحياه لكى لا تزين الباطل للنفس،فتحتاج النفس الى تصفيه ذاتيه للرواسب اليوميه التى تلحق بها،و ذلك بالاستغفار فى الأسحار.

ان الاستغفار أشبه شيء بحمام دوش يستعمله العمال كلما آووا إلى بيوتهم فينظفون أنفسهم من آثار العمل،بالرغم من انهم عملوا المستحيل من أجل تجنبه خلال النهار.

هذه هى الصفات الظاهره للتقوى.و هى كما تقول الآيه:

اَلصّابِرِينَ وَ الصّادِقِينَ وَ الْقانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ

بين الوحده و التوحيد:

[۱۸]بعد الحديث عن الروح العمليه فى الآيات السابقه،و تصفيه العقبات النفسيه التى تعترض طريق الايمان الصحيح،دخل القرآن فى صلب الموضوع الرئيسى و هو التوحيد و الوحده فذكّر أنّ اللّه لا اله الا هو..يقوم بالنظام العادل و المتمثل فى الإسلام،الدين الوحيد للّه،و هو لا يعنى الخضوع لفئه من الناس،و لا حتى لشخص معيّن،إنّما يعنى التسليم للّه وحده.و بذلك يضع القرآن أرضيه الوحده بين أبناء الرسالات السماويه.

قد ينكر أحدنا اعترافه باللّه،و لكنه يعرف قبل غيره أنّ أفكاره ليست سوى تكبر

يتكلف به تكلّفا،و إنّه حين يستغشى ثيابه بالليل و يبدأ يفكر بعيدا عن التكبر و المصلحه، آنئذ يؤمن بربه ايمانا أقوى من إيمانه بنفسه.

إنّ هيمنه اللّه على كل مرافق الحياه،و تجليه للناس فى آيات الطبيعه حينا،و فى خلجات القلب أحيانا،هى أكبر شاهد على أنه لا اله الا هو،و هل يكون شىء أكبر من اللّه و كل نظام قائم به،أو يكون شىء أكثر ظهورا من اللّه و السموات و الأرضون آياته؟! ان اللّه هو ذاته دليل ذاته و هاد العباد اليه.و هو دليل الى كل شىء غيره.

من هنا قالت الايه:

شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاـ إِلٰهَ إِلاّ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَهُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ و حين تشهد الملائكه و أولو العلم فليس ذلك سوى دليل بسيط جدا.أمام شهاده اللّه ذاته إلا انّها قد تنفع الذين تغرّبهم الطبيعه بقوتها أو بغموضها،فيقول لهم القرآن إنّ الملائكه الموكله بالطبيعه و أولو العلم العارفين بالطبيعه هم بدورهم مؤمنون باللّه.

و أكبر صفات اللّه العدل الذى يجريه فى الطبيعه،حيث يسنن للحياه سننا يجريها عليها بقدره و سلطان.فلا يدع جانبا منها يطغى على جانب آخر.فقط الإنسان أكرمه بالحريه،و لكنه حدد حريته بوقت،فبعده يعيده الى حدوده بالقوه إن لم يعد إليها بالهدايه.

من هنا قال اللّه:

قٰائِماً بِالْقِسْطِ اى مطبّقا للنظام العادل فى الحياه.

ص:۵۲۸

لاّ إِلّهَ إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و من أولى بتطبيق العداله فى الحياه من العزيز(المقتدر)الحكيم(الخبير بالأمور).

[۱۹]كانت هـذه تقـدمه جيّـده لبيان إنّ للّه دينا واحـدا فقط،قـد تختلف بعض تفاصـيله من عصـر لعصـر و لكن أصوله هى تبقى واحده.و تجرى عليها الأمم المسلمه جيلا بعد جيل.

إِنَّ الـدِّينَ عِنْـدَ اللّهِ الْإِسْـلامُ و لكن لمـاذا يختلف النـاس إذا فى الـدين؟ هل لان اللّه هو الـذى أوحى باختلاف الرسالات بالطبع لا..بل لأنّ الاختلاف نابع من اختلاف الطبيعه،و المصلحه،لا من اختلاف الرساله و العقل.

وَ مَـا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتـابَ إِلاّـ مِنْ بَعْـدِ مـا جـاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فجـذر الاختلاف نابع من البغى و هو اسـتهداف الظلم و اغتصاب حقوق الآخرين و حين يسود السـلام قلب الإنسان،و العداله علاقات الناس مع بعضـهم، فسوف يزول الاختلاف و تنتهى أسبابه من واقعه.

و الاختلاـف فى الـدين بمثـابه الكفر بآيات اللّه،و إذا ماذا تنفع قشور الـدين إذا جردت من اى مضـمون؟ماذا ينفع الايمان بآيات اللّه إذا فسّـرت هـذه الآيـات بمـا يخالف معناها؟ماذا ينفع الـدين الـذى اتخـذ أداه للبغى،و الظلم الاجتماعى،و سـببا للاختلاف و ضرب الناس بعضهم ببعض؟من هنا قال اللّه تعالى:

وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيـاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسـابِ و كيف يحاسب الناس الذين يكفرون بآياته؟

ص:۵۲۹

بالطبع هناک طرق لا تحصی و لکن أبسطها هو عدم الانتفاع برسالته النیّره،إذ إنّ الرساله النافعه هی التی تعرف بتفسیر اللّه و بیانه و لیست التی تفسّرها أهواء الناس و التی تضر و لا تنفع.

فمثلا:حین کانت رساله النبی عیسی علیه السلام تعنی عند تابعیه الإخاء و النشاط و الطیب،اعطت المسیحیه لهم التقدم و الهناء،أما حین أصبحت تعنی التعصب و الجهل و الاختلاف،أعطتهم التخلف و العذاب.

[۲۰]ان الدین یجب ان یتخذ أرضیه مشترکه للتوافق.و بالطبع لا یکون الدین هکذا إلا إذا کان مخلصا و مجرّدا عن الأهواء المتمثله فی المصالح العنصریه و الولاءات المادیه،و بالتالی مجردا عن ایه صبغه جاهلیه هنالک فقط یکون الدین وسیله جمع لا وسیله تفرقه.

متی یکون الدین مجردا عن المادیات؟حین یکون الایمان باللّه وحده القیمه الاجتماعیه،من هنا دعت رساله الإسلام أبناء الرسالات السابقه الی هذ القیمه و قالت:

فَإِنْ حَاجُّوکَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِیَ لِلّٰهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ وَ الْأُمِّیِّینَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَیْکَ الْبَلاٰغُ وَ اللّٰهُ بَصِیرٌ بِالْعِبٰادِ .

إن القرآن جرّد رسوله من مسئولیه القبول أو الرد من قبل أبناء الرسالات السابقه، و لخّص مسئولیته فی البلاغ لکی لا یرقی الی نقاء التوحید فی رسالته ادنی شک.

ان الطریق الوحید للوحده هو إخلاص کل الأطراف لذات المبادئ الواحده حتی تکون بمثابه بوتقه ینصهر الجمیع فیها.

ص:۵۳۰

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۲۱ الی ۲۵]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اَللّهِ وَ يَقْتُلُونَ اَلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ اَلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ اَلنّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۲۱)
أُولئِكَ اَلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۲۲) أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ اَلْكِتابِ يُدْعَوْنَ
إِلى كِتابِ اَللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (۲۳) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا اَلنّارُ إِلاّ أَيّاماً مَعْدُوداتٍ وَ غَرَّهُمْ
فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۲۴) فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۲۵)

ص:۵۳۱

نتائج ضعف الروح الدينيه

هدى من الآيات:

يتحدث القرآن هنا عن قوم من أتباع الديانات السابقه،تفشت فيهم صـفات سيئه بسبب ضعف الروح الدينيه فيهم.و هذه الصفات هى التى تهدد وحده الأمه.

من هذا الجانب يتحدث القرآن عنها و هى:

أولا:إنهم قاموا بتصفيه رجال اللّه فى الأرض و هم الأنبياء عليه السلام و المطالبون بالعداله من الناس.

ثانيـا:انهم كـانوا لاـ يتحـاكمون الى كتـابهم إذا اختلفـوا بينهم،انمـا يتولى الفريق المتضـرره مصـالحه-بحكم الكتـاب-يتولى عن الكتاب،و بذلك يبقى الدين معطلا عن التأثير الاجتماعى.

ثالثا:الفكر العنصرى المنتشر فيهم،و اعتقادهم انهم أفضل من غيرهم،لا بأعمالهم انما بأجسامهم و دمهم و نسبهم.

و هذه الأسباب الثلاثه لا تختص باليهود فقط،و انما قد تهبط كل امه مؤمنه الى دركها،و ربما لذلك لم يذكر القرآن اسم اليهود.

بينات من الآيات:

كيف يتسافل الإنسان؟

[۲۱]كيف يهبط الإنسان الى مستوى متدن فى الأخلاق و يقتل رجلا لا لشىء الاّ لاخلاصه،أو صدقه،و نقاء إيمانه،و حبه للّه و للمجتمع.ان الإنسان لا يهبط فجأه الى هذا المستوى السحيق، إنما فى البدايه يكفر بآيات اللّه،و حين يختار موقف الكفر ينظّم الى صفوف المعارضه،و تنمو فى قلبه السلبيات الصغيره..حقده على رجال اللّه.حسده من تقدمهم،اعتبارهم أعداء مصالحه.اعتبارهم أعداء وطنه و.و.حتى يغطى العداء كامل قلبه.و هناك يقدم على تصفيتهم جسديا،فيصل به الأمر الى قتل الأنبياء و هناك يستحق العذاب الأليم..يقول اللّه:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ .

إنّهم قتلوا الأنبياء و الصالحين لأنهم يأمرون بالقسط،بالعداله،بالمساواه، فكيف يرضى الطغاه و الظالمون و المستكبرون بالقسط؟فلكى يفتحوا طريقهم الى الظلم كانوا يقتلون رجال اللّه الذين يضعون من أنفسهم سدا امام رغبات الظالمين.

و العذاب الأليم الذى ينتظر هذه الفئه يتلخص فيما يلى:

[۲۲]حبط أعمالهم فى الدنيا و الآخره.إذ ماذا تنفع الصلاه مع الظلم،أو الحج مع الاغتصاب،أو إنفاق جزء من ثروه حصلت كلها من طريق غير مشروع.

و بالتالى:ماذا تنفع سائر الواجبات إذا جردت من روحها الحقيقيه و أهدافها

الاجتماعیه.

و من هنا قال عنهم ربنا:

أُولٰئِکَ الَّذِینَ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ فِی الدُّنْیٰا إذ لا تعطیهم الوظائف الدینیه المجرده عن الایمان الحقیقی لا تعطیهم المردود الدنیوی الذی لا بد ان تعطیه.فالصلاه لا تهذب نفوسهم،و الحج لا یحافظ علی وحدتهم،و الزکاه لا ترفع الطبقیه عنهم و کذلک حبطت اعمال هؤلاء فی(الآخره) لأنه کما جاء فی آیه اخری:« إِنَّمٰا یَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ» .

وَ الْآخِرَهِ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِینَ فلا تنصرهم أعمالهم المحبطه.کما لا ینتصر لهم تاریخهم الحافل بالجرائم أو انتماؤهم الکاذب الی الرساله.

تفسیر الدین علی الهوی:

ثم تناولت الآیات المشکله الثانیه و هی تفسیر الدین حسب أهوائهم..فقالت:

[۲۳] أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتٰابِ یُدْعَوْنَ إِلیٰ کِتٰابِ اللّٰهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ یَتَوَلّٰی فَرِیقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ ان هذا الکتاب هو کتاب الیهود الذی جاء لیرفع اختلافهم و یوحّد طاقاتهم.

فبدل ان یتحاکموا الیه،و یتنازل کل فریق عن أهوائه،و آرائه،و مصالحه،تسلیما لأمر الکتاب و خضوعا لحکمه،بدلا من ذلک أعرضوا عن الکتاب و بذلک جرّدوا واقعهم الاجتماعی من أهم منفعه فیه.

ان ایه امه رسالیه لا تستطیع الاستمرار و التصاعد إذا لم تجعل کتابها المقدس فوق رغباتها و مصالحها،و الأمه الاسلامیه لا تخرج بالطبع عن هذه القاعده.

و لکن یبقی سؤال:العله وراء رفض الاحتکام الی الکتاب؟ تجیب الآیه التالیه:

[۲۴] ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّٰارُ إِلاّٰ أَیّٰاماً مَعْدُودٰاتٍ فالفکره العنصریه هی التی فرّغت واقع الامه من الروح الرسالیه،و أبقت الطقوس مجرده من محتویاتها الاجتماعیه الاصلاحیه.إذ الامه لا ترى فی البدء تفضیلا لها على سائر الأمم الا بقدر توفر قیم الحضاره فیها من التعاون على البر و التقوى و النشاط و التنظیم و لذلک تتسابق على بلوغ المزید من هذه القیم.و لکنها قد تصل الى درجه من التشبع الحضاری فتتحول نظرتها الى ذاتها،و تحسب انّها مفضّله على غیرها لما فیها من روح الهیه،و ما فی غیرها من طینه العبودیه،و آنئذ لا تجد فی ذاتها باعثا الى عمل الخیر،أو رادعا عن فعل الشر.فما داموا قد خلقوا لرضوان اللّه و الجنه،خیرا عملوا أم سوء،و ما دام أعداؤهم قد خلقوا السخط اللّه و النار،مهما عملوا من خیر أو شر فلما ذا یجهدون أنفسهم بعمل الخیر أو التسابق الى المکرمات.

ان خطوره القضیه تکمن فی تسرب هذه الفکره العنصریه الى مفاهیم الدین نفسه،فاذا بهم یفسّرون الدین بطریقه لا تدعو الى العمل الصالح.و الایمان الصادق،بقدر ما تدعوا الى تمجید ذوات و تقدیس أسماء،و انتماءات کاذبه.

من هنا قال اللّه سبحانه:

وَ غَرَّهُمْ فِی دِینِهِمْ ای تفسیر مفاهیم دینهم.

مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ بحيث سرّبوا و ادخلوا افكارهم الشاذه فى تفسير نصوص الدين.و عوضا من ان يفسروا الاحداث وفق رؤى دينهم و بصائره،فسروا الدين وفق افكارهم الكاذبه.

[۲۵]كلا:ان اللّه حين يجمع النـاس فى اليوم المعهود و الموعود الـذى لا ريب فيه يوم القيامه،يجمعهم فى صـعيد واحـد،دون ان يفضّل بعضهم على بعض،بحسب أو نسب،هناك يأخذ كل شخص نصيبه بالكامل و دون تفسيرات عنصريه.

ان مجرد التفكير بـذلك اليوم يجعل الفكره العنصـريه بلا دليل،و بالتالى يفنـدها من الأساس،إذ ان أساس الفكره العنصـريه مبتن على حب الـذات،و المغالاـت فى تعظيمهـا و بالتـالى تقديسـها و جعلها قيمه اساسـيه.فاذا تصورنا-و لو مجرد تصور- اننا سـنقف للحساب امام اللّه،فان تقديس الذات سيذوب فى النفس ليعود إليها الخشيه على الذات من سوء العمل.

من هنا يتساءل القرآن.

فَكَيْفَ إِذٰا جَمَعْنٰاهُمْ لِيَوْمٍ لاٰ رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ من خير و شر و جوزيت جزاء كاملا على أعمالها.

وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ و كلمه اخيره:قلنا سابقا ان الايمان بالآخره حجر الزاويه فى فكر المسلم.و أقول الآن انه كذلك حجر الزاويه فى التفكير السـليم،إذ انه مثلا يناقض التفكير العنصـرى،و فيما يلى من الآيات سـنجد ان اللّه يـذكرنا بالآخره،عنـد ما يـذّكر بضـروره إصلاح الفكر،أو إصلاح النفس فى اى جانب من الجوانب.

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۲۶ الی ۳۰]

اشاره

قُلِ اَللّٰهُمَّ مٰالِکَ اَلْمُلْکِ تُؤْتِی اَلْمُلْکَ مَنْ تَشٰاءُ وَ تَنْزِعُ اَلْمُلْکَ مِمَّنْ تَشٰاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشٰاءُ بِیَدِکَ اَلْخَیْرُ إِنَّکَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۶) تُولِجُ اَللَّیْلَ فِی اَلنَّهٰارِ وَ تُولِجُ اَلنَّهٰارَ فِی اَللَّیْلِ وَ تُخْرِجُ اَلْحَیَّ مِنَ اَلْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ اَلْمَیِّتَ مِنَ اَلْحَیِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشٰاءُ بِغَیْرِ حِسٰابٍ (۲۷) لاٰ یَتَّخِذِ اَلْمُؤْمِنُونَ اَلْکٰافِرِینَ أَوْلِیٰاءَ مِنْ دُونِ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اَللّٰهِ فِی شَیْءٍ إِلاّٰ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقٰاةً وَ یُحَذِّرُکُمُ اَللّٰهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اَللّٰهِ اَلْمَصِیرُ (۲۸) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مٰا فِی صُدُورِکُمْ أَوْ تُبْدُوهُ یَعْلَمْهُ اَللّٰهُ وَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ اَللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۹) یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَهٰا وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً وَ یُحَذِّرُکُمُ اَللّٰهُ نَفْسَهُ وَ اَللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبٰادِ (۳۰)

اللغه

۲۶[تنزع]:النزع قلع الشیء عن الشیء.

۲۷[تولج]:الإیلاج الإدخال.

ص:۵۳۷

القياده الصحيحه

اشاره

فی المنظور القرآنی

هدی من الآیات:

یبدو ان سوره آل عمران تدخل مع هذه الآیات فی رحاب موضوعها الرئیسی و هو ضروره الالتفاف حول القیاده الصحیحه،و نبذ القیادات الدخیله و ضروره ذلک فی الوحده.فتهیء النفوس-قبل ذلک-ببیان ان الملک للّه،و ان القدره المطلقه بیده.

ثم ینهی عن قبول قیاده کافره الاّ-عبر التقیه،ثم یأمر بالطاعه للقیاده الاسلامیه و یربط بین طاعه القیاده الرسالیه الصحیحه و بین الایمان باللّه.بل بینها و بین حب اللّه.

ثم-حذّر من طرف خفی-الذین لا یتبعون القیاده:بأنهم کفار یتعرضون لسخط اللّه تعالی.

بینات من الآیات:

لمن الملک؟للّه

[۲۶]اللّه وحده یملک الملک و یعطیه لمن یشاء و علینا ان نلتمس الملک،من اللّه

و ليس من عند الكفار يقول اللّه:

قُلِ اللّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ .

و لکن السؤال:لمن یعطی اللّه الملک؟هل لکل من هب و دب؟أم لکل من تمنی علی اللّه و ربی فی نفسه أحلاما ذهبیه؟بالطبع لا..إنما هناک سنن جعلها اللّه فی الطبیعه و هدی البشر الی تلک السنن عبر مناهج أوحی بها عن طریق أنبیائه و هدی العقول إلیها.و لیس من ریب ان أولی تلک السنن،هی الالتفاف حول القیادات الرسالیه التی یتحدث عنها القرآن فیما یلی.

شمولیه القدره الإلهیه:

[۲۷]و لیس الحیاه الاجتماعیه فقط بید اللّه،و انما أیضا الطبیعه.و الذی بیده الطبیعه أولی بقیاده الحیاه الاجتماعیه،فاللّه هو الذی نتوجه الیه قائلین:

تُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ و حتی الرزق الذی ینزل علی الإنسان من تعاقب اللیل و النهار.فانه من اللّه، یعطیه لمن یتبع مناهجه و سننه التی غرزها فی الطبیعه،و أوحی بها الی العقول و الرسل.

بین مفهومی القدره و القیاده:

[۲۸]و ما دام اللّه هو الذی بیده الملک،فلما ذا تبعیه المسلم للکفار؟! و من هنا:

لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ يبدو ان أهم معانى(أولياء)-المناسب أيضا مع السياق-هو الائمه و القاده.

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِي شَيْءٍ إذ يرفض اللّه انتماء الناس الى رسالته لفظيا،دون انتمائهم إليها عمليا..

إِلاّٰ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقٰاةً اى تخشوا من بطشهم،و آنئذ سيكون التسليم لولايتهم تسليما ظاهريا فقط.

بينما يحتفظون بانتمائهم الحقيقى لرسالتهم الصحيحه.

ان التقاه ممارسه النضال سريه ضد الطغاه،و هى عمليه صعبه ليست فقط لاحتمالات الخطر التى تهدد الرسالى فى كل لحظه،و إنما-أيضا-لاحتمال الاستسلام لاغراءات السلطه و الثروه و.و.التى لا بد ان يتصارع الرسالى معها طوال الفتره التى يقوم بالعمل السرى.

ان مثل الرسالى هنا كمثل الدكتور الذى يعالج طائفه من المجذومين فلو لم يكن فى جسده مناعه كافيه،تسرى اليه عدوى الجذام..

و من هنا يذكّر القرآن هؤلاء العاملين بأنه رقيب عليهم،و عليهم ان يحذروه.

وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ حيث يحاسب الناس ليس على شكليات الولايه فحسب،و انما أيضا على روح الانتماء أيضا.اى على ما يجرى فى القلب من ارتباط صادق.

ص:۵۴۱

الجهاد وجه التوحيد البارز:

[۲۹]النضال.ضد الطغاه-و هو الوجه الحاد للتوحيد و إخلاص العباده للّه.

انه-بحاجه الى ضمير دينى حى.و هذا الضمير الدينى يصنعه الاحساس الدائم برقابه اللّه على الإنسان،و هيمنته المطلقه على اعماله.من هنا ذكّرنا القرآن:

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ .

ان العمل لا يكون صالحا أو فاسدا،إلا حسب موقعه الذى يجعل فيه،و الهدف الذى يتوخاه صاحبه.

فالصلاه قد تكون رياء و قد تكون للّه،و الصلاه هى هى،لا تتغير فى ظاهرها اما واقعها فيختلف من الأرض الى السماء.

من هنا تكون تعاليم السماء لتزكيه النفس،و تطهير الروح من النيه الفاسده، و الهدف الطالح.

إن اللّه يعلم خبايا النفس البشريه،و يحاسب الناس على الأهداف الحقيقيه التى يريدون تحقيقها بأعمالهم..

وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ و من هنا فان انحرافات البشر النفسيه،و ما وراءها من انحرافات ماديه جميعا، يحيط بها علم اللّه و قدرته،احاطه تامه.ثم إن اللّه بعلمه يحصى الأخطاء،و بقدرته يجازى عليها:

وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ان قوه الجبابره لن تكون أكبر من قوه اللّه،فلما ذا يرهبهم الإنسان؟! [۳۰]و يتجلى علم اللّه و قدرته فى يوم البعث:

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً امامها،حيث تتجسد الأعمال و تتحول الى حقائق مشهوده يراها الإنسان،و كم هى ممتعه و رائعه ان يجد الإنسان خير عمله،حيث قد ذهب عناؤه و انتهت صعوباته، و بقيت عاقبته الحسنى.

و لكن ماذا عن الأعمال السيئه:

وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً حيث تلاشت اللذه البسيطه،و بقيت عواقب الذنوب.

ان المجرمين يفرون من عواقب أعمالهم بشتى الوسائل الممكنه،و لكن هل ينجحون؟كلا.كذلك المذنبون فى الدنيا،سيلاقون عواقب أعمالهم..من هنا يقول اللّه:

وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ ان الحذر هو الضمير الحى الذى ينبض فى داخل النفس،و الذى يراقب بدقه نتائج الأعمال،و التحذير الذى يوجهه اللّه للإنسان،نابع من رحمه اللّه التى تبقى الملجأ الأخير للإنسان فى الأرض..

وَ اللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبٰادِ

[سوره آل عمران (٣): الآیات ٣١ الی ۴١]

اشاره

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ اَلْكٰافِرِينَ (٣٢) إِنَّ اَللّٰهَ اِصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى اَلْعٰالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣۴) إِذْ قٰالَتِ اِمْرَأَتُ عِمْرٰانَ رَبِّ إِنِّی نَذَرْتُ لَكَ مٰا فِی بَطْنِی مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّی إِنَّكَ أَنْتَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (٣۵) فَلَمّٰا وَضَعَتْهٰا قٰالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُهٰا أُنْثىٰ وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا وَضَعَتْ وَ لَيْسَ اَلذَّكَرُ كَالْأُنْثىٰ وَ إِنِّی سَمَّيْتُهٰا مَرْيَمَ وَ إِنِّی أُعِيذُهٰا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهٰا مِنَ اَلشَّيْطٰانِ اَلرَّجِيمِ (٣۶) فَتَقَبَّلَهٰا رَبُّهٰا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهٰا نَبٰاتاً حَسَناً وَ كَفَّلَهٰا زَكَرِيّٰا كُلَّمٰا دَخَلَ عَلَيْهٰا زَكَرِيَّا اَلْمِحْرٰابَ وَجَدَ عِنْدَهٰا رِزْقاً قٰالَ يٰا مَرْيَمُ أَنّٰى لَكِ هٰذٰا قٰالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (٣٧) هُنٰالِكَ دَعٰا زَكَرِيّٰا رَبَّهُ قٰالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ اَلدُّعٰاءِ (٣٨) فَنٰادَتْهُ اَلْمَلاٰئِكَةُ وَ هُوَ قٰائِمٌ يُصَلِّی فِی اَلْمِحْرٰابِ أَنَّ اَللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيًّا مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (٣٩) قٰالَ رَبِّ أَنّٰى يَكُونُ لِی غُلاٰمٌ وَ قَدْ بَلَغَنِیَ اَلْكِبَرُ وَ اِمْرَأَتِی عٰاقِرٌ قٰالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَفْعَلُ مٰا يَشٰاءُ (۴٠) قٰالَ رَبِّ اِجْعَلْ لِی آيَةً قٰالَ آيَتُكَ أَلاّٰ تُكَلِّمَ اَلنّٰاسَ ثَلاٰثَةَ أَيّٰامٍ إِلاّٰ رَمْزاً وَ اُذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ اَلْإِبْكٰارِ (۴١)

اللغه

٣١[تحبون]:المحبه هی الاراده.الا ـ انها تضاف الی المراد تاره و الی متعلق المراد أخری تقول أحب زیدا و أحب إکرام زید و محبه الله تعالی للعبد هی اراده ثوابه،و محبه العبد لله هی إرادته لطاعته.

٣٣[اصطفی]:اختار و اجتبی و هو مأخوذ من الصفوه و الصافی النقی من شائب الکدر فیما یشاهد فمثل الله خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافی من شائب الأدناس.

٣۵[محررا]:یحتمل أمرین«أحدهما»المعتق من الحریه یقال

ص:۵۴۴

حررته تحريرا أعتقته و«الآخر»من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريرا أى أخلصته من الفساد و أصلحته.

۳۶[وضعتها]:ولدتها.

۳۷[فتقبلها]:قبلها.

[كفّلها]:ضمنها من كفل و كافل إذا تكفلت مؤنته.

[المحراب]:مقام الامام من المسجد و أصله أكرم موضع فى المجلس و أشرفه،و يقال للمسجد أيضا محراب و قيل انه أخذ من الحرب لأنه يحارب فيه الشيطان.

ص:۵۴۵

۳۹[سیدا]:السید مأخوذ من سواد الشخص فقیل سید القوم بمعنی مالک السواد الأعظم.و هو الشخص الذی یجب طاعته لمالکه هذا إذا قید و إذا أطلق فلا یستعمل الا لله سبحانه.

[حصورا]:ممتنع عن الجماع و یقال للذی یکتم سره حصور.

۴۰[عاقر]:من الرجال الذی لا یولد له و من النساء التی لا تلد.

۴۱[رمزا]:الإیماء بالشفتین و قد یستعمل فی الحاجب و الید و الاول أغلب.

[العشی]:من حین زوال الشمس الی غروبها،الأبکار:من حین طلوع الفجر الی وقت الضحی.

الجماهير تقديس الذوات

اشاره

و بصائر القرآن

هدى من الآيات:

من خلال قصه واقعيه لرجال عاشوا و خلّفوا لنا عبرا..آل عمران و آل إبراهيم.

و من خلال تجربه حيه لا تزال تتفاعل فى الحياه.تتحدث آيات القرآن عن حقائق كليه،و بصائر عامه،تكون هدى للناس جميعا و فى كل عصر.

و من ابرز تلك الحقائق:ان العنصريه أخبث ثمار قيمه الأرض،قيمه التراب و التمحور حول الذات و تقديسها و جعلها المقياس الأفضل.

أقول:هذه العنصريه هى الطرف المتناقض تماما مع حقائق الكون،و سنن التاريخ.و انها فكره.متخلفه و باطله،و تحمل فى طياتها اخطر النتائج ضد الإنسان و بوجه خاص ضد من يحملها.

و لا بد ان تتجسد العنصريه فى شكل تقديس ذات بشرى،قد يكون هو «عيسى»،أو«عزيز»،أو«محمد»،أو«على»(عليهم جميعا صلوات اللّه).و جعله

ص:۵۴۷

فی مصاف اللّه.

و تنتشر القداسه بعدئذ فی اتباع«عیسی» علیه السلام ،و أبناء«عزیز» علیه السلام و أقاربه، و جماعه«محمد» علیه السلام و طائفه«علی» علیه السلام ،و إذا بها تتحول الی فکره باطله،تزعم ان مجرد الانتماء الجسدی أو اللفظی،لهو یکفی لخلاص الإنسان من المسئولیه.فی الوقت الذی لم یستطع أولئک الرجال ان یصلوا الی تلک الدرجات العالیه من،دون العمل الصالح المخلص للّه،و العبودیه المطلقه لسلطانه العظیم.

من هو عیسی،انه مجرد عبد للّه.کانت امه مریم و کانت جدته امرأه صالحه.

و کان هو من أنبیاء اللّه.و حمّله المسئولیه و کان أهلا لها.

ان معالجه السیاق لمشکله تقدیس الذوات،من خلال تقدیس أنبیاء اللّه العظام،أفضل وسیله لضرب هذه الفکره،التی هی قاعده التمییز العنصری.

و السبب ان اللّه فضل أنبیاءه،و أکرمهم،و حملهم اقدس رساله،و خصهم بأکبر نعمه، هی العبودیه للّه.و لکن مع کل ذلک لم یرتفعوا الی درجه القداسه الذاتیه،التی تبعدهم عن مسئولیه أعمالهم.فکیف إذا قدسنا بشرا عادیین،أمثال فرعون و هامان أو آخرین.

إن الشعوب الاسلامیه تردت الیوم الی حضیض تقدیس الذوات التاریخیه، و المعاصره.فهی تقدس السلاطین،و الخلفاء،و العلماء،السابقین الی درجه تحجبها عن تقییم أعمالهم،و افکارهم.کما تقدّس السیاسیین و القاده المتسلّطین علیها، و هذه فکره متخلفه تجدها أیضا فی الشعوب البدائیه.

و القرآن کتاب هدی و نور جاء لینقذ الإنسان من اغلاله الفکریه، و الاجتماعیه،و لا ریب انّ من أسوأ تلک الأغلال:

هو تقـديس الـذوات فجاءت فى هـذه السوره،قصه آل عمران كـدليل على ان اللّه لم ينتخب أنبياءه عبثا،بل لأنهم كانوا من ذريه طيبه.فبدأت الآيات:بالأمر بالاتباع و الطاعه لكتب اللّه و رسله،ثم بينّت طريقه اصطفاء اللّه لرسله.الذين لا يختلفون عن بعضهم فى شيء،فذكرت بأنّ التربيه الصالحه،و صدق إيمان الأم، و تقوى الأب،هذه هى من عوامل الاصطفاء.

لقـد كانت مريم صـدّيقه،لأن أمها نـذرتها للّه.اما يحيى فقـد أصـبح نبيا صالحا، لان أباه دعا ربه.و لم تصـبح مريم صـديقه،بنـذر والدتها فقط،كما ان يحيى لم يصبح نبيا،لدعاء والده فقط.بل لعملهما أيضا.

بينات من الآيات:

كيف نحب اللّه؟:

[۳۱]هـل يكفى ان نحب ربنـا حبا صوفيا ساذجا،كلا،الحب الصادق هو الـذى يعكسه العمل الصالـح و الا فهو ليس سوى خـداع اللـذات.و اللّه لاـ يحب أحـدا من دون العمل.بيـد ان العمـل لا يمكن ان يكون للّه،الا عن طريق الرسول.إذ لا يوحى اللّه الى كل إنسـان و فرد.فـاذا حـاول كـل منـا ان يسـتكشف الـدين من خلالـ عقله،فان انحرافات كثيره سوف يقع فيها، بسـبب امتزاج عقله بهواه،و علمه بشهواته من هنا جاءت الايه:

قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَـاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَ اللّهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ اتبـاع الرسول يسـتدرج غفران اللّه،و لاـن مجرد الاتبـاع تنـازل عن ذاتيه الإنسـان، و ارتفـاع الى مسـتوى التسـليم للّه،فهـذا العمـل العظيم يشـفع لصـاحبه فى بعض الـذنوب الصغيره.

ص:۵۴۹

[۳۲]اتباع الرسول يتم بتطبيق رساله اللّه التى نزلت عليه،و اتخاذه أسوه حسنه فيما قام به من عمل،أو تميز به من سلوك.و لكن الاتباع وحده لا يكفى،بل يجب طاعه الرسول أيضا.و ذلك فيما يرتبط بالقضايا التى تحدث يوميا،و تتجدد،من حرب و سلم،و اقتصاد و سياسه،و اجتماع و عمران،و بالتالى فى كل الحقول الحياتيه المتجدده و طاعه الرسول فى هذه القضايا جزء من طاعه اللّه:

قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فكما ان طاعه اللّه واسعه و شامله،كذلك طاعه الرسول.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ الْكٰافِرِينَ و هؤلاء الذين يرفضون طاعه الرسول هم بمثابه الكافرين إذ ان أهم فوائد الايمان التسليم للّه،ليس فى القضايا الثابته من حياه الإنسان فقط،بل و فى الاحداث المتطوره،التى تتركز فيها ضغوط الحياه بشكل حاد،و لا تدع صاحبها يطيع القياده الرساليه،الاّ بصعوبه بالغه.

[۳۳]و لكن لماذا نتبع الرسول و نطيعه؟أ فليس من الأفضل أن يتبع كل منا عقله،و يطيعه فى قضاياه،مسترشدا بالتعاليم الدينيه؟لماذا يضع بينه و بين اللّه واسطه بشر آخر هو الرسول،أو القياده التى تجسد رساله الدين؟ الجواب:ان البشر الذين يأمر اللّه عباده باتباعهم،ليسوا كسائر البشر انما هم صفوه اللّه فى الأرض.اختارهم اللّه بعد ان ابتلاهم،و وجدهم أهلا لرسالته.

و اتباعهم،و طاعتهم،ضمان للبشريه من الانحراف عن خط الرساله،و الاختلاف فيما بينها فى زحمه الحياه،و تحت ضغوط الأهواء الشديده:

إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى الْعٰالَمِينَ

[۳۴]و لم یکن هـذا الاصـطفاء بسـبب عنصـری و الـدلیل علی ذلـک ان اللّه اختـار آدم و آدم أب الناس جمیعا.ثم اختار من آل إبراهیـم و مـن آل عمران،أنبیـاء دون ان یمیز واحـدا علی آخر.فلـم یکـن عنصـر آل عمران أفضـل من سـائر فصائـل آل إبراهیم المنحدرین من غیر عمران..بل هؤلاء بعضهم من بعض دون تمییز:

ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ یعلم خائنه الأعین و ما تخفی الصدور،فیختار من عباده،من یری فیه صلاحیه الاختیار.و لا یختار رسله من عنصر معین انی کانوا.

فی رحاب الاختیار:

[۳۵]و لنستمع الی قصه واحده لهذا الاختیار،و لتبدأ القصه من هناک،من داخل القلب الطاهر و النیه الصادقه و الایمان التائب:

إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّی نَـذَرْتُ لَـکَ ما فِی بَطْنِی مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّی إِنَّکَ أَنْـتَ السَّمِیـعُ الْعَلِیـمُ انهـا کـانت کـأیه امرأه اخری،حملت بجنین،و أخذت تفکر فی مصیر الجنین الجدید.لم تفکر فی ان یصبح رجلا ثریا،أو ملکا کبیرا،أو عالما،أو طبیبا،أو مهندسا أو ما أشبه.و لم تحلم بأیامها معه فی المستقبل،حیث یساعدها علی مشاکل الحیاه حین تضعف مقاومتها للمشاکل.کلا لم تفکر امرأه عمران بهذه الأحلام المادیه،بل فکرت فی رساله الإنسان فی الحیاه،و هی عباده اللّه،و العمل فی سبیله.

فنـذرت ان تجند ابنها لهذه الغایه،و تحرره من ایه روابط اجتماعیه،اخری،حتی یتفرغ فی سبیل اللّه ثم تضـرعت الی اللّه ان یتقبله بفضله.

[۳۶]و کانت هذه أمنیه امرأه عمران طوال فتره الحمل،حتی إذا وضعت أنثی

صعقت،و كأن آمالها قد خابت،حيث زعمت ان الأنثى لا تستطيع ان تتفرغ للعمل الجهادى فى سبيل اللّه.

فَلَمّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُها أُنْثیٰ وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ فهی لیست أنثی كأیه أنثی.انها صدیقه تكونت فی رحم امرأه عمران المؤمنه الصادقه، و نمت فیها روح الرساله بسبب ایمان أمها،و عملها الصادق أیام حملها لها، و لكن امرأه عمران قالت:

وَ لَیْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثیٰ وَ إِنِّی سَمَّیْتُها مَرْیَمَ وَ إِنِّی أُعِیذُها بِكَ وَ ذُرِّیَّتَها مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ

آثار التربیه علی نمو الطفل:

[٣٧]و كان لهذا الایمان الصادق اثر فی مستقبل مریم..ذلك لان ایمان الام، و تربیتها،یؤثران ایجابیا فی تنمیه فطره الایمان فی الولید.و قد رأینا كیف ان امرأه عمران،تضرعت الی اللّه بان یعیذها من الشیطان،و تعنی ضراعتها،انها أخذت تعمل من أجل هذه الغایه أیضا،إذ الدعاء هو قمه العمل الجهادی عند المؤمنین، و لیس أبدا بدیلا عن العمل.من هنا كان للدعاء و العمل اثر ایجابی كبیر علی مستقبل مریم:

فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِیّا ان الایمان كسكه الحدید لو وضع قطار علیها.ساعدت علی استقامته و تقدمه.

كذلك الایمان،لو رافق حركه النمو عند الطفل منذ البدایه،ساعد علی استقامه الطفل فی كافه جوانب تربیته.و ذلك بألا تنمو فیه صفه علی حساب صفه.فلا دلال علی حسابه المسئولیه.و لا كبت علی حساب الشعور بالكرامه،و لا حب علی

حساب الاستقلال،و لا جفاء على حساب العلاقه الاجتماعيه.

كما يساعد جو الايمان فى البيت،على تعزيز روح الالتزام فى نفسيه الطفل.

ذلك لان الطفل الـذى لا يرى الذين من حوله ينفذون برامج محدده،و بإخلاص و اطمئنان،فهو الاخر يحب ان ينفذ برامج مثلها من دون ضغط.

كل ذلك ساعـد على إنبات مريم نباتا حسـنا،و كان من أفضل نعم اللّه على مريم،انه كفلها زكريا ذلك الشـخص العالم،و النبى العظيم،الـذى أفنى عمره فى اللّه،و خـدمه لعبـاد اللّه.و هكـذا يكون دور المربى الصالـح،فى تنميه كفـاءات الطفل، حيث أثمرت تربيته الصالحه،و دعاء أم مريم،و تربيتها فى تكوينه مريم التى اتجهت كليه الى اللّه تعالى،و أخـذت تقف ساعات طويله،تتضـرع الى اللّه و قابلها ربها بفضله و ذلك:

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هذه مريم و أولئك أهلها،و تلك تربيتها،و هذا كفيلها،و هذا من فضل و نعم اللّه عليها.

كيف يختار اللّه الرسل؟:

[۳۸]لنترك مريم موقتا الى قصه اخرى تبين كيف يصطفى اللّه رسله.

بين اللّه ببساطه لماذا فضلـت مريم،و الآن يبين ان كل من اتبع ذات الطريق فسوف يصل الى النتيجه التى وصـلت إليها مريم.فهذا زكريا.حين وجـد عنـد مريم رزقا فى غير موسـمه،و من غير الطرق العاديه،عرف ان الـدعاء الى اللّه،زائدا العمل الخالص للّه،ينفع الإنسان فى الوصول الى طموحاته،و غاياته بالطرق غير الطبيعيه.

ص:۵۵۳

لذلک توجه الی اللّه،بهدف تحقیق امنیه قدیمه عنده:

هُنالِکَ دَعا زَکَرِیّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّهً طَیِّبَهً إِنَّکَ سَمِیعُ الدُّعاءِ و بالطبع کان زکریا کأی نبی آخر،یعلم ان اللّه یجیب الدعاء،و لکن وجد مناسبه صالحه للدعاء و نبه علیها القرآن بکلمه(هنالک)لکی تکون لنا عبره،تدل علی ان اللّه لا یمت الی أحد بقرابه،بل یجازی کل من یعمل صالحا.فلم تکن مریم الوحیده التی أجیبت فیها دعوه والدتها،بل زکریا هو الاخر استفاد من الوضع، و دعا ربه فاستجاب له ربه فی ذریته.

[۳۹] فَنادَتْهُ الْمَلائِکَهُ وَ هُوَ قائِمٌ یُصَلِّی فِی الْمِحْرابِ کما کانت مریم من قبل قائمه فی المحراب،فکان یأتیها الرزق من السماء.

أَنَّ اللّهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْییٰ مُصَدِّقاً بِکَلِمَهٍ مِنَ اللّهِ تلک الکلمه التی هبطت علی مریم بعدئذ فی شکل عیسی،حیث کان یحیی نبیا تابعا لعیسی و مصدقا به:

وَ سَیِّداً بالرغم من انه تابع لعیسی،إلا اتباعه لعیسی علیه السلام کان نابعا من ایمانه باللّه،فلم یفقده کرامته و سیادته.

وَ حَصُوراً معصوما عن الذنوب،و بصفه خاصه الفواحش الجنسیه،التی کانت شائعه

ص:۵۵۴

يومئذ،و التى قتل بعدئذ فى مقاومته لها.

وَ نَبِيًّا مِنَ الصّٰالِحِينَ [۴۰]كان زكريا قد دعا ربه،حين وجد عند مريم رزقا-دعا ربه-فى قمه تأثره بالحادثه،لأنها ذكرته بأمنيته القديمه.اما الآن و هو فى المحراب،فقد نسى نفسه و أمنياتها،و حتى يكون قد نسى حادثه الدعاء.انه الآن متوجه الى اللّه وحده، خالص للّه وجهه،لذلك فوجئ ببشاره الملائكه:

قٰالَ رَبِّ أَنّٰى يَكُونُ لِي غُلاٰمٌ وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عٰاقِرٌ قٰالَ كَذٰلِكَ اللّٰهُ يَفْعَلُ مٰا يَشٰاءُ [۴۱]كان مجتمع بنى إسرائيل انئذ فاسدا،الى درجه انهم كانوا يرتابون حتى فى زكريا.و الآن لو ذهب الى الناس،و أخبرهم بان اللّه رزقه يحيى من امرأه عاقر، فكيف يصدقونه..لذلك:

قٰالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قٰالَ آيَتُكَ أَلاّٰ تُكَلِّمَ النّٰاسَ ثَلاٰثَةَ أَيّٰامٍ إِلاّٰ رَمْزاً و ذلك فى صيام صامت،و اعتزال ظاهر عن الناس.الذين فسدت ضمائرهم، و أخذوا يتشككون فيه.ان نوع العباده كان ينسجم مع نوع المجتمع.

وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكٰارِ فمزيدا من الارتباط باللّه،عن طريق ذكر اللّه و تسبيحه ليل نهار،هو الكفيل بإعاده ثقه الناس بالنبى.إذ النبى لا يعرف بكثره المال،أو كثره الحديث،بل بالتوجه الى اللّه،و الدعوه اليه.و هذا من ابرز علامات الأنبياء دائما..

و على الناس ان يفكروا هم بأنفسهم،ان زكريا لا يمكن ان يكون كاذبا،فيأتى

بوليد من الشارع(حاشا للّه)و يسـميه ابنا له،ان على الناس ان يعرفوا نبيهم بعقولهم،لا بمزيد من خوارق الطبيعه.و المجتمع الذى لا يريد ان يتعرف على رسوله، لا تنفعه خوارق الطبيعه،كما لم تنفع مع أقوام المرسـلين السابقين.لعلّه لهذا لم يزود اللّه زكريا بآيات خارقه للطبيعه.بل امره بالمزيد من تطبيق شريعته و فى ذلك أكبر دليل على صدقه.

ص:۵۵۶

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۴۲ الى ۵۱]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَتِ اَلْمَلاٰئِكَةُ يٰا مَرْيَمُ إِنَّ اَللّٰهَ اِصْطَفٰاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اِصْطَفٰاكِ عَلىٰ نِسٰاءِ اَلْعٰالَمِينَ (۴۲) يٰا مَرْيَمُ اُقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اُسْجُدِي وَ اِرْكَعِي مَعَ اَلرّٰاكِعِينَ (۴۳) ذٰلِكَ مِنْ أَنْبٰاءِ اَلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مٰا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مٰا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (۴۴) إِذْ قٰالَتِ اَلْمَلاٰئِكَةُ يٰا مَرْيَمُ إِنَّ اَللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اِسْمُهُ اَلْمَسِيحُ عِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي اَلدُّنْيٰا وَ اَلْآخِرَةِ وَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِينَ (۴۵) وَ يُكَلِّمُ اَلنّٰاسَ فِي اَلْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۴۶) قٰالَتْ رَبِّ أَنّٰى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قٰالَ كَذٰلِكِ اَللّٰهُ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ إِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۴۷) وَ يُعَلِّمُهُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ اَلتَّوْرٰاةَ وَ اَلْإِنْجِيلَ (۴۸) وَ رَسُولاً إِلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَةِ اَلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ أُبْرِئُ اَلْأَكْمَهَ وَ اَلْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ اَلْمَوْتىٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِمٰا تَأْكُلُونَ وَ مٰا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۴۹) وَ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ اَلتَّوْرٰاةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ اَلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۵۰) إِنَّ اَللّٰهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ (۵۱)

اللغه

۴۴[أنباء]:أخبار.

۴۵[المسيح]:أى مسح من الاقذار و طهر.

[وجيها]:كريما على من يسأله فلا يرده لكرم وجهه.

ص:۵۵۷

۴۶[کهلا]:ما بین الشاب و الشیخ.و قیل الکهوله بلوغ أربع و ثلاثین سنه.

ص:۵۵۸

رساله عیسی من میزات

اشاره

النشأه الی خصائص الرساله

هدی من الآیات:

کنا نتابع رحله الرساله مع«مریم»،و بالمناسبه مع«زکریا»حیث اختار اللّه ابنه رسولا لیس عبثا و لا بمحض الصدقه..بل لما تمتع به زکریا من إخلاص، ثم دعوته الصادقه الی اللّه.و نعوذ الی«مریم»لنری کیف انها بدورها تضرعت الی اللّه فوهب لها غلاما زکیا.

ذلک الغلام کان«عیسی»الذی اختاره اللّه للرساله منذ الولاده..کرامه لمریم الصدیقه،و لأم مریم الصالحه،ان اللّه لم یبعث رسله منذ الولاده إلاّ فی قصتی یحیی و عیسی،لکی لا یعتقد الناس بألوهیه الأنبیاء،فلو کان الأنبیاء آلهه إذا لکانوا أنبیاء منذ الولاده،و لما ابتلوا و افتتنوا و خرجوا من مصنع الابتلاء و من ثم اختیروا أنبیاء.

أما یحیی و عیسی علیه السلام فلم یکن اختیارهما عبثا،بل کرامه لوالدیهما،و جزاء

حسنا لاعمالهما الصالحه،و اللّه لا يعاقب أحدا بسبب ذنب غيره،و لكنه قد يكرم أحدا بسبب حسنه غيره.

و تبين آيات القرآن هنا بعضا من معاجز«عيسى»،و يشير القرآن بأنها كانت بإذن اللّه،لكى ينسف الدليل الثانى الذى تمسك به النصارى فى اتخاذهم عيسى إلها،أما الدليل الأول و هو ولادته من دون أب،فيبيّنه حين يقارن بينه و بين آدم الذى خلقه من التراب فهو أولى إذا باتخاذه إلها.

و تبين الآيات خلاصه لدعوه عيسى عليه السلام و التى كانت خالصه للّه،و أخيرا، ينهى الحديث ببيان إِنَّ اللّٰهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ و علينا جميعا التسليم له،و بالتالى:فان عيسى لم يكن سوى عبد مطيع للّه،و الآيات عموما تعالج فكره العنصريه من زأويتها الدينيه كما يأتى الحديث عنه.

بينات من الآيات:

اشاره

[۴۲]لم تصبح مريم صديقه و والده عيسى،لمجرد دعاء أمها،و تربيه زكريا كفيلها بل و أيضا لقيامها بواجبها،فى عباده اللّه..

وَ إِذْ قٰالَتِ الْمَلاٰئِكَهُ يٰا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفٰاكِ عَلىٰ نِسٰاءِ الْعٰالَمِينَ [۴۳]و لكن لا يعنى اصطفاك انك غير مسئوله عن عمل،و لا مكلفه بواجب، بل بالعكس تماما تتضاعف مسئولياتك و أعمالك.

يٰا مَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِى وَ ارْكَعِى مَعَ الرّٰاكِعِينَ فالخضوع للّه و التسليم لأوامره،و التجرد عن الذات(القنوت)،ثم التطبيق

العملی لهـذا الخضوع(السـجود)،ثم التطبیق الاجتماعی له(الرکوع مع الراکعین)، هو الواجب المضاعف علی مریم،الـذی اسـتتبعه اختیارها للرساله.

إذا..مریم لم تسقط عنها التکالیف بسموها الی درجه الصدیقین،بل ازدادت للدلاله علی خطأ الفکره العنصریه.

[۴۴]و کـانت من نـتیجه طهـاره مریم و تسـلیمها المطلق للّه،ان أخـذ النـاس یختصـمون أیهم یکفـل«مریم»،فـاحتکموا الی القرعه بطریقه فریـده. انهم یأتون البحر و یلقون فیه أقلامهم،فالقلم الـذی یغوص فی الماء یحظی صاحبه بشـرف کفاله مریم،حیث کان ذاک هو«زکریا»کما بین القرآن سابقا.

ذٰلِکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ وَ مٰا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلاٰمَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ مٰا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یَخْتَصِمُونَ [۴۵]هذه هی مریم و تلک قصـتها..قصه امرأه صالحه تضرعت لربها،فولدت مریم الصدیقه،التی لم تکتف بطهاره مولدها،بل أتعبت نفسها فی ذات اللّه فأصبحت صدیقه.

أما قصه عیسی علیه السلام فقد ابتدأت من کرامه اللّه لمریم التی جزاها لأنها أحصنت فرجها بان رزقها ولدا من غیر أب..

إِذْ قٰالَتِ الْمَلاٰئِکَهُ یٰا مَرْیَمُ إِنَّ اللّٰهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ

أسماء عیسی و خصائصه:

انه کلمه من اللّه.لأنه أخلص نفسه و أخلصه اللّه للدعوه الیه و اصطنعه

لنفسه.و انه كلمه من اللّه،لان اللّه يخلق كلّ شيء من خلال السنن الكونيه،أما «عيسى»فخلقه بكلمه،كما خلق كذلك آدم من قبل فقال له(كن)فيكون.

ان إراده اللّه و مشيئته الحره تتجسد فى أمر إلهى،يسميه القرآن بالكلمه،لان كل امر يصدر منا نحن الذين يتحدث القرآن لنا و حسب مستوى فهمنا،يعبر عنه بالكلمه و لكن لماذا سماه اللّه ب(المسيح)؟لأنه:

لم يختر لنفسه منزلا بل انتقل من موقع لموقع،يدعو الناس الى اللّه.

و عيسى لم يكن ابنا للّه.بل لمريم.و لذلك نسبه اللّه إليها بينما نجد القرآن يذكر أنبياءه من دون نسبه الى أب،أو أم،أو عشيره.فلا نجد فى القرآن مثلا التعبير عن نبينا ب(محمد بن عبد اللّه).

وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ و من أكثر وجاهه و شهره و تقديرا من«عيسى»،الذى يقدره اليوم الملايين؟!أما عند اللّه فهو نبى وجيه،و من الأنبياء أولى العزم،الذين فضلهم اللّه على العالمين و جعلهم مقربين اليه سبحانه.

[۴۶] وَ يُكَلِّمُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ الصّالِحِينَ فهو لا يدعو الناس فقط،بل و يدعو نفسه الى اللّه،و يعبد اللّه سبحانه بإخلاص.

[۴۷] قالَتْ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «مريم»الصديقه ارتاعت و امتلكها التعجب و الدهشه،كيف يرزقها اللّه

ولدا؟!و هكذا كانت القضيه غيبيه،متصله بإراده اللّه،و لم تكن طبيعيه مرتبطه بسموّ مريم الى درجه الالوهيه،أو سمو عيسى الى هذه الدرجه.و إلاّ فان العمليه لم تكن عجيبه بالنسبه الى«مريم»نفسها.

انما كانت خلقه اللّه لعيسى تماما كخلقته لكلّ شىء فى الكون،لم يكن،ثم كان بإراده اللّه،و بكلمته لها(كن)،فهل صحيح ان نقول ان اللّه ولد الأشياء لمجرد انها لم تكن،ثم كانت؟!كذلك غير صحيح أن نتصور عيسى ابنا للّه،لمجرد انه ولد بصوره غير طبيعيه.

[۴۸]و عيسى لم يكن إلها،بل بشرا علمه اللّه الأسماء،و لو كان ذا طبيعه الهيه،إذا لما احتاج الى تعليم اللّه له لأن من يتصف بالألوهيه يعلم الأشياء ذاتيا، أما عيسى فقد أعطاه اللّه من علمه بقدر ما شاء.

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرٰاةَ وَ الْإِنْجِيلَ لعلّ الكتاب هو الدستور الثابت المتصل بالرؤى العامه فى الحياه.أما الحكمه فهى التشريعات العمليه الخاصه ذات الصبغه التطوريه و الكتاب كان يتمثل فى التوراه،أمّا الحكمه فكانت موجوده فى الإنجيل.

[۴۹]و بعد ان علّمه اللّه الكتاب و الحكمه،اختاره نبيا،و أعطاه صفه الرساله عطاء،دون أن يمتلكها ذاتيا،كما يمتلك أحدنا مثلا عينه.

وَ رَسُولاً إِلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ و ليست الآيه منى بل من اللّه و انا واسطه نقل فحسب،و هكذا لم تكن معاجز «عيسى»دليلا على انه ابن اللّه،إذ كانت تلك المعاجز-فى الواقع من اللّه- و إنّما ظهرت على يد عيسى، كما ان العين مثلا آيه عظيمه من آيات اللّه،و لكنها

تظهر فی جسدی و جسدک.فهل هی دلیل علی اننا آلهه«سبحان اللّه».

من هنا نجد کلمه«اذن اللّه»تتکرر فی المقطع التالی،للدلاله علی ان کل تلک المعاجز هی من اللّه.

أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ تمثالا و اجعله..

کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً حیا یطیر فی السماء کأی طیر آخر کلّ ذلک..

بِإِذْنِ اللّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللّهِ وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ فاذا کاتب لأحدکم قرصان من بر و شعیر،أکل أحدهما فانی أخبر أیهما أکل، و أیهما احتفظ بها..کل هذه المعاجز لا یقدر علیها البشر فهل استطاع البشر أن یحول قطعه طین الی طیر حی فیه ملیارات الخلایات،و کلّ خلیه معجزه الهیه؟لا یستطیع البشر أن یصنعوها و لو اجتمعوا علیها.أم هل استطاع کل أطباء العالم أن یحققوا حلم الإنسان بإحیاء الموتی؟و لکن عیسی قدر علیه بإذن اللّه.

إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ أما إذا عاندتم فان ملایین الآیات لن تنفع الجاحد.

وحده الرسالات فی المبدأ و الهدف:

[۵۰]رسالات السماء واحده،و ابسط دلیل علی صدقها جمیعا هو وحدتها.إذ

ص:۵۶۴

مستحیل علی البشر ان یوحد أفکاره بهذه الدرجه،مع اختلاف و الظروف و الضغوط،و الثقافات و،و.

انک لا تجد کاتبین یتحدان فی أصول الفکر،أو فی تفاصیله،حتی و لو کانا توأمین ینتمیان الی مذهب واحد،و یعیشان فی أرض واحده،و یعملان من أجل هدف مشترک فکیف بشخصین عاشا فی عصرین متناقضین،و یختلفان عن بعضهما فی کلّ شیء،إلاّ فی التفکیر؟!هل یمکن ذلک لو لم یکن مصدر الفکر واحدا؟ و بالطبع لم یکن«عیسی»مقلدا لموسی علیه السلام ،بل کان مشرّعا أیضا،و مطبقا لشریعته بإذن اللّه،و حسب الظروف المختلفه،و لکن مع کلّ ذلک فقد ظلت أصول فکره،و طریقه معالجته للقضایا،و أهدافه التشریعیه واحده لأنّهما رسولان من إله واحد..

وَ مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرٰاهِ وَ لِأُحِلَّ لَکُمْ بَعْضَ الَّذِی حُرِّمَ عَلَیْکُمْ وَ جِئْتُکُمْ بِآیَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ للدلاله علی صدق النبوه و ضمان سلامه التطویر،انه من عند اللّه.

فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ [۵۱]و أهم و أبرز الأدله علی صدق الأنبیاء فی دعوتهم،انهم لا یدعون الناس الی أنفسهم، بل الی اللّه الذی یلزمون أنفسهم بأوامره و یخلصون له العباده،ثم یأمرون الناس بمثل ذلک و عیسی فعل مثل ذلک،و هو دلیل علی انه بشر و انه رسول، فهو لیس إلها یدعو الناس الی ذاته،کما انه لیس سلطانا یفعل مثل ذلک باعتبار ان السلاطین یستحیل أن یدعو الناس الی غیر أنفسهم.

إِنَّ اللّٰهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِیمٌ

ص:۵۶۵

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۵۲ الى ۵۹]

اشاره

فَلَمّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ اَلْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اَللّهِ قالَ اَلْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اَللّهِ آمَنّا بِاللّهِ وَ اِشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ (۵۲) رَبَّنا
آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اِتَّبَعْنَا اَلرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ اَلشّاهِدِينَ (۵۳) وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اَللّهُ وَ اَللّهُ خَيْرُ اَلْماكِرِينَ (۵۴) إِذْ قالَ اَللّهُ يا عِيسى إِنِّي
مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوكَ فَوْقَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ اَلْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۵۵) فَأَمَّا اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۵۶)
وَ أَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اَللّهُ لا يُحِبُّ اَلظّالِمِينَ (۵۷) ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ اَلْآياتِ وَ اَلذِّكْرِ
اَلْحَكِيمِ (۵۸) إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اَللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۵۹)

ص:۵۶۶

بشريه الرسول

اشاره

و مراحل انتصار الرسالات

هدى من الآيات

كان عيسى بشرا رسولا،تلك هى خلاصه الآيات فى الدرسين السابقين و فى هذا الدرس أيضا،و لكن القرآن يعالج هذه الفكره هنا من وجهات عديده:

أولا:من جهه موقف الحواريين،و هم الرعيل الاول من المؤمنين بعيسى، موقفهم منه،و انهم لم يتخذوه إلها كما فعل التحريفيون،و لو كان عيسى إلها لحق لأولئك قبل غيرهم ان يكشفوه،لأنهم عاصروه مباشره.

ثانيا:من جهه نهايه«عيسى»الخارقه،حيث رفع الى السماء فهى لا تدل على انه ابن اللّه.بل لا يعدو ذلك ان يكون معجزه كسائر معاجزه.

و يختم القرآن هذا الدرس بدليل بسيط على ان عيسى لم يكن إلها،هو ان مثله كمثل آدم.فهل آدم إله لأنه خلق من غير أب؟ و فى بدايه الدرس يبين القرآن المراحل الاجتماعيه لانتصار رساله«عيسى»و هى

ذات المراحل التی تجتازها أیه رساله،متصله بجهود البشر أنفسهم،و لیست دلیلا علی ان اللّه یحب عنصرا و یفضله علی غیره،فلم یتقدم الحواریون لمجرد حبهم لعیسی،بل للجهد المکثف الذی بذلوه عبر المراحل التالیه:

(أ)مرحله الفرز و اعتزال الاکثریه الضاله.

قٰالَ مَنْ أَنْصٰارِی إِلَی اللّٰهِ قٰالَ الْحَوٰارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصٰارُ اللّٰهِ (ب)مرحله الحرب و تخطیط کل طرف بالانتصار علی غیره و تقدم صاحب التخطیط الأفضل(وَ مَکَرُوا وَ مَکَرَ اللّٰهُ).

(ج)مرحله الانتصار علی العدو.

بینات من الآیات:

اشاره

[۵۲]عرف عیسی علیه السلام انهم یخادعونه،و لا یخلصون الایمان باللّه بالرغم من انهم کانوا ینافقون له و یتظاهرون بأنهم مؤمنون،فلم ینتظر عیسی علیه السلام ان یبادروا بالقضاء علیه،بادر بالاعتزال عنهم مقدمه لحربهم و الانتصار علیهم،و دائما تمر علی الدعوات الرسالیه هذه المرحله حیث تتکون العناصر الاولیه لها فتنفصل عن المجتمع الفاسد،و تکون لنفسها مجتمعا مثالیا یتفاعل و یتزاید عناصره و یحارب و ینتصر..

کذلک فعل عیسی علیه السلام .

میزان العاملین

فَلَمّٰا أَحَسَّ عِیسیٰ مِنْهُمُ الْکُفْرَ قٰالَ مَنْ أَنْصٰارِی إِلَی اللّٰهِ قٰالَ الْحَوٰارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصٰارُ اللّٰهِ طلب من الناس ان یحددوا مواقفهم،فاختارت طائفه منهم«الرساله»سماهم

القرآن بالحواريين..فقرروا اتّباع عيسى و إخلاص العبوديه للّه و الاستعداد للتضحيه.

آمَنّا بِاللّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ انهم آمنوا باللّه ايمانا صادقا و سلموا للّه أنفسهم.

[۵۳]ان ايمان هذه الطائفه باللّه كان عميقا و خالصا من المصالح و الأهواء، و من الريب و الشك،و كان بهدف واحد هو مرضاه اللّه سبحانه،انه كان ايمان العارفين،و كل دعوه تنتصر إذا امتلكت عناصر مخلصه،مثاليه فى ايمانها،و تقدم ذاتها ببساطه تامه الى اللّه و دون تعقيد،أو فلسفه،أو تردد..

من هنا نجد هذه الطائفه تعبر عن ايمانها بهذا الدعاء الدافى الصادق.

رَبَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ [۵۴]فى مواجهه هذه الطائفه كانت الاكثريه الضاله،التى حاولت ان تخطط لضرب هذه الطائفه بشتى الاساليب،و كلها فشلت لأن هذه الطائفه الصغيره كانت تتمتع بإيمان صادق،و بخطه ذكيه مستوحاه من اللّه سبحانه و معتمده على ايمان أصحابها.

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ ان أصحاب الرساله السابقين يتمتعون بميزات لا توجد فى مجتمعاتهم،فهم مؤمنون،و مضحون،و نشطون،و متحدون،و يمتلكون القدره على المبادره و الحسم، و ليس كذلك مجتمعاتهم المترهله.

النهايه المعجزه

[۵۵]و انتهت حياه عيسى(عليه السلام)بان رفعه اللّه اليه،و لكنه كان يتطلع

الی یوم تنتصر رسالته و أصحابه فطمأنه اللّه علی ذلک.

إِذْ قٰالَ اللّٰهُ يٰا عِيسىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رٰافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جٰاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ان التوفی هنا یدل علی ان اللّه رفع عیسی بجسمه و روحه معا.لان الکلمه تدل علی الأخذ بالکامل.

و جاءت کلمه(و رافعک)شرحا لمعنی کلمه الوفاه.

اما کلمه(و مطهرک)فتشیر الی التهمه الرخیصه،التی أراد الیهود الصاقها بعیسی فطهره اللّه منها حین استعاده(توفاه)منهم و من مجتمعهم الفاسد.

ثم بین القرآن ان اللّه سوف یجازی اتباعک و أعداءک مرتین.ففی الدنیا یجعل اتباعک فوق أعدائک و فی الاخره یحکم بینهم بالحق.

[۵۶] فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةِ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ و لا ینفع لهم انتمائهم الکاذب الی موسی علیه السلام ،أو نسبهم الشریف الذی یربطهم بالأنبیاء،بل سیأخذهم العذاب الشدید فی الدنیا،متمثلا فی الذله، و المسکنه،و التشرد،و فی الاخره متمثلا فی الجحیم و ساءت مصیرا.

[۵۷] وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ الظّٰالِمِينَ و لأنه لا یحب الظالمین،فأولی به الاّ یظلم أحدا من عباده،فلا یبخس أحدا

حقوقه،کلا انه سوف یوفیها بالکامل،و دون ان ینقص منها شیء،و دون ان یعطی جنانه بلا شیء من العمل الصالح،و الجهد،و مخالفه الهوی،ان الأجر هناک بقدر العمل.

فلتعتبروا یا أولی الألباب

[۵۸]تلک کانت قصص عیسی و قصص المعاصرین له،فهل هی مجرد قصه کلا..انها أولا آیات تدل علی حقائق،و أبرزها ان أنبیاء اللّه کانوا بشرا،و ان اللّه اختارهم لرسالته حین وجدهم أکفاء،و قدراء علی العمل الصالح.و لیس اعتباطا و لا لأنهم کانوا من عنصر أفضل من غیرهم،هذه حقیقه واحده نستفیدها من قصص عیسی،و هناک حقائق اخری نجدها وراء هذه القصص.

و هناک عبر و عظات نستفیدها من هذه القصص،أبرزها ما نتذکر به تذکر حکیم تفیدنا بصیره علمیه فی الحیاه،و علما نافعا.

من ضروره العمل الصالح و الاجتهاد،محاربه العناد فی أنفسنا،حتی لا یصبح مصیرنا کالیهود بل حتی نرتفع الی درجه الحواریین الصدیقین.

لذلک لخص القرآن فلسفه القصص السابقه بالقول:

ذٰلِکَ نَتْلُوهُ عَلَیْکَ مِنَ اَلْآیٰاتِ وَ اَلذِّکْرِ اَلْحَکِیمِ [۵۹]و بین القرآن بعدئذ الحقیقه البارزه فی قصص عیسی و قال:

إِنَّ مَثَلَ عِیسیٰ عِنْدَ اَللّٰهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ قٰالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ فلیس«عیسی»ابنا للّه،کما ان آدم لم یکن ابنا له،بل ان تلک القدره التی قالت للتراب کن..فکان رجلا سویا و أصبح آدم أب البشر،تلک القدره هی التی

خلقت عیسی من غیر أب.

و کذب الیهود حین کذبوا مریم و اتهموها بالإثم،لأن مریم کانت صدّیقه یعرفها الجمیع،و لان اللّه قادر علی ان یخلق عیسی من غیر أب،کما خلق آدم من التراب.

ص:۵۷۳

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۶۰ الی ۶۸]

اشاره

اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُنْ مِنَ اَلْمُمْتَرِینَ (۶۰) فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَکَ مِنَ اَلْعِلْمِ فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَکُمْ وَ نِسٰاءَنٰا وَ نِسٰاءَکُمْ وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اَللّٰهِ عَلَی اَلْکٰاذِبِینَ (۶۱) إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ اَلْقَصَصُ اَلْحَقُّ وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۶۲) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ عَلِیمٌ بِالْمُفْسِدِینَ (۶۳) قُلْ یٰا أَهْلَ اَلْکِتٰابِ تَعٰالَوْا إِلیٰ کَلِمَةٍ سَوٰاءٍ بَیْنَنٰا وَ بَیْنَکُمْ أَلاّٰ نَعْبُدَ إِلاَّ اَللّٰهَ وَ لاٰ نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً وَ لاٰ یَتَّخِذَ بَعْضُنٰا بَعْضاً أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اِشْهَدُوا بِأَنّٰا مُسْلِمُونَ (۶۴) یٰا أَهْلَ اَلْکِتٰابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِی إِبْرٰاهِیمَ وَ مٰا أُنْزِلَتِ اَلتَّوْرٰاةُ وَ اَلْإِنْجِیلُ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۶۵) هٰا أَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ حٰاجَجْتُمْ فِیمٰا لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِیمٰا لَیْسَ لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۶۶) مٰا کٰانَ إِبْرٰاهِیمُ یَهُودِیًّا وَ لاٰ نَصْرٰانِیًّا وَ لٰکِنْ کٰانَ حَنِیفاً مُسْلِماً وَ مٰا کٰانَ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۶۷) إِنَّ أَوْلَی اَلنّٰاسِ بِإِبْرٰاهِیمَ لَلَّذِینَ اِتَّبَعُوهُ وَ هٰذَا اَلنَّبِیُّ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اَللّٰهُ وَلِیُّ اَلْمُؤْمِنِینَ (۶۸)

اللغه

۶۱[نبتهل]:فیه قولان«أولاهما»بمعنی الالتعان.و بهله الله أی لعنه الله.أما«الآخر»بمعنی الدعاء بالهلاک فالبهل کاللعن و هو المباعده عن رحمه الله.

۶۴[کلمه]:کلام فیه شرح قصه و لذلک تقول العرب للقصیده کلمه.

[سواء]:عدل و قیل سواء مستو.

ص:۵۷۴

۶۵[تحاجون]:الحجاج هو ما يتضمن حجه أو شبهه فی صوره الحجه و الحجه هی البیان.

ص:۵۷۵

الحق مقياس الصواب

اشاره

و أساس الوحده

هدى من الآيات:

كانت قصص عيسى و يحيى تمهيدا جيدا لدحض العنصريه.ذلك الانحراف الكبير الذى وقعت فيه اليهود و النصارى و ابتعدوا به عن المحور الاساسى للأمه الرساليه ألا و هو«الحق».

و فى هذا الدرس يبين القرآن محوريه«الحق»،و يطرح بعض الحجج القاطعه عليه،أو بتعبير أفضل يبين لنا كيف نكتشف الحق و بأيه وسيله،فيذكرنا.

أولا:بأسلوب المباهله.

ثانيا:بطرح برنامج للوفاق الرسالى،الذى يعتمد بالاساس على توحيد اللّه و مخالفه التحزب و العنصريه.ثم يعالج قصه إبراهيم الذى جعله اليهود و النصارى مقياسا للحق،و يبين انه مقياس باطل.

أولا:لان إبراهيم لم يكن يهوديا أو نصرانيا.

ص:۵۷۶

ثانیا:لأنه کشخص لا یصلح مقیاسا للحق،بل انما کان إبراهیم نبیا لأنه اتبع الحق.

ثالثا:و أخیرا،لیس الانتماء الی إبراهیم بالنسب،أو بالکلام،بل بالاتباع الصادق. و بعدئذ یتابع السیاق فی الدروس القادمه مواقف أهل الکتاب من الرساله الجدیده و التی منها توسلهم بأسالیب التضلیل السافله ککتمان الحق،أو تلبیسه بالباطل،أو الایمان ثم الارتداد،لا لقاء الشک فی النفوس.ثم یناقش بعض الآثار العملیه للفکره العنصریه متمثله فی الخیانه بالامانه.

و یبین أخیرا:دور علماء الدین و الثقافه،المنحرفین فی تضلیل الجماهیر، بإعطائهم ثقافات مریضه و مسمومه و کیف ان هذا الدور یناقض دور عالم الدین أو المؤمن الصادق.

بینات من الآیات:

اشاره

[۶۰]ان الحق مقیاس التقییم السلیم.لا الرجال و لا العنصر و الحق من اللّه.

فهو الذی یهدی الیه،و هو الذی یجزی علیه،و هو الذی یضمن تنفیذه بالتالی شئنا أم أبینا.و لأنه من اللّه فلا أحد یستأثر به،أو یحکم باسمه الناس،و یتخذهم عبیدا، لأن اللّه رب الجمیع،و لیس لطائفه دون اخری،و لأن الحق للّه فهو لا ریب فیه، لأن مصدر الشک هو الهوی و المصلحه و الجهل،و تعالی اللّه عنها.

دلائل صدق الرساله

اننا قد نشک فی دعوه مصدرها رجل،و عنصر،أو قوم أو أهل إقلیم،لاننا نعرف ان الرجل قد یکون جاهلا أو ساذجا أو خبیثا،و انه قد یتأثر بضغوط مصالحه أو مصالح عنصره أو إقلیمه أو قومه.بید ان اللّه لا یرقی الیه شک من هذا النوع أو من غیر هذا النوع سبحانه.

اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ [۶۱]یقین الرسول برسالته شاهـد حق علی صـدقها،ذلک ان هذا الایمان لا یجتمع أبدا مع کـذب الرسول أو خـداعه للنـاس،و لکـن کیـف یمکـن للنـاس ان یکتشـفوا صـدق الرسـول فی ایمـانه برسـالته و یقینـه التـام بمضـمونها؟هل من خلال أقواله فحسب؟کلا..بل من خلال ممارساته العملیه،و من خلال جهاده و تضـحیاته و عطائه،و أیضا من خلال عملیه الابتهـال حیث تقف طائفتـان متعارضـتان امام اللّه و یـدعوان علی الکاذب منهما،و بالطبع سیسـقط آنئـذ القناع عن تلک الوجوه الکاذبه و تشرق الحقیقه من أفق الصادقین.

المباهله وسیله لکشف الحق:

و الابتهال-بالتالی-هو نوع من التحاکم امام الغیب حیث یراجع کل طرف ضمیره و یحتکم الی تقواه.

فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فی الحق فلا تجادل معه جـدا لا کلامیا قـد یطول،بل دعه یحتکم الی الواقع،لان العلم لیس لفظا و لا کلمات تحریریه،انما هو کشف عن واقع ملموس فی الخارج إذا.

فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَکُمْ وَ نِسٰاءَنٰا وَ نِسٰاءَکُمْ وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ الی اللّه و نتضرع فی ان یکشف الحقیقه.

فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّٰهِ عَلَی الْکٰاذِبِینَ و هنا لا یستطیع الکاذب ان یستدرج اللعنه علی نفسه فیفتضح،و قد فعل

الرسول مره واحده هذه العمليه،حيث جمع أهل بيته و ذهب الى مواجهه نصارى «نجران»للابتهال و لكنهم انسحبوا و افتضحت دعواهم.

[۶۲]ثم إنّ الحق من اللّه،و الاحتجاج فيه يتم عبر الابتهال الى اللّه،و لكن اين يوجد كلام اللّه؟فى«القرآن»..حيث يحدثنا من خلال قصصه الواقعيه عن الحق،فالحق فى منهج القرآن ليس ألفاظا و لا قواعد مجرده،انما هو بصائر تعطى من خلال قصص واقعيه.

تلك القصص تنتهى الى إقرار حقيقه التوحيد التى تعطى بصيره تامه و تفسيرا صحيحا لكافه ظواهر الحياه.

و لكن ليس التوحيد الاعتزال عن الحياه الاجتماعيه بل التوحيد الذى يعكسه قصص القرآن التاريخيه يهدينا الى رب يهيمن على الحياه و يدبرها و هو عزيز حكيم.

فلأنه عزيز تتجلى قوته فى الحياه و لأنه حكيم يستخدم علمه.انظروا الى القرآن ماذا يقول:

إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ ما مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ وَ إِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [۶۳]و من لا يتبع الحق فهو يتبع الباطل،و سوف لا ينتج الاّ الفساد.و اللّه ليس بعيدا عنه بل هو عليم به يراقبه و يأخذه على حين غفله.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ [۶۴]كان الابتهال أسلوبا يهدف:اقناع الكفار من أهل الكتاب بالرساله، و الأسلوب الآخر:هو طرح طريقه للوفاق تتضمنه هذه الآيه،التى دعت الى المساواه على صعيد التوحيد،حيث لا يشرك باللّه شيئا فى التفكير و السلوك و تسقط كل القيم الاجتماعيه غير قيمه الحق فلا عنصر و لا رجل و لا قوم و لا..و لا..و لا..

لتسقط جميعا،لأنها شرك باللّه ثم ليسقط الاستعباد فلا يتخذ البعض أربابا من دون اللّه..فلا قياده و لا استعباد و لا ظلم و لا كبت.

هـذه هى دعوه التوحيـد الحقيقيه،المساواه فى عالم يسوده الحق و تنعدم فيه قيم الضـلال و ترتفع قيمه التسـليم للّه وحده دون اى نوع من الاستعباد.

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ و هـذه هى كلمه التوحيد التى تعنى عدم الشـرك باللّه فى القيم.

وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً كما تعنى هذه الكلمه عدم الشرك فى القياده و المحافظه على الحريه الشخصيه.

وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ و سوف لا نطبق هـذه المبادئ مزايـده بل لأنها تمثل مبادئنا الحقيقيه التى تحكم داخل مجتمعنا.

تطبيق المبادئ وسيله الخلاص

و من الـذى لا تعجبه هـذه المبـادئ،اى مجتمع أم أى فرد(المسـاواه-الحق- الحريه)العـالم اليوم يبحث عن وفـاق،و خطر الحرب الـذريه يهز أعمـاقه،و لكنه سوف لا يجـد الوفـاق ألاّ ضـمن هـذه المبـادئ،لتسـقط قيم العنصـريه،و الاقليميه و اسـتعباد الإنسان للإنسان،و كبت الحريات و لترفع قيمه التوحيد و التسليم للّه وحده و ليرى العالم كيف يتحقق الوفاق.

ص:۵۸۰

و حتی داخل المجتمعات الصغیره بل داخل تجمع صغیر لو سادت هذه المبادئ لکانت وسیله للتلاحم الأکثر،و الانتاج الأفضل،لو سادت قیمه المساواه امام القانون،و قیمه التوحید و عدم الاعتقاد بأیه قیمه ارضیه باطله،و قیمه الحریه و عدم الاستعباد.

ان هذه الآیه تجسد جوهر سوره آل عمران..فهی دعوه الی الوحده و علی أساس الحق و بناء التجمع التوحیدی الذی یتمحور حول الحق و ینبذ القیم الباطله.

[۶۵]حین رفعت الآیه السابقه لواء المساواه و عدم استعباد فریق لفریق،فانها تضمنت دعوه صریحه لنبذ صنمیه و عباده الأشخاص،و التمحور حولهم و محاوله الانتساب إلیهم.

تلک الحاله التی تقف امام وحده المجتمع البشری،کما انها تعترض طریقه نحو التقدم و الصعود،حیث یفقد البشر قدرته علی الإبداع.و ثقته بذاته من أجل التقدم.

و ضربت هذه الآیه مثلا علی ذلک من واقع إبراهیم علیه السلام،حیث حاولت الیهود و النصاری الارتباط به،و الاختلاف علیه،و محاوله کل فریق دعم فریقه باسمه، متناسین ان عظمه إبراهیم لم تکن بسبب عنصره المتفوق،أو بسبب لوالده أو قومه أو إقلیمه بل لأنه سلّم نفسه للّه و أخلص فی التوحید.

و لو انهم اتبعوا مله إبراهیم فی التوحید،إذن لوحدتهم تلک المله،بدل ان تفرقهم،و لما فکّروا تفکیرا حزبیا ضیّقا،و لم یحاول کل فریق ان یکون لجماعته أشد من انتمائه للحق.

یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِی إِبْراهِیمَ وَ مٰا أُنْزِلَتِ التَّوْرٰاهُ وَ الْإِنْجِیلُ إِلاّٰ مِنْ

بَعْدِهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ ان عليكم ان تجعلوا إبراهيم رمزا للوحده،لا سببا للتفرقه و الجدل الطائفى بينكم ذلك لأن الاختلاف جاء بعد إبراهيم لا قبله.

[۶۶]ثم يتابع القرآن حديثه و يقول:

ان التعصب يدعو صاحبه الى العمى،حيث انه لا يفكر تفكيرا علميا،بل يحاول إثبات جانبه بأى ثمن فإبراهيم كيف يمكن ان يكون يهوديا؟و اليهوديه متأخره عنه،أم كيف يكون مسيحيا؟ هٰا أَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ حٰاجَجْتُمْ فِيمٰا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمٰا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ و الأفضل ان نوحد اللّه و نسلم له حتى نبتعد عن العصبيه الطائفيه،و نستفيد من العلم و العقل.

[۶۷]من كان-إذا-إبراهيم؟انه كان عبدا للّه و لم يكن منتميا لطائفه أو عنصر. و بذلك أصبح عظيما.

مٰا كٰانَ إِبْرٰاهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لاٰ نَصْرٰانِيًّا وَ لٰكِنْ كٰانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ انه رفض الانحرافات الاجتماعيه التى سادت مجتمعه،و حنف و مال عنها ثم توجه الى اللّه و وحده فعبده،و بالتالى تحرر من ضغط الجبت و الطاغوت،فلم يخضع لايه قوه فكريه أو اجتماعيه أو سياسيه غير اللّه.

[۶۸]هذا إبراهيم فمن أراد ان يهتدى اليه فليبدأ برفض مجتمعه الفاسد،

و ليمل عنه باتجاه معاكس تماما الى اللّه،و ليسلم نفسه للّه و الحق،و ليتحرر من كل القوى المستعبده للبشر هذا هو الانتماء الصحيح لإبراهيم،و لا تجده الاّ فى النبى محمد صلى الله عليه و آله و المؤمنين به.

إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ و أخلصوا التوحيد للّه.

وَ هٰذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

ص:۵۸۳

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۶۹ الى ۷۶]

اشاره

وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ ما يُضِلُّونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (۶۹) يا أَهْلَ اَلْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اَللّهِ وَ
أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۷۰) يا أَهْلَ اَلْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ اَلْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ اَلْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۷۱) وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتابِ
آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى اَلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ اَلنَّهارِ وَ اُكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۷۲) وَ لا تُؤْمِنُوا إِلاّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ اَلْهُدى
هُدَى اَللّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ اَلْفَضْلَ بِيَدِ اَللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۷۳)
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ (۷۴) وَ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ
بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي اَلْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اَللّهِ اَلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ
(۷۵) بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اِتَّقى فَإِنَّ اَللّهَ يُحِبُّ اَلْمُتَّقِينَ (۷۶)

اللغه

۶۹[ودت]:أي تمنت.

۷۲[وجه النهار]:أوله و سمى وجها لأنه أول ما يواجهك منه.

ص:۵۸۴

مواقف أهل الكتاب

اشاره

عصبيه و تضليل

هدى من الآيات:

ما هى مواقف أهل الكتاب من الرساله الجديده«الإسلام»الذى اتبعه إبراهيم؟ ان أهل الكتاب أهم ما يميز مواقفهم،هو التعصب الأعمى لطائفتهم على حساب الحق،انهم لا يفكرون فى أن يهتدوا،بل يحاولون تضليل المؤمنين أيضا، و مع علمهم بان الرسول حق،فهم يكفرون به،انطلاقا من عصبيتهم الطائفيه، و عنصريتهم القوميه،و يستخدمون وسائل ما كره و غير شريفه فى إضلال المؤمنين، مثل ان يتظاهروا فى الصبح انهم مؤمنون،ثم يكفرون مساء،لعلهم يضعضعون إسلام المؤمنين بالرسول،أو انهم يشيعون فى أوساطهم فكره الطائفيه،و يحاولون اللعب بمشاعر الناس الاستقلاليه،و ينفخون فى كبريائهم القوميه و يقولون لهم لماذا تتبعونهم دعوهم،فهم يتبعونكم،فأنتم أولى بالاتباع،و كأن المسلمين يدعونهم الى اتباع أنفسهم.

و تبرز هذه المواقف كأسوإ ما تكون فی العنصريه،التی تدّعی ان اليهودی لا يعذب شيئا،إذا خان الناس من غير اليهود.انظر كيف تنحرف المفاهيم،بسبب العصبيه الطائفيه.

و يرد القرآن-كما نبين قريبا-هذه الأفكار و تلك المواقف بحجج قويه.

بينات من الآيات:

نتائج التعصب:

[۶۹]ان أهل الكتاب ليسوا سواء،هذا ما توحی به هذه الآيه و تبينه آيه تأتی لتؤكد لنا:ان جزاء العصبيه ليست عصبيه مثلها،بل التقييم السليم،و الاحتكام الی الحق فقط،فاذا قالوا لنا أنتم كلكم منحرفون،لا نرد عليهم القول ذاته فنقول:

بل أنتم المنحرفون جميعا،بل نقول الحق أبدا.فليس كلّ الطوائف من أهل الكتاب يكفرون بنمط واحد،انما هناک طائفه من أهل الكتاب يودون تضليل المؤمنين بالرساله الجديده،و هم يستفيدون من الدين المنحرف السابق،سواء كانوا الكبراء أو الأحبار أو الأثرياء أو من أشبه.

و لكن هذا التضليل سوف يسبب لأنفسهم مزيدا من الضلاله،إذ ان الذی يحاول تضليل غيره سوف تتكرس فی نفسه الأفكار الباطله،التی يلوک بها من أجل اقناع الآخرين بها،ذلک لأنه سوف يفتش عن بعض الأدله الباطله،التی تدل عليها،و يكررها،حتی يصدق هو بها،كما و تأخذه حاله التحدی،و الاعتزاز بالإثم،و لا ينظر الی الأفكار المعاكسه لفكرته.كل ذلک سوف يسبب له مزيدا من الضلاله.

وَدَّتْ طٰائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ مٰا يُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا

يَشْعُرُونَ [۷۰]العصبيه أعمى لا بصيره لها..انها تسبب الكفر بالحق بكل صراحه، فاذن من يخسر بالكفر؟أو ليس الكافر نفسه؟! يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ هل هناك فائده فى الكفر بآيات اللّه الواضحه.

[۷۱]انهم لم يكونوا يكفرون بالحق فقط،بل يحاولون إضلال المؤمنين بشتى الوسائل،التى منها أولا:خلط الحق بالباطل و دمج الباطل به،و خداع البسطاء فيه، و هم أهل الكتاب الذين أؤتمنوا عليه..

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ هل هذا فى كتابكم أم من أجل تحقيق أهوائكم الضاله.

و الأسلوب الثانى:كتمان جوانب من الحق،من أجل ألاّ تصبح حجّه عليهم أمام الناس..

وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انه الحق من ربكم..

ان اللّه حمل أهل الكتاب مسئوليه بيانه للناس،و كانت ثقه الناس بهم آتيه من منطلق انهم سوف يحققون مسئوليه العلم التى على أكتافهم،و لكنهم خانوا اللّه و خانوا بالجماهير،حين كتموا الحق،و خلطوه عمدا بالباطل.

[۷۲]و قاموا بخطوات عمليه ما كره،لزرع الشك بالحق فى قلوب البسطاء من

أتباعهم أن يؤمنوا بالرساله الجديده.

فلقد كانوا يتظاهرون بالإيمان فى فتره من الوقت،ثم يكفرون و يعودون لجماعتهم،و يقولون:نعم خدعنا و آمنا لاننا كنا طيّبى القلب،و مخلصين،و لكننا اكتشفنا انهم على باطل.

وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ انظر كيف يؤدى الكفر بالحق الى اتخاذ مواقف خطيره ضد الحق،و من أجل إضلال الناس عنه.

[۷۳]و كانوا يثيرون فى أنفس اتباعهم العصبيه الجاهليه البعيده كل البعد عن روح الدين،فيقولون لهم:دعوهم هم يتبعون دينكم، لأنكم أنتم أصحاب الدين الحقيقى.علما بأن الدين للّه ليس لهؤلاء و لا لأولئك.

وَ لاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدىٰ هُدَى اللّهِ و ليس هدى عنصر أو قوم معين،ثم ان الرساله التى هبطت على قلب محمد صلى الله عليه و آله ،هى مكمله لرساله اللّه و خاتمه لها..بينما رسالات اللّه السابقه لم تكن بذلك المستوى.

أَنْ يُؤْتىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مٰا أُوتِيتُمْ أيها المسلمون:فلا ترتابوا فى دينكم،لمجرد ان طائفه من الأحبار يؤمنون ثم يكفرون،أو لمجرد انهم يقولون اننا حمله الرساله التقليديون،فكيف انتقلت الرساله؟ الى العرب و هم ليسوا بمستوى حمل الرساله كلا:ان اللّه يعلم أين يضع رسالته.

ص:۵۸۹

أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ و ليس يختص بفضل اللّه بنو إسرائيل،لان اللّه الذى خلق بنى إسرائيل، و تفضل عليهم برسالته،هو الذى خلق العرب.و الخلق امامه سواء،و انما خصهم الآن بالرساله لما علمه من كفاءات حملها فيهم.

وَ اللّهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ .

و لأنه واسع لا يخصص فضله لجماعه دون اخرى،و لأنه عليم يجعل فى كل فتره رسالته فى موقع معين، تبعا للحكمه البالغه و المصلحه العامه.

[۷۴] يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

[۷۵]لذلک نجد ان اللّه يختار اليهود تاره،و العرب تاره.و بالطبع ان هذه العنصريه لم تكن جزءا من رسالتهم السماويه،بدليل ان بعضهم-و هم المتمسكون جيدا برسالتهم-كانوا يؤدون الأمانه،حتى القنطار من الذهب.

وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطٰارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينٰارٍ لاٰ يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ إِلاّٰ مٰا دُمْتَ عَلَيْهِ قٰائِماً و تطالبه به بقوه حتى تستلم أمانتک منه،و لكن لماذا يخونون الامانه؟ ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا لَيْسَ عَلَيْنٰا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ فلا يحاسبنا اللّه على الخيانه بالعرب الأميين،أو بالأحرى على الخيانه بكل شعب غير شعب اليهود،الذى نزلت عليه و من اجله فقط رساله السماء.

وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ

إذ لم ينزل اللّه دينا عنصريا لناس دون ناس.و لكن دوافع هؤلاء الحقيقيه هى دوافع مصلحيه،و عصبيه،و لذلك يتلبسون بالدين عمدا.

[۷۶]و قد رأينا كيف ان اللّه يمدح طائفه من اليهود،لأنهم يؤدون الأمانه،ان ذلك دليل بسيط على ان رساله السماء لا تعترف بالعنصريه أبدا،و القيمه الوحيده عندها هى العمل الصالح.

بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ سواء كان ذلك العهد،هو المال كما فى الآيه السابقه،أو كان العلم الذى حمله إياه اللّه لكى ينشره بين الناس،و لكن العصبيّه الجاهليه العمياء،هى التى أملت على اليهود مخالفه الهدى من ربهم لمجرد انه أنزله على العرب،و الواقع إنّ هذه العصبيه انتهت بهم الى عنصريه عمياء،فاذا بهم تجدهم يخونون أمانات الناس -مثلا-من دون اى حرج،بزعمهم أنهم يحاسبون على الذنوب التى يرتكبونها فى حق الأميين.

ص:۵۹۱

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۷۷ الی ۸۵]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اَللّٰهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِي اَلْآخِرَهِ وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ وَ لاٰ
يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ ۷۷ـ ř...ÙIęЙ) وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتٰابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ اَلْكِتٰابِ وَ مٰا هُوَ مِنَ اَلْكِتٰابِ وَ
يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ وَ مٰا هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۸) مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اَللّٰهُ اَلْكِتٰابَ وَ
اَلْحُكْمَ وَ اَلنُّبُوَّهَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّٰاسِ كُونُوا عِبٰاداً لِي مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ لٰكِنْ كُونُوا رَبّٰانِيِّينَ بِمٰا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ اَلْكِتٰابَ وَ بِمٰا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
(۷۹) وَ لاٰ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا اَلْمَلاٰئِكَهَ وَ اَلنَّبِيِّينَ أَرْبٰاباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۸۰) وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ لَمٰا
آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَهٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قٰالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي
قٰالُوا أَقْرَرْنٰا قٰالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ اَلشّٰاهِدِينَ (۸۱) فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۸۲) أَ فَغَيْرَ دِينِ اَللّٰهِ يَبْغُونَ وَ
لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (۸۳) قُلْ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا وَ مٰا أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ
إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبٰاطِ وَ مٰا أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ اَلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
(۸۴) وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ اَلْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي اَلْآخِرَهِ مِنَ اَلْخٰاسِرِينَ (۸۵)

اللغه

۷۸[یلوون]:أصل اللّیّ الفتل من قولک لویت یده إذا فتلتها و منه لویت الغریم.

۷۹[ربانیین]:الربانی هو الرب یرب أمر الناس بتدبیره

ص:۵۹۲

و إصلاحه إياه يقال رب فلان أمره إذا دبره و أصلحه فيكون العالم ربانيا لأنه بالعلم يرب الأمر و يصلحه.قيل أنه مضاف الى علم الرب و هو علم الـدين الـذى يأمره به الا انه غير فى الاضافه ليـدل على هـذا المعنى فقيل لصاحب علم الـدين الـذى امر به الرب ربانى.

ص:۵۹۳

العلماء بين

اشاره

تبرير الهزائم و تفجير الطاقات

هدى من الآيات:

بـالرغم من أن آيات الـدرس السابق كانت عامه،إلاّ ان رجال الـدين التحريفيين و انصاف المثقفين كانوا أولى الناس بها،إذ انهم هم ابرز(أهل الكتاب).فالكتاب يعرفونه قبل غيرهم و يدرّسونه و يعلّمونه الآخرين فهم أهله بالاولويه..

و الحـديث فى هـذا الـدرس يتركز على هؤلاء بالـذات،و يبـدأ بان العلم أمانه، و الذين لا يتحملون مسـئوليه العلم لبعض المال،و يخونون أمانته ينالون جزاءهم فى الآخره.

و خيانه العلم قد تكون بالتفسير الخاطئ للدين.بتحريف معانى نصوصه و جعلها تتوافق و مصالحه الدينيه.

و هؤلاء ليسوا أمناء اللّه على رسالته،انما امناؤه الأنبياء الذين يخلصون الدعوه

ص:۵۹۵

الی اللّه لا الی أنفسهم،و لا الی الملائکه أو الأنبیاء،و یصدق بعضهم ببعض،وفقا للمیثاق الذی اتخذه اللّه منهم قبل ان یحمّلهم مسئولیه الرساله.أن یؤمنوا بالنبی الذی یبعث إلیهم و ینصروه.فوافقوا جمیعا علیه.و اشهدوا اللّه علی أنفسهم.

و هذا فی الواقع هو الإسلام بمعناه الصادق،فهو تجرد کامل عن الذاتیه،و تسلیم مطلق للّه.تماما کما أسلمت السماوات و الأرض لسنن اللّه.

و بالنسبه لنا یعنی هذا الإسلام،الایمان بجمیع الرسل انطلاقا من وحده الرسالات السماویه،التی سیبحثها القرآن فی الدروس التالیه مباشره.

بینات من الآیات:

الرساله مسئولیات و واجبات:

[۷۷]رساله اللّه مسئولیه کبیره یحملها الإنسان فی الحیاه،و تترکز عند الأنبیاء و الصدیقین،و عند الذین ینصبون أنفسهم دعاه الی الدین.و هی-فی ذات الوقت -مسئولیه ثقیله و ذات قیمه کبیره،لأنها أداه لتوجیه الناس الی الحیاه السعیده و الی مقاومه الجبت و الطاغوت،و لنا أن نتصور ان قدره الإنسان فی ضبط نفسه عن شهواته متصله بفهمه الصحیح لرساله الدین فی الحیاه.إذ انها هی التی تحذره من مغبه الاسترسال مع الشهوات.

و تبین له ان لقمه واحده یمضغها الإنسان بشهواته،قد تمنعه من الاکل الهنیء طول حیاته.و ان ساعه واحده من الغفله و اللاإراده،قد تجعل حیاته و الی الأبد جحیما لا یطاق، و ان ای شهوه طائشه،أو جریمه،أو ذنب،أو هفوه،توجب علیه الحساب و العقاب الألیم فی الآخره.و بالتالی رساله الدین تجعل إراده الإنسان قویه و قادره علی ضبط الشهوات و توجیه طاقاته نحو الجد.

نتائج التحريف:

أما لو جاء رجل دين منحرف،و من أجل المماشاه مع أصحاب الشهوات و الربح عليهم.و جمع أكبر عدد منهم حوله،برّر لهم سيئاتهم و هوّن عليهم امر العقاب و أخذ ينشر فيهم أفكارا من قبيل ان اللّه غفور رحيم،أو ان الأنبياء و الأولياء يشفعون لك ذنوبك،و انك سوف توفق للتوبه و هكذا.فان النتيجه ستكون خطيره، إذ ان اداه الضبط تتراخى فى النفس و تندفع الشهوات فى كل اتجاه.و قد يقدم صاحبها على أكبر الجرائم اعتمادا على تلك التبريرات السخيفه.

ان مجازر الحروب الصليبيه ارتكبت بفعل تحريف رساله الدين،و تحويلها من أداه لضبط الشهوات الى أداه لتبريرها..بل و تكريسها و اعطائها الشرعيه.

كما ان هتلر كان قد استغل فى مجازره الرهيبه بعض رجال الدين التحريفيين، الذين زوروا له الدين،و رسموا له الصليب المعكوف..

و إسرائيل تقترف الآن الجرائم باسم الدين،و لكن أيّ دين ذلك الدين الذى يبرر الجرائم بدل أن يدينها.

هذا عن الجبت.أما الطاغوت المتمثل فى السلطات الديكتاتوريه و المستغله و المستعبده للبشريه.فان القوه الوحيده التى تستطيع ان تتحرك ضدها- هى قوه الشعب، الذى يجب أن يحافظ على حريته و ثرواته و يجاهد ضد مستغليه.و لكن الشعب بحاجه الى سلاح فكرى يساعده فى تجميع قواه،و توحيد طاقاته،و تبرير تضحياته...و ذلك السلاح هو الدين.و لكن يشترط ألاّ يسرق رجال الدين سلاح الشعب منه،و يبيعوه الى الطواغيت، بِثَمَنٍ بَخْسٍ-دَرٰاهِمَ مَعْدُودَةٍ .

و لنا أن نتصوركم ألف ألف جريمه ترتكب فى كلّ يوم بسبب خيانه رجال

الدین لرساله الدین.و کم یستعبد ملایین الناس لهذا السبب و هل لها قیمه الدراهم التی یقبضها هؤلاء الخونه لقاء تلک الجرائم الکبیره التی یتحملون وزرها.

من هنا نجد القرآن شدیدا مع هؤلاء و یقول:

إِنَّ الَّذِینَ یَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَ أَیْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِیلاً فمهما یکون الثمن الـذی یقبضه الإنسان لقاء جریمته بحق الشعوب،فهو قلیل و العهد و الایمان سیتحدث عنهما القرآن فی الآیه(۸۱).

أُولئِکَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ انهم فی الآخره بلا رصید،بالرغم من بعض مظاهر الطاعه التی عندهم من صلاه و صیام.

إذ انهم یبیعون دینهم فی الـدنیا،فلا یبقی منه شیء للآخره،و أولئک هم الأذلون فی یوم القیامه،إذ انهم طلبوا من وراء بیعهم للدین الحصول علی بعض الجاه-فجزاهم ربهم بعقاب مناسب حین إذ لهم فی القیامه.

وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللّهُ وَ لا یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ و هؤلاء دائما یزکون أنفسهم،و یجعلونها مقدسه،و متعالیه عن النقد،و أیّ نقد یوجه إلیهم یعتبرونه نقدا موجها الی الدین،و یکفرون صاحبه لذلک قال اللّه عنهم.

وَ لا یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ جزاء للذات البسیطه التی استفادوها ببیعهم الدین.

ص:۵۹۸

[۷۸]ان ملايين الناس يتمردون على الدين ذاته بسبب وصايه هؤلاء الخونه على رسالته المقدسه.إذ ان هؤلاء يصورون الدين اداه للتبرير.و للكسل،و الجمود و الاستسلام للطاغوت،و الرضا بالاستعباد،و هذا التفسير الماكر يستخرجونه من بعض النصوص بطريقه ماكره.

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ و التعبير ب(يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ)تعبير دقيق لحاله هؤلاء النفسيه و السلوكيه فهم من الناحيه النفسيه يحاولون تحريف الدين و إلوائه بأى شكل من الاشكال، و هم من الناحيه السلوكيه يعيشون الكتاب على صعيد الألسن فقط دون أن تتعمق رؤى الكتاب فى قلوبهم،أو تظهر فى حياتهم. انهم اتخذوا الكتاب أحرفا يتعاملون بها كما يتعاملون مع قطعه حلوى يصنعون منها ما يشاءون صورا شتى حسب المواقع و حسب الظروف المصلحيه.

[۷۹]ان الكذبه الكبيره التى قالها هؤلاء الخونه-من رجال الدين و العلم التحريفيين-هى عباده عيسى،و اتخاذه إلها من دون اللّه،و مثله عباده سائر الأنبياء و الأولياء،و العظماء.و كان الهدف الخبيث وراء هذه الكذبه:

أولا:التعصب المذهبى،حتى لا يتحول النصارى مثلا الى مسلمين بفعل الاعلام الاسلامى أو لا يتحول أهل مذهب الى مذهب أو جماعه حزب الى حزب ثان.

ثانيا:ان يعطوا لأنفسهم نوعا من القداسه المزيفه،فاذا كان عيسى إلها فالأحبار أنبياء أو انصاف آلهه،ان عباده الذوات تقع بالضبط فى الطرف الآخر

لعباده اللّه و ان التمحور حول الأشخاص متناقض تماما للالتفاف حول الحق،كما ان هؤلاء الخونه يريدون إبعاد البشر عن الحق و عن اللّه معا.

فإنهم يشيعون عباده الذوات فى الناس تلك التى يقول عنها ربنا:

مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّٰهُ الْكِتٰابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ كعيسى الذى لم يكن لديه شىء إلاّ من عند اللّه سبحانه،و كان واحدا من الناس فرفعه اللّه الى درجه الحكم و النبوه..

ثُمَّ يَقُولَ لِلنّٰاسِ كُونُوا عِبٰاداً لِي مِنْ دُونِ اللّٰهِ لا يمكن ذلك.أولا:لأنه يعلم قبل غيره ان كل شىء يملكه هو من عند اللّه فلا يعمل عملا يسلبه اللّه كل شىء.

ثانيا:لان اللّه لا يختار لنبوته رجلا خائنا حاشاه.

وَ لٰكِنْ كُونُوا رَبّٰانِيِّينَ هذه دعوه عيسى الى رجال الدين،قال لهم كونوا رجال دين تقدرون ربكم قبل ذواتكم و قبل مصالحكم،لماذا؟ بِمٰا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتٰابَ وَ بِمٰا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ان دراسه الكتاب و تعليمه للآخرين يحمّلكم مسئوليه كبرى،هى ضروره التطوع للّه و عدم التفكير أبدا فى ذواتكم،تماما بعكس عباده الذات.

[۸۰]كذلك لم يكن عيسى عليه السلام ليأمركم باتخاذ الملائكه و النبيين أربابا، مثلما فعلت النصارى حين دخلت فى ثقافتهم الأفكار الصنميه المشركه من مذاهب

منحرفه،فزعموا:أنّ كل القوى الكونيه،و التى تمثلها الملائكه،أرباب والهه صغار، يقاومون ضغط الإله الكبير فى العرش(سبحانه)،و يشفعون للناس رغما عليه.

و بالتالى يجب توزيع العباده بين اللّه،و بين تلك الأرباب،حيث تقتسم مع اللّه سلطان اللّه و يقول الأحبار عنه:

ما للّه للّه،و ما لقيصر لقيصر.و بالتالى يحدث فصل بين الدين،و السياسه،بين الاخره و الدنيا و هكذا..

وَ لاٰ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاٰئِكَهَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْبٰاباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

الالتزام بالمسؤوليه ضمان الاستقامه:

[۸۱]و ان أهم مسئوليه من مسئوليات العلم و الدين و رسالتهما المقدسه الإخلاص للحق،و الابتعاد عن الذاتيه بكل صورها،و عدم استخدام العلم و الدين من أجل دعم المذهبيه،و العنصريه الضيقه،و بالتالى من أجل حرمان الآخرين و استعبادهم و استغلال ثرواتهم.

ان العالم اليوم يعانى من استخدام تقدم العلم فى نشر الدمار فى الأرض.ان نصف الأبحاث العلميه فى العالم تتركز من أجل صناعه و توقيه آله الحرب.و القسم الأكبر من النصف الثانى يشغل من أجل السيطره على الشعوب المحرومه.و هذا بعيد عن رساله العلم و خيانه لأمانته و مخالفه لعهد اللّه مع العلماء.و قديما كان الدين يستغل من أجل ذات الأهداف.كان رجال الدين هم الذين حصروا أنفسهم فى اطار العنصريه و الاقليميه و القوميه و ساعدوا-بذلك-الطواغيت فى فرض أنفسهم على الشعوب،و فى استغلال و استعباد الشعوب،و فى إثاره الخلافات المصلحيه بينها.

بینما کانت رساله الدین الحقیقیه واحده،و رمزا للوحده و نقطه التقاء بین الناس،و أداه جمع و إصلاح بینهم.

و فی هـذه الآیه یذکرنا القرآن بهذه الرساله،عبر الحدیث عن الأنبیاء،و کیف ان اللّه تعالی أخذ منهم المیثاق و العهد،بأن یصدق بعضـهم ببعض،و ان ینصـر بعضـهم بعضا،و بالتالی ألاّ یتفرقوا فی الـدین بأیّ شـکل من أشـکال التفرقه،و نجد فی الآیه تأکیدات شدیده علی هذه المواثیق.

وَ إِذْ أَخَـذَ اللّٰهُ مِیثٰاقَ النَّبِیِّینَ لَمٰا آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتٰابٍ وَ حِکْمَهٍ أی لانی حملتکم رساله الـدین و العلم،الـدین المتمثل فی الکتاب،و الحکمه المتمثله فی تطبیق الدین علی واقع الحیاه،و الذی یحتاج بالطبع الی المعرفه بالحیاه (العلم).

ثُمَّ جٰاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَـدِّقٌ لِمٰا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُـرُنَّهُ أمرهم بـان یؤمنوا بـالرسول،و ینصـرونه،و جعـل الأمر بصـیغه مشـدده للتأکید علیه ثم:

قٰالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَـذْتُمْ عَلیٰ ذٰلِکُمْ إِصْـرِی طلب منهم الإقرار و سـمی عهـده هـذا(بالإصـر)-و هو الحمـل الثقیـل-من أجل بیان اهمیته،حتی إذا اقدموا علی إعطاء المیثاق یعرفون ای عمل عظیم یقدمون علیه، فلا یمتنعون فی المستقبل عن أدائه.

قٰالُوا أَقْرَرْنٰا قٰالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشّٰاهِدِینَ انه بعد الإقرار،طلب منهم الشهاده و کأنه أمرهم بالتوقیع النهائی علی ورقه

التعهد،كلّ ذلک من أجل التأکيد على رساله الدين،و العلم فى الحياه.

[۸۲]ثم أکد اللّه أهميه هذه الرساله بالوعيد و قال:

فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ و بالطبع لا يتوانى أنبياء اللّه عن هذه الرساله،و لکن اتباعهم هم الذين يتولون و ينالون نصيبهم من الفسق،بالرغم من مظاهر الدين التى يتقنعون بها.

[۸۳]هذا دين اللّه دين واحد،ذا قيمه واحده،هى قيمه التوحيد و التسليم للّه و لا مکان فيها لقيم الأرض أو العنصر و اللغه.

و الذين يتولون عن رساله الدين و يحورونها عن خطها الصحيح!انما يتبعون غير دين اللّه بل دين الأرض،أو العنصر أو اللغه و يقول لهم اللّه:

أَ فَغَيْرَ دِينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ فهم مضطرون الى العوده الى دين اللّه،الى سنن الحق الحاکمه على الکون لأنهم لا يمکنهم البقاء طويلا فى مواجهه کلّ قوى الکون،و إذا ماتوا فهم يرجعون الى اللّه.

[۸۴]ما هو دين اللّه؟ دين اللّه دين الوحده بين جميع رسالات اللّه.

قُلْ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا وَ مٰا أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبٰاطِ وَ مٰا أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

ص:۶۰۳

مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ هذا دين اللّه:الايمان بما انزل على الأنبياء الأسبقين من كتاب،و ما أوتى الأنبياء الآخرون من كتاب و حكمه و معاجز(و ربما كان التعبير ب«أوتى»فى الأنبياء الآخرين للدلاله أيضا على المعاجز التى ظهرت على يد موسى و عيسى).

[۸۵]و هذا هو الإسلام الحقيقى،الإيمان باللّه،و بجميع أنبيائه،دون تفريق بين كتاب عربى و آخر عبرى،بين مكه و القدس،بين عنصر العرب و عنصر اليهود.

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَهِ مِنَ الْخٰاسِرِينَ الإسلام بمعناه الحقيقى،الذى يعنى التسليم للّه و الايمان بجميع أنبياء اللّه دون تفريق بينهم،الإسلام بمعناه الحقيقى،الذى يعنى التعالى عن قيم الأرض الى قيم السماء و الترفع على حواجز المصلحه،و الحساسيه،و القوميه،و اللغه،و العنصريه، و الاقليميه،و الالتقاء على صعيد اللّه و الحق و الحريه و العداله و المساواه.

ص:۶۰۴

[سوره آل عمران (٣): الآيات ٨۶ الی ٩٢]

اشاره

كَيْفَ يَهْدِي اَللّٰهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمٰانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ اَلرَّسُولَ حَقٌّ وَ جٰاءَهُمُ اَلْبَيِّنٰاتُ وَ اَللّٰهُ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِينَ (٨۶) أُولٰئِكَ
جَزٰاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اَللّٰهِ وَ اَلْمَلاٰئِكَةِ وَ اَلنّٰاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلاَّ
اَلَّذِينَ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمٰانِهِمْ ثُمَّ اِزْدٰادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ
أُولٰئِكَ هُمُ اَلضّٰالُّونَ (٩٠) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كُفّٰارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ اَلْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ اِفْتَدىٰ بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ
عَذٰابٌ أَلِيمٌ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ (٩١) لَنْ تَنٰالُوا اَلْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)

اللغه

٨٨[ينظرون]:يؤخرون.

٩١[أفتدى]:من الفديه و هى البدل من الشىء فى ازاله الاذيه

ص:۶٠۵

و منه فداء الأسير لأنه بدل منه فى إزاله القتل و الأسر عنه.

۹۲[البر]:أصله السعه و معناه النفع الواصل الى الغير مع القصد الى ذلک و ضد البر العقوق.

ص:۶۰۶

الارتداد أقسامه و جزاؤه

هدى من الآيات:

إن الذى يكفر ببعض رسالات اللّه فكأنه كفر بها جميعا،لماذا؟لأنه ينطلق فى كفره بهذه الرساله من قيمه ذاتيه،أو أرضيه،تتناقض مع قيمه التوحيد.فهو -مثلا-يكفر بالرسول محمد صلى الله عليه و آله لأنه عربى،فهو ينطلق إذا من قيمه العنصريه المتناقضه مع قيمه التوحيد،التى نزلت على النبى موسى عليه السلام. و لن يقبل اللّه منه الإيمان،لأنه فى الواقع يعنى لا إيمان مطلقا باللّه و بحاكميته المطلقه على الكون.

فى هذا الدرس تعالج الآيات قضيه الارتداد بهذا المفهوم،و بعد أن تبين أن اللّه لا يهدى المرتدين لأنهم تعمدوا الكفر بعد الإيمان،و اللّه لا يجبر أحدا على الايمان بعدئذ يبين أن هؤلاء ملعونون عند اللّه،و بعيدون عن قيم اللّه،و ملعونون عند الملائكه،فهم بعيدون عن سنن الحياه و ملعونون عند الناس فهم بعيدون عن الجماهير.

ص:۶۰۷

ثم يقسّم المرتدين الى ثلاثه أقسام:

(أ)الذی يتوب و يصلح ما أفسده.

(ب)الذی يزداد كفرا،و لا يتوب إلّا عند ما يحضره الموت.

(ج)الذی لا يتوب حتی يأتيه الموت.

و يبيّن أنّ القسم الأول فقط،تقبل توبته،أما الآخران فإنهما لن تقبل توبتهما.

و الارتداد-عموما-يحصل بسبب متاع الحياه الدنيا،و علی الإنسان أن يقاوم إغراء الدنيا،و علی الإنسان أن ينفق ما تحبه نفسه حتی يحبه اللّه.

بينات من الآيات:

اشاره

[٨۶]الذی يكفر بالرساله عن جهل،ثم لا يظلم نفسه و لا يظلم الناس،فان عاقبته قد تنتهی بخير،و لكن الذی يكفر بالرساله بعد ايمان بها قلبا،ثم يظهر إيمانه أيضا بالشهاده بها علنا،و يقتنع بكل ذلك اقتناعا عقليا،ثم يكفر ابتغاء مصلحه ذاتيه؛فانه لا ينال الخير و لا يهديه اللّه لماذا؟ لأنه ظالم و كيف؟الذی يكفر بعد الإيمان،فانما ينطلق كفره من قيمه ذاتيه، أو عنصريه،أو إقليميه،أو ما أشبه، و كل هؤلاء يظلمون الناس طبيعيا،كما يظلمون أنفسهم أ تری من يعبد شهواته،أو عنصره لا يظلم الآخرين؟ و الظلم يتناقض و الهدايه.ذلك ان الظلم يحجب العقل،و يفسد الضمير، و يضعف الاراده فی النفس.

ص:۶۰۸

كَيْفَ يَهْدِى اللّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ايمانا قلبيا أو ظاهرا.

وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ شهاده فى الظاهر.

وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ حتى اقتنعوا عقليا،و بالتالى كفروا بعد تكامل عناصر الايمان.

وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ لان هؤلاء هم ظلمه بتقديسهم قيم غير قيمه التوحيد،و انطلاقهم منها فى طريق الكفر باللّه.

جزاء الارتداد:

[۸۷]أول و آلم جزاء يناله علماء السوء،ان اللّه يسلب منهم العقل،و يجعل بينهم و بين الحقيقه حجابا من شهواتهم،و أهوائهم،فلا يرون شواهد الحق فى الواقع.

و الجزاء الثانى:هو انهم يبعدون عن رحاب اللّه،إذ يسلب منهم اللّه نعمه الإيمان،و لا يتذوقون حلاوه مناجاه اللّه،و الارتباط الروحى به.و بالتالى يبتعدون عن كل القيم الساميه،كقيمه الحق،و قيمه الحريه،و الكرامه،قيمه العداله، و المساواه. و تتحجر قلوبهم،فلا تخشع لذكر اللّه أبدا.

و الجزاء الثالث:هو انهم يبتعدون عن القوى الفاعله فى الكون(و التى يهيمن

عليها الملائكه)،كنتيجه طبيعيه لضلالتهم عن الحقائق،و عن القيم الساميه.

ان سنن اللّه فى الحياه لا يستطيع ان يستثمرها الإنسان فى صالحه،إلّا إذا عرفها معرفه تامه،و كان له تطلعات ساميه،أراد ان يحققها من خلال السنن تلك، و هؤلاء لا يعرفون السنن،و لا يمتلكون التطلعات الساميه التى تصنعها القيم، و بتعبير آخر ليست لهؤلاء رساله فى الحياه،و الحياه ترفض الخضوع لمن لا رساله له فيها.

أما الجزاء الرابع و الذى يأتى نتيجه لما سبق فهو:

الابتعاد عن الناس،ذلك ان الناس ينفضّون عمن ليست له هدايه،و لا روحانيه،و لا قدره على استغلال الحياه،فلما ذا يلتف حولهم الناس.

و لنا ان نتصور عمق الخيبه التى تصيب هؤلاء الخونه،انهم خانوا رساله اللّه، للحصول على مرضاه الناس،فخسروهما معا، ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرٰانُ الْمُبِينُ .

و القرآن يسمى الابتعاد ب(اللعنه)،لأنها تعنى الطرد و الابعاد بذله و صغار، و هى تتناسب مع حاله العقاب.

أُولٰئِكَ جَزٰاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِكَةِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِينَ [۸۸]و هذه اللعنه تبدأ فى الدنيا و لكنها تستمر الى الآخره،و تتحول هناك الى صوره عذاب أليم،لا يخفف عنهم أبدا.

خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ أى لا يمهلون لاعاده النظر فى واقعهم،بسبب ارتدادهم عن الرساله بعد العلم بها.

ص:۶۱۰

بين الرحمه و التوبه:

[۸۹]و لا يعنى هـذا الواقع المرّ الذى انتهى اليه خونه الرساله،ان أبواب رحمه اللّه سدّت فى وجوههم،كلا ان رحمه اللّه واسعه،و لكن يجب عليهم أن يتوبوا و أن يحاولوا إصلاح ما أفسدوه بأعمالهم السابقه،مثلا السعى من أجل هدايه من أضلوا من الناس.

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [۹۰]لو تاب خونه الـدين فى المراحل الاولى من حياتهم،حيث تنفع التوبه فى إصلاح الناس،و حيث ان الرساله لا تزال ناشئه،و حيث تكون التوبه خالصه للّه، و دليلا على تبدل حقيقى فى الموقف.لو تابوا آنئذ قبلت توبتهم.و لكن لو استمروا على الضلاله،و قاموا بكلّ الفساد الممكن ضد الرساله،حتى إذا انتشرت الرساله و خسروا كلّ مواقعهم،تابوا لكى يكسبوا عطف الرساله الجديده،هؤلاء لا تقبل توبتهم،لان توبتهم ليست فى اللّه،بل من أجل تغطيه فشلهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمٰانِهِمْ ثُمَّ ازْدٰادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الضّٰالُّونَ أىّ انهم لا يهتدون أبدا و ان توبتهم ليست حقيقيه بل طمعا فى الدنيا.

[۹۱]و يشبه أولئك الذين يستمرون على الضلاله حتى يدركهم الموت،انهم من أهل النار،و لكنهم يأملون لو انهم يملكون ثروه الدنيا،و يدفعونها من أجل إنقاذ أنفسهم من نار جهنم،و لكن هيهات.ان هؤلاء ضيعوا على أنفسهم فرصه جيده فى الدنيا و الآن لا ينفعهم الندم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كُفّٰارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ

الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدیٰ بِهِ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِینَ انهم فی الدنیا خانوا الرساله من أجل الحصول علی بعض الثروه،و بعض الأنصار،و هناک فی الآخره،لا تنفعهم ثرواتهم،و لا أنصارهم شیئا.

[۹۲]و کان علیهم أن یضحوا فی الدنیا ببعض الثروه،و بعض الناس،من أجل مرضاه اللّه.ذلک ان مرضاه اللّه لن تنال بدون تضحیه،و بدون التغلب علی حب الذات من أجل اللّه.

لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ حَتّٰی تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ و اللّه یعلم بما تنفقون فی سبیله،و لا یخدعکم الشیطان و یقول لکم:اعملوا من أجل الناس،انهم یعطونکم الجزاء العاجل،أمّا جزاء اللّه فلا یعلم هل یأتی أم لا.

وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَیْءٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِیمٌ و کلمه أخیره:ان رجال الدین هم المهدّدون قبل غیرهم بخطر الابتعاد عن روح الدین،لان الناس لو ابتعدوا عن الدین فالأمل معقود برجال الدین، أن یهدوهم و قد یستجیب الناس لهدایه رجال الدین،لأنهم یعترفون بدور أولئک فی الموعظه و الهدایه،و لکن لو فسد رجال الدین فمن الذی یهدیهم؟و حتی لو افترضنا أن الناس یعظونهم فإنهم بالطبع یتعالون علی الناس،و لا یستمعون الی مواعظهم.

سوره آل عمران (۳): الآيات ۹۳ الى ۱۰۰

اشاره

كُلُّ اَلطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ اَلتَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۹۳) فَمَنِ افْتَرى عَلَى اَللّهِ اَلْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ اَلظّالِمُونَ (۹۴) قُلْ صَدَقَ اَللّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۹۵) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ (۹۶) فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَ لِلّهِ عَلَى اَلنّاسِ حِجُّ اَلْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اَللّهَ غَنِيٌّ عَنِ اَلْعالَمِينَ (۹۷) قُلْ يا أَهْلَ اَلْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اَللّهِ وَ اَللّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ (۹۸) قُلْ يا أَهْلَ اَلْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (۹۹) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ (۱۰۰)

اللغه

۹۶[بكه]:و أصل بكه البكّ و هو الزحم يقال بكه يبكه إذا زحمه فبكه مزدحم الناس للطواف و هو ما حول الكعبه من داخل المسجد الحرام،و قيل سميت بكه لأنها تبك أعناق الجبابره.إذا لحدوا فيها بظلم و لم يمهلوا و البك دق العنق.

[مباركا]:من الثبوت اى كثير الخير و البركه.

ص:۶۱۳

۹۹[تبغونها]:تطلبونها.

[عوجا]:ميل.

ص:۶۱۴

العصبیه عقبه الوحده

اشاره

و أساس الکفر

هدی من الآیات:

حرم یعقوب علی نفسه بعض الطعام و کان ذلک من أجل ترویض نفسه علی الزهد انطلاقا من قاعده« لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّی تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ »و أکرم الله یعقوب بهذه النیه الصادقه فحرم علی بنیه(بنی إسرائیل)تلک الأطعمه اقتداء بأبیهم إسرائیل(یعقوب).و کان تحریم الطعام قانونا مؤقتا ذا هدف محدد.

و لکن بنی إسرائیل تشبثوا بهذه المحرّمات الوقتیه و اتخذوا منها ذریعه لعدم الاعتراف بالنبی محمد،و لو انهم راجعوا التوراه لوجدوا کیف انها کانت محرمات وقتیه،و ذات صبغه خاصه.

و هذا مثل لنوع الحجج التی یستند إلیها علماء بنی إسرائیل فی رفضهم للرساله الجدیده،و هو یعتمد علی القشریه و الجمود علی الأشخاص و علی سیرتهم.

و یعارض القرآن مثل هذه الحجه حین یطرح إبراهیم کشخصیه بدیله عن

یعقوب یوحّد بین جمیع الدیانات.

و یستدل علی ذلک بان إبراهیم کان أبا للجمیع و هو بانی الکعبه التی یقدسها العرب،و هناک دلاله واضحه علی ذلک فی مقام إبراهیم،و فی أن الدعوه الی الحج دعوه عامه تشمل القادرین،ثم یذکر القرآن أهل الکتاب بان خلافهم هذا یسبب فی ابتعاد الناس عن الدین.

و یوجه خطابه الی المسلمین فیدعوهم الی الحذر من اتباع أهل الکتاب لأنهم لیسوا-فی الواقع-دعاه للدین انما خونه للرساله و هم یدعون الی الکفر.

بینات من الآیات:

تقدیس الأشخاص یعرقل سبیل الوحده:

[۹۳] کُلُّ الطَّعَامِ کَانَ حِلاًّ لِبَنِی إِسْرَائِیلَ إِلاّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِیلُ عَلَی نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاهُ إسرائیل اسم یعقوب و هو الجد الأعلی لقبائل بنی إسرائیل.و قد حرم علی نفسه بعض أنواع الطعام فاتبعه بنوه علی ذلک و لم یکن هذا التحریم شریعه الهیه ثابته.

و الشواهد علی ذلک موجوده فی کتاب التوراه ذاته.

قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاهِ فَاتْلُوهَا إِنْ کُنْتُمْ صَادِقِینَ و سوف تجدون فیه کیف ان تحریم الطعام لم یکن ابدیا و بالتالی فان رساله محمد جاءت لتحلله علیکم.

[۹۴]و لکن بنی إسرائیل تشبثوا بهذا التحریم و جعلوه ذریعه لرفض الإسلام و بالطبع انعکس هذا الرفض علی أنفسهم و کانوا هم قبل غیرهم الخاسرین بهذا

الرفض.

فَمَنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ اى بعد مراجعه التوراه.

فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ [۹۵]ان الالتصاق بالاشخاص التاريخيين كثيرا ما يصبح عقبه فى طريق الوحده بين(أصحاب الرساله)و علينا ان نعرف ان أولئك الأشخاص كانوا امه قد خلت لها ما كسبت و لنا ما كسبنا،و لا ندع حياه أولئك وسيله للتفرقه..ثم فى مواجهه أولئك الأشخاص يوجد آخرون يوحدون بين أصحاب الرساله،دعنا نركز الضوء عليهم و نقوى الانتماء بهم حتى تشتد صلاتنا ببعضنا البعض أكثر فأكثر..

فمثلا:إذا كانت العرب تختلف عن اليهود فى يعقوب فانها تجتمع فى إبراهيم دعنا نتجه الى إبراهيم و نكتشف فى شخصيته رمز وحده الرسالات..و هى الكعبه.

قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً مائلا عن الشرك،و رافضا للطاغوت المتسلط على رقاب الناس باسم قيم الشرك.

وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فلا عبد الطاغوت،و لا اتخذ العجل إلها من دون الله و لا قال:ان عيسى ابن الله.

[۹۶]و ان رمز وحده الرسالات هو بيت الله الحرام لأنه كان قبل كل بيوت العباده.

ص:۶۱۷

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّهَ مُبارَکاً وَ هُدیً لِلْعالَمِینَ* فِیهِ آیاتٌ بَیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ فی بیت الله أكثر من ایه بینه تدل على ان بیت الله الاول و من أبرز تلك الآیات مقام إبراهیم.و هو تلك الصخره التی كان إبراهیم علیه السلام یقف علیها لبناء البیت و وجودها و تكریم الناس لها بالصلاه لله عندها،لدلیل على ان بانی البیت هو إبراهیم.

و من هو إبراهیم؟ انه الأب الروحی لرسالات التوحید الثلاث،و الجد الأعلى لبنی إسرائیل و كثیر من العرب،و موضع احترام الجمیع.فلتلتقی كل الرسالات فی البیت الحرام و لتجتمع علیه انه بیت الأمن،بیت الإسلام یجتمع فیه الجمیع،دون اختلاف فی اللغه أو اللون أو العنصر أو المذهب،و یحترم فیه الجمیع،و یعطی للجمیع حریه الكلام،حریه الحوار و النقد و بالتالی..التفاعل الثقافی و الحضاری.

إذا فبیت الله موضع التقاء فعلى لكل الرسالات لكل المذاهب و بذلك یكون أفضل اداه للوحده الحقیقه،الوحده القائمه على أساس التعارف و التحاور و التعاون.

[۹۷]الدعوه الى الحج عامه و شامله و لا تخص جماعه دون اخرى و على كل من یستطیع تلبیه الدعوه الى الحج دون تلكؤ.و ما دامت الدعوه عامه فان نوازع العنصریه أو الطائفیه التی تمنع الحج هی كفر بالنعمه و تمرد على دعوه الوحده و رفض لها و صاحبه یتحمل مسئولیته بالكامل.

وَ مَنْ دَخَلَهُ کانَ آمِناً وَ لِلّهِ عَلَی النّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلاً وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ

و حج البيت يعنى الذهاب اليه و تقصده من بعيد و الاستطاعه هى:القدره الجسديه و الماليه و الامنيه.

من معانى الكفر:

و الكفر هنا يحمل معنيين:

الاول:الكفر بالله فى رفض تنفيذ أوامره و منها الحج.

الثانى:الكفر بنعمه الحج حيث الحريه و البركه و الهدى و بالتالى حيث الوحده الرساليه،و الكلمه تعريض واضح باهل الكتاب الذين لا يطبقون فريضه الحج الى البيت بالرغم من ايمانهم بان إبراهيم هو الذى بناه.

و كلمه اخيره:الحج الذى شرعه الله لجميع الناس و جعله رمزا للوحده و موقعا للتفاعل الحضارى قد انتهى اليوم الى مجموعه طقوس فارغه لا تشمل واحده بالمائه من منافعه العظيمه بسبب ابتعاد الامه عن روح التعاليم الإلهيه و بسبب سيطره الطواغيت على شئون الامه.

و لو لا ـ هذا الفهم القشرى لدور البيت فى الوحده و فى التعارف و التفاعل و التعاون،و لو لا ـ الطواغيت الحاكمه على البلاد الاسلاميه لرأينا اذن كيف كان الحج قادرا على تحقيق دوره الحضارى فى وحده الامه و تقدمها و تطورها و تغلبها على مشاكلها الداخليه،و تحدياتها الخارجيه.

[۹۸]و لكن أهل الكتاب يكفرون مره واحده بكل تلك الآيات العظيمه للحج و التى فى طليعتها ما ذكرت فى الآيه السابقه،و يتساءل القرآن لماذا هذا الكفر الصريح..

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ و سوف يحاسبكم على هذا الكفر،لأنه يؤدى الى انحرافات عمليه.

[۹۹]و الكفر يبدأ قليلا و يزداد حتى يصل الى درجه العمل من أجل إضلال الآخرين..

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ انهم كانوا يصدون المؤمنين عن الصراط المستقيم الذى هو صراط الله و سبيله، و كانوا يريدون ان ينحرف السبيل الى حيث تتحقق أهواؤهم،بالرغم من انهم كانوا شهداء،و المفروض فى الشهيد ان يتجنب الكذب و ان يصدق بالحقيقه و ان كانت مخالفه لاهوائه.

أهل الكتاب هم حمله علم الدين،الذين يفترض فيهم انهم يدعون الى الله،لا ـ ان يقطعوا طريق السالكين الى الله،و يحرفون طريقهم بسبب طائفياتهم أو حزبياتهم أو مذهبياتهم الضيقه،و هذا الواقع هو الذى يعيشه كثير من حمله الدين حتى اليوم،لا يخلصون لدعوتهم بقدر ما يخلصون لحزبهم أو مذهبهم أو طائفتهم و هم بذلك السبب الرئيسى لكفر طائفه كبيره من البشر.

وَ مَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [۱۰۰]ان أهل الكتاب بدأوا بالكفر بالرساله الجديده ثم صعدوا الموقف فأخذوا يمنعون جماعتهم من الايمان بهذه الرساله بشتى الوسائل،ثم صعدوا الموقف و حاولوا.

تضـليل المؤمنين من غير جمـاعتهم،أولئـك الـذين كـانوا مشـركين من قبـل و كـان المفروض بأهل الكتاب(و هم المؤمنون)أن يفرحوا بتحوّلهم الى الايمـان و لكن النظره الطـائفيه الضـيقه هى التى أعمت قلوبهم و لا تزال تعمى قلوب كثير من دعـاه الـدين حتى اليوم.

و من هنا حذر القرآن المسلمين من المسحه الدينيه التى تكسوا وجوه فريق من أهل الكتاب،الكفار برساله اللّه،و قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۸]

اشاره

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ آيٰاتُ اَللّٰهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۰۱) يٰا أَيُّهَا
اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ وَ لاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۲) وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّٰهِ جَمِيعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا وَ اُذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدٰاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوٰاناً وَ كُنْتُمْ عَلىٰ شَفٰا حُفْرَةٍ مِنَ اَلنّٰارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهٰا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ
لَكُمْ آيٰاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۰۳) وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى اَلْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ
اَلْمُفْلِحُونَ (۱۰۴) وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اِخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ اَلْبَيِّنٰاتُ وَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (۱۰۵) يَوْمَ تَبْيَضُّ
وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا اَلَّذِينَ اِسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمٰانِكُمْ فَذُوقُوا اَلْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۱۰۶) وَ أَمَّا اَلَّذِينَ
اِبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اَللّٰهِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (۱۰۷) تِلْكَ آيٰاتُ اَللّٰهِ نَتْلُوهٰا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اَللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعٰالَمِينَ
(۱۰۸)

اللغه

۱۰۱[يعتصم]:يمتنع.

۱۰۳[تقاته]:من وقيت.

[بحبل]:السبب الذى يوصل به الى البغيه كالحبل الذى يتمسك به للنجاه من بئر أو نحوه و منه الحبل للأمان.

[شفا]:حرف.

ص:۶۲۲

۱۰۴[أمه]:اشتقاقها من الأمّ الذى هو القصد من اللغه و تستعمل على ثمانيه أوجه منها الجماعه و منها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد.و منها القدوه لأنه يأتم به الجماعه و منها الدين و المله كقوله انا وجدنا آباءنا على امه و منها الحين و الزمان إلخ.

ص:۶۲۳

الوحده هاجس الامه الحضاری

هدی من الآیات:

«وحده رسالات اللّه»کان موضوع الدرس السابق،اما موضوع هذا الدرس فهو«وحده الامه الاسلامیه»التی تتمسک برساله الله الواحده،حیث یعالجها القرآن من عده وجوه أبرزها:ان أهم شروط الوحده وجود رابطه مشترکه بین افرادها و فئاتها و رابطه الوحده الاسلامیه کتاب الله و القیاده الاسلامیه التی تجسد هذا الکتاب،و مزید من الاعتصام بهما یعنی مزیدا من التفاعل و التماسک،و لیس من الممکن ان نطلب الوحده من دون مبدأ.و نظره الی الوراء،الی الجاهلیه،تکشف لنا کیف لم یقدر العرب من توحید أنفسهم-بالرغم من ایمانهم بالوحده و بضرورتها الحیاتیه لهم-حتی جاءت الرساله فوحدهم الله بها.

و لأن الوحده مبدئیه فلا بد ان توجد فی الأمه فئه تتطوع للمبدأ،و تدافع عنه، و تراقب مدی تنفیذ الأمه له،حتی لا یتراخی الحبل الذی یشد الامه ببعضها.

و الوحده المبدئیه هی التی یبارکها الله و لا یبارک الله وحده امه من دون

ص:۶۲۴

خضوعها لقيم الله،إذ انّ الله سيفصل الذين لا يخضعون لقيمه عن المؤمنين فى يوم القيامه و يفرق بينهم،بينما يجعل المؤمنين فى منزله واحده.

و نحن كذلك يجب ان نفكر فى يوم القيامه حيث يفصل اللّه بين الناس و نطبق فى الدنيا القيم الالهيه،و الفكره التى يكررها القرآن خلال حديثه عن الوحده هنا، هى:ان الخلاف غير المبدئى يساوى الكفر بالقيم التى تربط الامه ببعضها فاذا لم يتراخ حبل القيم الذى يعتصم به الجميع،لا يمكن ان توجد ثغره بين المؤمن و أخيه المؤمن.

بينات من الآيات:

الوحده بالاعتصام باللّه:

[۱۰۱]الذين يتبعون أهل الكتاب يكفرون بالرساله و ذلك لأنهم يتركون النبع الصافى الى الرافد البعيد أو حتى الى السواقى الملوثه،يتركون رسول الله،و هو منهم و بعث فيهم،و يتركون كتاب اللّه،و قد نزل عليهم و بلغتهم،يتركونها الى رسول توفاه اللّه من زمان بعيد،و الى كتاب عملت فيه يد التحريف.

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ آيٰاتُ اللّٰهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ اما من يترك اللّه الى شهواته فسوف تنحرف به الطرق الى كل واد سحيق.

ان الايمان بالله و التسليم للحق،و مخالفه الهوى و الشهوات هو الضمان الأكيد لاستقامه الإنسان فى الحياه إذ لا ينحرف البشر الاّ باتباعه هواه أو خضوعه لشهواته.

و الاعتصام بالله يعنى-حسب دلاله السياق-الالتزام بكتاب اللّه-و يقول

رسول الله الـذى يجسـد ذلك الكتاب لا يمكن فصـلهما عن بعضـهما أبـدا لـذلك تجد القرآن بدّل التعبير فلم يقل-من يعتصـم بهما(كتاب اللّه و رسول الله)بل قال بالله،للدلاله عن انهما شيء واحد.

[۱۰۲]من السـهل ان يـؤمن البشـر بربه و بكتبه و رسـله و لكن الصـعب هو تحـديه لشـهواته،حيث تثور عليه كمـا يثور البركـان و يتحدى الضـغوط حين تتزاحم عليه من كل جانب،الاّ إذا خشـى الإنسان ربه،و تذكر عظمته و تذكر الموت و الحساب، و بالتالى أصبح متقيا.

و إذا تراخى الإنسان امام شـهواته أو ضـغوط الحياه فانه قـد يموت فى لحظه تراخيه و ابتعاده عن الايمان فيموت كافرا،و لـذلك كان على الإنسان ان يصمم على المقاومه حتى الموت،متحديا كل الضغوط،هكذا يأمرنا اللّه.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «حق تقاه اللّه»هو التصـميم على الاسـتمرار فى خط الرساله حتى الموت.

و مناسبه الحديث عن الاستقامه و الاستمرار هنا هى مقاومه ضغوط الانحراف باتجاه الكفر بعد الايمان الذى تحدث عنه القرآن فى الآيه السابقه و كذلك بمناسبه الحديث عن ضروره الوحده إذ الاختلاف لا ينشأ الاّ لضعف التقوى على النفوس.

[۱۰۳]الاعتصـام بكتـاب اللّه و بالرجـل الـذى يمثـل هـذا الكتاب هو حبل اللّه الـذى تحـدثت عنه.الآيه الاولى،و هـذه الآيه،و هو الطريق الوحيد للوحده الحقيقيه التى بدونها لا معنى للوحده.بل للدجل و النفاق.

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا

ص:۶۲۶

لا وحده الا بالعقيده:

الهدف المشترك و المصلحه المشترکه و المصير الواحد و..و..،قد يكون سببا للوحده،و لكن بشرط وجود إيديولوجيه واحده يتمسك بها الجميع فتعطيهم رؤيه مشتركه تجاه الوضع.

و إذا افترضنا شعبنا(كالشعب العربى)ذا هدف مشترك هو التخلص من إسرائيل،و مصلحه مشتركه هو تطوير ثرواته القوميه و له مصير واحد،فأما التقدم و الاستقلال أو التخلف و الاستعباد.

و لكن لو لم يكن للشعب العربى إيديولوجيه واحده فانه يختلف على بعضه فى طرق تحقيق الهدف،الانتماء الى الكتله الشرقيه أو التحالف مع الغرب،أو الحياد الايجابى،الاقتصاد الحر،و الاشتراكيه،الحزب الواحد أو تعدد الأحزاب.

و كذلك يختلف فى أساليب الوصول الى المصلحه و بالتالى فى ابعاد المصير الواحد.من هنا يركز القرآن على اهميه الاعتصام بحبل اللّه(كتاب اللّه و القياده المنبعثه منه)لتحقيق الوحده،و يذكرنا بظروف العرب قبل الإسلام و يقول:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً الاخوه العربيه لم تأت بسبب الدم المشترك أو اللغه الواحده،أو حتى الأرض، و المصلحه،و المصير الواحد،بل جاءت بعد ان منّ اللّه عليهم بنعمه الكتاب،فاذا بالفكر يتوحد،و العواطف تتفاعل، و تتحقق الاخوه.و لو لا نعمه الكتاب لكانت الخلافات تهددكم بالدمار.

وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ

ص:۶۲۷

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ و تعرفون ان الاخوه القائمه بينكم ليست سوى نتيجه الايمان بالله و الاعتصام بحبله.

و يا ليت العرب اليوم تذكروا وحدتهم،و عرفوا كيف كانت و لماذا،و عادوا الى نعمه الايمان التى تؤلف بين قلوبهم و تجعلهم اخوه صادقين.

كيف نحافظ على الوحده:

[۱۰۴]للمحافظه على الوحده..لا بد من المحافظه على القيم التى وحدت الناس..و المتجسده فى كتاب الله..فبدون قيمه العداله الاجتماعيه كيف يمكن مطالبه المظلوم بالوحده مع الظالم،و من دون قيمه المساواه كيف يمكن للمستعبد ان يسكت عن المستغل..و من دون قيمه التقوى كيف تثق الجماهير بالحكام..أو كيف يثق الحكام بالجماهير.

من هنا و لأجل المحافظه على القيم التى تضمن الوحده لا بد من وجود طائفه نذرت نفسها للّه.

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و هذه الطائفه يجب ان تكون رمزا للقيم و رمزا للوحده،لتشكيل قوه معنويه هائله للمحافظه على الوحده داخل المجتمع الاسلامى.

[۱۰۵]و عاد القرآن يأمرنا بالوحده و يبين بان الاختلاف بعد الإيمان يعقبه عذاب عظيم و سواد الوجه.

وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْبَيِّنٰاتُ وَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ ان دراسه تجارب الأمم رؤيه واضحه لاوضاعنا تلك الأمم تفرقوا فاذا كل طائفه منهم تتشكل حسب قيم ارضيه زائفه-قيمه الدم و اللغه و الإقليم و المصالح العاجله،و كان تمسكهم بتلك الروابط أشد من تمسكهم بالدين-فلذلك اختلفوا فيما بينهم..لأن هذه القيم مختلفه و لا تنتج الاّ الاختلاف فابتلوا بعذاب عظيم فى الدنيا و فى الآخره.

[۱۰۶] يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمٰانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ان الاختلاف المشروع الوحيد هو بين الكفر و الايمان لأنه الخلاف الذى يعترف به ربنا هناك عند الحساب الحق..و الكفر بعد الايمان..هو الاختلاف حسب القيم الارضيه الزائفه بعد تمسك الامه بقيمه واحده هى قيمه التوحيد.

ان الايمان بالأرض و تقديس التراب و الوطنيه و محاربه الناس من أجلها نوع من الكفر بقيمه التوحيد التى تجعلك تؤمن بالله و بكل إنسان مؤمن به،فى اى ارض عاش..و كذلك الايمان بسائر القيم الزائفه،من هنا نعرف ان الاختلاف كفر.

[۱۰۷] وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللّٰهِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ لأنهم بقوا ملتزمين بقيمهم و بوحدتهم.

[۱۰۸]الوحده حسب قيم السماء خير للناس و تقدم و رفاهيه،و اللّه يبين ذلك من أجل ان يصل البشر الى مستوى رفيع من التقدم و الرفاه.

تِلْكَ آيٰاتُ اللّٰهِ نَتْلُوهٰا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعٰالَمِينَ

ص:۶۲۹

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۰۹ الی ۱۱۷]

اشاره

وَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ إِلَی اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۱۰۹) کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْکَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ اَلْکِتٰابِ لَکٰانَ خَیْراً لَهُمْ مِنْهُمُ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ أَکْثَرُهُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۱۱۰) لَنْ یَضُرُّوکُمْ إِلاّٰ أَذیً وَ إِنْ یُقٰاتِلُوکُمْ یُوَلُّوکُمُ اَلْأَدْبٰارَ ثُمَّ لاٰ یُنْصَرُونَ (۱۱۱) ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ اَلذِّلَّهُ أَیْنَ مٰا ثُقِفُوا إِلاّٰ بِحَبْلٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ حَبْلٍ مِنَ اَلنّٰاسِ وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ اَلْمَسْکَنَهُ ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ کٰانُوا یَکْفُرُونَ بِآیٰاتِ اَللّٰهِ وَ یَقْتُلُونَ اَلْأَنْبِیٰاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ ذٰلِکَ بِمٰا عَصَوْا وَ کٰانُوا یَعْتَدُونَ (۱۱۲) لَیْسُوا سَوٰاءً مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ أُمَّهٌ قٰائِمَهٌ یَتْلُونَ آیٰاتِ اَللّٰهِ آنٰاءَ اَللَّیْلِ وَ هُمْ یَسْجُدُونَ (۱۱۳) یُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْکَرِ وَ یُسٰارِعُونَ فِی اَلْخَیْرٰاتِ وَ أُولٰئِکَ مِنَ اَلصّٰالِحِینَ (۱۱۴) وَ مٰا یَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَلَنْ یُکْفَرُوهُ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ بِالْمُتَّقِینَ (۱۱۵) إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اَللّٰهِ شَیْئاً وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (۱۱۶) مَثَلُ مٰا یُنْفِقُونَ فِی هٰذِهِ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا کَمَثَلِ رِیحٍ فِیهٰا صِرٌّ أَصٰابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَکَتْهُ وَ مٰا ظَلَمَهُمُ اَللّٰهُ وَ لٰکِنْ أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (۱۱۷)

اللغه

ص:۶۳۰

۱۱۶[تغن عنه]:تدفع عنه ضررا.

۱۱۷[صرّ]:برد شدید و أصله الصریر.و قیل الصر صوت النار التی کانت فی تلک الریح و یجوز ان یکون الصر صوت الریح البارده الشدیده.و ذلک من صفات الشمال.

ص:۶۳۱

التزام القيم ضمانه الاستقامه

هدى من الآيات:

فى هـذا الـدرس يتابع السـياق حـديثه عن المسـئوليه الاجتماعيه تجاه القيم المقدسه،حيث يجب على الجميع ان يحافظوا عليها و يعرفوا انّ محافظتهم عليها هى ضمان استمرار تقدمهم و عزهم،و ان التهاون فيها سيؤدى بهم الى الذله و غضب اللّه و المسكنه،و يـأتى القرآن الحكيم بمثلين للالـتزام بالمسـئوليه الاجتمـاعيه،واحـد من واقع الاـمه الاسـلاميه،حيث انهـا لـم تسـتطع ان تصـل الى مسـتواها من المجـد..الا بفضل قيامها بهذه المسؤوليه ثم يقارنها بمثل أخر من واقع اكثريه أهل الكتاب الذين تركوا هذا الواجب فضربت عليهم الذله و المسكنه.

و حين يتحمل أبناء الامه مسـئوليتهم الاجتماعيه فان ذلك سوف يعطيهم الوحـده المبدئيه ذات الرابطه الايمانيه.إذ انه ينمى روح القيم الساميه فى الامه لتشد بعضهم الى البعض شدا متينا.

ص:۶۳۲

و فى آخر الـدرس،ينسف القرآن الاسس الفكريه التى تعتمد عليها اكثريه أهل الكتاب فى كفرهم،و هى:الأموال،و المصالح،ثم الأولاد و الطموحات،ثم حب الخلود فى الدنيا.و يبين ان كل تلك القواعد تنقلب عليهم فى الاخره،حيث انها لا تنفعهم شيئا و ان كل ما ينفقون فى هذا السبيل أشبه شىء بزراعه تطوف عليها رياح هوج فتهلكها..ان كل اتعاب الفلاح ستذهب ادراج الرياح،بسبب ظلمه لنفسه، و عدم اهتمامه بموقع زراعته الا يزرعها فى حقل مكشوف، كذلك الكفار كلما ينفقونه فى الدنيا لا تنفعهم شيئا فى الاخره.

بينات من الآيات:

[۱۰۹]بالرغم مما قد يلاحظه الناظر الساذج فى أحداث الكون و بالذات الظواهر الاجتماعيه فيها،من انها ترتبط بهذا العامل أو ذاك.فانها محكومه بسنن فطريه عامه أجراها اللّه فى الحياه،و هو يدبرها من فوق عرشه العظيم،ان تقدم الأمم أو تخلفها،عزها أو ذلها،رفاهها أو شقاءها،ليست كل تلك الظواهر الاجتماعيه صدفا عارضه،هى أشبه شىء ببناء البيت أو زراعه الحديقه،بل يخضع لقوانين ثابته وضعها اللّه،إذ كل الأمور مرجعها النهائى هو اللّه سبحانه.

وَ لِلّهِ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى الْأَرْضِ وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [۱۱۰]و من هذه السنن التى أحكمها ربنا،و دبّرها،و أجراها فى الكون،أنّ الأمه لا تصبح خير امه،الا إذا تحملت مسئوليتها الاجتماعيه،ذات الرؤيه الواضحه بإخلاص كاف.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ فأنتم أمه(خير)و ليس أمه شر،و هى قد(أخرجت)حيث صنعتها الرساله

ص:۶۳۳

و لم تصنع نفسها بنفسها،ثم هی(للناس)و لیست علیها،إذ مسئولیه الامه الاسلامیه هی الدفاع عن المحرومین و المظلومین،و توفیر السعاده و الأمان لجمیع الناس،و ضمن هذه المسؤولیه الاجتماعیه هو انکم:

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ و الأمر بالمعروف لا یعنی مجرد الأمر اللسانی،بل یعنی السعی وراء تحقیق المعروف بشتی الطرق..و کذلک النهی عن المنکر،و لکن الامه الاسلامیه التی تحمل هذه الرساله الاجتماعیه،تنطلق فیها من قاعده صلبه هی الایمان باللّه،إذ ان مصدر التحسس بالمسؤولیه الاجتماعیه هو الایمان باللّه،و باطل أو لا أقل محدود ذلک التحسس الاجتماعی الذی لا یستمد قوته من الإیمان باللّه.

وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ و أهل الکتاب هم بدورهم مهیئون لتحمل هذه المسؤولیه،إذ انکم-أیها المسلمون-لم تتحملوا هذه المسؤولیه لأنکم عرب،أو ان نبیکم شخص محمد صلی الله علیه و آله بل إنّ اللّه حملکم رسالته،کما حمّل أهل الکتاب رسالته.و إذا تحملوا هم بدورهم هذه المسؤولیه أصبحوا-کما أنتم-خیر أمه أخرجت للناس.

وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْکِتٰابِ لَکٰانَ خَیْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَکْثَرُهُمُ الْفٰاسِقُونَ و فی الآیات التالیه یضرب اللّه سبحانه مثلا للفاسقین منهم ثم مثلا للمؤمنین.

بین الفسق و الإیمان:

[۱۱۱]أما الفاسقون فإنهم أذلاء،ضعفاء بفسقهم و انحرافهم،و هم لا

يستطيعون إلّا الحاق أذى بسيط بكم،و حين القتال ينهزمون ثم ليس هناک فئه تنصرهم كما ان بعضهم لا ينصر بعضا.

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاّ أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ [١١٢]انهم أذلاء أين ما وجدهم الناس مارسوا معهم أساليب التذليل، و ليس أمامهم إلا طريق واحد للخلاص من هذه الذله هو العوده الى كتاب اللّه و اتباع سنن رسول اللّه.أو الارتباط بالامه الاسلاميه المتقدمه عليهم.فاذا اعتصموا بحبل اللّه«كتاب اللّه و القياده الاسلاميه»فإنهم سوف يصبحون أعزاء بذلک،و ان اعتصموا بحبل من الناس(الامه الاسلاميه)فإنهم سوف يصبحون أقوياء بالتبعيه و التحالف مع الامه القويه.

و الا فهم أذلاء و الذله تؤدى بهم الى المسكنه..و الفقر و ذلک بسبب فرض الأقوياء عليهم التخلف و الاستغلال.

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا أى فى أى بلد تواجدوا هم و المسلمون الأكثر قوه منهم.

إِلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ يتمثل فى الخلافات الداخليه،و فى التخلف و الاستعباد،و حتى الكوارث الطبيعيه التى تلاحقهم بسبب تخلفهم و جحودهم.

وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ و هى الفقر المدقع أو الفقر بذله و صغار.

ص:٦٣٥

و يبقى السؤال:لماذا انتهى بهم الحال الى هذه الدرجه من الانحطاط؟ و الجواب:لأنهم لم يتمسكوا أساسا بحبل اللّه و المتمثل فى كتابه و رسله لماذا؟لأنهم كانوا يعصون اللّه فى الأمور الصغيره،و شيئا فشيئا تزايد عصيانهم و تمردهم الى درجه الكفر بآيات اللّه و كانوا يعتدون على الناس،ثم تصاعد عدوانهم حتى اعتدوا على حياه قادتهم الأنبياء.

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كٰانُوا يَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيٰاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمٰا عَصَوْا وَ كٰانُوا يَعْتَدُونَ ان العصيان هو التمرد على الحق،و هو يؤدى الى الكفر أ لم يقل ربنا:« ثُمَّ كٰانَ عٰاقِبَةَ الَّذِينَ أَسٰاؤُا السُّواىٰ... »و الكفر بآيات اللّه يستدرج الإنسان الى الكفر بالسنن و القوانين الفطريه التى جعلها اللّه للكون،و بالتالى الكفر بالحقائق كلها.

أما كيف ينتهى الاعتداء على الناس الى الاعتداء على حياه الرسل؟:لأنهم سوف يدافعون عن الناس بكل وسيله،و يدافع المعتدى عن نفسه و يقتل الأنبياء.

و إذا ذهبت آيات اللّه و أنبياؤه،فان الحياه ستصبح فوضى و يحكمها الذله و المسكنه.

[١١٣]هذا مثل سيء لأهل الكتاب،أما المثل الآخر فهو يتجسد فى طائفه صغيره يقومون بالعدل،و يؤمنون بالكتاب و يخضعون للّه.

لَيْسُوا سَوٰاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ أُمَّةٌ قٰائِمَةٌ بأوامر اللّه،منفذه لها.

ص:۶۳۶

يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنٰاءَ اللَّيْلِ حيث تنام الأعين،و تستيقظ قلوب المؤمنين،و تخمد نيران شهواتهم،و حيث لا عين تراقبهم فيستهويهم الشيطان برياء،أو سمعه،و الملاحظ فى القرآن انه يأمر بالتبتل فى الليل أكثر من النهار.

وَ هُمْ يَسْجُدُونَ للّه..فهم ينفعلون بآيات اللّه عمليا،و يخضعون لها سلوكيا.و لا يتلونها مجرد لقلقه لسان.

[١١۴] يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسٰارِعُونَ فِى الْخَيْرٰاتِ فليس أمرهم بالمعروف إلا نابعا من شخصيتهم المحبه للخير،بدليل مسارعتهم الى الخيرات و قيامهم بها قبل غيرهم.

وَ أُولٰئِكَ مِنَ الصّٰالِحِينَ [١١۵]هؤلاء أهل الكتاب،و ليسوا بمؤمنين فى تلك اللحظه لسبب أو لآخر.

و من دون عناد،أو تمرد لأمر اللّه باتباع رسالته النازله على النبى محمد صلى الله عليه و آله و مع ذلك فهم يجزون على أعمالهم بالكامل..

وَ مٰا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ و هذه الآيه تنفى الرؤيه القشريه للانتماء للإسلام بالاعتقاد بان مجرد ان يكون الفرد يشهد بشهاده الإسلام كلاميا فهو مسلم،و من أهل الجنه.و من لا يشهد بذلك فيكفر و هو من أهل النار كلا..اللّه ينظر الى الأعمال قبل الأقوال.

ص:۶٣٧

[۱۱۶]لما ذا یکفر من یکفر؟ لأنه یغتر بماله أو أولاده.و لکن ماذا تفعل الأموال و الأولاد بعد الموت؟لماذا یخادعون أنفسهم و الی متی؟ إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَیْئاً وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ و الحدیث عن الکفار هنا یأتی بمناسبه أهل الکتاب،الذین کفروا بالرساله و ناصبوها العداء.حیث یبین القرآن الحکیم فی الدرس القادم الموقف الذی یجب أن یتبناه المسلمون من الکفار.

ان کثره الثروه المادیه أو الطاقه البشریه لن تغنی عن الحق شیئا،و علینا ألا نخضع للکفار بمجرد انهم یملکون الثروه أو الکثره.

[۱۱۷]اما أعمالهم و أموالهم و حتی بعض الصالحات التی یقومون بها،فانها سوف تذهب هباء منثورا ذلک لأنها لا تعتمد علی قاعده صلبه.أ رأیت لو أن الدکتور اشتبه فی تشخیص المرض منذ البدایه ثم أتعب نفسه فی اختیار الدواء المناسب،و اهتم کثیرا بصنع الدواء،هل ینفعه ذلک شیئا؟أو إذا ضل الطیار طریقه،فلم یعرف هل هو بالاتجاه یمینا أو یسارا،فهل ینفعه التعب فی توضیح الاستقامه فی التحلیق؟کذلک الکفار أخطئوا فی فهم الحیاه أساسا فلا ینفعهم معرفه بعض الجزئیات.لذلک فکل جهودهم تقع فی اطار ذلک الفهم الخاطئ و تصبح هی الاخری عبثا بلا فائده..

مَثَلُ مٰا یُنْفِقُونَ فِی هٰذِهِ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا کَمَثَلِ رِیحٍ فِیهٰا صِرٌّ أَصٰابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَکَتْهُ و ذهبت بکل جهودهم فی لحظات،إذ انهم ظلموا أنفسهم و لم یختاروا مثلا

مكانا مناسبا للزراعه،فهل اللّه مسئول عن بعث رياح هوج؟!كلا انهم هم المسؤولون..

وَ مٰا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَ لٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ص:٦٣٩

[سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٨ الی ١٢٩]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ اَلْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ
أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ اَلْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لاَ يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَ إِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا
آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ اَلْأَنَامِلَ مِنَ اَلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اَللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ اَلصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ
إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اَللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ اَلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَ اَللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَ اَللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَ عَلَى اَللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ
(١٢٢) وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اَللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اَللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ
بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ اَلْمَلاَئِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢۴) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ
اَلْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢۵) وَ مَا جَعَلَهُ اَللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا اَلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَكِيمِ (١٢۶)
لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
(١٢٨) وَ لِلَّهِ مَا فِي اَلسَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي اَلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ اَللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩)

اللغه

١١٨[بطانه]:خاصه الرجل الذین یستبطنون أمره مأخوذه من بطانه الثوب الذی یلی البدن لقربه منه.

[لا یألونکم]:لا یقصرون فی أمرکم و لا یترکون جهدهم،و یألو أی یفتر و یقصر و یضعف.

[خبالا]:الشر أو الفساد.و منه الخبل للجنون لأنه فساد العقل.

[عنتم]:أصل العنت المشقه و عنت الرجل بعنت ای دخلت علیه المشقه.

١١٩[الأنامل]:أطراف الأصابع.

۱۲۱[تبوئ]:یتخذ مواضع للغیر.یقال بوأت القوم منازلهم و بوأت لهم أی أسکنتهم إیاها.

۱۲۲[تفشلا]:تجبنا.و الفشل الجبن.

۱۲۳[بدر]:ماء بین مکه و المدینه.

[یکفیکم]:حسبکم.

[یمددکم]:یعطیکم حالا بعد حال.و منه المد فی السیر ای الاستمرار.

ص:۶۴۱

[فورهم]:ای علی الابتداء و قیل الفور القصد الی الشیء بحده.

۱۲۷[یکبتهم]:یخزیهم و یذلهم و أصل الکبت شده الوهن الذی یقع فی القلب.

۱۲۹[ما]:ذکر لفظ لأنها أمم من من فانها تتناول ما یعقل و ما لا یعقل لأنها تفید الجنس.

ص:۶۴۲

الموقف المبدئى من الكفار

هدى من الآيات:

هؤلاء الكفار من أهل الكتاب كيف يجب أن يكون موقف المسلمين منهم؟ انه يجب ان يكون موقفا متصلبا،يعتمد على المبدأ،و ليس على المصالح،أو الصداقات الشخصيه.

ان بعض المسلمين كان يحب أهل الكتاب،باعتبارهم أقرب من الناحيه الثقافيه،الى المسلمين من المشركين.و لكن القرآن نهاهم عن ذلك،و بيّن ان مجرد كفر أهل الكتاب برسالتكم،و اتخاذهم موقفا سلبيا منكم.يدعوهم الى اعتبار أى انتصار لكم موجها ضدهم، و بالتالى فهم يتميزون غيضا من أى تقدم لكم، و يفرحون كلما أصابتكم سيئه.

و عليكم ألا تهنوا و تدعوا الى الوحده مع هؤلاء خوفا من مجابهتهم،بل عليكم ان تلتزموا بالصبر،و التقوى حتى تدفعوا شرهم.و كدليل تاريخى على أن الصبر و التقوى

ص:۶۴۳

كفيلان بإحراز النصر،يضرب القرآن مثلا من واقع الامه فى حرب بدر،كيف نصرهم اللّه و هم أذله،و بالتالى كيف يمدد اللّه المسلمين بالملائكه،لتطمئن قلوبهم، فيحاربوا العدو،و ينصرهم اللّه عليه.

و هناک ثلاث نهايات تنتظر العدو:فاما يكسر اللّه جناحا من أجنحتهم بالحرب،و بذلک يحطم جانبا من قوتهم العسكريه.و أما أن يصيبهم اللّه بنكسه نفسيه،فيعودوا من ساحه القتال،و هم مصابون بخيبه أمل،انهم لم يحققوا أهدافهم بالرغم من التضحيات التى قدموها،أو انهم يعودون الى رشدهم و يستقبلون الرساله فيتوب اللّه عليهم،ذلک ان التوبه لا تخص الرسول،أو أحدا من المسلمين ان اللّه هو الذى يقرر من يتوب عليه من عباده،و من يعذبهم،ذلک لان له ما فى السماوات و الأرض.

بينات من الآيات:

مبدئيه الوحده الإسلاميه:

[۱۱۸]الوحده القائمه بين المسلمين،هى وحده مبدئيه،و لذلک لا يجوز ان تلعب فيها الأهواء و المصالح الخاصه،فيفضل أحد المسلمين واحدا من الكفار،و يجعله لمصلحه أو لهوى،أقرب الناس اليه،و من حاشيته و جهاز عمله،بل عليه ان يختار رجاله من المسلمين أنفسهم،بالرغم من الحساسيه، أو من الضرر الذى قد يلحق به مؤقتا من جراء ذلک،إذ ان الضرر البسيط يعوض،و لكن نفاق الكافر،و عدم إخلاصه،و تحينه الفرص بالمسلم،حتى يوجه إليه ضربه قاضيه،كيف يعوض..

انهم لا يمنعون عنكم أى ضرر،قليلا أو كثيرا،لأنهم غير مخلصين،و فى الواقع يفرحون،كلما ارهقكم شىء،و الدليل واضح من ألسنتهم،حيث انهم يقولون كلاما يحمل فى تضاعيفه ما يخفونه فى صدورهم،ذلک ان الإنسان مهما حاول

إخفاء شیء،فانه یظهر فی فلتات کلامه،و شوارده،و سقطاته،و بالتالی فی لحن قوله.

و أنتم قادرون لو تدبرتم قلیلا،أن تکتشفوا هذه الحقیقه من خلال کلامهم..

أما صدورهم فقد ملئت غیظا و ضیقا علیکم.هذه هی الآیات الواضحه التی بینها اللّه لکم،یبقی علیکم أن تثیروا عقولکم،و لتفهموا الحقیقه بأنفسکم.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا بِطٰانَهً مِنْ دُونِکُمْ لاٰ یَأْلُونَکُمْ خَبٰالاً البطانه:أقرب الناس الی الفرد و الخبال:الضرر.

وَدُّوا مٰا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضٰاءُ مِنْ أَفْوٰاهِهِمْ یحبون عنتکم و ارهاقکم و ما یؤذیکم.

و لم یقل من کلامهم،لان ظاهر کلامهم لا تبدو منه البغضاء.و لکن ما یصدر من أفواههم من الغلط،أو أسلوب الکلام،أو حتی ملامحهم أثناء الکلام،هی التی تدل علی حقیقه ما فی قلوبهم..

وَ مٰا تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَکْبَرُ قَدْ بَیَّنّٰا لَکُمُ الْآیٰاتِ إِنْ کُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [۱۱۹]الامه الاسلامیه تعمل من أجل الناس جمیعا.و ضمنهم بالطبع الکفار و بصفه خاصه المحرومین منهم و المضطهدین.و لهذا فان المسلمین یکنون الحب للناس جمیعا،بید ان الکفار الذین اتخذوا موقفا سلبیا من المؤمنین،و اعتبروهم خارجین عن الشرعیه،یختلف الوضع عندهم.انهم ینافقون ظاهرا،و یکنون أشد البغض للمؤمنین،و یعتبرون أی تقدم یصیب المسلمین ضررا علیهم،فیشتد غیظهم.

و ضیقهم.و تصرفاتهم الانفعالیه،و غیر الحکمیه نابعه کلها من هذه النفسیه المعقده، و المتمیزه غیظا.

هٰا أَنْتُمْ أُولاٰءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لاٰ يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتٰابِ كُلِّهِ بينما هم لا يؤمنون بكتابكم،و هـذا هو الفرق،أنتم لا تحملون حقـدا على رسولهم أو كتابهم،بينما هم يحملون هذا الحقد و ينعكس عليهم.

وَ إِذٰا لَقُوكُمْ قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنٰامِلَ مِنَ الْغَيْظِ إذ ان صـاحب الغيظ الشديـد يعض أنامله،للتخفيف عن غيظه الذى يثقل صدره.

قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ و لـذلك لاـ ينظلى عليه النفـاق،ثم انه لا ينصـركم ايها المنافقون على المسـلمين، لأنكم أنتم الحاقدون بالباطل عليهم،و نصر اللّه يصيب أصحاب القلوب الطيبه و النيات الصافيه.

[۱۲۰]و من طبيعه هـذه الفئه،الحسد الشديد،الى درجه انهم ينتظرون أى نوع من الأذى بكم،و يسـتاءون إذا أنعم اللّه عليكم بأى خير.

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهٰا وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لاٰ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّٰهَ بِمٰا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ الصبر هو التفكير فى المسـتقبل،و بعد النظر،و عدم حساب بعض الخسارات البسيطه إلاّ بالقياس الى الأرباح الكبيره،التى تأتى فى المستقبل،أما التقوى،فهى الالتزام بخط الإسـلام،و عدم الانحراف تحت ضغط المشاكل،أو بعض الخسارات أو حتى النكسات.و التقوى تعنى هنـا أيضـا العمـل.حتى لاـ يكون الصبر انتظـارا سـلبيا محضـا،انما انتظارا ايجابيا،يرافقه العمل الجاد من أجل تعويض الخساره،

و الضرر و تحويل النكسه الى انتصار.

و الكيد يعنى:الخطط التى يتبعها العدو،و هى لا تضر الامه التى تصبر و تتقى.

الامه المستعده للتضحيات،و الواعيه الملتزمه بالواجبات.

ثم ان قدره اللّه الهائله،تقف وراء المؤمنين،فهو محيط بما يعمل الكافرون، و علينا ألاّ نستسلم نفسيا لهم،بمجرد انهم اصابونا بنكسه أو هزيمه،أو حتى عده هزائم.

دروس من معركه بدر:

[۱۲۱]و للمثل على هذه الحقيقه يكفينا أن ننظر الى حرب بدر.و ما فيها من دروس و عبر للامه،و هى الحرب غير المتكافئه،و الاولى من نوعها فى مواجهه الامه لاعدائها،و لقد كانت ذات دروس تلخصها الآيات التاليه:

ألف:ان الرسول و هو القائد الأعلى لقوات المسلمين المسلحه،لم يكتف بأنه على حق،و انه رسول من اللّه،و ان اللّه سينصره.انما قام بالاعداد العسكرى، و بنفسه فى ميدان المعركه.

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقٰاعِدَ لِلْقِتٰالِ فأولا:سبقت القوم بالغدو،و هو الذهاب صباحا مبكرا،ثانيا:ابتعدت عن أهلك،و وضعت نفسك فى المعركه،و هذه صفه هامه فى القياده أن تستعد هى للتضحيه أيضا..ثالثا:أخذت تحدد مواقع المؤمنين القتاليه،استعدادا للهجوم..

وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع أوامرك،و وقع نشاطاتك الظاهره،و يعلم بما تكن صدور المؤمنين و هو

يحدد نتائج المعركه،بما يسمع،و ما يعلم من أعمال ظاهره،و قلوب طاهره.

[۱۲۲]بـاء:ان الرسول واجه مشكله حرجه جـدا،هی مشكله الخلاف بین طـائفتین من رجاله(المهاجرین،و الأنصار)بسبب توزع ولائهما بین اللّه،و بین الأرض،و العشیره،و ما أشبه.و لكن الرسول(و الإسلام عموما)عالج هذه المشكله معالجه جذریه،عند ما ذوب الكیانات الطائفیه فی بوتقه الایمان باللّه،دون أن یعتمد علی طائفه دون اخری،و بـذلك ضـمن جیشا عقائـدیا،یحارب من أجل المبدأ،و لیس من أجل الریاء،و التنافس الطائفی.

إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللّهُ وَلِيُّهُما وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ مع ان اللّه ولی الطـائفتین،فإنهمـا كادتـا تفشـلان بالخلاف،و هذا الخلاف كان نابعا من الاحساس بالضـعف،حیث كان أهل المدینه منهزمین نفسیا امام أهل مكه،و یتصورون ان الرسول حملهم أكثر من طاقتهم،حین أخرجهم لقتـال أهـل مكه،و لكن اللّه بین لهم انه لا داعی للخوف،مـا دام المؤمن یتوكل علی اللّه.

[۱۲۳]و نتیجه للاعداد الاستراتیجی،و الاعداد الایدیولوجی،و الإخلاص للّه، نصر اللّه الامه.

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فلا داعی للخوف كمـا لا داعی للخلاف،انما یجب التقوی للّه سبحـانه بـالتزام أوامره كـامله،و إذا التزم الإنسـان أوامر اللّه فهو شـكر نعمه السـابقه،و عموما الشـكر یعنی-فیما یعنی-:التفكیر فی أسباب النعمه،بهدف المحافظه علی تلك الأسباب،و بالتالی المحافظه علی النعمه ذاتها،بینما كفر النعمه یعنی العكس

تماما.و ذلک بالتفکیر بان النعمه ابدیه،و بالتالی إهمال المحافظه علیها،و علی العوامل التی أدت إلیها،حتی تزول النعمه تماما.

کمثل النصر،لا یجوز لنا ان نرکن الیه،و نترک الاستعداد للمعرکه القادمه،إذ ان النصر نعمه،و لها عواملها.و من أبرز عوامل النصر الاستعداد.و علینا الاحتفاظ بتلک العوامل.و الاحتفاظ بعوامل النصر،یسمیه القرآن هنا بالتقوی،حسبما یبدو.

[۱۲۴]جیم:التعبئه المعنویه ذات أثر کبیر فی الحروب،و الإسلام یولیها اهتماما کبیرا و أهم عنصر فیها،الإیمان بالنصر(بعد الإیمان بالقیم التی یحارب من أجلها الجندی).

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِینَ أَ لَنْ یَکْفِیَکُمْ أَنْ یُمِدَّکُمْ رَبُّکُمْ بِثَلاٰثَهِ آلاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِکَهِ مُنْزَلِینَ [۱۲۵]و الملائکه وقفوا بجانبکم،و لکن دون أن یعنی ذلک انهم حاربوا بدیلا عنکم انما هبطوا بعد تحقق أمرین:أولا-لم یأتوا إلاّ-بعد ان عملتم أنتم بکافه واجبات الحرب(الصبر و التقوی بالتفسیر السابق للکلمتین)،و لم تبق لدیکم حیله لسرعه مداهمه العدو لکم.

بَلیٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ یَأْتُوکُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذٰا یُمْدِدْکُمْ رَبُّکُمْ بِخَمْسَهِ آلاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِکَهِ مُسَوِّمِینَ أیّ یقتلون العدو و یخلفون فیه علامه.

[۱۲۶]ثانیا:ان أهم خدمه أداها الملائکه لکم،هی اعاده الثقه بأنفسکم، و اطمئنان قلوبکم بالنصر.

وَ مَا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلاّٰ بُشْرىٰ لَكَمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَمْ بِهِ أما النصر الحقيقى فهو من اللّه و ليس من الملائكه،و اللّه قادر على ان ينزل نصره بألف سبب و سبب،و لكنه لا ينزله من دون كفاءه من ينزله عليه.

وَ مَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ فهو عزيز(قادر و يستخدم قدرته)،و هو حكيم لا ينصر من ينصره عبثا،و بدون أن يوفر هو أولا مؤهلات النصر فى ذاته.

[۱۲۷]دال:أهداف القتال الاستراتيجيه ثلاثه:فاما شل القدره العسكريه للعدو،أو تحطيم الروح المعنويه له،أو تحييده موقتا،و يكون أمره الى اللّه فى المستقبل..

لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا حتى يكسر جناحهم و يشل قدرتهم العسكريه..

أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خٰائِبِينَ و يفكروا فى أنفسهم هؤلاء أقوياء،و لا نستطيع أن نقاومهم فتحصل عندهم خيبه أمل تكبت طاقاتهم فى المستقبل..

[۱۲۸] لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظٰالِمُونَ فيدفع شرهم عنك،ثم ماذا يفعل بهم اللّه،فهذا أمر آخر ليس للامه ان تبحث عنه،فاما يتوب عليهم إذا تابوا،أو يأخذهم اللّه بظلمهم بطريقه اخرى غير هزيمتهم

على أيديهم،ذلك لان الظلم نار تلتهم صاحبه،سواء وجدت قوه اجتماعيه تعجل فى ضرب الظالم،أم لا..

[١٢٩]و اللّه قادر على أن يتوب،كما هو قادر على ان يعذب الظالمين بطريق أو بآخر..

وَ لِلّهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۳۰ الی ۱۳۶]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَأْکُلُوا اَلرِّبَوا أَضْعٰافاً مُضٰاعَفَهً وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۱۳۰) وَ اِتَّقُوا اَلنّٰارَ اَلَّتِی أُعِدَّتْ لِلْکٰافِرِینَ (۱۳۱) وَ
أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ (۱۳۲) وَ سٰارِعُوا إِلیٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ
(۱۳۳) اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ فِی اَلسَّرّٰاءِ وَ اَلضَّرّٰاءِ وَ اَلْکٰاظِمِینَ اَلْغَیْظَ وَ اَلْعٰافِینَ عَنِ اَلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ یُحِبُّ اَلْمُحْسِنِینَ (۱۳۴) وَ اَلَّذِینَ إِذٰا فَعَلُوا
فٰاحِشَهً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اَللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ یَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ لَمْ یُصِرُّوا عَلیٰ مٰا فَعَلُوا وَ هُمْ یَعْلَمُونَ (۱۳۵)
أُولٰئِکَ جَزٰاؤُهُمْ مَغْفِرَهٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنّٰاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا وَ نِعْمَ أَجْرُ اَلْعٰامِلِینَ (۱۳۶)

اللغه

۱۳۴[الکاظمین]:ای لا ینقمون إذا امتلأوا غضبا.أو غیظا.

۱۳۵[فاحشه]:أصلها الفحش و هو الخروج الی عظیم القبح.

[یصروا]:یقیموا علی الذنب.و قیل أصله الثبات علی الشیء.

ص:۶۵۲

هدی من الآیات:

یبین القرآن فی الدروس السابقه:موقف الأمه من أهل الکتاب الکفار،برساله محمد صلی الله علیه و آله ،و بعد هذا الدرس یستمر السیاق فی الحدیث عن المواجهه المسلحه بین المؤمنین و الکفار،و لکن هنا نجد ان الحدیث توجه الی طائفه من السلوکیات الایمانیه داخل المجتمع الاسلامی،لماذا و ما هی مناسبه ذلک؟ لدی التدبر فی الآیات السبع من هذا الدرس،نجد عده نواهی و أوامر تجمعها فکره واحده هی:ضروره تمتین الجبهه الداخلیه،عند المواجهه مع العدو،و بناء إنسان رسالی ذا شخصیه صادقه،و مجتمع المساواه،و المواساه،و المطیع للّه و للرسول بدافع الضمیر الایمانی.

من هنا نجد الحدیث عن القضایا التالیه:

۱-حرمه الربا:باعتباره أکبر خطر لوحده الامه،و مثالیتها الرسالیه،و هو

ثغره اقتصاديه كبيره.

٢-ضروره تقوى اللّه و طاعه رسول اللّه، باعتبارهما دعامتين للمجتمع الاسلامى.

٣-المسارعه فى الخير،و وجود دافع ذاتى لدى المسلم فى القيام بالواجبات.

۴-الإنفاق فى سبيل اللّه،و كظم الغيظ،و العفو،و الإحسان باعتبارها سلوكيات اجتماعيه تمتن علاقه الامه ببعضها،كما تربى صاحبها على التضحيه من أجل اللّه،بكل شىء بالمال بعزه الذات و غروره.

۵-الاستغفار بعد الذنب،باعتباره أكبر وازع نفسى يمنع من الذنب.

ان بناء الإنسان،و المجتمع ذى المواصفات السابقه،هو الاعداد الحقيقى للمعركه مع العدو،و الا فان الحرب تصبح خاسره،و بلا محتوى رسالى صالح.

بينات من الآيات:

خطر الربا:

[١٣٠]الربا:أو الفائده على المال،التى تتضاعف بصوره طبيعيه كلما ازدادت السنين كلما ازداد الفقير مسكنه،و الغنى شبعا و جشعا انه-خطر كبير على وحده الامه الاسلاميه-و بالتالى خطر على الشخصيه الرساليه المثاليه،التى يقدمها المجتمع الاسلامى نموذجا للحياه السعيده،و خطر فى المواجهه مع العدو.

ان«الربا»قد يبدأ بذره صغيره،و لكنه ينمو فى نفس الغنى،حتى يصبح شجره خبيثه للجشع،و ينمو فى نفس الفقير حتى يصبح جدارا ضخما من الكراهيه.

و ينمو داخل المجتمع حتى يصبح طبقيه مقيته، و تصل درجه الطبقيه الى حد تعاون

المرابى مع العدو الخارجى ضد أمته و شعبه.

و الإسلام حرم الربا،و لوح بان عذاب المتعاطين له كعذاب الكفار،و قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [۱۳۱] وَ اتَّقُوا النّارَ الَّتِی أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ و لا يمنع الربا الا بتقوى دفينه فى النفوس،ذلك ان الربا هو رمز الاستغلال البشع و الإسلام لم يحرم الرمز فقط،بل و حرم الاستغلال بكل أنواعه و صوره،حرم الاحتكار،و حرم الغش،و حرم الاسترسال فى الربح،و حرم السرقه ظاهره و باطنه، و حرم الرشوه،و حرم تحديد حريه التجاره،و الصناعه،و الزراعه لمصلحه الأغنياء.

لذلك يجب ان يكون المجتمع المسلم ضمير حى يتمثل فى تقوى اللّه،حتى يكف عن الاستغلال،و يتطهر من الجشع المؤدى اليه،و آنئذ فقط تتحقق السعاده و الفلاح للمجتمع(لعلكم تفلحون)..

[۱۳۲]حين يتطهر المجتمع من الاستغلال،يتطهر من أكبر أسباب التمرد و النفاق،و يستعد للطاعه للرسول،خصوصا فى تحكيم الرسول فى الخلافات العرقيه و القوميه،و المصلحيه،بين فئات المجتمع،لذلك ذكّر القرآن..

وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ و طاعه الرسول تستدرج الرحمه و الرفاه،لأنها تقضى على نوازع الشر،و أسباب الخلاف و التمرد،و توجه الامه كلها باتجاه البناء،فى ظل اطمئنان وارف يشعر الجميع بان جهودهم لن تذهب سدى.

[۱۳۳]و إذا شعر الجميع بالاطمئنان،جاء دور التوجيه الى تفجير الطاقات، و التسارع الى الخيرات،و الى مغفره اللّه،كهدف سام لا بد لجميع أبناء الامه أن يبادروا اليه،أو حتى يتنافسوا من أجله.

وَ سَارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ و المغفره من اللّه،تتبع إصلاح الفساد الاجتماعی و السلوکی،فلا یغفر اللّه لمجتمع مکب علی أصنام له،أو مصر علی الظلم و الاستغلال،و المنکر و الفحشاء، کما لا یغفر لفرد لم یترک المحرمات،انما یغفر لهما بعد ان یترکا الذنب،و یصلحا ما أفسده الذنب فیهما،فیعید الظالم حقوق المظلوم الیه.و المستغل یکف عن استغلاله و یسترضی ضحایاه بالمبرات،و تارک الصلاه یقضی صلواته و هکذا..

أما الجنه فانها تأتی بالمسارعه فی الخیرات،فبعد عملیه الإصلاح تبدأ عملیه البناء بالعمل الصالح النشیط و المستمر ذی الهدف الخیّر.إن هذا من أبرز معالم المجتمع المسلم و من أقوی دعائمه التی یعتمد علیها فی مواجهه العدو.

کیف نفوز الجنه؟

[۱۳۴]ما هی الأعمال الصالحه التی یجب التسارع فیها للوصول الی الجنه؟! انها کالآتی:

اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرّٰاءِ وَ الضَّرّٰاءِ وَ الْكٰاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعٰافِينَ عَنِ النّٰاسِ وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و بتعبیر آخر:الصفه الاولی:هی العطاء سواء فی حاله الیسر أو العسر،و بالتالی التضحیه بالمال،و الإیثار به.

الصفه الثانيه:عدم الاندفاع مع شهوات الذات،و بالتالى التضحيه بغرور الذات و انانيته و طغيانه و جفوته فى سبيل اللّه،و ذلك بكظم الغيظ و من ثم العفو عن الناس،ان كثيرا من الخلافات الاجتماعيه الحاده تنشأ فى البدء من حساسيه بسيطه بين شخصين،تشتد حتى تصبح خلافا عقائديا مزعوما.و فى المجتمع الاسلامى يجب قتل الحساسيه و هى فى المهد حتى لا تكبر و تصبح مشكله كبيره.

الصفه الثالثه:الإحسان الى الناس و خدمتهم بالمجان لأنه الرابطه القويه التى تشد المجتمع ببعضه.

[۱۳۵]و الصفه الرابعه:للمتقين-وجود وازع نفسى يردهم عن ارتكاب الذنوب أو على الأقل التمادى فيها.

وَ الَّذِينَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَةً ذنبا كبيرا يعود ضرره على الناس.

أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بذنوب بسيطه يقتصر ضررها على الذات فقط.

ذَكَرُوا اللّٰهَ و عرفوا:ان اللّه يراقبهم و يحاسبهم و يجازيهم.

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّٰهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلىٰ مٰا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أما فى حاله الغفله و النسيان،أو طغيان الشهوه،فقد يقعون فى الذنب ثانيه،

و لكنهم يستغفرون فورا،لأنهم لم يتعمدوا ذلك بوعى كامل.

[۱۳۶] أُولٰئِكَ جَزٰاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنّٰاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعٰامِلِينَ هذه هى صفات المجتمع الاسلامى،و الشخصيه الإيمانيه التى يعدها الإسلام نموذجا للحياه السعيده،و قوه يحارب بها الكفار،و انک لترى ان الصفه الأساسيه فى هذا المجتمع هى تقوى اللّه.

ص:۶۵۹

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۷ الی ۱۴۸]

اشاره

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ اَلْمُكَذِّبِينَ (۱۳۷) هٰذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَ هُدیً وَ مَوْعِظَهٌ لِلْمُتَّقِينَ (۱۳۸) وَ لاٰ تَهِنُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ اَلْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳۹) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ اَلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ اَلْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ اَلنّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اَللّهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اَللّهُ لاٰ يُحِبُّ اَلظّالِمِينَ (۱۴۰) وَ لِيُمَحِّصَ اَللّهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ اَلْكافِرِينَ (۱۴۱) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا اَلْجَنَّهَ وَ لَمّا يَعْلَمِ اَللّهُ اَلَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ اَلصّابِرِينَ (۱۴۲) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ اَلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۱۴۳) وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ اَلرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ اِنْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اَللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِی اَللّهُ اَلشّاكِرِينَ (۱۴۴) وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اَللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ اَلدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ اَلْآخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْها وَ سَنَجْزِی اَلشّاكِرِينَ (۱۴۵) وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِيلِ اَللّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اَللّهُ يُحِبُّ اَلصّابِرِينَ (۱۴۶) وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاّٰ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِی أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَی اَلْقَوْمِ اَلْكافِرِينَ (۱۴۷) فَآتاهُمُ اَللّهُ ثَوابَ اَلدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ اَلْآخِرَهِ وَ اَللّهُ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ (۱۴۸)

اللغه

۱۳۷[سنن]:السنه الطريقه المجعوله ليقتدی بها و من ذلک سنه رسول الله صلی الله عليه و آله و أصل السنه الاستمرار.

[موعظه]:ما يلين القلب و يدعو الی التمسک بما فيه من الزجر عن القبيح و الدعاء الی الجميل و قيل الموعظه هو ما يدعو بالرغبه و الرهبه الی الحسنه بدلا عن السيئه.

۱۳۹[تهنوا]:الوهن-الضعف.

۱۴۰[قرح]:جراحات.

[نداولها]:الدوله الكره لفريق بنيل المراد.

ص:۶۶۰

۱۴۱[یمحص]:یخلص من العیب.

۱۴۴[محمد]:أخذ من الحمد و التحمید فوق الحمد فمعناه المستغرق لجمیع المحامد لان التحمید لا یستوجبه الا المستولی علی الأمر فی الکمال فأکرم الله عز اسمه نبیه و حبیبه صلی الله علیه و آله باسمین مشتقین من اسمه تعالی(محمد)و(أحمد).

ص:۶۶۱

۱۴۶[استکانوا]:أصلها من الکنیه و هی الحاله السیئه.یقال فلان بکنیه ای بنیه سوء.

۱۴۷[إسرافنا]:تجاوزنا الحق الی الباطل.

ص:۶۶۲

هدی من الآیات:

فی اطار الحدیث عن المواجهه بین الأمه و الکفار،یذکرنا القرآن فی هذا الدرس بضروره التسلح بمنظار تاریخی،یکشف القوانین الاجتماعیه التی وضعها الله للحیاه،و منها ان الحق ینتصر،و ان رساله الله ما هی الا توضیحات لتلک السنن، یهتدی بها المتقون،و یتخذون منها،عبرا نافعه لأنفسهم،بینما یترکها الناس.

ان التاریخ یکشف لنا:ان الفئه المؤمنه هی المنتصره أخیرا،فعلیها ألاّ تهن أو تحزن،و لکن دون ان یعنی ذلک انها تستطیع الغلبه بدون تضحیات،ذلک لأنها ضروریه لکشف العناصر المؤمنه حقیقه بالرساله،عن الاخری المنافقه،و لتأدیب العناصر المؤمنه،حتی ترتفع الی مستوی الشهداء(القاده)،لتطهیر نفوسهم من الغل أو الریب،و لتمییز الکافرین،و تصفیتهم جسدیا و فکریا.

ثم ان التضحیات ثمن الجنه،فبدونها کیف یفضل اللّه قوما علی قوم،فیدخل بعضهم الجنه و البعض النار.

ص:۶۶۳

و التضحيات هى هدف المؤمنين،لأنهم كانوا يأملون ان يقدموا لله اغلى ما عندهم،حبا له و أيمانا صادقا به، و ليس رسول الله ابنا لله حتى ينتصر اتباعه بمجرد الانتماء اليه،بل هو كسائر الرسل يحيى و يموت.و الارتباط يجب ان يكون بالرساله أكثر من الرسول،حتى يحصل الإنسان على جزائه من عند اللّه.و الكافرون هم الذين ينقلبون عن الرساله فور موت الرسول تفضيلا للدنيا على الآخره.

بما ان النبى محمدا صلى الله عليه و آله رسول،فانه يتبع سيره الرسل من قبله،و هم لم يتقدموا الاّ بالقتال و معهم الربيون من أصحابهم،و هم(الربيون)كانوا بشرا يذنبون و يسرفون،و لكنهم كانوا مؤمنين يستغفرون ربهم،و يطلبون منه ان يثبتهم على الجهاد و لذلك انتصروا فى الدنيا و الآخره معا.

بينات من الآيات:

اشاره

[۱۳۷]الحياه الاجتماعيه كالحياه الفرديه،لها انظمتها و قوانينها(و حسب التعبير القرآنى سننها)و علينا ان نكتشف هذه الانظمه،حتى نستفيد منها فى واقعنا،و لكن كيف؟!إننا حين نريد ان ندرس حياه الفرد،نخضعه للتجربه بعض الوقت،نقيس ضغط دمه،و درجه حرارته،و دقات قلبه و.و.ثم نعرف طبيعته،أما المجتمع فكيف نقيسه؟أفضل طريقه للقياس،هو العوده الى التاريخ،ففيه دورات كامله للحياه الاجتماعيه،حضارات نشأت و سادت،ثم بادت بفعل أنظمه حتميه، و سنن إلهيه لا تتحول.

و عند ما نريد ان نقيس مدى تقدم رساله،يجب الاّ نقيسها بمنظار تحليلى،كأن نقول كم عدد افراد هذه الرساله؟ما هى ميزانيتها الماليه؟و ما هى خططهم العسكريه؟ كلا بل بمقياس تاريخى فنقول:كم هى نسبه الحقيقه فيها؟و كم مقدار ايمان أصحابها بها؟و ما هى نقاط الضعف فى مجتمعات اعدائها التى ستقضى عليها؟ و هكذا.

و حين نعود الى سنن الله فى التاريخ،نجد انّ الحق ينتصر بشرط وجود مؤمنين صادقين به.لذلك يذكرنا القرآن بهذه الحقائق فيقول:

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا الى اثار تلك الأمم التى كانت من قبلكم ثم خلت و خلفت ورائها العبر و الدروس،أهمها ان سبب انتهائها كان شيئا واحدا هو التكذيب بالحق فانظروا.

كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [١٣٨]و فى مجال الحديث عن سنن اللّه فى الحياه يأتى الحديث عن القرآن،ذلك ان دوره دور المذكر بتلك السنن،حيث يلفت انظار الناس إليها.و لكن الذى يستفيد منها المتقون فقط،حيث يهتدون الى حقيقه السنن،و يطبقون دروسها على أنفسهم(يتعضون بها).

هٰذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ الذين يتقون ربهم،و يستعدون للالتزام بالحق،يكتشفون الحق.اما الذين يهتمون بأنفسهم،و بأهوائهم و شهواتهم فإنهم لا يعرفون الحق.لأنهم أساسا لا يريدون الاهتداء اليه.

[١٣٩]من سنن اللّه فى المجتمع،ان المؤمنين ينتصرون. فعليهم الا يهنوا و يتسرب الى نفوسهم الانهزام،أو اليأس،و الضجر.كما أنّ عليهم الا يتألموا لبعض الخسارات،إذ ان ربح الانتصار سوف يغطى على الخسارات البسيطه.

وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [١٤٠]و من تلك السنن ان العلو و النصر لا يأتى بالصدقه،أو بلا شىء من

التضحيه،بل لا بد من الاستعداد للقرح،و معرفه ان الأعداء هم بدورهم يستعدون له،فلما ذا التهرب منه.

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ان من المهم ان تعرف ان عدوك يصاب بمثل ما تصاب به،و أنه يتمايل الى الضعف و الهزيمه كما أنت،و ان النصر لمن يستمر أكثر،و يصبر على الألم،حتى يفقد عدوه صبره،و قدرته على الصمود.

ثم ان الحياه ليست ملكا لأحد،و انه إذا كان الملك الكذائى أو الرئيس أو النظام أو الطائفه الفلانيه هم الحاكمون على بلد،فلا يعنى ذلك انهم سوف يستمرون بل ان هؤلاء انما جاؤوا لتوافر العوامل القياديه فيهم،و قد تتوافر فيك أيضا فتأتى مكانهم.

من المهم جدا ان نتخلص من الاعتقاد بان الواقع يبقى،إنّما نؤمن جازمين بان الحقيقه وحدها تبقى.

وَ تِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ

منافع الناس فى التضحيه:

ثم ان للتضحيه منافع اخرى للامه،يذكرنا القرآن فيما يلى:- الف:التضحيه تفرز المؤمنين عن المنافقين،ففى بدايه انطلاقه الرساله قد يؤمن بها جماعه طمعا فى انها سوف تنتصر سريعا.فيحصلون على مغانم مجانيه،أو انهم كانوا مستائين من الوضع فاندفعوا نحو الرساله مدفوعين بتيار الاحساس الساذج،أو كانوا يحبّون قائد الرساله فانتموا إليها لذلك،أو عشرات من الأسباب الاخرى غير

الایمان الصادق.

فوجود هذه الطائفه فی الامه،یسبب لها الضعف و الانهیار،حیث تنتشر فیها المصلحیه،و الانانیه،و الفوضویه،و تنتهی الامه سریعا،و لا یمکن الفوز الا بتعرض الامه للتضحیات.فیعرف المؤمنون عن غیرهم.

وَ لِیَعْلَمَ اللّٰهُ الَّذِینَ آمَنُوا باء:الحرب مدرسه المقاتلین،تربیهم علی الجدیه و الطاعه و التفکر و تقدیم مصلحه الامه علی المصالح الخاصه.و تعلمهم الصراحه و الفکر العقلانی و هکذا.

و هذه الصفات ضروریه للامه الرسالیه،التی ترید ان تقود الأمم الاخری.

و لنفترض المجتمع الجاهلی فی الجزیره-مثلا-کیف کان یمکنه ان یقود العالم، و هو غارق الی أذنیه فی الفوضی،و الجهل،و الانانیه و.و.؟انه کان بحاجه الی مدرسه تربویه تخرج القاده.و کانت الحرب بما فیها من تضحیات،هی المدرسه التی خرّجت قاده المستقبل،و حسب التعبیر القرآنی(الشهداء علی الناس).

وَ یَتَّخِذَ مِنْکُمْ شُهَدٰاءَ وَ اللّٰهُ لاٰ یُحِبُّ الظّٰالِمِینَ و لذلک فهو بدوره،لا یظلم أحدا،و إذا اعطی النصر و التقدم فبعد إثبات الامه لجدارتها،عن طریق التضحیات السخیه.و الا فقد کان ظالما-حاشا-لتلک الامه المغلوبه.

[۱۴۱]جیم:ثم ان قلوب المؤمنین لیست طاهره بالکامل من الریب فی الرساله،و الشک فی تعالیمها،فهی بحاجه الی نار تطهرها،و التضحیات هی تلک النار،ذلک أنّ الإنسان الذی ضحیّ من أجل شیء فسوف یتمسک به،بعکس الذی حصل علیه مجانا و بلا تضحیه،انک تجد التاجر أحرص علی ماله من ابنه الذی یرثه

بغير تعب،كذلك المؤمن المضحى يكون ايمانه أقوى من غيره.

وَ لِيُمَحِّصَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا دال:الكفار هم المعاندون للحق،المخالفون لتقدم الامه،الذين يفضلون مصالح قومهم،أو أهواء أنفسهم على مصلحه الامه،إنّهم عقبات لا يمكن معالجتها، إنما يجب تصفيتهم بالكامل،و لكن كيف يمكن للأمه ان تتعرف على هذه العناصر، و تميّزها عن العناصر المتعلقه بها،أو الخاضعه لها لضعف أو عاطفه؟و كيف يحق للرساله ان تقتل الناس،بدعوى انهم يشكلون عقبه للمستقبل؟كيف يمكن تبرير ذلك للجماهير.؟ اما إذا وقعت المجابهه الساخنه،و أخذت هذه العناصر تشكل تهديدا خطيرا للأمه،فان الامه تجدر المبرر الكافى للحرب و التصفيه،كما أنّ المجابهه سوف تفرز العناصر الكافره فعلا،عن الاخرى المخدوعه بها.كما تساهم فى تصفيه العناصر المعانده التى تقف عقبه فى طريق تقدمها.و هذا ما يسميه القرآن بالمحق.

وَ يَمْحَقَ الْكٰافِرِينَ

الجهاد و الأمانى الكاذبه:

[۱۴۲]هاء:و من فلسفه الحرب الجهاديه:انها تعطى المؤمنين جداره الدخول فى الجنه،التى هى مأوى المجاهدين الصابرين،و إذا لم يدخل المسلم الحرب كيف يميّز المجاهد الصابر،عن القاعد المنهزم.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّٰا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جٰاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصّٰابِرِينَ

ص:۶۶۸

ان البشر يمنّى نفسه بأشياء كثيره،هى بالخيال أشبه منها بالواقع،يمنّى نفسه بالثروه بلا تعب،و بالسلطه بلا كفاءه،و بالشهره بلا استحقاق،و يحتاج البشر الى ان يتذوق مراره الحياه عشرات المرات،حتى يقتنع ان تلك الامنيات كانت أحلاما صبيانيه،و كذلك يمنى بعض المؤمنين أنفسهم بالجنه بلا عمل صالح و لا تضحيه، و يحذرهم القرآن من هذه الأمنيه الباطله،لان لها نتائج خطيره،ففى الدنيا تقعدنا عن العمل،و فى الآخره تجعلنا نواجه النار،و لا ينفعنا الندم،و لا يمكننا العوده الى الحياه للتوبه.

[۱۴۳]و المؤمن الحقيقى هو الذى يشرى حياته فى الدنيا بالآخره،و يقدم كل ما عنده لله،فى مقابل الجنه،و لذلك فأمنيه المؤمن تخالف امنيه الرجل العادى،فهو يريد مزيدا من التعب،مزيدا من الجهاد،و بالتالى الموت فى الله حتى يحصل على الآخره.

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ فكان الاجدر بكم ان تفوا بعهدكم،و تقتحموا غمار الموت باطمئنان نفسى، لأنها امنيتكم التى وصلتم إليها.

[۱۴۴]ثم إنّ ارتباط المؤمن برساله اللّه أشدّ من ارتباطه بالرسول،و لذلك فان موت الرسول لا يؤثر فيه سلبيا،لأنه كان هناك رسل ماتوا و بقيت من بعدهم الرساله،إذا فالرساله هى الهدف لا الأشخاص،و علينا ان نضحّى بأنفسنا من أجل ان تبقى الرساله و لا نفكر بان موتنا،يؤثر على الرساله،بل-بالعكس-إنّ استشهادنا من أجل الرساله سيدعم موقفها فى المجتمع.

وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئاً

و لكن الصامدين الذين يربطون أنفسهم بالرساله وحدها،هم المنتصرون أخيرا، لأنهم شكروا نعمه الرساله بالايمان بها و التضحيه من أجلها.

وَ سَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ [۱۴۵]إذا:الرساله هی الهدف،و الموت من أجلها يهون ما دامت الرساله تنتصر بهذا الموت،و الموت الهادف أفضل من الموت المحتوم،لأنه موت بثمن،بينما الآخر موت بلا ثمن.

و ما دمنا نموت بآجالنا شئنا أم أبينا،فلما ذا لا نموت لأفكارنا و من أجل رسالتنا؟ ثم من يقول:ان من يدخل المعركه سيموت،و ان من يتخلف عنها سيبقى، إنّها سنه الله فی عباده،متى بلغ كتاب الشخص أجله،مات فی المعركه،أو على الفراش.

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً و الفرق بين من يموت على الفراش،و من يموت فی المعركه،ان هذا يحصل على ثمن الآخره دون ذاك.

وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْها و يحصل المؤمن على جزاءين:الاول:جزاء نيته الصادقه،و عمله الصالح (الاستشهاد).و الثانی:جزاء شكره لله،ای وفائه بمسئوليه نعم الله عليه،و من أبرزها نعمه الحياه،حيث قدمها لله،و الله يجزيه على ذلك.

وَ سَنَجْزِي الشّاكِرِينَ

ص:۶۷۰

ان تكرار توجيه القرآن الى جزاء الشكر فى آيتين هنا،يأتى لمواجهه صفه الجزع و الهلع التى تصيب الإنسان الساذج عند ما تقع الحرب.فيتساءل:لماذا الحرب،لما ذا نقاتل.لماذا نقتل بل لماذا نقتل الناس..؟ و القرآن يزرع فى قلوب المؤمنين الاطمئنان،و الشعور بالرضا بهذا الواقع مؤقتا، لحين تغييره بالأفضل،و تركيز النظر فى الجوانب الايجابيه له،و ذلك بالشكر لله على نعمه،و العمل بمسئوليات تلك النعم.

كيف قاتل الرّبيّون:

[۱۴۶]و الحرب ليست بدعه فى تاريخ الرساله.انها كانت قديما و كان المقاتلون الرساليون هم ابرز من دخل المعارك،فما كان يصيبهم و هن نفسى(جبن-جزع- تردد)،و لا ضعف بدنى،و لا كسل،انما كانوا مطمئنين قلبيا،أقوياء بدنيا،نشطين حربيا،و صابرين على البأس،فأحبهم اللّه و جزاهم النصر فى الدنيا،و الجنه فى الآخره.

وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قٰاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ كلمه كأيّن للدلاله على الكثره،و القتال معه يدل على ان النبى نفسه كان يقاتل،و الربيون هم المنتسبون الى الرب،اى مجاهدون من أجل اللّه.

فَمٰا وَهَنُوا لِمٰا أَصٰابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ مٰا ضَعُفُوا وَ مٰا اسْتَكٰانُوا وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الصّٰابِرِينَ لقد كانت عناصر الانتصار مكتمله عندهم:القوه الروحيه،و القناعه بالفكره، و الاستعداد للتضحيه من أجلها،و القوه الماديه،و النشاط،و الصبر.

ص:۶۷۱

الدعاء سلاح المؤمن:

[۱۴۷]و كانت قوه هؤلاء الروحيه،نابعه من الدعاء الذى يعتبر عمليه شحن الذات بالقوه المعنويه و ذلك عبر:

أ-القناعه بان إصلاح الذات هو طريق التقدم،لذلك كانوا يبدءون دعاءهم -و عملهم بالطبع-بإصلاح الذات،و يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا.

ب-ان أهم عنصر تربوى هو منع الإسراف فى الأمر.يعنى التقيد-دائما- بالمقاييس الرساليه،فلا نوم اضافى،و لا راحه كثيره،و لا استهلاك،و لا تبذير و لا توغّل فى الشهوات.انهم كانوا يستغفرون ربهم من إسرافهم،و يقولون ربنا اغفر لنا إسرافنا فى أمرنا.

ج-الثبات و عدم التردد،و بالتالى التصميم و العزم الراسخ،انه عنصر اساسى فى النصر،ذلك لان الاراده النافذه هى التى تصنع المعجزات،و(ما ضعف بدن عما قويت عليه النيه).لذلك كان هؤلاء يدعون ربهم و يقولون ربنا ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين.

ان هذا السلوك الرسالى لهؤلاء،دليل كل المقاتلين من أجل الله انهم لم يكونوا يسخطون،أو يترددون،أو يجزعون.

وَ مٰا كٰانَ قَوْلَهُمْ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَ إِسْرٰافَنٰا فِي أَمْرِنٰا وَ ثَبِّتْ أَقْدٰامَنٰا وَ انْصُرْنٰا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰافِرِينَ [۱۴۸] فَآتٰاهُمُ اللّٰهُ ثَوٰابَ الدُّنْيٰا وَ حُسْنَ ثَوٰابِ الْآخِرَهِ وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

ص:۶۷۲

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۴۹ الى ۱۵۸]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا اَلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (۱۴۹) بَلِ اَللّٰهُ مَوْلاٰكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ اَلنّٰاصِرِينَ
(۱۵۰) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلرُّعْبَ بِمٰا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً وَ مَأْوٰاهُمُ اَلنّٰارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى اَلظّٰالِمِينَ (۱۵۱) وَ
لَقَدْ صَدَقَكُمُ اَللّٰهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتّٰى إِذٰا فَشِلْتُمْ وَ تَنٰازَعْتُمْ فِي اَلْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا أَرٰاكُمْ مٰا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
اَلدُّنْيٰا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ اَلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفٰا عَنْكُمْ وَ اَللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۵۲) إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لاٰ
تَلْوُونَ عَلىٰ أَحَدٍ وَ اَلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرٰاكُمْ فَأَثٰابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلاٰ تَحْزَنُوا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ مٰا أَصٰابَكُمْ وَ اَللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا
تَعْمَلُونَ (۱۵۳) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ اَلْغَمِّ أَمَنَةً نُعٰاساً يَغْشىٰ طٰائِفَةً مِنْكُمْ وَ طٰائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ غَيْرَ اَلْحَقِّ ظَنَّ
اَلْجٰاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنٰا مِنَ اَلْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ اَلْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مٰا لاٰ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كٰانَ لَنٰا مِنَ اَلْأَمْرِ
شَيْءٌ مٰا قُتِلْنٰا هٰاهُنٰا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ اَلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ اَلْقَتْلُ إِلىٰ مَضٰاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اَللّٰهُ مٰا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ
مٰا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (۱۵۴) إِنَّ اَلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ اِلْتَقَى اَلْجَمْعٰانِ إِنَّمَا اِسْتَزَلَّهُمُ اَلشَّيْطٰانُ بِبَعْضِ مٰا كَسَبُوا وَ
لَقَدْ عَفَا اَللّٰهُ عَنْهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۱۵۵) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قٰالُوا لِإِخْوٰانِهِمْ إِذٰا ضَرَبُوا فِي اَلْأَرْضِ
أَوْ كٰانُوا غُزًّى لَوْ كٰانُوا عِنْدَنٰا مٰا مٰاتُوا وَ مٰا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اَللّٰهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اَللّٰهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(۱۵۶) وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّٰا يَجْمَعُونَ (۱۵۷) وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اَللّٰهِ تُحْشَرُونَ
(۱۵۸)

اللغه

۱۵۱[سلطانا]:حجه و برهان و أصله القوه فسلطان الملك قوته و السلطان البرهان لقوته على دفع الباطل.

۱۵۲[تحسونهم]:الحس القتل على وجه الاستئصال و سمى القتل حسا لأنه يبطل الحس.

ص:۶۷۳

۱۵۳[تصعدون]:هو المسير فی مستوی من الأرض و قیل الإصعاد الابتداء فی السفر.

[لا تلوون]:لا تعرجون علی أحد کما یفعله المنهزم.

ص:۶۷۴

۱۵۶[ضربوا]:الضرب فی الأرض السیر فیها و أصله الضرب بالید و قیل هو الإیغال فی السیر.

[غزّی]:جمع غاز

ص:۶۷۵

التضحیه

اشاره

سبیل الانتصار و زکاه المجتمع

هدی من الآیات:

لا یزال السیاق یبیّن جوانب الاعداد المعنوی للحرب مع الکفار،ففی الآیه الاولی،نجد التحذیر الشدید من التفکیر فی الاستسلام للکفار،الذین لا یرضون الاّ بإعاده الامه الی حالتها السابقه،حیث الخساره لکل مکاسبهم الرسالیه.

ثم تبین الآیه الثانیه ان الله مولاکم و ینصرکم،و الآیه الثالثه تبین انّ الکفار یشعرون بالخوف من مواجهتکم،و ان عاقبتهم الی النار.

و یضرب القرآن مثالا فی الآیات التالیه علی ذلک،حیث استطاع المسلمون الحاق الهزیمه بالکفار،و لکنه لا یدعهم یسدرون فی الأحلام،بل یذکرهم بمثال الهزیمه و أسبابها،و من أبرزها ضعف الروح المعنویه،و الاختلاف،و العصیان.

و یذکرهم بأنّ الله مع ذلک أیدهم بنصره،حیث غشیهم الأمن و النعاس فاطمأنوا الی نصر اللّه.

ص:۶۷۶

بید ان طائفه اخری کانت فی المعرکه هزتها الخساره،و أخذت تتشکک فی القیم الرسالیه،و تقول لو کان لنا النصر،إذا ما خسرنا قتلی،و بعد ان یبین القرآن فلسفه التضحیات،و الخسارات،یحدد الأسباب التربویه التی جعلت هذه الطائفه تنهار امام الخسارات البسیطه،فیقول انها تعود الی ما قبل المعرکه،حیث ان هذه الطائفه کانت تمارس المعاصی،و لذلک لم ینم الایمان فی قلوبهم نموا کافیا لمواجهه التضحیات.

ثم یحذر القرآن المؤمنین من الاهتمام بالخساره و تضخیمها و یقول:ان القتلی کان من الممکن ان یموتوا بسبب آخر(کمرض الوباء مثلا)بینما هم الآن قتلوا من أجل احیاء الرساله و ذهبوا إلی رحمه اللّه،و سوف یجمعهم اللّه و کل الموتی للحساب.

بینات من الآیات:

التضحیه حصن المکاسب:

[۱۴۹]ان المکاسب الرسالیه بحاجه إلی قوه تحافظ علیها،و من دون الاستعداد للتضحیه فی سبیلها،فانها سوف تتعرض لخطر الأعداء،إذ أنّهم لا یقبلون من المسلمین مجرد کف الید عن الحرب،بل یریدون منهم العوده الی الجاهلیه التی انقذهم اللّه منها،و فی تلک خساره لا تعوّض للامه.

یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تُطِیعُوا الَّذِینَ کَفَرُوا یَرُدُّوکُمْ عَلیٰ أَعْقٰابِکُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰاسِرِینَ ای انکم إذا عدتم الی الوراء،فقد عدتم الی حیث الخساره و الضرر.

[۱۵۰]انما الطاعه لله وحده و لا خوف من الکافرین لان الله سینصر من ینصره و هو خیر الناصرین.

بَلِ اللّهُ مَوْلاٰكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النّٰاصِرِينَ [۱۵۱]و السؤال:كيف ينصر اللّه عباده المؤمنين؟الجواب:

ان اللّه ينصر عباده بإلقاء الرعب فى قلوب المشركين،و لسبب بسيط هو شركهم باللّه،ذلك انّ الشرك يعنى تقديس قيمه ماديه من دون اللّه،كقيمه المال أو الجاه أو الأرض،و فى الواقع هذه القيم لا تقدس لذاتها،بل لأنها متصله بالذات البشريه.

فالرجل الذى يقدس أرضه،إنّما يقدسّ ذاته أولا،ثم يقدس أقرب مكان لذاته، و هو أرضه،كذلك الذى يقدس المال،فانما يقدس ذاته،و لان المال يخدم ذاته فهو يقدسه و هكذا.

فالشرك يأتى نتيجه حب عميق للذات و تمحور كامل حولها.و هذا يؤدى بالطبع الى الخوف و الجبن-اما المؤمن فهو يخلص عبادته للّه.

سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمٰا أَشْرَكُوا بِاللّهِ مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً وَ مَأْوٰاهُمُ النّٰارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظّٰالِمِينَ بينما المؤمنون لا يخشون شيئا،لأنهم لا يقدمون ذاتهم و لا يخافون عليها،و لأن مصيرهم الى الجنه،و هى خير مقام للمؤمنين.

[۱۵۲]و الدليل الواقعى البسيط على هذه الحقيقه،تجدونه فى حربكم مع العدو كيف نصركم اللّه،الى أن أخذتم تعملون السيف فى أجسادهم.

و لكن هذه الحرب كانت ذات جانب آخر،هو أن اللّه انما ينصر من ينصره،و اما إذا وهن المؤمنون،و انتشرت فيهم الخلافات،و عصوا قيادتهم،فإنهم لا يستحقون النصر بل الهزيمه،و الهزيمه نوع من الامتحان،فانما يعرف الابطال عند الهزيمه.

ص:۶۷۸

و الآن و قد انتهت الحرب(بانتصاركم أولا و هزيمتكم ثانيا)فان اللّه عفا عنكم لفضله العظيم.

وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حيث انه نصركم تصديقا لوعده لكم بان ينصركم،حتى انكم أخذتم تعملون السيف فى أجسادهم،و لكنكم اغتررتم بالنصر فدب الوهن فيكم.

حَتّٰى إِذٰا فَشِلْتُمْ وَ تَنٰازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا أَرٰاكُمْ مٰا تُحِبُّونَ من النصر و الغلبه.ذلك ان الإنسان إذا شعر بالخطر يوحّد صفوفه،و يشحذ عزيمته اما إذا زال الخطر فيشعر بالراحه و يفكر فى تقسيم الغنائم،كذلك المسلمون فى حرب أحد،حيث انهم لمّا رأوا أنفسهم منتصرين،ترك بعضهم الثغر الذى كان يرابط فيه،فاستغل العدو الفرصه و قام بحركه التفاف حول الجيش،و فقد المسلمون توازنهم و ولوا هاربين.

و الواقع ان القرآن يصور مراحل الهزيمه فى الحرب،فى كلمات قصيره و هى ذات المراحل فى الهزيمه فى السلم أيضا و هى:

١-الفرح:(مِنْ بَعْدِ مٰا أَرٰاكُمْ مٰا تُحِبُّونَ)حيث يفقد المجتمع تطلعه الى أعلى، فيفقد الرباط القوى بين طبقاته و فئاته.

ب-انتشار الوهن فى نفوس الامه،(حتى إذا فشلتم).و ذلك بفقدان العزيمه و الخلود الى الراحه.

ج:بروز الخلافات المصلحيه،و الطائفيه،و الاقليميه،و العنصريه الى السطح، بفعل فقدان الهدف و العزيمه.

د-تأثير الخلافات الاجتماعيه على مستوى الانضباط و الطاعه للقياده،بل على درجه الثقه بها،إذ يزعم كل فريق ان القياده منحازه الى جانب خصمها،فتقل ثقته فيها و طاعته لها.

و فى خضم الخلاف:تكون فئه على حق و اخرى على باطل.

مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيٰا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ و لهذه الأسباب انهزمتم بعد انتصاركم على العدو.

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ لأن الهزيمه هى التى تكشف المؤمنين الصامدين عن غيرهم،فتعطى للامه دروسا فى نقاط ضعفها و تعطى للقياده فرصه جيده لتصحيح مسيره الامه و إصلاح تلك النقاط،أو حتى تصفيه بعض العناصر المسببه للهزيمه أو ابعادها عن مراكز المسئوليه.

و الآن-و قد انتهت الحرب،فانّ الله عفى عنكم حتى تعودوا الى وحده الصف،و تبادروا فى إصلاح الذات.

وَ لَقَدْ عَفٰا عَنْكُمْ وَ اللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فالعفو لا يدل على انّ الله يجعل المؤمنين و الكافرين فى مستوى واحد بل ان للمؤمنين الصادقين فى الحرب فضلا على الكافرين.

عبر من الهزيمه:

[۱۵۳]ما هى عبر الهزيمه و كيف نستفيد منها حتى لا تتكرر الهزيمه مره اخرى؟

ص:۶۸۰

أ-تحدث القرآن عن ذلك،بعد ان اعطى صوره واقعيه عن الهزيمه،هى صوره الفرار عن المعركه دون نظر إلى ورائهم توغلا فى حب الذات.

إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لاٰ تَلْوُونَ عَلىٰ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرٰاكُمْ فَأَثٰابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلاٰ تَحْزَنُوا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ مٰا أَصٰابَكُمْ وَ اللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ و هنا كان يعالج الرسول الهزيمه فى نفوسهم،بتذكيرهم بالآخره و ضروره التضحيه،لان أفضل علاج لحب الذات هو التذكير بالله و اليوم الآخر.

ب-ثم بين القرآن بعد إعطاء هذه الصوره عن الهزيمه،ان الهزيمه ذات اثار سلبيه تتجاوز ساحه المعركه.

[۱۵۴]المؤمن بشر،يتعرض لعوامل الهزيمه و لكنه يتغلب عليها بفضل الايمان بالله الذى يعينه على ذاته،و يملأ قلبه بالاطمئنان،و من ثم يملأ جسمه بالراحه. ذلك لأن اطمئنان القلب ينعكس على سلامه الجسم،و قدرته على مواجهه المواقف الصعبه.

اما المنافق فلان ايمانه كان مجرد سراب يخادع نفسه به،و يحاول ان يخدع الناس، لذلك فان عوامل الهزيمه تؤثر فى نفسيته،و لا يشفى منها،و لذلك فهو يتعلق بذاته و يخشى عليها و يظن بالله ظنون السوء الباطله و يقول:نحن منهزمون لا محاله و يحتج على فكرته اليائسه بعدد القتلى،و لكن الله يدحض حجته،و يذكره بان الله هو الذى يقدر المستقبل،و ليس ظن المنافق المشحون بعوامل اليأس و الخوف و الهزيمه،ثم ان القتلى هم الذين قدر الله لهم ان يستشهدوا لكى يتم اختيار الناس،و تطهير قلوب المؤمنين منهم،و لو شاء الله لمنع القتل من أىّ فرد من المؤمنين،و الله يقدر الموت بوسائل شتى،و حتى لو لم يكن القتال مشتعلا إذا لاستشهد طائفه من المؤمنين بأسباب اخرى،مثلا:بفعل غارات الكفار عليهم فى عقور دارهم.

ص:۶۸۱

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكَمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَهً نُعاساً يَغْشى طائِفَهً مِنْكَمْ هم المؤمنون وحدهم و الغم هو حاله انعدام الرؤيه فى القلب،حيث تظلم النفس بسبب خوف شديد منشأه حب الذات و الخوف عليها.و النعاس حاله الراحه الجسديه المنبعثه من راحه نفسيه و اطمئنان كاف.

وَ طائِفَهٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّهِ انهم يمارسون الظن الباطل الذى يشبه ظنون الجاهليه،و ذلك لأنّهم يقيسون أوضاعهم بعد الإسلام باوضاعهم قبله،فيزعمون أنّ مقياس النصر أو الهزيمه،هو بضعه قتلى أو جرحى،يبعدون-من جهه أخرى دور الله و رسوله و رسالته فى القوه العسكريه و تحقيق النصر.

و الظن الذى يظنونه هو:انهم:

يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ انهم يهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بالرساله،و يريدون الوصول سريعا الى المكاسب الشخصيه،و بدون التضحيات.

قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ و عليكم ان تفكروا فى انتصار الرساله التى يرعاها الله،لا انتصاركم أنفسكم.

يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ انهم يخفون حب الذات.و الخوف الشديد عليها،و عدم الايمان بالله،و عدم الاهتمام فى تقدم الرساله.

ص:۶۸۲

يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا و كأنّ مقياس الانتصار هو انتصار أشخاصهم،لا انتصار الأمه كأمه،أو انتصار الرساله الإلهيّه.

قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ذلك لان هؤلاء الذين قتلوا إنما هم غيركم،و يختلفون عنكم،هؤلاء قوم ناداهم ربهم للاستشهاد فلبوا النداء، و حين كتب عليهم القتل أسرعوا إلى الشهاده،حتى و لو لم تكونوا تبرزون أنتم الى المعركه.

و اللّه قادر على ان ينصر رسالته من دون ايه تضحيات،و لكنه لا يفعل ذلك أو تدرى لأيه حكمه؟لأهميه التضحيات فى كشف العناصر المنافقه،و فى تطهير قلوب العناصر المؤمنه.

وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

دور الذنوب فى الهزيمه:

[۱۵۵]و يبقى ان نعرف الأسباب الأساسيه وراء هزيمه طائفه و امنه طائفه، هل هى أسباب وقتيه تمليها مواقف الطرفين داخل المعركه،أم تمتد إلى خارج المعركه.

الجواب:بل هى امتداد لما قبل المعركه،و ما المعركه الا كالنار التى تكشف الذهب عن غير الذهب،ان الرجل المؤمن الذى يتحمل مسئولياته الايمانيه كامله،هو الذى يثبت فى المعركه،اما الذى لا يلتزم بواجباته الايمانيه و يكتسب المعاصى فانه

ينهزم فى المعركه.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا فهم قد كسبوا السيئات فأصبحت تلك السيئات مدخلا للشيطان الى قلوبهم، توسوس عليهم و أضلهم عن الاقدام فى سبيل اللّه.

وَ لَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ و أعطاهم مهله جديده ليمارسوا فيها اختيارهم ان خيرا أو شرا.

[۱۵۶]المؤمن يرى فى الشهاده حياه جديده،اما الكافر فانه يراها نهايه أبديه للحياه و لذلك يتحسر كلما سقط شهيد من إخوانه و أقاربه،و كان الكفار من أهل الكتاب يحسبون الموت نهايه(بالرغم من عقائدهم الدينيه بخلاف ذلك)،و إذا قتل أحدهم فى المعركه فان قتله كان يدعوهم الى ترك القتال،لأنه يحسب خساره، و ينعكس فى صدورهم حسره،و لقد نهى الله المؤمنين عن هذه الحاله لأنها كفر بالله و باليوم الآخر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ و هاجروا من بلد الى بلد فى سبيل اللّه،أو ذهبوا لتحقيق مهام رساليه ثم ماتوا.

أَوْ كَانُوا غُزًّى يقاتلون فى سبيل الله فقتلوا،كانوا يقولون لهؤلاء.

لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا

ص:۶۸۴

ان هذه النظره الکافره الی الموت أو الی القتل جعلتهم یتحسرون کثیرا لقتلاهم.

لِيَجْعَلَ اللّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ و هل الموت خاص بمن یضرب فی الأرض،أو یقاتل فی سبیل الله؟و هل الحیاه خاصه بمن یحتضن بیته کلا..الله یقدر الموت و الحیاه کما یشاء.

وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فلا یبخس جزاء من یسافر و یقاتل فی سبیله.

[۱۵۷]فاذا بقی الإنسان فانه یتسلم جزاءه من اللّه غیر منقوص،و اما إذا مات فانه یذهب الی رحمه اللّه.

وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ اننا کبشر نتعرض لضغوط الشهوات،و قد نسقط و نکتسب السیئات،فاذا أدرکنا الموت فان تلک السیئات تلاحقنا،و تتحول هناک الی عذاب شدید.اما إذا قتلنا فی سبیل اللّه فان الشهاده تمحی الذنوب کلها.

و طوبی لمن مات طاهرا من الذنوب انه یدخل الجنه بغیر حساب.

[۱۵۸]العمل لله و الموت،أو القتل،مدخل الی رحمه اللّه فلما ذا یخاف المؤمن الصالح منهما.

وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللّهِ تُحْشَرُونَ

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۵۹ الی ۱۶۴]

اشاره

فَبِمٰا رَحْمَهٍ مِنَ اَللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ اَلْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شٰاوِرْهُمْ فِی اَلْأَمْرِ فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلْمُتَوَکِّلِینَ (۱۵۹) إِنْ یَنْصُرْکُمُ اَللّٰهُ فَلاٰ غٰالِبَ لَکُمْ وَ إِنْ یَخْذُلْکُمْ فَمَنْ ذَا اَلَّذِی یَنْصُرُکُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَی اَللّٰهِ فَلْیَتَوَکَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (۱۶۰) وَ مٰا کٰانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَغُلَّ وَ مَنْ یَغْلُلْ یَأْتِ بِمٰا غَلَّ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ ثُمَّ تُوَفّٰی کُلُّ نَفْسٍ مٰا کَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ (۱۶۱) أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوٰانَ اَللّٰهِ کَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِیرُ (۱۶۲) هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ بَصِیرٌ بِمٰا یَعْمَلُونَ (۱۶۳) لَقَدْ مَنَّ اَللّٰهُ عَلَی اَلْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ إِنْ کٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۱۶۴)

اللغه

۱۵۹[فظا]:الغلیظ الجافی القاسی القلب.

[عزمت]:العزم عقد القلب علی الشیء ترید ان تفعله.

[توکل]:أی فوض الأمر الی الله وثق بحسن تدبیره.

۱۶۱[یغل]:أصل الغلول من الغلل،و هو دخول الماء فی خلل الشجر.و الغلول الخیانه و منه الغل الحقد.

ص:۶۸۶

۱۶۲[باء]:رجع.

[سخط]:اراده العقاب لمستحقه.

ظروف الهزيمه،و مسئوليات القياده

هدى من الآيات:

فی جو الهزيمه التی عاشها المسلمون-بعد واحده من معاركهم الصعبه(أحد)- تنتشر الشائعات المغرضه،و تطفو على السطح النفسيات المنافقه و المتردده،و يكون من واجب الرساله ترصد هذه النفسيات لمعالجتها،أو إبعادها عن الساحه كما يجب عليها ترقب شائعاتها الضاله،لدحضها و تبديلها بأفكار ايجابيه بناءه،و القرآن إذ يعالج هذه الأمور بشیء من التفصيل يعالج-أيضا- موضوع القياده،باعتبارها مما يتعرض للنقد و لا سيما فی ظروف الهزيمه.

ان المنافقين و الانهزاميين من المسلمين،أخذوا ينالون من كفاءه بل من أمانه قياده الرسول لهم،و كذلك تفعل الفئات المنافقه و المنهزمه مع كل قياده فی ظروف النكسه،بيد أن القرآن يدحض هذه الفكره فيما يخص رسول الله بالذات،و فيها يخص كل قياده امينه اتبعت نهج قياده الرسول بصفه عامه،ذلك النهج الذی تتحدث عنه الآيات و هو اللين و العفو و الاستغفار(محاوله إصلاح الناس بشتى

الطرق)و المشاوره و العزم و التوكل.

ثم يتحدث عن أمانه الرسول كرسول،و أمانه كل قائد رسالى ذى سوابق فى التضحيه فيما يرتبط بالمهمه التى نسبت الى الرسول،و البعيد جدا عن طبيعه الامه.

ثم يختم الحديث ببيان درجه الرسول،و كرامه اللّه للانسانيه بأن بعثه إليها.

[۱۵۹]من أبرز صفات القائد،ایّ قائد سعه الصدر و القدره على تحمل الناس، بما فيهم من سوء خلق،و تناقض،و جهل،و انحراف،و سعه الصدر بدورها لا تأتى للقائد الاّ إذا كان هادفا،يحمل فى قلبه رساله عظيمه يستهين من أجلها بالصعوبات التى يلاقيها من قبل الناس،و لذلك ربط القرآن بين لين الرسول،و بين رحمه اللّه (المتمثله فى رسالته).

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ خصوصا و إنّ مجتمع أهل الجزيره العربيه-كما كل مجتمع بدائى خشن-قد تشبّع بالعنف بما فيه الكفايه،كان يحتاج الى قدر كبير من الليونه،حتى يجتمع و يفكر فى تصفيه مشاكله بالتى هى أحسن.

بينما المجتمعات المتحضره التى تعودت على الدعه،فانّ الليونه قد لا تنفيها دائما مثل قوم موسى الذى كان نبيهم موسى عليه السلام شديدا معهم،لأنّهم فقدوا إحساسهم بالكرامه.

و القائد يجب أن يربى نفسه على صفه الليونه،حتى لا تفلت منه كلمه نابيه فيجر قومه الى شر مستطير.و الليونه تعنى الصفات التاليه:

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شٰاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

الناس تكون فيهم صفات سيئه،و اعمال خاطئه،و على القائد ان يصلحها و لكن بالحكمه.

ذلك أن هـذه الصـفه إنما هى نتيجه ظروف تربويه،و اجتماعيه،و اقتصاديه معيّنه،فلا يتحمل الفرد كلّ مسـئولياتها و بالاضافه الى ذلك،فان رؤيه الفرد الى تلك الصـفات،و الأعمال،قد لا تكون مثل رؤيه القياده فعليها ان تصلح رؤيتهم،قبل إصلاح صفاتهم أو أعمالهم.

من هنـا يجب أن تتعـود القيـاده على العفـو،و لكن لاـ يعنى العفـو السـكوت الى الأبـد عن الاـنحراف،بـل يجب العمـل من أجل إصلاحه.و ذلك بالاستغفار(طلب الغفران من اللّه)،و الدعاء بالمغفره-كأى دعاء آخر-يجب ان يقارن بعمل مناسب،و هو محاوله الإصلاح.

ثم ان القياده يجب ان تقوم برفع مستوى الناس،و ذلك عن طريق التشاور.

ذلـك ان التشـاور يجعـل النـاس يتحســون بمسؤوليـاتهم،فيفكرون فى شـؤونهم بجـديه أكـثر،و يحـاولون إصــلاح أنفســهم بأنفسـهم،كمـا ان القائـد يضـطر من خلاـل التشاور الى بيان مختلف وجوه الأمر للناس،مما يعمق فيهم معرفتهم بالحياه،و يجعلهم أكثر إحساسا بواجباتهم تجاهها.

بيد ان هذه الصـفات يجب الا تنزل القائد الى مستوى منسق بين الآراء،أو الإرادات فقط،بل عليه ان يحتفظ بحقه فى اتخاذ القرار الحازم.ذلـك لاـن الامه التى تفقـد(القرار)تفقـد كل شـىء،لان القرار هو الـذى يتجاوز الاختلافات،و يعطى دفوعات هائله للامه باتجاه تجاوز العقبات،التى تضخمها عاده الخلافات فى الرأى.

من هنا فقد قال اللّه:

ص:۶۹۰

فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ القائد يجب ان يكون صاحب قرار،و لكن القرار يحتاج الى قوه اراديه هائله،من أين يأتى بها القائد؟من التوكل.ذلك ان التوكل على اللّه(و ليس على الناس) يجعل القائد سابقا لأمته،رائدا فى مسيرتهم، يعطيهم أبدا روحا جديده،و يجعله أكثر حزما و إقداما..و بالتالى أكثر قدره على تفجير طاقات أمته و تحريك فاعلياتها.

[۱۶۰]و بمناسبه الحديث عن التوكل،يذكرنا القرآن بدور التوكل فى حياه المؤمنين و يقول:

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّهُ فَلاٰ غٰالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فليست القياده وحدها التى ينبغى أن تتوكل على الله،بل المؤمنون أيضا،و ذلك لان النصر الحقيقى آت من الله،و من رسالته التى يتمسك بها المؤمنون،و ليس من قوه السلاح أو كثره العدد.

[۱۶۱]و يتابع القرآن حديثه عن القياده،و عن الشكوك التى حامت حولها بسبب جو الهزيمه،و الشائعات المفروضه،التى بثها المنافقون و زرعوها فى النفوس الضعيفه،و يقول:

وَ مٰا كٰانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمٰا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ النبى الذى اختاره اللّه ليس ممن ينطوى قلبه على نيه سوء لأمته،و يتظاهر بغيرها،ذلك ان هذه الازدواجيه سوف تنكشف فى يوم القيامه،حيث تبلى سرائر الناس جميعا.

و الغل أنواع،أبرزها خيانه القياده فى أموال الأمه.و الرشوه،و السرقه،و الضغينه، كلها غل،و ازدواجيه،و نفاق،يبتعد عنها القائد و بالذات الرسول.

ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ الذين يخونون أمانتهم،و يسرقون أموال الامه،إنهم سوف يعرضون للحساب أمام اللّه،حيث يجازون بعداله تامه.

[۱۶۲]و الطريق الوحيد لمعالجه الغل هو تطهير نفوس القاده،و ان يكون هدفهم من مسئولياتهم المناطه بهم رضوان اللّه،و ليس الوجاهه عند الناس،أو الحصول على مكاسب ماليه أخرى.

أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوٰانَ اللّٰهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ أى ليس سواء الرجل الذى يجعل رضى الله هدفه الذى يحدد مسيرته-و الذى يتمثل فى إتباع الرسول و قيادته الامينه-بينه و بين ذلك الرجل الذى يجعل مكاسبه الشخصيه هدفه،كالمنافقين الذين يشيعون حول الرسول الأقاويل الكاذبه،ثم تكون حصيلتهم النهائيه،انهم يعودون بسخط من الله فى الدنيا،و جهنم فى الآخره.

[۱۶۳]ليس المؤمنون سواء،فمنهم من يشبه فى بعض مواقفه المنافقين،و منهم من هو فى أعلى القمم،و كذلك المنافقون درجات مختلفه،و يجب إلاّ يساقون بعصى واحده،بل يحسب لكل فرد منهم أو فئه منهم حسابه الخاص.

ذلك ان الايمان أو النفاق ممارسه عمليه أكثر منها أقوال حديه،و الممارسه تختلف حسب الأعمال الايمانيه أو النفاقيه،و الله يعلم درجات المؤمنين و المنافقين و يحاسبهم عليها حسب أعمالهم.

ص:۶۹۲

هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ [۱۶۴]القياده التى يديرها رسول الله،لا تقاس أبدا بالقيادات الجاهليه التى تشيع الدعايات المغرضه،و على الامه أن تعرف واقع كلتا القيادتين،و طبيعه الاشاعات المغرضه،و إلاّ تنساق وراء كل قوّال لا يعرف غير صناعه الكلمه الكاذبه و القول الباطل.

على الامه ان تفكر لدى تقييمها لهذه الاشاعات(و فى ظروف الهزيمه بالذات) تفكر من هو رسول الله؟و ما هى رسالته؟و من هم أعداؤه؟ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ هذا رسول الله الذى أنعم الله به على المؤمنين،حيث بعثه برسالته لكى يربيهم على التقوى،و يعلمهم دستور حياتهم الثابت،و نظام حياتهم المتغير(الكتاب و الحكمه)،و يخرجهم من ضلالتهم السابقه الى نور الهدى.

فهل من الصحيح ان تقبل فيه الاشاعات المغرضه،الصادره من القيادات الجاهليه؟ ان الناس بحاجه الى توعيه لكى يقيّموا الكلام،خصوصا و إنّ الطواغيت و الظلمه فى كل عصر،يستخدمون الكلام الباطل لتبرير ظلمهم للناس،و محاربتهم لدعاه الإصلاح.و لو لا أنّ الناس يرتفعون الى مستوى التقييم السليم،فإنهم لن يتخلصوا من الطغيان و الظلم. و على الناس ان ينظروا الى الممارسات العمليه،و لا ينخدعوا بالألفاظ البراقه.

[سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۶۵ الى ۱۷۵]

اشاره

أَ وَ لَمّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اَللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۶۵) وَ ما أَصابَكُمْ
يَوْمَ اِلْتَقَى اَلْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اَللّهِ وَ لِيَعْلَمَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۶۶) وَ لِيَعْلَمَ اَلَّذِينَ نافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللّهِ أَوِ اِدْفَعُوا قالُوا لَوْ
نَعْلَمُ قِتالاً لاَتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اَللّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ (۱۶۷)
اَلَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ اَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۶۸) وَ لا تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ قُتِلُوا
فِي سَبِيلِ اَللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (۱۶۹) فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۱۷۰) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اَللّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اَللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۷۱) اَلَّذِينَ
اِسْتَجابُوا لِلّهِ وَ اَلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ اَلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اِتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (۱۷۲) اَلَّذِينَ قالَ لَهُمُ اَلنّاسُ إِنَّ اَلنّاسَ قَدْ
جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اَللّهُ وَ نِعْمَ اَلْوَكِيلُ (۱۷۳) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اَللّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ
اِتَّبَعُوا رِضْوانَ اَللّهِ وَ اَللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (۱۷۴) إِنَّما ذلِكُمُ اَلشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۵)

اللغه

۱۶۸[فادرؤا]:ادفعوا.

ص:۶۹۴

۱۷۳[حسبنا]:کافینا.

ص:۶۹۵

لماذا نخسر؟و كيف ننتصر؟

هدى من الآيات:

لا تزال الآيات القرآنيه تبين واقع الهزيمه،و الصبر،الذى يجب ان تستفيد الامه منه،فتبدأ بالحديث أن الهزيمه فى معركه واحده لا تعنى الهزيمه أبدا،إذ أنّ الامه التى انهزمت الآن كانت قد ألقحت سابقا هزيمتين بأعدائها،ثم تبين ضروره الهزيمه لكشف حقيقه الجبهه الرساليه التى انقسمت على ذاتها الى مؤمنين و منافقين.

أما المؤمنون فهم الشهداء الذين استضافهم اللّه فى رحمته،و الصامدون الذين استجابوا للرسول من بعد ما أصابهم القرح،و أنهكتهم الحرب بجروحها و أضرارها الماديه و البشريه.

و عند الحديث عن المنافقين يقسمهم القرآن الى فئات،بعضهم نتحدث عنه فى هذا الدرس،و بعضهم فى الدروس القادمه،و هذا التقسيم نابع من أعمالهم.فكل من مارس نوعا واحدا أو أكثر من هذه الممارسات،فهو منافق ذلك أنّ النفاق ليس

حديثا يقال،بل هو عمل.مثل الهروب من المعركه تحت غطاء الجهل بها،و تجبين الناس و تضخيم الخساره.

و اللّه سبحانه ينعت هؤلاء ليس بالنفاق وحده،بل بالكفر أيضا،بالرغم من ادعاء هؤلاء أنهم مسلمون.ثم يدعوهم الى مقاومه الموت ان كانوا صادقين،ثم يتحدث عن الشهداء الذين يعتبرهم هؤلاء خساره.

[۱۶۵]لماذا تخسر الامه معركه معينه؟لسبب واحد هو عدم الاعداد الجيد لها و ذلك من الناحيه البشريه،و انعدام الروح المعنويه،أو لعدم وجود السلاح الجيد أو لتفكك الجبهه الداخليه.أو ما أشبه.

و أيه هزيمه عرفت الامه إنها من نفسها،و دأبت على استخلاص عبرها و دروسها، فهى أشبه بالنصر منها بالهزيمه،أما الهزيمه الحقيقيه،فهى التى يعتبر الإنسان عواملها خارجيه،فلا يعتبر بها أبدا.

من هنا فان القرآن ركّز على أنّ الهزيمه هذه من عند الأمه نفسها،و ذلك بعد ان يبيّن أنّها كانت بعد انتصار الامه فى معركتين سابقتين،لتخفيف هول الهزيمه عن النفوس.

أَ وَ لَمّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها أى انكم أصبتم و أوردتم ذات المصيبه بغيركم مرتين فى السابق،ثم إنّكم مع ذلك و هنتم و تساءلتم و قلتم:

قُلْتُمْ أَنّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ فكما أن أعداءكم انهزموا سابقا بسبب ضعفهم المعنوى و المادى،فكذلك أنتم

انهزمتم للضعف.

إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فليس هو الذى انهزم فى المعركه بل أنتم.

[۱۶۶]و كـان اللّه قـادرا على ان يمنع الهزيمـه عنكم بقوه غيبـه،و لكـن لـم يفعـل بـل ترككـم و شأنكم،و اذن بـذلك فى هزيمتكم(اذن بمعنى سمح أى لم يمنع)و ذلك لتستفيدوا عبرا كثيره منها:تقييم عناصر جبهتكم المؤمنين و المنافقين.

وَ مٰا أَصٰابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰانِ فَبِإِذْنِ اللّٰهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ [۱۶۷] وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نٰافَقُوا و التعبير القرآنى يستعيض عن كلمه المعركه ب(يوم التقى الجمعان)لأنه أشد وقعا فى النفوس و أقدر على تصوير حقيقه المعنى.

و المنافقون الذين كشفتهم الهزيمه،هم الذين هربوا من مسئوليه القتال،فى حينما طلبوا للحرب أو للدفاع عن دار المسلمين.

وَ قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا قٰاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَوِ ادْفَعُوا قٰالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتٰالاً لاَتَّبَعْنٰاكُمْ فلأننا لا نعلم وقوع المعركه،أو لا نعلم فنون القتال لذلك فانا لا نتبعكم.

و هؤلاء لم يحسبوا أنفسهم جزءا من الأمه،بل قالوا لاتبعناكم و كان الاجدر بهم ان يبادروا بأنفسهم للقتال،لأنه مسئوليتهم،كما هى مسئوليه سائر المسلمين، و اللّه وضعهم حيث وضعوا أنفسهم و قال عنهم.

هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمٰانِ

ص:۶۹۸

لان الايمان ممارسه عمليه،و بالذات فى ظروف تعرض الامه للخطر،و المؤمن الذى لا ينفع عند الضـروره فمتى يمكن أن ينفع،و كل التبريرات التى يتذرع بها هؤلاء باطله إذ انهم.

يَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِهِمْ مٰا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا يَكْتُمُونَ إنهم يقولون(كـذبا)إنّهم مؤمنون و إنمـا لاـ يقاتلون بسـبب جهلهم بفنون القتال و لكن اللّه يفضحهم.

[۱۶۸]و من صفات هؤلاء أنّهم يضخّمون خساره الامه،و يبثون الدعايات الهدامه،فيقولون عن الشهداء لو انهم لم يذهبوا للمعركه لما قتلوا.

أجـل و لكن مـاذا كان مصـيرهم؟أ لم يكونوا يموتون بالنهايه؟!و ما دام الإنسان يقتل أو يموت،فلما ذا يعظم الموت عنـد نفسه؟! اَلَّذِينَ قٰالُوا لِإِخْوٰانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطٰاعُونٰا مٰا قُتِلُوا أى الـذين قالوا لإخوانهم:اقعـدوا،و هم بـدورهم قعدوا،ثم لمّا قتلوا،قالوا لو انهم أطاعوا أمرنا بالقعود لما قتلوا.

قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ فما دمتم لا تقـدرون على مواجهه الموت،لا تتكلموا عمن يقتل فى سبيل اللّه،أو ليس الجميع يسير نحو الفناء؟! [۱۶۹]و لكن هناك فرق بين من يقتل،و من يموت لأن الشهيد حى و الميت فان.

ص:۶۹۹

وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِيلِ اللّهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ أحياء بحياه الرساله التی سقوها بدمائهم،فاذا بكل قطره دم أريقت حول شجره الرساله،تحولت الی غصن أخضر و ثمره نافعه،تحوّلت الی عداله تنفع ملايين البشر،و حريه و كرامه و حياه.

و هم أحياء لان ذكرهم خالد فی الناس.

و هم أحياء ربما لان اللّه يعطی أرواحهم الطاهره،قدره و علما فی عالم البرزخ، فاذا بهم يرزقون عند ربهم،إنما بعيدون عن أجسادهم هذه و متحررون منها.

أما الأموات فان أرواحهم قد تنتزع منها القدره و العلم و تعتقل فی زنزانه الجهل الضعف.

و لنتصور:أن رجلا يقتل فی سبيل اللّه،فتنفصل روحه عن جسده،لتعيش الی يوم القيامه،فی عالم الأرواح،طليقه حره قادره و عالمه.

و رجل يموت علی الفراش،فتتحول روحه الی عالم مظلم،فأيهما الأفضل؟ الموت أم الشهاده.؟ [۱۷۰]حياه الشهداء حياه حافله بالنعم الماديه.(يرزقون عند الله)،و المعنويه إذ أنهم لا يزالون فی فرح،و شكر،و بشاره، كلما وجدوا قتيلا فی سبيل اللّه،التحق بهم زادهم أنسا.و كرامه.

فَرِحِينَ بِمٰا آتٰاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ من نعمه الشهاده،التی فتحت عليهم أبواب نعم اللّه الاخری فی الآخره.

ص:۷۰۰

وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ ان المؤمنين الـذين لم يلحقوا بالشـهداء،هم أداه البشاره للشـهداء،لعلم الشـهداء بأن أولئك سوف يقـدمون على حياه فاضـله،حياه لا خوف فيها و لا حزن،و لـذلك فهم يفرحون بالمؤمنين.

[۱۷۱]و للشـهداء عند اللّه سـبب آخر للبشاره،هى نعمه اللّه التى تزيد عن القدر الذى يتصور الإنسان أنه جزاء العمل.و يستبشرون حين يجـدون ثمار أعمالهم التى ما ضاعت عنـد اللّه،و كم يكون فرح الإنسان كبيرا حين يجـد ثمره جهوده،فيرى إنها كامله غير منقوصه.

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللّهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ [۱۷۲]هؤلاء فريق من المؤمنين استشـهدوا فى سبيـل الله،أما الفريق الآخر فهم الصامـدون،الـذين لم ينهزموا بالرغم من إصابتهم بالقرح،فحين دعاهم الرسول لاعاده تنظيم صـفوفهم،و القيام بهجوم مضاد،استجابوا للرسول و ألحقوا الهزيمه بالعدو.

ان هؤلاء كانوا يتمتعون بعده صفات:

أ)إن قـدره الإنسـان على تحمـل الصـعاب كبيره،و لكن المؤمنين فقـط هم الـذين يسـتثمرون هـذه القـدره،بفضل إيمانهم باللّه و ابتغائهم مرضاته.

اَلَّذِينَ اسْتَجٰابُوا لِلّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مٰا أَصٰابَهُمُ الْقَرْحُ و القرح:هى الآلام الجسديه و النفسيه.

ب)ثم إنهمّ كانوا يضاعفون جهودهم بسبب ظروف الهزيمه.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ج)و يزدادون التزاما ببنود الشريعه،و انضباطا فى تنفيذ الأوامر.

وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ [۱۷۳]ثم إنّهم يزدادون صلابه فى الحق،و شجاعه فى مواجهه العدو بسبب إيمانهم و إحسانهم و تقواهم.

اَلَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ انهم ازدادوا إيمانا بسبب تصميمهم المسبق على مواجهه العدو فى كل الظروف، فلم يزدهم التحدى إلاّ صلابه-ثم و من جهه ثانيه-كان التوكل على اللّه،و الثقه بنصره زادا كافيا لهم فى معركتهم مع العدو،و مع وسوسه الشيطان فى قلوبهم.

[۱۷۴]بسبب الاستجابه فى ظروف الهزيمه(بالإحسان و التقوى و الشجاعه) الحق هذا الفريق من المؤمنين الهزيمه بالعدو،و انتصروا عليه، و حصلوا منه على مغانم، و لم يصبهم أذى فى معركتهم الجديده.و حصلوا على أهم جائزه و هى رضوان اللّه.

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَهٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللّهِ وَ اللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إن وجود العزم الراسخ لدى هذا الفريق على مجابهه العدو،هو الذى قلل من خساراتهم فى المعركه.بل جعلهم يربحون المعركه من دون خساره،و لو أنهم جبنوا لاستطاع العدو ان يهجم عليهم كره أخرى،فيذيقهم العذاب الأليم.

ص:۷۰۲

[۱۷۵]من أين يكتسب الإنسان الشجاعه الكافيه لمواجهه ظروف الهزيمه؟ يجيب القرآن على ذلك:بأنّ مصدر الهزيمه النفسيه،هو الخوف،و الخوف فطره فى البشر،و لكن على المؤمن ان يوجّه خوفه الى المصدر الحقيقى للخوف و هو اللّه، و ليس الى أعدائه من البشر.لان اللّه-و ليس البشر-هو القادر على إنزال أشد العقوبات فى الدنيا و الآخره على الإنسان فعليه أن يخشاه.

أما البشر فالخوف منهم،مجرد وسواس شيطانى،لأن كل ما يملكه البشر،يمكن أن أملكه أنا أو أملك ما يواجهه،و لكن هل بامكانى أن أملك ما يملكه اللّه؟ إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و الايمان باللّه و بأنّه الضار النافع،و أنه بصير بعباده،هو الذى يجعلنا نخافه، فلا نخاف أحدا سواه.أما الايمان بالشيطان،بماله،و شهرته،و اغراءاته،فهو الذى يجعلنا نخافه،و نخاف الناس الذين يملكون المال،و السلطه،و الإغراء..إذا:دعنا نطرد حب زينه الحياه الدنيا من قلوبنا حتى نتمتع بالشجاعه.

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۷۶ الی ۱۸۰]

اشاره

وَ لاٰ یَحْزُنْکَ اَلَّذِینَ یُسٰارِعُونَ فِی اَلْکُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ یَضُرُّوا اَللّٰهَ شَیْئاً یُرِیدُ اَللّٰهُ أَلاّٰ یَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِی اَلْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۱۷۶) إِنَّ اَلَّذِینَ اِشْتَرَوُا اَلْکُفْرَ بِالْإِیمٰانِ لَنْ یَضُرُّوا اَللّٰهَ شَیْئاً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۱۷۷) وَ لاٰ یَحْسَبَنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّمٰا نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمٰا نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدٰادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِینٌ (۱۷۸) مٰا کٰانَ اَللّٰهُ لِیَذَرَ اَلْمُؤْمِنِینَ عَلیٰ مٰا أَنْتُمْ عَلَیْهِ حَتّٰی یَمِیزَ اَلْخَبِیثَ مِنَ اَلطَّیِّبِ وَ مٰا کٰانَ اَللّٰهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی اَلْغَیْبِ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشٰاءُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَکُمْ أَجْرٌ عَظِیمٌ (۱۷۹) وَ لاٰ یَحْسَبَنَّ اَلَّذِینَ یَبْخَلُونَ بِمٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَیُطَوَّقُونَ مٰا بَخِلُوا بِهِ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ لِلّٰهِ مِیرٰاثُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۱۸۰)

اللغه

۱۷۸[نملی]:الاملاء إطاله المده.

ص:۷۰۴

اشاره

و المواقف الاجتماعيه

هدى من الآيات:

بعد الهزيمه انقسم المسلمون الى فريقين:فريق المؤمنين منهم و الصامدين،و فريق المنافقين،و هم-بدورهم-كانوا فئات:فئه تجبّن الناس عن القتال،تحدث عنهم القرآن فى الدرس السابق،و فئه أسرعت الى الكفر و انضمت عمليا الى الجبهه المضاده للرساله،و فئه كان عليهم ان يدعموا صمود الامه بأموالهم،فبخلوا بها فى ساعه العسره.

هؤلاء انما فعلوا ذلك لما رأوا ما عند الكفار من مظاهر الانتصار و العزه.و لم يعرفوا أنّ هذه المظاهر خداع و باطل،و أنّ الله يمهلهم فيها،حتى يزدادوا إثما،و إنّ مصيرهم الى النار.

و يكرر القرآن القول:بأنّ الهزيمه كشفت هذه الفئه المنافقه،التى أسرعت فى الكفر،كما كشفت تلك الفئه التى بخلت بحقوق الله،و لم تجاهد بأموالها.

و بمناسبه الحديث عن الأغنياء البخلاء،يتحدث القرآن عن اليهود فى الدرس القادم،ليبين لنا:كيف أنهم ابتلوا بغضب الله،بسبب تركهم واجب العطاء و الإنفاق.

[۱۷۶]فئه من المسلمين الذين لم يترسخ الايمان فى قلوبهم،أسرعوا فى الكفر حين وجدوا انتصار الكفار،هؤلاء لم يضعفوا الجبهه الداخليه للمسلمين،لأنهم كانوا لا ينفعون المسلمين أساسا،و ذلك بسبب ضعف إيمانهم،ثم إنهم لا ينفعون الجبهه المضاده،لأنهم انهزاميون بطبيعتهم،و ضعفاء القلوب.

و لكن الخاسر الوحيد بعملهم هم أنفسهم،الذين خسروا مكاسبهم السابقه، التى ربما كانت تؤهلهم للجنه،أما الآن فليس لهم نصيب منها،بل لهم عذاب عظيم بنقضهم الميثاق و مخالفتهم أمر ربهم.

وَ لاٰ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسٰارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّٰهُ أَلاّٰ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ و التعبير القرآنى يقول:فى الكفر،للدلاله على انّ الكفر عمل و ليس نهايه حديه يسارعون إليها،فلم يقل إلى الكفر.كأنّ القرآن يقول:يسارعون فى أعمال الكفر، أو فى درجاته.

[۱۷۷]هؤلاء بدّلوا الايمان بالكفر،فهل خسر اللّه شيئا؟كلا،لأن الله واسع القدره،غنى عن العالمين،و تقدم الأمه الاسلاميه لا يعتمد على هذا الشخص أو ذاك،بقدر ما يعتمد على نوع الأشخاص،و مدى تفاعلهم مع الايمان.

و هؤلاء اشتروا بعملهم عذابا أليما.

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمٰانِ لَنْ يَضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئاً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ

ص:۷۰۷

و يبدو أنّ الفئه الاولى سارعوا فى أعمال الكفر،أمّا هؤلاء فقد أعلنوا تمردهم علنا و ربما لذلك كان عذاب الفئه الاولى عظيما(من الناحيه الكميه)،و عذاب هؤلاء أليما(من الناحيه الكيفيه).

[۱۷۸]و يعتقد هؤلاء بأن مكاسب الكفار دليل على تفوقهم فى الدنيا،أو حتى قربهم الى اللّه.و لا يعرفون ان زياده الثروه،أو الانتصار،أو ما أشبه،من مكاسب الدنيا،قد تكون طريق النهايه،إذ يسبب الطغيان،و الطغيان يسبب الانفلات و الفوضى،و بالتالى التوغل فى الذنوب،و نهايه الذنوب معروفه.إذا فقد يمكن ان يزيد الله الكفار بعض النعم،بهدف تحطيمهم و أبادتهم.

وَ لاٰ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدٰادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ ان النعمه سلاح ذو حدين،و ان الايمان بالله،هو الذى يمنع تحول النعمه الى سبب للخساره.فاذا فقد الإنسان الايمان،فان النعم تضره بدل ان تنفعه.

و لنتصور طفلا،أو مجنونا تعطى له قياده السياره،فكلما زاد وقود السياره و اندفاعها،كلما كانت أقرب الى الهلاك و الدمار.

و الطغيان الذى يتشبع به الكفار،نتيجه النعم يقابل عند اللّه،بالمهانه لأن الطغيان يدعو إلى الاستكبار.

[۱۷۹]تمييز الخبيث من الناس،عن الطيب نتيجه طبيعيه للهزيمه،حيث يتعرض الجميع للضغوط فينهار المنافقون،و يصمد المؤمنون الصادقون،السؤال:لماذا لم يميز الله الخبيث من الطيب غيبيا،بأن ينزل قائمه بأسماء هؤلاء و هؤلاء؟ الجواب:ان الحياه الدنيا هى حياه المسؤوليه.و لا يتدخل الغيب فيها إلاّ

جزئيا،فمثلا-عن طريق الأنبياء يهدى اللّه الى مناهج العلم،و على الناس ان يتفكروا،و ان يكتشفوا الحقائق من خلال تجارب الحياه،(مثل اكتشاف حقيقه الإفراد من خلال الهزيمه).

فعلينا إتباع الرسول فيما يشرعه لنا من مناهج،و لا ننتظر بعدئذ أن يطلعنا الله على كل صغيره و كبيره من حياتنا،الا بالطرق العاديه.

مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلىٰ مٰا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ الخبيث هو الذى اختار طريق النفاق.و الطيب هو الذى آمن بالله إيمانا صادقا.

وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشٰاءُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ [۱۸۰]و كما الجهاد بالنفس:يصبح الجهاد بالمال دليلا على مدى تفاعل الايمان مع النفس كما ان البخل بالمال خصوصا فى ظروف الهزيمه دليل الخبث و النفاق.

و ما ذا يجنى البخيل؟انه يكدس الثروه-التى أعطاه الله-لأى يوم؟هل يكدسها ليوم القيامه،حيث تتحول ثرواته المغتصبه الى حزام من النار يحيط به و يأخذه الى جهنم؟ أما فى الدنيا:فانه سيموت،و يورث الله ثرواته لمن يشاء،أو ينتصر الرساليون على أخذ ثرواته شاء أم أبى،و لا ينفعه التعليل و التبرير،لأن الله خبير بما يعمل العباد،و يجازى الناس حسب خبرته لا حسب أقوالهم و ادعائاتهم.

وَ لاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ وَ لِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ص:۷۱۰

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۸۱ الی ۱۸۹]

اشاره

لَقَدْ سَمِعَ اَللّٰهُ قَوْلَ اَلَّذِینَ قٰالُوا إِنَّ اَللّٰهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیٰاءُ سَنَکْتُبُ مٰا قٰالُوا وَ قَتْلَهُمُ اَلْأَنْبِیٰاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذٰابَ اَلْحَرِیقِ
(۱۸۱) ذٰلِکَ بِمٰا قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ وَ أَنَّ اَللّٰهَ لَیْسَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِیدِ (۱۸۲) اَلَّذِینَ قٰالُوا إِنَّ اَللّٰهَ عَهِدَ إِلَیْنٰا أَلاّٰ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتّٰی یَأْتِیَنٰا
بِقُرْبٰانٍ تَأْکُلُهُ اَلنّٰارُ قُلْ قَدْ جٰاءَکُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِی بِالْبَیِّنٰاتِ وَ بِالَّذِی قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۱۸۳) فَإِنْ کَذَّبُوکَ فَقَدْ
کُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ جٰاؤُ بِالْبَیِّنٰاتِ وَ اَلزُّبُرِ وَ اَلْکِتٰابِ اَلْمُنِیرِ (۱۸۴) کُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ اَلْمَوْتِ وَ إِنَّمٰا تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ فَمَنْ
زُحْزِحَ عَنِ اَلنّٰارِ وَ أُدْخِلَ اَلْجَنَّهَ فَقَدْ فٰازَ وَ مَا اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ اَلْغُرُورِ (۱۸۵) لَتُبْلَوُنَّ فِی أَمْوٰالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ اَلَّذِینَ
أُوتُوا اَلْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مِنَ اَلَّذِینَ أَشْرَکُوا أَذیً کَثِیراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِکَ مِنْ عَزْمِ اَلْأُمُورِ (۱۸۶) وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِیثٰاقَ
اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ لَتُبَیِّنُنَّهُ لِلنّٰاسِ وَ لاٰ تَکْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اِشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِیلاً فَبِئْسَ مٰا یَشْتَرُونَ (۱۸۷) لاٰ تَحْسَبَنَّ
اَلَّذِینَ یَفْرَحُونَ بِمٰا أَتَوْا وَ یُحِبُّونَ أَنْ یُحْمَدُوا بِمٰا لَمْ یَفْعَلُوا فَلاٰ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفٰازَهٍ مِنَ اَلْعَذٰابِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۱۸۸) وَ لِلّٰهِ مُلْکُ
اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۸۹)

اللغه

۱۸۴[الزبر]:جمع زبور و کل کتاب فیه حکمه فهو زبور.

ص:۷۱۱

صفات عبده العجل

هدى من الآيات:

بمناسبه الحديث عن المتقاعسين عن الجهاد بأموالهم،و ختما لسوره آل عمران التى أعطتنا رؤيه متكامله عن أهل الكتاب،يحدثنا الدرس هذا عن بعض صفات اليهود،الذين عبدوا العجل و كان أكثر خلق الله بخلا.

إنهم كانوا يتهامسون بان اللّه فقير لـذلك نجد المؤمنين به هم الفقراء أما نحن فأغنياء و يهددهم القرآن و يقول أن كلامهم هذا مسـجل عليهم كما سجلنا سائر أعمالهم السيئه كقتل الأنبياء-ان قولهم بأن الله فقير ما هو إلّا تبرير لكفرهم و بخلهم-و ذلك مثل إنهم برروا سابقـا عـدم إيمانهم بالرسول،بأنه يفقـد آيه الرساله التى كانت فى زعمهم قربانا تأكله النار و الـدليل على ذلك أنهم قتلوا الأنبياء الذين جاءوا بهذه الآيه ذاتها.

إنّ تكذيب اليهود للرسول ليس جديدا عليهم،بل أنّهم كذبوا الأنبياء من

ص:٧١٣

قبله،بسبب تشبثهم بالماديات،تلك الزخارف التى لا بد ان يرحل عنها الإنسان فى يوم،فكل بشر محكوم عليه بالموت،و انما الفائزون هم الذين يكتسبون الجنه بعد الموت.

ثم يبين القرآن الحكيم:بأنّ مواجهه اليهود-و كذلك طبقه الأغنياء البخلاء- تتطلب جهودا مضنيه،حيث لا بد أن يسمع المسلمون من الذين أوتوا الكتاب من قبلهم،و من الذين أشركوا أذى كثيرا،و من ذلك الأذى أنهم يكذبون بالرساله،بالرغم من ميثاق اللّه و الرسول عليهم فى الكتاب،بان يؤيدوها و يصدقوا بها.ان طبقه الأحبار تتحد مع طبقه الأغنياء البخلاء فى محاربه الرساله الجديده و انّ الأغنياء يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا.

و الله غنى عن أموالهم لان له ما فى السماوات و الأرض.

بينات من الآيات:

[۱۸۱]الطبقه الغنيه،قد تكون متحالفه مع أولياء الرساله،فتكون مجاهده بمالها فى سبيل انتصارها،و متعاونه مع الضعفاء من الناس،و قد تكون متحالفه مع أعداء الرساله،و هذه هى السنّه الغالبه.

و عن هذه الطبقه يتحدث القرآن هنا،و لكن بالرغم من تجسدها فى أشخاص اليهود،لا يذكر القرآن اسم اليهود،لكى لا يقتصر عليهم الحديث،بل يبقى شاملا لكل الأغنياء الذين يعادون الرساله.

إنّ هؤلاء يزعمون أنّ مقياس الحق و الباطل هو الثروه،و يتهكمون على المؤمنين،و يقولون ان الله فقير،و لذلك يقبل الفقراء.

و هم يعادون الرساله الى درجه حمل السلاح فى وجه الأنبياء،و اقتراف جريمه

القتل بحقهم،و كل هذه الأعمال دليل على أنّ الثروه ليست مقياس التقرب الى الله بل أعد الله لهؤلاء عذابا يحرقهم.

لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ [۱۸۲]عذاب الحريق الذى يصيب هؤلاء الأغنياء البخلاء ليس لأنهم أغنياء بل لأنهم بخلوا بحقوق اللّه.

ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ [۱۸۳]و من أكاذيب هؤلاء التى يبررون بها كفرهم بالإسلام،و موقفهم العدائى من الرساله الجديده،أنهم يقولون ان العلامه الضروريه لصدق الرساله غير موجوده فى هذه الرساله و هى:نزول قربان تأكله النار،و لكن الله يفند هذا القول، و يبين أنّ تكذيب الرسول ليس جديدا عليهم،بل هو ناشئ عن موقفهم العام من الرسل.و لذلك حين جاءهم رسل مزودون بتلك العلامه كذبّوا بهم،و فوق ذلك قتلوهم.

اَلَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أَلاّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النّارُ حيث كانت من العاده:ان تنزل النار من السماء،فتأكل ما يتقرب به الى الله من الذبائح،للدلاله على تقبّل الله لهذا القربان،و بالتالى للدلاله على سلامه نيه الرسول.

قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ حيث لم تكن العلامه الفارقه بين الرسل و غيرهم،مجرد قربان، بل بينات

كثيره أخرى جاءت بها الرسل.

وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ إنما أنتم تبررون كفركم عبر هذه الأكاذيب،و هكذا يبرر طبقه الأغنياء المترفين،كفرهم بالرسالات و بالحركات التقدميه،بأكاذيب باطله حيث يلصقون بها أبشع التهم.

[١٨۴]و التكذيب بالرساله الجديده،إنما هو ناشئ من موقف هؤلاء المبدئى، من كل رساله و كل رسول.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جٰاؤُ بِالْبَيِّنٰاتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتٰابِ الْمُنِيرِ إذن لا داعى للخوف من هذه الطبقه،إذ ان رسالات السماء كلها انتصرت بالرغم من تكذيب هؤلاء لها،كما لا ينبغى أن يتزلزل الناس من تكذيب هؤلاء، و يشكون فى صدق الرساله،كلا لأنهم مصلحيون يتبعون أهواءهم،و ليس أى شىء آخر.

البيّنات:المعاجز الظاهره كعصى موسى و إحياء عيسى للموتى.

و الزبر:الكتب المنزله.

و ربما يكون الكتاب المنير:هو الآيات المحكمه من الزبر،و هى تلك التى تنير درب الضالين،و هو يساوى فى المعنى كلمه الفرقان.

[١٨۵]و علينا إلاّ نركع لهذه الطبقه،و لا نتأثر بما لديها من زينه الحياه الدنيا.

إذ أنها ستزول،أو يزول عنها أصحابها.و إن العظمه الحقيقيه ليست لمن يملك بضعه

ص:٧١۶

دنانير أكثر،إنما لمن يستطيع أن يخلص نفسه من نار جهنم،و يدخل الجنه.

كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ الْمَوْتِ وَ إِنَّمٰا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّٰارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فٰازَ وَ مَا الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ ان الحياه الدنيا سلعه تغر الإنسان،أو إنها رأسمال المغترين.أما الواعى فانه يعرف أنها حياه زائله،فلا يغتر بها،و لا يتخذها لنفسه متاعا،و لا رأسمالا،و لا رصيدا يعتمد عليه.

[۱۸۶]و على الامه أن تتسلح بالصبر فى مقاومه الطبقه الغنيه،و تعرف بأن مقاومتها ليست بالهينه بل تحتاج الى التضحيه بالمال،و النفس،و تحمّل الاشاعات الكاذبه،حتى تستطيع الرساله من الانتصار عليها،و على أمثالها من الكفار و المشركين.و سلاح الصبر النافذ يصنعه الايمان الصادق بان الحياه الدنيا زائله و ان الدار الآخره لهى الحياه.

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوٰالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ اى أن اللّه يختبركم و يمتحنكم بإصابتكم فى الأموال،و الأنفس.

وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ و على الامه إلاّ تقتصر على الصبر فحسب،بل و تتسلح-أيضا-بالتقوى،و هى الالتزام بواجبات،و محرمات الدين بالضبط،و إذا فعلت ذلك فانها استطاعت ان تمتلك أزمه الأمور بيدها،لأنّ عزم الأمور و لبابها يتمثل فى الصبر و التقوى ،فى الصمود و الالتزام.

ص:۷۱۷

[١٨٧]و من مفاسد أهل الكتاب التى يجب مواجهتها،دعايتهم السلبيه تجاه الرساله الجديده،هذه الدعايه التى تدخل فى إطار ما حذر منه القرآن فى الآيه السابقه،حيث أكد بأن الامه سوف تسمع من الّذين كفروا أذى كثيرا.

و ان هذه الدعايه مخالفه صارخه لعهد الله معهم،و مع كل صاحب ثقافه،ذلك العهد يقضى بأنّ عليه ان يبيّنها للناس و لا يكتمها.

وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثٰاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّٰاسِ وَ لاٰ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مٰا يَشْتَرُونَ و يؤكد القرآن ان وراء دعايات هؤلاء ثمنا قليلا من متاع الدنيا.

[١٨٨]و كما أنّ على من يملك العلم،ان يتخمل مسئوليه نشره من دون خوف و لا رغبه،فكذلك على من يملك مالا أن يبذله فى سبيل اللّه،من دون أى طمع مادى (كأن يحب أن يمدح أمام الناس)و لا حتى عجب بما أتاه فى الله(بأن يفرح و كأنه قد أدى ما عليه بالكامل).

إنّ القرآن الحكيم يقصد بالآيه السابقه،طرد طبقه الأحبار عن إطار التأثير فى المجتمع،حيث يقول انهم كانوا قد خانوا أمانه الله فى العلم.

و هنا يريد ضرب طبقه الأغنياء البخلاء،الذين لا يبذلون مالهم إلّا من أجل الإطراء،أو يزعمون بانّ قليلا من المال يخصلهم من مسئولياتهم الرساليه.

لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمٰا أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمٰا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاٰ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفٰازَةٍ مِنَ الْعَذٰابِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ [١٨٩]و الله لا يحتاج الى مال هؤلاء،لأنه مالك السماوات و الأرض،و هو قادر

على كل شىء من دون اموال هؤلاء.

وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و لان الله ملك السماوات و الأرض،فانّ على أصحاب الرساله ان يتسلحوا بالتوكل على اللّه،فى مقاومه هذه الطبقه،و الطبقه الحليفه لها،و هى طبقه تجار الدين الذين يركعون للأغنياء،لبضعه دراهم و يخونون دينهم.

ص:719

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۹۰ الی ۱۹۵]

اشاره

إِنَّ فِی خَلْقِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفِ اَللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ لَآیٰاتٍ لِأُولِی اَلْأَلْبٰابِ (۱۹۰) اَلَّذِینَ یَذْکُرُونَ اَللّٰهَ قِیٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلیٰ جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذٰا بٰاطِلاً سُبْحٰانَکَ فَقِنٰا عَذٰابَ اَلنّٰارِ (۱۹۱) رَبَّنٰا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ اَلنّٰارَ فَقَدْ أَخْزَیْتَهُ وَ مٰا لِلظّٰالِمِینَ مِنْ أَنْصٰارٍ (۱۹۲) رَبَّنٰا إِنَّنٰا سَمِعْنٰا مُنٰادِیاً یُنٰادِی لِلْإِیمٰانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّکُمْ فَآمَنّٰا رَبَّنٰا فَاغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَ کَفِّرْ عَنّٰا سَیِّئٰاتِنٰا وَ تَوَفَّنٰا مَعَ اَلْأَبْرٰارِ (۱۹۳) رَبَّنٰا وَ آتِنٰا مٰا وَعَدْتَنٰا عَلیٰ رُسُلِکَ وَ لاٰ تُخْزِنٰا یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ إِنَّکَ لاٰ تُخْلِفُ اَلْمِیعٰادَ (۱۹۴) فَاسْتَجٰابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لاٰ أُضِیعُ عَمَلَ عٰامِلٍ مِنْکُمْ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثیٰ بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِینَ هٰاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیٰارِهِمْ وَ أُوذُوا فِی سَبِیلِی وَ قٰاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئٰاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ ثَوٰاباً مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ اَلثَّوٰابِ (۱۹۵)

اللغه

۱۹۳[الأبرار]:جمع بر و هو الذی بر الله بطاعته إیاه حتی أرضاه.

ص:۷۲۰

١٩٥[أضيع]:أهلك.

ص:٧٢١

الرسالی بین التأمل الهادف

اشاره

و واجبات الرساله

هدی من الآیات:

من هو المحارب الرسالی؟و ما هی العوامل الدینیه التی تدفعه الی الشهاده؟ إنّ القرآن لا ـ یقف فی أمره للجهاد عند بعض العوامل الاجتماعیه، بل یضرب فی العمق،حیث یصلح النفوس،و یهیئها لتقبل الشهاده،بل لطلبها بإصرار،و ذلک لتحقیق أهداف الإنسان الرئیسیه فی الحیاه و یقول:إنک حین تنظر الی السماء و الأرض،فانّ أول ما یملأ عینک هو:الاختلاف الواسع فیها.و أبرز اختلاف هو:

تناوب اللیل و النهار،و هذا یدعوک الی التفکر لماذا الاختلاف؟و تجد الجواب ببساطه لان لکل شیء هدفا محددا یحققه،اللیل یأتی لیحقق أهدافا معینه،ثم یعقبه النهار لاهداف أخری،إذا لکل شیء قدر و هدف محدد.

تری أیّ هدف للحیاه،و إذا انحرفنا عن مسیره هذا الهدف فما هو مصیرنا، أ لیس النار و الخزی،دعنا إذا نتوجه إلی اللّه،و هنا یهبط الوحی،لیوجه فطرتنا

ص:۷۲۲

الصـادقه و يبين لنا:كيف نسـير حتى نحقق هـدف حياتنا،و المؤمنون الصادقون يهرعون الى الاسـتجابه للوحى،و يحاولون تحقيق مهامهم بدقه ابتغاء مرضاه اللّه.

و لكن الله يشترط عليهم شـروطا،تبـدو متعبه لنا،أما للذى وضع هدفه الأساسـى خلاص نفسه من نار جهنم،فانه عمل بسـيط و هو الايمان و التحدى،و تحمل الأذى فى الله و الهجره و القتال و الاستشهاد فى الله.

[۱۹۰]كيف خلقت السـماوات و الأرض،و هى لا تزال تخلق و تتطور حسب خطه حكيمه،و اراده مطلقه،و يـد قويه.ما هـذا الليل الذى يلف الكون بظلامه و سـكونه؟و ما هذا النهار الرائع الصاخب؟و من يسلخ النهار من الليل،فيغرق الكون فى بحر من الهدوء و الظلام؟ انها حقائق تثير عقول الذين ينفذون الى لب الحياه،و ما وراء قشورها من أنظمه و أهداف.

إِنَّ فِی خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاٰفِ اللَّیْلِ وَ النَّهٰارِ لَآیٰاتٍ لِأُولِی الْأَلْبٰابِ [۱۹۱]ان هؤلاء أصحاب العقول النيره،يعرفون ربهم فى أول نظره الى الحياه.

و لا يرون ظاهره فى الحياه،إلّا و يذكرون ربهم،لأنهم يعبرون فوق جسر الظاهره بسـرعه،و يصـلون الى الحقيقه،التى تقول ان الله هو خالق هذه الظاهره،و مدبرها الآن،و الذى يطورها من حال لحال و من لحظه لأخرى.

فهم يـذكرون الله قياما و قعودا،و ذكرهم آت من تفكرهم العميق فى ظواهر الحيـاه،و تفكرهم سـليم لأنه سوف يؤدى الى معرفه الحقائق،و أبرزها معرفه ان الحياه ليست باطلا و بلا هدف،و ليست فوضى و بلا سنن،و هدف حياه الإنسان و سنتها

التی تتحرک ضمنها هو:التقوی،و الالتزام بمنهج الله الذی یلتزم به ما فی السماوات و الأرض،و إلاّ فان نهایه الإنسان هی النار.

اَلَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّٰهَ قِیٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلیٰ جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذٰا بٰاطِلاً سُبْحٰانَکَ فَقِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ ان تفکر هؤلاء تفکر واعظ،حیث ینقل الدروس و العبر من واقع الحیاه الی واقعهم،و یجعلهم یتعرضون للحیاه بما فیها من سنن و مناهج.

[۱۹۲]ان هدف الإنسان فی الحیاه هو اختبار إیمانه و وعیه،و مدی فاعلیه إرادته فی مقاومه ضغط الشهوات،فان نجح فی الامتحان فان الجنه مأواه،أما إذا فشل فان مصیره الی النار،و هی خزی یلاحق الذین ظلموا أنفسهم و لم یظلمهم الله شیئا،و سوف لا ینفع الظالمین شیء مما استفادوه فی الدنیا بظلمهم.

رَبَّنٰا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ النّٰارَ فَقَدْ أَخْزَیْتَهُ وَ مٰا لِلظّٰالِمِینَ مِنْ أَنْصٰارٍ [۱۹۳]هذه هی العبره التی یستلهمها أولو الألباب من تفکرهم فی الحیاه.

و سوف تستوضح هذه العبر،عن طریق الوحی الذی یسارع هؤلاء الی التصدیق به بسبب خلفیتهم الفکریه السلیمه.

رَبَّنٰا إِنَّنٰا سَمِعْنٰا مُنٰادِیاً یُنٰادِی لِلْإِیمٰانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّکُمْ فَآمَنّٰا و اکتشفوا بعد الایمان،ان بعضا من أعمالهم کانت مخالفه للمنهج الإلهی، فاستغفروا منها،و طلبوا من الله أن یصلح حیاتهم،بعد أن أفسدتها ذنوبهم بالتوبه إلیه منها و طلب الاستقامه من الله،علی ان یجعلهم مستمرین فی هذا الخط حتی الموت.

رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنّا سَيِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ [۱۹۴]و لأن هؤلاء اكتشفوا بتفكرهم النافذ و البصير فی الحياه ،ان الهدف الأسمی للإنسان،هو الجنه التی وعد بها الله عباده المؤمنين بواسطه الأنبياء،فهم سألوا اللّه ذلك و تطلعوا اليه و قالوا:

رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلی رُسُلِكَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَهِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ [۱۹۵]و استجاب الله لهم،و لكنه فرض عليهم شروطا،و طالبهم بامتلاك عده مواصفات،أبرزها الهجره.و هی الانفصال الفكری و العملی من الجاهليه.

و يستلزم هذا الانفصال التحدی،و الصراع،و بالتالی الخروج من بلاد الجاهليه،و تحمل أنواع الأذی من الاغتراب،و الفقر و الذل.بيد ان كل ذلك يدفعهم لتنظيم أنفسهم،و الاستعداد للعوده الی بلادهم بالقتال.

و هدف الجيش من القتال هو الانتصار،بيد ان هدف الجنود هو الشهاده،لذلك فهم مستبسلون فی ذات الله.

ان هذا هو شرط الله علی المؤمنين الذی لو وفوا به أتاهم أجرهم بالكامل، و بالتساوی بين الذكر و الأنثی،و أدخلهم الجنه جزاء حسنا من عند الله.

فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ و ليس الدعاء وحده كاف للحصول علی الثواب،بل العمل الصالح هو الذی يعطی الجزاء عليه بقدره بالذات.

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثی بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ

أی کلکم فی الثواب سواء،لان بعضکم من بعض،و قد انحدرتم من أب واحد فلا فرق بینکم.

فَالَّذِینَ هٰاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ الهجره هی الخروج تلقائیا.و هو یخالف الإخراج لأنه بإکراه،و ربما الهجره هنا هی الهجره المعنویه و الإخراج هی الهجره الجغرافیه.

وَ أُوذُوا فِی سَبِیلِی وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ ان الشهید یغتسل بدمه فاذا به طاهر من الذنوب و یدخل الجنه بغیر حساب.

ص:۷۲۶

[سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۹۶ الی ۲۰۰]

اشاره

لاٰ یَغُرَّنَّکَ تَقَلُّبُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا فِی اَلْبِلاٰدِ (۱۹۶) مَتٰاعٌ قَلِیلٌ ثُمَّ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمِهٰادُ (۱۹۷) لٰکِنِ اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰاتٌ
تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ وَ مٰا عِنْدَ اَللّٰهِ خَیْرٌ لِلْأَبْرٰارِ (۱۹۸) وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ لَمَنْ یُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ مٰا
أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْهِمْ خٰاشِعِینَ لِلّٰهِ لاٰ یَشْتَرُونَ بِآیٰاتِ اَللّٰهِ ثَمَناً قَلِیلاً أُولٰئِکَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ سَرِیعُ اَلْحِسٰابِ
(۱۹۹) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِصْبِرُوا وَ صٰابِرُوا وَ رٰابِطُوا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۲۰۰)

اللغه

۱۹۶[یغرنک]:الغرور إیهام حال السرور فیما الأمر بخلافه فی المعلوم.

۱۹۷[متاع]:النفع الذی یتعجل به اللذه اما بوجود اللذه أو بما یکون به اللذه نحو المال الجلیل و الأولاد و الاخوان.

[المهاد]:الذی یسکن فیه الإنسان و یفترشه.

[الأبرار]:جمع بر.

۱۹۹[خاشعین]:أصل الخشوع السهوله من قولهم الخشعه و هی السهوله فی الرمل و الخاشع الخاضع.

ص:۷۲۷

۲۰۰[رابطوا]:أصل الرباط ارتباط الخیل للعدو و الربط الشد و منه قولهم ربط الله علی قلبه بالصبر ثم استعمل فی کل مقیم فی ثغر یدفع عمن وراءه ممن أرادهم بسوء.

ص:۷۲۸

اصبروا و صابروا و رابطوا

هدی من الآیات:

الـذین یهـاجرون فی سبیـل الله لاـ یملکون إلاّـ زاد التقوی،و قوه الایمـان.فهم یعرفون ان نهایه أعـدائهم قریبه،بالرغم من تمتعهم بقوی ظاهره،تملأ العین و تغر البسطاء،و بعد النهایه سوف یرمون فی جهنم و ساءت مصیرا.

أما المتقون:فان نهایتهم هی الجنه و حسـنت مسـتقرا،و لـذلک فعلی المؤمنین ان یصبروا و یشـجعوا أنفسـهم بالصبر،و یرابطوا فی الحدود،و یتقوا الله،حتی یفلحوا فی الدنیا و الآخره.

هـذه خلاصه هـذا الـدرس الـذی جاء متمما للحـدیث عن الخلیفه الایمانیه للامه التی تحارب أهل الکتاب،و تصبر علی أذاهم،و تقاوم ضغوط طبقه الأغنیاء البخلاء،المتحالفه مع الأحبار و الرهبان الخونه.

و لکی تکمل الصوره و تکون واقعیه،بیّن القرآن فی الآیه ما قبل الاخیره:أن

أهـل الكتـاب ليسوا كلهم كفـارا،بـل فيهم متقون حتى لا نتصور أنّ اليهود مثلا أهل النار،لأنهم يهود و كفى،و نحن نصـبح أهل الجنه لأنا مسلمون و حسب،بل ان العمل هو وحده،مقياس الحق بين أهل الجنه و أهل النار.

بينات من الآيات:

[۱۹۶]بالرغم من تمتع الذين كفروا بقوى ظاهره،و حريه الحركه،و التصرف فى البلاد،فان أيامهم معدوده.

لاٰ يَغُرَّنَّکَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ کَفَرُوا فِی الْبِلاٰدِ [۱۹۷] مَتاٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهٰادُ [۱۹۸]اما المتقون الذين يلتزمون بمنهج السماء بالكامل فهم الفائزون.

لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرٰارِ ان المؤمنين بحاجه الى صـفتين هما:الالتزام و الانضـباط التام بالمنهج،و النشاط و يسمى القرآن-حسبما يبدو لى-الالتزام الإلهى بالتقوى،كما يسمى النشاط فى سبيل الخير بالبر.

و قد اوحت هذه الآيه بهاتين الصفتين معا.

[۱۹۹]و لا يكفى ان يكـون المـؤمن معتقـدا بـالله و برسوله،و ان يقول أنـا مسـلم فى أن يحصـل على الجنه كلا-ان الجزاء يلحق العمل،سواء كان الشخص مسلما أو كان من أهل الكتاب.

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ

خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ و يبدو ان هذه هى صفات بعض علماء اليهود و النصارى حيث جاء انهم لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا.

[٢٠٠]فى مواجهه الأعداء،من الكفار و الأغنياء و الأحبار لا بد من التطلع الى مستقبل النصر،و الصبر على بعض الأذى الموجود فى الطريق،ثم بث روح الايجابيه فى الامه،حتى يشجع البعض البعض على الصبر،ثم القيام عمليا بالاستعداد الدائم للعدو.و الانضباط بالأوامر التى تصدرها القياده ان هذه هى سبيل السعاده،سواء على مستوى الامه أو على مستوى الإفراد.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ علیهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.